# الفكاهات العصرية

مجلة روائية أدبية تاريخية

لصاحبها

**عبد الله غزاله**

| السنة الاولى | العدد ٣٠ |
| --- | --- |

روايات يشوب الكهل منها بتفكهة وتخلية لفكر
ويقرأها الفتى فيطيب نفساً بما يلفيه من خَبر وخُبر

خليل مطران

# الفكاهات العصرية

مجلة روائية أدبية تاريخية

لصاحبها

عبد الله غزاله

السنة الاولى

العدد ٣٠

روايات يثوب الكهل منها بتفكهة وتخلية لفكر

ويقرأها الفتى فيطيب نفساً بما يلفيه من خَبر وخُبر

خليل مطران

# رواية

# مكنونات باريس

تأليف

القصصي الشهير في عالم التحرير

اوجين سو

---

تعريب

الكاتب البليغ والطبيب البصري البارع

الدكتور ابراهيم شدودي

---



مطبعة العرب

## ايضاح

تركنا جاك فران في الجزء السابق يتفق مع نقولا احد اعضاء عائلة مرسيال على اغراق الفتاة والعجوز معا : فاجابه نقولا

— نعم . ولا شك انك على جانب عظيم من الدهاء ولحسن حظك يوجد عندنا قارب قديم كنت عازماً على تكسيره وأحراق خشبه فيمكنني استعماله وفتح الفوهة في قاعه

— حسن وبعد وضع الصمام تركب القارب ويتبعك قارب آخر سليم فيه واحد من اخوتك . وتقطع النهر فتركب العجوز والفتاة القارب ذا الفوهة والصمام فتعود بهما الى الجزيرة وعند ماتبلغ نصف النهر تظاهر بانك تريد البحث عن شيء في قاع القارب وافتح الصمام ثم انتقل مسرعاً الى القارب الآخر الذي يتبعك ودع العجوز والفتاة الشقراء . . .

— تشربان من كأس واحد . . . حسن ولكن ألا تعلم العجوز بانها سترافق الفتاة في ذلك السفر السعيد ؟

— كلا . . . وحين وصولها ستقول لك همساً في اذنك : « يلزمك اغراق الفتاة وقبل ان تشرع في هذا العمل نبهني لاتمكن من النجاة معك » فقل لها سمعاً وطاعة

وبعد ان شرب نقولا كأس خمر عاد فقال : — فقلت للرجل حسناً سافعل ماتريد . ثم افترقنا وعدت على عقبي فمررت بقارب فيه بضائع فنهبت منه الغنيمة التي عدت بها

فيرى القاري مما تقدم ان جاك فيران اراد ابادة اثنين بضربة واحدة لأن مصلحته تقضي بذلك . يريد قتل زهرة مريم خوفاً من ان البومة العوراء تخبرها بحقيقة أمرها وبانه القاها على قارعة الطريق واستولى على المال المودع لها عنده فتطالبه بذلك المال فيكون ذلك ضربة قاضية على ماله وشهرته. ويريد قتل مدبرة بيته سيرافين لانها شريكته في كل جرائمه مثل برادا منتي ويخشى ان تخونه فيهلكا معاً .

وكانت الام وابنتها كاليباس تصغيان الى نيقولا . وهذا لا ينقطع عن الحديث الا ليكرع كأساً من النبيذ وما زال يعب من الشراب حتى لعبت نشوته بدماغه فقال

— ولم اكتف بهذه « المقاولة » بل اتفقت على عمل آخر مع البومة وبريليون المقيم في زقاق الفول . واذا نجح هذا العمل يعود علينا بارباح طائلة .

قالت الأم : — وما هو هذا العمل ؟

— هو ان نسطو على سمسارة جواهر تحمل احياناً في حقيبتها من الحجارة الكريمة ماقيمته خمسون الف فرنك.

فابرقت اعين الام وابنتها وتهللتا وقالتا بصوت واحد:

— خمسون الف فرنك !!!

— أي نعم وسيشاركنا باروج في العمل ولكي يوقع السمسارة في الفخ كتب لها رسالة وكلفنا انا وبربيليون بتسليمها اياها يوم أمس في شارع سان ديني . واني اقر بالطاعة لباروج واعترف بانه ادهى رجل في باريس . فلكي يوقع سمسارة الجواهر في الفخ باعها ماسة بأربعمائة فرنك .

فقالت الام :

— كن على حذر ياولدي من باروج واذكر انه كان شريك اخيك في حادثة مونمارتر فحكم على اخيك بالاشغال الشاقة المؤبدة وخرج هو من المحمة بريء الساحة

— نعم برأوا ساحته لانهم لم يجدوا أدلة وبراهين تثبت التهمة عليه وهذا دليل على شدة دهائه ولكنه لايخون رفاقه قط

فلم يقنع الام جواب نيقولا وبعد سكوت وجيز وقالت

— اني افضل مقاولة اغراق المرأتين غداً اوبعد غد .

ولكن اخاف ان يكون مرسيال حجر عثرة في سبيلك .

فاجابها وهو يهز خنجره وعلامات السكر بادية على وجهه

-- الا تصيب هذا الاخ كارثة تذهب بحياته فنرتاح منه

فقالت كالياس : - قد افهمت والدتي ان وجود مرسيال حجر عثرة في سبيلنا واذا ظل مقيماً معنا لا يمكننا تدريب فرنسوا واما ندين على حرفة ابيهما

فقال نقولا لامه : -- وقد قلت لك مراراً بانه يخوننا يوماً ما . ولولاك لكنا ارتحنا منه ولكن . . .

فاجابت الام -- لا ارى موجبا لطريقتك مازال لدينا طرق اخرى. واعلم ان اخاك مرسيال سيرحل غداً

قال نيقولا وكالياس معاً : -- كيف ذلك ؟

-- متى عاد اختلقا سبباً للخصام واشتماه فلا يطيق صبراً عليكما فيضربكما فاضرباه وانا اعاونكما فلا نزال نضربه حتى يترنح ولكن اياك يانقولا ان تضربه بخنجرك فلا اريد اهراق دمه

فقال لها نقولا : -- وبعد ذلك ؟

-- وبعد ذلك نطلب منه ان يرحل عن الجزيرة

-- وان هو لم يمتثل ؟

— حينئذ اتخذ طريقة اخرى تجعله يرحل عنا هذه الليلة اوغداً صباحاً ولا نعود نرى وجهه

قالت الام ذلك وابتسمت ابتساماً شيطانياً . وما كادت تتم عبارتها حتى فتح الباب ودخل مرسيال ولم يسمعوا نباح الكلاب المؤذنة بقدومه لان دوي الريح كان شديداً

## الفصل الثاني والثلاثون

(الام وابنها)

عاد مرسيال الى البيت ولا علم له بالمكيدة التي دبرتها له امه . وقد عرف القاري مما قصته الذئبة على زهرة مريم ان هذا الرجل اقرب الى فعل الخير منه الى فعل الشر وانه يحترف الصيد خلسة لانه لم يجد عملاً آخر يرتزق منه وكان حراس الصيد يخشون بأسه لما عهد فيه من القوة والشجاعة فيتغاضون عنه . ولما دخل القى عصا غليظة كانت معه . وكان بصحبته كلب اسود اسمه ميرو ظل واقفاً عند الباب ولم يجسر على الدخول لعلمه ان اهل البيت يكرهونه مثلما يكرهون صاحبه.

واول ماقاله مرسيال — اين فرنسوا واماندين ؟

فاجابته كالياس بخشونة : — هما حيث هما

وقالت الأم : — لقد ناما

— الم يتعشيا يا اماه ؟

فجرع نقولا كأساً من الخمر ليزداد جرأة واجاب أخاه بصوت ينم عن الحقد والغيظ : — ماذا يعنيك انت ؟

— أحب ان يكون الولدان الى جانبي وقت الاكل

قال نيقولا : ونحن ضجرنا منهما فقلنا لهما ان يصعدا ويناما . فان كنت تريد الأئتناس بهمافاذهب اليهما فدهش مرسيال حين سمع لهجة أخيه القاسية فنظر اليه ولم يجاوبه منعاً للخصام . ثم أخذ قطعة خبز وشيئاً من اللحم ليأكل : وفي تلك الاونه دخل الكلب ميرو حتى اصبح على مقربة من نيقولا . وكانت نار الحقد تتأجج في صدره لأن مرسيال لم يكترث بخشونة لهجته فلكي يفتح باباً جديداً للخصام قام وضرب الكلب برجله ضربة جعلته يعوي لشدة الألم . فاحتقن وجه مرسيال وضرب المائدة بالسكين التي كانت في يده ولكنه كظم غيظه وقال للكلب : — تعال هنا ياميرو

ثم انه ملأ كأسه نبيذاً وفيما هو يشربها تبادل ونيقولا نظرات مخيفة .ولحظت الام تلك النظرات فأومت الى نيقولا

ان يثابر على التحرش بأخيه على أمل أن يتشاجرا وينتج عن ذلك خروج مرسيال من البيت . فقام نيقولا للحال واخذ قضيباً من الصفصاف وضرب به الكلب وقال له

.ـ أخرج من هنا أيها الكلب القذر

وكأن مرسيال أدرك ان اهله متفقون على التحرش به لغرض من الاغراض فاعتصم بالصبر الجميل ولما رأى أخاه يضرب الكلب بغير علة قام وفتح باب المطبخ وأخرج ذلك الحيوان المسكين وعاد الى المائدة .فأخذ الجماعة العجب حين رأوا من مرسيال ذلك الصبر مع ما يعهدونه فيه من نزاقة الطبع وشراسة الاخلاق فاخذ ينظر بعضهم الى بعض وعلامات الدهشة بادية على وجوههم . ولم يخف ذلك على مرسيال ولكنه تجاهل وظل يأكل ولم يفه ببنت شفة فقالت الام لابنتها — خذي زجاجة الخمر يا كاليباس

فاسرعت كاليباس الي اجابة طلب أمها فقال لها مرسيال

— اصبري .. اني لم انته بعد من مناولة الطعام

فقامت الام وأخذت الزجاجة وقالت له .

لا يهمنا ان كنت لم تنته بعد

فاجابها مرسيال — هذا أمر آخر

ثم انه ملأ كأسه ماء فراحا وشربها . فلما رأى نيقولا ذلك الصبر من أخيه استشاط غيظا وقال له

— حسنا فعلت يامرسيال في سكوتك عن ضرب كلبك ميرو وأشور عليك أن تتعود الصبر والرضوخ لاننا سوف نضرب خليلتك بارجلنا مثلما ضربنا كلبك ونطردها من هذا البيت

فقالت كالبياس — صدقت يانيقولا . فلاشك ان عادت الذئبة الى هذه الجزيرة اصفعها حتى تكل يدي

فقال نيقولا — وأنا اجرها الى شاطيء النهر وأغرزها في الوحل واذا حاولت النهوض أظل ادفعها بكعب حذائي حتى تغور وتغطس تلك الفاجرة

وكان مرسيال يحب خليلته حباً يقرب من العبادة فلما سمع مسبتها خانه الصبر فاحتقن وجهه وتقطب حاجباه وانتفخت عروق جبهته وتوترت فاصبحت كالحبال وقال لاخيه نيقولا بصوت مرتجف لشدة الغضب

— لاتلق بنفسك الى التهلكة . . انك تبحث عن حتفك بظلفك

فقالت له أخته . ـ واذا تكلمت أنا عن خليلتك الذئبة

ولعنت أباها ماذا تفعل ؟

ـ ألطمك لطمتين لذيذتين لانبهك واذا عدت أعود

فقالت له أمه . ـ واذا تكلمت أنا عن الذئبة هل تضربني أيضاً

ـ لا ولكن كلما تكلمت عنها اضرب نقولا فتكلمي

اذا شئت . فشهر نقولا خنجره وصرخ قائلا بصوت متهدج

يدل على الغضب ـ أنت تضربني

فوقفت الام وأسرعت نحو ابنها نقولا لتمسك ذراعه وقالت له

ـ الق الخنجر من يدك يانقولا

غير ان هذا كان سكران لكثرة ماشرب من الخمر فدفع

أمه ولم يكترث بما قالته له وهجم على أخيه

فتراجع مرسيال الى الوراء بسرعة وأخذ عصاه التي وضعها

قرب الموقدة ساعة دخوله وقف ووقفت المدافع .

فقالت الام لنقولا مرة ثانية . ـ لا تضربه بالسكين يانقولا

أما كاليباس فامسكت بلطة وهجمت على مارسيال وهي

تقول لامها

ـ دعي نقولا يضربه ولا تتداخلي في الامر

وظل نقولا شاهراً خنجره يترقب الفرصة ليهجم على أخيه ويطعنه ولما رأى أخته كالياس هاجمة بيلطتها ظن ان تلك أحسن فرصة فوثب على أخيه . وكان مرسيال بارعاً في ضرب العصا فتقهقر الى الوراء وهو يحرك العصا في كل جهة دفاعاً عن نفسه ثم أدارها ثلاثاً في الهواء وضرب بها نقولا فوقعت على ذراعه اليمنى فصرخ لشدة الالم وارتخت عضلات ذراعه فانبسطت كفه ووقع الخنجر منها فصرخ قائلا وهو ممسكا ذراعه — لقد كسرت ذراعي ياقاتل

فازاح مارسيال الخنجر برجله وابعده عن اخيه وقال

— لا لم اكسر ذراعك لانني شعرت بان مرونة عضلاتك ارجعت العصا

ثم اغتنم فرصة تألم اخيه نقولا وامسكه من عنقه وظل يدفعه الى الخلف حتى اوصله الى باب القبو ففتحه وادخله فيه واوصد الباب ثم عاد الى اخته كالياس فامسكها من كتفيها فضربته بالباطة على يده فجرحته جرحاً خفيفاً وصارت تصرخ وتستغيث فلم يكترث بذلك وظل يدفعها حتى اوصلها الى غرفة مظلمة تحت المطبخ فحبسها فيها ثم عاد الى امه وكانت

كالمأخوذة لما اصابها من الذهول وقال لها — قد اتى دورنا

فاحتقن وجه الام وانقلبت سحنتها واندلع لهيب الغضب من عينيها فاصبح منظرها مخيفاً وقالت له بلهجة التهديد

— نعم قد اتى دورنا الآن وكنت انتظر هذه الساعة بذاهب الصبر وستعلم الآن ما يكنه لك قلبي من الحقد وتظل تذكر هذه الليلة المهولة ولو عشتماية سنة

— نعم اظل اذكرها ما حييت واذكر أن اخي واختي ارادا قتلي عمداً ولم تردعيهما والان تكاشي لماذا تحقدين عليّ

— انك منذ وفاة ابيك اظهرت من النذالة ما لم اكن اتصوره فيك فعوضاً عن تقيم معنا وتكون انا معينا لزمت العزلة في رمبوليه حيث احترفت مهنة الصيد خلسة مع بائع الطيور الذي عرفته في برسي

— لو اني بقيت هنا معكم لكنت الان في السجن مثل أخي امبرواز او على وشك الدخول فيه مثل نقولا

— وما هي مهنتك؟ انك كنت تسرق الطيور والان تسرق الاسماك وهي سرقة لا مجازفة فيها

— ليست الاسماك ملكا لاحد فهي مشاع لكل الناس

فان اصطدت بعضها فلا اعد سارقاً

— ولكنها حرفة الجبناء

— أنا لا انكر انه توجد مهن كثيرة أشرف منها ولكن لا يجوز لك ان تنبهيني الى ذلك

— لماذا اذن لا تتعاطى حرفة من تلك الحرف الشريفة عوضاً عن عيشة الكسل التي تقضيها بيننا حتى اضطر الى الانفاق عليك؟

— انني اعطيكم السمك الذي اصطاده وثمن ما ابيعه نعم ان القيمة زهيدة ولكنها تربو على نفقاتي فلا اكلفكم شيئاً وكم تمنيت أعيش وحدي على شاطيء النهر او في الغابات حيث لا اجد من يكلمني ويسألني عن أصلي وفصلي أما هنا فالسائلون كثيرون فان سألني أحدهم عن والدي هل يمكنني أن أجيبه بانه مات مشنوقاً واذا سألني عن أخي هل أخفي عنه انه مسجون ولو سألني عن أختي أأنكر انها سارقة؟

— واذا سألوك عن أمك ماذا تقول؟

— أقول انها توفيت الى رحمة الله

— اكرم به من جواب نعم اني ميتة بالنسبة اليك فانني

انكرك ايها الجبان لان اخاك في السجن وجدك وابوك ماتا شنقاً وعوضاً عن ان تأخذ بثارهما ارى اعضاك تصطك لشدة الرعب ياجبان

— على مَ آخذ بثارهما

— لتكون خير خلف لخير سلف ولا تخشى اهراق الدماء ونموت شنقاً مثلما ماتوا من قبلك ولكن بما أن نفسك تأبى احتراف حرفتنا فارحل عنا ولا تعد الينا طول حياتك .

فشخص مرسيال الى امه مدهوشاً وبعد سكوت وجيز قال لها

— أهكذا كان قصدك من تحرش اخي عليّ ؟

— لاريك ماينتظرك من البلاء اذا أردت الاقامة معنا رغم انوفنا ففي امكاني ان اجعلك تفضل الجحيم على هذا البيت فتقضي أيامك كلها في خصام ومضاربة ومشاتمة ولا نكون وحدنا مثل الليلة بل نأتي بأصدقاء لنا يعاونونا عليك فلا يمكنك الصبر على تلك العيشة المرة اسبوعاً واحداً

— لا يهمني كل ذلك وسأظل مقيما هنا رغم أنفك وأنف كاليباس ونقولا وكل أصدقائكم

— انك تضحكني

— لا أرى موجباً للضحك وأعيد عليك بانني أظل مقيماً هنا حتى أجد لي باباً للرزق بعيداً عنكم فاذهب بالولدين ولو انني كنت وحدي لهان عليّ الامر فاستسهل الرجوع الى الاحراش والاقامة فيها ولكنني أردت استصحاب فرانسوا واماندين فلا بد لي من الصبر حتى أجد ماأبحث عنه

— انك اذن تظل مقيما هنا حتى تذهب بأخيك وأختك

— أي نعم

فرفعت أمه كتفيها وقالت

— اصغ اليّ قد قلت لك في بدء حديثنا ان عشت مائة سنة لا تنسى هذه الليلة وسأبين لك السبب في ذلك ولكني قبل الشروع في الحديث ؟ الا قلت لي هلا زلت مصمما على الاقامة هنا ؟

— نعم نعم والف نعم

— ولكنك بعد حين ستقول لا لا والف لا فاصغ اليّ جيداً أتعرف اية مهنة يحترف اخوك ؟

— لا اعرف حرفته

— انه يسرق في الليل سرقة اكراه فيستحق على ذلك الاشغال الشاقة ونحن نخزن مايسرقه ونبيعه فاذا قبض عليه رجال الشرطة يقبضون علينا جميعاً وأنت معنا لاننا نعد شركاءه في الجناية فنسجن ويبقى فرنسوا واماندين على قارعة الطريق فيعضهما ناب الجوع

— لماذا يقبض عليّ كشريك في جرائمكم ؟ وأي دليل يثبت صحة هذه التهمة ؟

— لكي نكافئك على اقامتك بيننا رغم أنوفنا ندعي انك كنت مساعداً لنا على كل الجرائم فكيف يمكنك ان تثبت بطلان هذه التهمة ؟

فغطى مرسيال وجهه بيديه وقال : — يا رباه ! يا رباه ! فابتسمت المرأة ابتساماً قبيحاً ينم عن التهكم وقالت لولدها.

— والآن ماذا تقول الا ترحل عنا ؟

فارتبك مرسيال ووقع في حيرة لعلمه ان رجال الشرطة يسيئون به الظن لاحترافه الصيد خلسة واقامته بين عائلة لها سوابق سوداء ولا شك انهم يقبضون عليه ويزجونه في اعماق السجن ان شهدوا عليه زوراً وقالوا انه كان شريكهم في الجرائم

ولم يخف ارتباكه على أمه فابرقت أساريرها فرحاً وقالت له :

— أنا أدلك على طريقة تخرجك من هذا المأزق وهي ان تشتكي علينا وتطلع رجال الشرطة على حقيقة أمرنا

— نعم هذا مايجب ان أفعل . . ولكنني لا أفعله وأنت تعلمين ذلك .

— ولهذا السبب أطلعتك على كل شيء والآن اذ قد عرفت الحقيقة الا ترحل عنا ؟

— نعم أرحل ولكن تحت شرط

— لا نرضى بشروط

— وشرطي ان أخرج فرنسوا واماندين من بينكم وأدخلهما أحد المعامل في بلد بعيد عن هنا ليتعلما حرفة شريفة

— لا بل يبقيان هنا

— اصغي اليّ يا أماه وخبريني ناشدتك الله أية فائدة تعود عليك متى أصبح هذان الولدان لصين مثل اخوتي ووالدي ؟

— الفائدة من ذلك انهما يعاونانا على كسب الغنائم ونحن في حاجة اليهما لان عددنا قليل فان كاليياس تقيم هنا معي تعينني على خدمة الخمارة وأصبح نقولا منفرداً فمتى تعلم فرنسوا

واماندين السرقة يعاونانه

— انك تحبين كالياس وتقولا أليس كذلك ؟

— نعم وبعد ؟

— اذا تعلم الولدان حرفة السرقة وعلمت الحكومة بامركم ألا تشنقون مثل والدي؟

— ان حظهم كحظي لاأحسن ولا ارداء ان سرقت سرقوا اوقتلت قتلوا واذن اقبضوا على الأم يقبضون على البنين فلانفترق ولن نفترق وان قطعت رؤوسنا تقطع كلها معاً بعدان تتبادل نظرةالوداع ولا يثنينا خوف اذ ليس بيننا جبان سواك ولذلك اتفقنا على طردك فارحل عنا

— ولكن الولدان الولدان !

— انهما يكبران وقد قلت لك انهما لولاك لكانا تدربا على مهنة ابيهما

— اذا كان الامر كذلك فاعلمي يا أماه باني لا أقيم في هذا البيت لانني أخشى ان يذبحني نقولا غداً أوان تدس لي كالياس السم في الطعام ولكن بما ان ليس لديّ من المال مايمكنني من استئجار بيت آخرلي وللولدين فاننا نقيم في الكوخ

الذي عند آخر الجزيرة ومتى تحصنت هنالك لا أخاف أحداً بفضل بندقيتي وكلبي. وغداً صباحاً اذهب بالولدين وفي النهار استصحبهما معي حيث اذهب وفي الليل ينامان الى جانبي في الكوخ وتقتات بما أرزق من الصيد واصبر على هـذه العيشة حتى أجد لهما محلا يتعلمان فيه حرفة تغنيهما عن السرقة

— أهذا تصميمك ؟

— نعم ولا أخال أحداً منكم يمكنه منعي عن هذا العمل واذا وقف رجال الشرطة على ما تأتونه من القتل والسرقة اثناء اقامتي في الجزيرة فلا أجد لي مناصاً ان ادعيتم انني شريككم ولكنني أقول الحق وهو انني أخذت الولدين وابعدتهما عنكم لكي لا يصبحان لصين وأترك الحكم لفطانة القضاة ولكن ورب العزة لا أخرج من هذه الجزيرة قط ولا أبقي الولدين عندكم يوماً آخر ولو تألبتم جميعكم تعجزون عن اخراجي من هذه الجزيرة قسراً

وكانت الام تعلم صلابة رأي ابنها مرسيال فادركت ان الولدين يتبعانه لانهما يحبانه ورأت ان اقامتـه في الجزيرة ستكون حجر عثرة في سبيل جرائمهم وخشيت ان يشي بهم

اذا أقدم أخوه نقولا على اغراق المرأتين وسرقة جواهر السمسارة ولما رأت ان كل ما فعلته من تحريش نقولا وكالياس على مرسيال لم يف بالغرض المقصود وهو حمله على الرحيل عن الجزيرة والانفصال عنهم بتاتاً عمدت الى طريقة أخرى وبعد سكوت طويل قالت لمرسيال بصوت تكلفت فيه لهجة الحزن

– لقد أدركت قصدك وهو انك لا تريد افشاء أسرارنا لرجال البوليس بل تريد ان يقوم الولدان بهذا العمل

– انني أعرف الولدين واعلم انني ان أوصيتهما بالسكوت يمتثلان وعلى كل حال سأكون دائماً معهما ولا ادعهما يتكلمان

– كيف يمكنكم ان تعيشوا على الصفة التي ذكرتها

– أرى الاوفق ان أرحل بالولدين عن هذه الجزيرة ولي رجل أعرفه من الاغنياء ذوي الشهامة فاطلعه على حقيقة أمر الولدين عله يمدني ببعض المال فاذهب بهما بعيداً عن هنا وأدخلهما أحد المعامل ليتعلما حرفة والمرجح عندي اننا نرحل بعد يومين ولن تعودوا تسمعوا عنا شيئاً

– كلا أريد ان يبقى الولدان عندي فاكون أكثر اطمئناناً عليهما

— انني اذن أقيم في الكوخ الذي عند آخر الجزيرة حتى يقضي الله أمراً كان مفعولا ولا تنسي ان لي عقلا كعقلك

— لاشك عندي في ذلك .. آه كم اتمنى ان تكون بعيداً عنا : فلماذا لم تبقَ في الغابات التي كنت مقيما فيها ؟

— انني أعرض عليك ان أريحكم مني ومن الولدين

— هل تعدني بالرحيل عن باريس وعدم الرجوع اليها طول حياتك اذا سمحت لك بأخذ فرنسوا وأماندين !

— نعم أعدك بذلك ونرحل عن باريس بعد يومين

— انني افضل رحيلكم على اقامتكم هنا حيث تكونون حجر عثرة في سبيلنا فخذ الولدين واذهب بهما الى حيث تشاء ولا تدعني أراكم بعد اليوم

— لك ماتريدين

ثم أوقد مرسيال شمعة وفتح باب المطبخ وصفر لكلبه فجاء يجري و يهز ذنبه مسروراً وتبع سيده الى الطبقة العالية

— وبينا مرسيال يصعد السلم قالت له أمه وهي تريه بقبضتها سوف تنوء تحت هذا الحمل الذي أخترته لنفسك

ثم انها استعانت بكالبياس وفتشا عن مفاتيح قديمة وتمكنا

من فتح باب القبو حيث كان نقولا محبوساً وأطلقا سراحه .

وكان الولدان فرنسوا وامندين لا يزالان ساهرين يترقبان مجيء أخيهما مارسيال ولما سمعا وقع اقدامه على السلم أنصتا اما هو فذهب الى غرفته بعد ما دار بينه وبين أمه من الجدال وكان مطمئن البال لظنه ان أخاه نقولا محبوساً في القبو ولما مرّ بغرفة الولدين ورأى فيها ضوءاً دخل عليهما فتراميا عليه وطفقا يقبلانه فقال لهما

— ألم تناما حتى الساعة ؟

فاجابته أماندين !

— لا يا أخي كنا ننتظر حتى تعود فنقبلك قبل ان ننام

فقال له فرنسوا — والذي منعنا عن النوم هو اننا سمعناكم تتكلمون بصوت عال كانكم تتشاجرون

— نعم قد دار بيني وبين نقولا بعض الجدال ولكنه أمر لا يعتد به . . وانني مسرور بكونكما لا تزالان ساهرين لان لدي بشرى لكما . الا تسران بالرحيل معي والاقامة بعيداً عن هذه الجزيرة ؟

فاجابه الولدان معا : — نعم نعم

— اننا اذن نرحل نحن الثلاثة عن الجزيرة بعد يومين

فصفقت اماندين طرباً وهتفت قائلة . — ما أسعد حظنا

وقال فرنسوا :— وهل لا أذهب معك الى الصيد يا أخي ؟

— لا . سأعلمك حرفة النجارة أو الحدادة وأنت نشيط نبيه فاذا اجتهدت وثابرت على العمل لا تلبث ان تكسب قوتك بعد سنة .. ولكن مالي أراك كئيباً ألم يسرك هذا الخبر ؟

— اني أفضل ان أظل مقيما معك وأرافقك في الصيد على الاقامة في معامل النجارة أو الحدادة طول النهار

فاجابه مارسيال بلهجة شديدة : — أتفضل ان تكون كسولا متشرداً وان تصبح متى كبرت لصاً قاتلا ؟

— غاية ما أتمناه هو ان أعيش معك بعيداً عن هذه الجزيرة وان أعاونك على الصيد مثل ما أفعل هنا أحيانا

— تريد اذن ان تأكل وتشرب وتنام وتتلهى بصيد السمك كأنك من أولاد الاغنياء ؟

— نعم افضل ذلك .

— ولكنك لو عقلت افضلت شيئاً آخر فاعلم بان لا بد لك من الرحيل عن هذه الجزيرة عاجلا والا تصبح لصاً مثل

بقية أفراد العائلة

ثم بدرت من مرسيال التفاتة الى اماندين فرأى على رأسها قطعة من الحرير المسروق فقال لها

— ماذا أرى على رأسك ياأختي ؟

— هذا «فولار» أعطاني اياه أخي نقولا

فقال فرنسوا . — وأنا أعطاني مثله أيضاً

— ومن أين أتى نقولا بهذا الحرير ؟ فلا أظن انه اشتراه ليهديه اليكما

فنكس الولدان رأسيهما ولزما الصمت وبعد سكوت وجيز قال فرنسوا

— ان نقولا أعطانا هذا الحرير ولا ندري من أين أتى به أليس كذلك يااماندين ؟

فاحمر وجه الفتاة وقالت بصوت مرتجف وهي لا تجسر على رفع نظرها الى مرسيال : لا لا ياأخي

فقال لهما مرسيال بلهجة صارمة : — خبراني عن الحقيقة ولا تكذبا

فاجابه فرنسوا بجنان ثابت . — اننا لم نكذب

فقال مرسيال لاماندين بلطف وتؤدة

- قولي لي الحقيقة ياحبيبتي

— كل مانعلمه هو ان أخانا نقولا أتى الليلة بصندوقٍ مملوءمن الاقمشة الحريرية الفاخرة أعطانا منها هاتين القطعتين

— وهل سرق نقولا هذا الصندوق ؟

— نعم وأظن انه وجده على ظهر أحد المراكب فأخذه

فقال مرسيال لفرنسوا : - أرأيت أنك كنت تكذب

فنكس الولد رأسه الى الارض ولم يجب

فقال مرسيال للولدين -أعطياني هذا الحرير

فامتثلا فقال لهما- غداً صباحاً أعيد هذا الحرير الى نقولا وكان الاجدر بكما ان لا تأخذانه منه لكي لا تعدان شريكيه في السرقة ثم انه قبل الولدين وذهب الى غرفته وبقي الولدان وحدهما وبينماهما يتحدثان أغلق الباب عليهما

فقال فرنسوا . - لقد أوصدوا علينا الباب

فقالت أخته . -ياربّاه لماذا حبسونا ياترى ماذا يريدون ان يفعلوا بنا ؟

وبعد سكوت وجيز عاد فرنسوا فقال يخيل اليّ انني

اسمع صوت مطرقة على باب غرفة مرسيال المعلهم يريدون كسره

وقالت اماندين . — انصت يافرنسوا كاني اسمع صوت

دق مسامير ياربأه اني أكاد أموت خوفاً ماذا يصنعون

باخينا ؟ وهاأن كابه بدأ ينبح

فاقترب فرنسوا من الباب وقال لاخته .

— لم أعد اسمع شيئاً يااماندين

وبقي الولدان ينصتان والخوف آخذ منهما كل مأخذ

وبعد لحظة قال فرنسوا لاخته همساً — هاانهم عادوا الى غرفة

مرسيال فاني أسمع وقع اقدامهم في الدهليز

فقالت اماندين — فليضطجع كل منا في فراشه لان امنا

توسعنا ضرباً اذا علمت اننا لانزال ساهرين

فاجابها فرنسوا وهو لايزال ينصت

— لانهم مروا ثانية بباب غرفتنا وهاهم نازلون على

السلم مسرعين

وماكاد فرنسوا يتم عبارته حتى صرخت أخته مذعورة وقالت

— اسمع يافرنسوا ان مرسيال ينادينا

وبالحقيقة كان مرسيال يناديهما وقد بلغ الصوت سمعهما

على رغم ما كان بين الغرفتين من الحواجز فقالت اماندين

— يارباه لا يمكننا الوصول اليه لانهم اوصدوا الباب علينا ولاشك ان نداءه دليل على انهم يريدون الاضرار به

فاجابها فرنسوا . — اذا امكنني المدافعة عنه لا أحجم عن ذلك ولو قطعوني أربا

— ولكنه يجهل انهم أوصدوا علينا الباب وربما يظن اننا لا نريد الدفاع عنه فناده يافرنسوا وقل له اننا سجينان

وما كادت الفتاة تتم عبارتها حتى سمع صوت صدمة على نافذة الغرفة فصرخت قائلة

— يريدون ان يدخلوا من النافذة ويقتلوننا.

ثم انها اضطجعت في سريرها وغطت وجهها بيديها . وظل فرنسوا ثابتاً مكانه على رغم خوفه وعاد السكوت نخيم على كل البيت . وكف مرسيال عن نداء الولدين ثم ان فرنسوا دنا من النافذة وفتحها قليلا وأطل ليرى ماهو سبب الصوت الذي سمعه فقالت له أخته بصوت خافت

— كن على حذر ياأخي

ثم انها جلست على سريرها وأردفت. — هل ترى شيئاً؟

— نعم أرى ضوء مصباح يروح ويجيء ها هو يقترب..

اني اسمع صوت كالياس

— ماذا تقول ؟ — تقول ان يسندوا لها السلم

فدنت اماندين من أخيها وقالت له ـ والآن ماذا ترى؟

— أرى على ضوء المصباح كالياس ماسكة آخر السلم

وأرى رأس السلم مسند الى نافذة مرسيال

— وبعد ماذا ترى ؟

— ان تقولا يصعد على السلم وخنجره في يده فاني

أرى وميضه

وبينما كان الولدان واقفين الى جانب النافذة سمعا امهما

تقول لهما من الخارج وقد رأت ضوء المصباح من خلال النافذة

— انكما لم تناما حتى الساعة ! اصبرا حتى اريكما الاهوال

ياشقيان

ذلك ما حصل في جزيرة الرفاجور قبل مجيء سيرافين

مع زهرة مريم اليها بيوم واحد

## الفصل الثالث والثلاثون

## مأوى تاجر المسروقات

في أحد الازقة المظلمة بيت ذو غرف مفروشة معدة للتأجير وعند أسفل ذلك البيت حانوت مظلم يقيم فيه أحد سكان ذلك البيت وهو رجل يعرفه أفراد عائلة مرسيال واسمه ميكو وحرفته الظاهرة تجارة الحدائد القديمة ولكنه يحترف حرفة أخرى سرية وهي شراء المعادن المسروقة من حديد ورصاص ولكي يقف القاريء على فساد أخلاق هذا الرجل وذمته الخربة يكفينا ان نقول عنه بانه كان من أصدقاء عائلة مرسيال

وكان ميكو هذا يناهز الخمسين ضخم الجثة غليظ العنق تدل هيئتـه على الدناءة والمكر وبينما هو جالس خلف باب دكانه الزجاجي قرع الباب ثلاثا فقال ميكو - ادخل

ففتح الباب ودخل الحانوت نقولا شقيق مرسيال وكان أصفر الوجه مضطرب الهيئة فقال له ميكو بعد ان رحب به

— أهلا بك أيها الصديق . اما وراءك ؟

— جئت لشغل وها عربتي الصغيرة وكلبي خارج الحانوت

وقد أتيتك بشيء أريد ان أبيعك اياه

- بماذا أتيتني ؟ لعله من رصاص سقوف البيوت

- لا يا أبتي أتيتك بأربع كتل من نحاس أظنها تزن مائة وخمسين رطلا وقد عانى كلبي تعباً شديداً في جرها

- اذهب وأتني بهذه القطع لنزنها

- أرجوك ان تعاونني على ذلك لانني مصاب في ذراعي

وحين قال نقولا ذلك ذكر مشاجرته مع أخيه مرسيال فبدت على وجهه علامات الحقد أولا ثم أبرقت أساريره كأنها أسارير وحش فاز بفريسته فقال له ميكو

- ماذا أصابك في ذراعك ؟

- أصابتني صدمة ولكنها سليمة العاقبة

- هلم أساعدك على ادخال النحاس أيها الكسول

ثم خرجا وبعد قليل عادا بقطع النحاس وألقياها في الحانوت وقال ميكو لنقولا وهو يعد ميزاناً كبيراً من الخشب معلقاً بسقف الحانوت

- حسناً فعلت باستعمال عربتك

- نعم انني كلما اضطررت الى نقل شيء من الجزيرة

الى المدينة آتي بهذه العربة الصغيرة وبكلبي على ظهر قاربي وبعد ان أقطع النهر أضع ما أريد نقله في العربة وأعلق الكلب بها فيجرها والكلب لا يتكلم كما تعلم فلا خوف منه

- وكيف حال أهلك لعل أمك وأختك في صحة جيدة

— نعم هما على ما يرام

— وأخوك مرسيال هل لا يزال متشرداً في الاحراش مثل عادته ؟

— وحقك لا أدري انا لم نر وجهه منذ يومين .. . ولعله عاد الى الصيد خلسة في الغابات وكان له قارب قديم أصاب قعره الهراء وكان يركبه ويسير به الى الاماكن البعيدة ليصطاد من سمك النهر ولا تراه عين الحراس فمن المحتمل ان القارب غرق به

— لا اظنك شديد الحزن عليه لانك كنت تكرهه وتلعنه كلما ذكرت اسمه

— صدقت .. كم وجدت وزن هذا النحاس ؟

— لقد أصاب نظرك ان هذه الكتل الاربع تزن مائة وثمانية وأربعين رطلا فيكون ثمنها ثلاثين فرنكا تماما

— ثلاثين فرنكا وثمن رطل النحاس فرنك؛ ثلاثين فرنكا!!

— قل خمسة وثلاثين ولا تظهر كل هـذا العجب والا فاذهب الى جهنم أنت ونحاسك وكلبك وعربتك

— هذا غبن فاحش وقد تعدى طمعك الحد

— اذا أمكنك ان تثبت لي ان هذا النحاس لك ادفع اليك ثمنه فرنكا الاربع عن كل رطل

— هـذا ماتقوله لي دائما كلما أتيت لابيعك شيئا انكم جميعكم تهبون على وتيرة واحدة الا تنفر نفسـك من غبن صديقك بهذه الصفة ؟ واذا ابتعت من حانوتك بعض اشياء تلزمني أفلا تبيعني أياها بثمن بخس على الاقل ؟

— نعم اتساهل على قدر الامكان فما هي الاشياء التي تلزمك

— يلزمني أربعة أو خمسـة ألواح من الصاج السميك وثلاثة قضبان من حديد طول كل منها ثلاثة أقدام ومزلاج أريد استعماله لاغلاق صمام مربع طوله قدمان وعرضه قدمان

— لاأدري لاي شيء تريد استعمال هذا الصمام

— نعم أنت لاتدري ولكنني أنا أدري فارجوك ان تجهز لي الاشياء التي طلبتها وحين أعود اليك آخذها اذ لا

يزال لديّ بعض الاشغال في المدينة

— لاشك انك ذاهب بعربتك فقد رأيت فيها أشياء أخرى غير النحاس الذي بعتني اياه

— نعم مازال عندي أصناف أخرى ولكنك لاتشتريها فارجوك ان لاتتأخر في تجهيز الحاجات التي طلبتها منك اذ يلزمني ان أعود الى الجزيرة قبل الظهر

— كن مطمئنا فان الآن الساعة الثانية وان عدت بعد ساعة تجد كل شيء جاهزاً وأنقدك مايبقى لك من ثمن النحاس. أتريد ان تشرب كأساً من الخمر؟

— نعم وأظنك ربحت مني أكثر من ثمنها

ففتح ميكو خزانة قديمة وأخرج منها زجاجة خمر وكاسين فملأ وشرب الاثنان فقال نقولا

— اشربها في صحتك يا ابتي ميكو

— وأنا أشربها في صحتك وصحة أهلك

— بورك فيك. وهل أشغال غرفك سائرة على قدم النجاح؟

- متوسطة ويوجد بين المستأجرين من أخشى عليهم هجمات البوليس ولكنهم يدفعون أجرة باهظة يشترون بها سكوتي

— لماذا ؟

— كيف تسألني هذا السؤال يا ابله انني اؤجر غرفي مثل ما اشتري بضاعتي فلا أسأل المستأجر عن أصله وفصله كما انني لا أسأل الذي يبيعني البضاعة من أين اشتراها

— ولا شك ان كل الذين لا تعرف أصلهم وفصلهم لصوص

— كلا فان بعض أصدقائي أرسل اليّ منذ بضعة أيام مستأجرتين لم أرَ مثلهما طول حياتي وهما أم وابنتها تدل ظواهرهما على الفقر ومنذ دخلتا هذا البيت وأقامتا في غرفتهما لم تخرجان منها ولا يزورهما رجل قط ولولا هزالهما لكانتا تعدان من الجميلات ولا سيما البنت فانها لا تتجاوز الخامسة عشرة بيضاء البشرة ذات عينين سوداوين لم ترَ عيني أجمل منهما

— وماذا تعمل هاتان المرأتان

— قلت لك انني لا أعلم والمرجح عندي انهما شريفتا النفس وقد لاحظت انه يرد اليهما خطابات لا عنوان عليها فيظهر انهما تريدان اخفاء اسمهما

— كيف ذلك ؟

— انهما أرسلتا هذا الصباح أبن أخي اندريا الى مكتب

البريد ليطلب مكتوباً مرسلا الى السيدة (ك ز) آتياً من مزرعة في نورمنديا تدعى اوبيه

— الا تدفعان لك أجرة الغرفة ؟

— أيخشى على مثلي ان يغبنه امرأتان فاعلم انهما استأجرتا غرفة بلا موقدة أخذت أجرتها عشرين فرنكا مقدماً

— لو ان كل زبائنك مثل هاتين المرأتين تصبح سعيداً

— ان زبائني مختلفو الطبقات والانواع فكما يوجد بينهم اناس لا يعرفهم أحد يوجد أيضاً قوم من ذوي المكانة . ويوجد عندي الآن موظفان في البيوت التجارية وموظف كبير من رجال مصلحة البريد ورئيس موسيقى نادي العميان . وسيدة غنية من الوارثات تدعى مدام سنتيل دي فوذس وكلهم من ذوي الحسب والنسب

— تقول ان هذه السيدة غنية؟

— لاشك في ذلك فانها قد استأجرت ثلاث غرف وقاعة للاستقبال في واجهة البيت وقد جددت لها مفروشات كل هذه الغرف فضلا عن انها استأجرت غرفة رابعة لخادمتها على سطح البيت وهي تدفع أجرة هذه الغرف ثمانين فرنكا

كل شهر سلفاً والذي ينقدني الاجرة هو خالها فيأتي حيناً بعد حين ويقيم عندها زمناً ثم يعود واظن انه قاطن في شارع نيفين أو شارع سانت أونوري

- فهمت انها غنية لان خالها غني

- اسكت فها هي خادمتها

وما كاد ميكو يتم عبارته حتى دخلت الحانوت امرأة كبيرة السن وقالت

- هل ابن اخيك هنا يا ابتي ميكو؟

- لا فقد ذهب الى مكتب البريد وسيعود بعد حين

- يريد المسيو بادينو ان يرسل هذا المكتوب باسمه ولا ينتظر جواباً عليه ولكنه مستعجل جداً

- بعد ربع ساعة يرسل هذا الخطاب يامدام شارل

فخرجت الخادمة وقال ميكو.

- هذه هي خادمة السيدة الغنية التي تدعى سنتيل دي فونس وخالها يدعى المسيو بادينو وقد اتى امس من القرى

وبينما ميكو يتكلم كان ينظر الى عنوان الكتاب الذي اخذه من الخادمة وبعد سكوت قصير عاد فقال وهو يشير

باصبعه الى العنوان

- انظر لمن تكتب هذه السيدة فهو يدعى : «مولاي الفيكونت دي سان ريمي في شارع شايو . مستعجل جداً يسلم ليده » أليس هذا دليل قاطع على انها من بيت مجد اصيل

- لاشك في ذلك . . والآن لابد لي من الانصراف فاسمح لي ان ابقي الكلب مربوطا امام باب حانوتك وأحمل على كتفي ما بقي من الاشياء التى أريد بيعها لغيرك فجهز لي الحاجات التي طلبتها منك والنقود التي تبقى لي من ثمن النحاس

- كن مطمئنا سأجهز كل ما طلبت ولكن قل لي قبل ان تذهب ماذا أصابك ؟ فان هيئتك تدل على ان بك شيئاً

- انك تهزئ مابي شيء سوى الجوع

- الجوع ؟. انت جائع ربما كنت صادقا والمرجح عندي انك تتظاهر بالانشراح وفي حشاك نار تضطرم

- اعيد عليك انك تهزئ ياميكو

وبعد ان خبأ ميكو قطع النحاس في زاوية من حانوته شرع في تجهيز الحاجات التي طلبها نقولا وفي تلك الاثناء دخل الحانوت شخص جديد يناهز الخمسين متأنق اللباس وهو المسيو

بادينو خال السيدة سنتيل دي فونس ويذكر القارىء ان بادينو هذا كان موظفا عند البارون جرون كجاسوس واطلعه على أمور هامة تتعلق بكثيرين من أشخاص هذه الرواية

وبعد ان سلم بادينو على ميكو قال له

- هل أعطتك مدام شارل كتاباً منذ حين وكلفتك بارساله الى بيت البريد ؟

- نعم ياسيدي

- أعد عليّ ذلك الكتاب فقد عدلت عن فكري الاول وصممت على ان اذهب بنفسي الى الفيكونت سان ريمي

- هاهو الكتاب ياسيدي . أتأمر بشيء غير هذا ؟

- لا ياميكو ولكن لابد لي من توبيخك

- لماذا ياسيدي ؟

— ان مدام سنتيل دي فونس ابنة أختي هي أحسن زبائنك لانها تدفع لك أجرة فاحشة وقد نزلت في هذا البيت البعيد عن ضوضاء الشوارع لانها تكره أصوات المركبات وكانت تؤمل أن تكون هنا كأنها في قرية من القرى

— لا أظن انه يوجد بيت سائد فيه السكوت مثل

هذا البيت فان الساكنين فوق مدام سنتيل دي فونس هم رئيس موسيقى نادي العميان وموظف في أحد البيوت التجارية وموظف آخر مثله وفوق هؤلاء يوجد...

— فقطع بادينو حديث ميكو وقال له

— لا أعني هؤلاء الاشخاص لانهم على غاية التهذيب والسكون ولم تتذمر ابنة أختي منهم قط ولكن يوجد في الطبقة الرابعة اعرج بدين وأنه يصعد السلم وهو يتمايل لشدة السكر وكان يصرخ صراخاً مزعجاً ارتعدت له فرائصها

— أقسم لك ياسيدي بانني أترقب الفرص لاخراج هذا الاعرج من بيتي ولعل مدام سنتيل دي فونس بعد ذهابه لاتجد شيئاً تشكو منه ويوجد أيضاً ساكن آخر وهو موزع البريد الذي أجمع الكل على انه رضي الاخلاق وفوق غرفته توجد امرأة وابنتها مقيمتان في غرفة الى جانب غرفة الاعرج البدين وقلما تأتيان بحركة

— أعيد عليك انها لاتشكو الا من الاعرج فهو علة على هذا البيت وان ابقيته يكون سبباً في ذهاب كل زبائنك

قال بادينو ذلك وخرج اما المرأة وابنتها فهما اللتان

كانتا ضحية جاك فيران فليصعد بنا القاريء الى غرفتهما ليقف على ما كانتا عليه من التعاسة وشظف العيش فكانت مفروشات غرفتهما على غاية من البساطة حتى لم يكن لديهما كل ما تحتاجان اليه من الضروريات فلم يكن في غرفتهما سوى سرير واحد ضيق تتناوبان النوم فيه واحدة بعد الآخرى لانه لم كان يسعهما معاً اما الام فكانت تدعى البارونة دي فرمون وهي ضئيلة الجسم شاحبة اللون لم تتجاوز الثالثة والثلاثين وملامحها تدل على انها كانت على جانب عظيم من الجمال وكانت مرتدية ثوب حداد قديم مرقع من عدة أماكن وجالسة على كرسي الى جانب ابنتها الراقدة على السرير وتنظر اليها بعين ملؤها الحزن والحنان.

أما الفتاة فتدعى كلير فرمون ولا تزال غضة الشباب لم تتجاوز الثالثة عشرة ضئيلة صفراء اللون مثل أمها على ان ذلك الهزال لم يذهب بكل رونق جمالها وكانت عيناها الذابلتان ووجهها الناحل وضعف قواها تدل على انها كانت مصابة بداء دفين يتهدد حياتها

ولكثرة بكاء البارونة شحت دموعها وجفت عيناها فكانت تنظر الي ابنتها بعين ملتهبة يكاد لهيب الحمى يندلع

منها وكانت تشعر كل يوم بازدياد ضعفها ودنو أجلها مثل ما كانت تشعر ابنتها ولكنها تكتم ما كانت تشعر به اشفاقاً على ابنتها وتبذل كل مابقي لها من الجهد وقوة الارادة لمقاومة هجمات المرض وكذلك تفعل ابنتها لتخفي ما ينتابها من الالم فكأنهما اصيبتا بداء واحد مثل ما اصيبتا بشقاء واحد

تلك كانت حالة البارونة فرمون وابنتها بعد الذي نالهما على يد ذلك اللص الاثيم جاك فيران

وبينما كانت تلك المرأتان على الحالة التي ذكرناها اذ قرع باب غرفتهما قرعاً عنيفاً فارتعدت فرائص الام وأفاقت الابنة من نومها مذعورة وصرخت قائلة

— اماه ! ياربّاه ماذا حصل ثم استوت جالسة على فراشها وطوقت أمها بذراعيها وخافت هذه فالتصقت بها ونظرها مصوب الى الباب فكررت كلير السؤال قائلة

— اماه من هو هذا المفاجيء ؟

— لا اعرف يابنيتي .. هدي روعك فلعلهم جاؤا بجواب خطابنا من بيت البريد

وما كادت البارونة تتم عبارتها حتى ارتج الباب بضربات

عنيفة وسمع صوت ابح يقول

— هل اصبتما بالطرش فلماذا لا تفتحان الباب؟

فاجابت البارونة وهي تحاول ان تخفي ما اصابها من الخوف الشديد — ماذا تريد؟ من انت اني لا اعرفك

— انا روبين جارك اتيت اسألك شعلة نار لاشعل بها غليوني افتحي اسرعي

فقالت الام لابنتها همسا

— ياربّاه هذا هو الاعرج الذي يظل سكران

— هُب هُب افتحي حالا واعطني شعلة او اكسر الباب الاونه. الادوه. الاتريه. لا تريدين ان تفتحي؟ انا افتح اذن هب هب

ثم دفع الاعرج الباب بكل قوته ففتحه عنوة وانكسر القفل فصرخت المرأتان صرخة الرعب الشديد ولما وضع الرجل قدمه على عتبة الباب وأراد الدخول وثبت عليه البارونة على رغم ضعفها ووقفت في سبيله وصرخت قائلة وهي تحاول ان تغلق الباب

— عار عليك ايها الرجل ان تأتي مثل هذا العمل الفظيع

فاخرج واذهب في سبيلك ولا تدعني انادي واستغيث

قالت ذلك تستمد من الضعف قوة ومن الخوف شجاعة ولا سيما حين وقع بصرها على وجه ذلك لاعرج فاجابها ..

-- وعلى مَ تنادين وتستغيثين اليس من واجبات الجار اسعاف جاره ؟ فلو انك فتحتِ بالمعروف لما كسرت الباب ثم طفق يتمايل ذات اليمين وذات الشمال لشدة ما انعقد في دماغه من بخار الخمر وعاد فقال

-- اريد ان ادخل فلا يمنعني احد ولا اخرج الا اذا اشعلت غليوني

— لا نار عندي ولا كبريت فاذهب الى حال سبيلك

— كذبتِ انك تقولين هكذا لكي لا ادخل وأرى ابنتك النائمة .. وبالامس سددتِ ثقوب الباب لكي لا اراها ان ابنتك جميلة ولا بد لي ان اراها حالا . كوني على حذر لانني اكسر رأسك بضربة واحدة اذا منعتني عن الدخول فلا بد لي من رؤية ابنتك في سريرها ومن اشعال غليوني والا احرق الارض وما فوقها واحرقكما واحترق معكما

فأخذت البارونة تصرخ وتستغيث بملء فيها وتقول

ـ الي الي ادركوني ادركوني يا رباه ادركوني

فخاف الاعرج عند سماع صوتها فتراجع الى الوراء وهو يحرق الارم وأراها قبضة يده وقال لها — سوف اناقشك الحساب على سلوكك هذا فاني سأعود اليك هذه الليلة واقبض على لسانك فلا تقوين بعد ذلك على الصراخ

ثم نزل الاعرج السلم وهو يسب ويتهدد اما البارونة فلما رأت أن قفل الباب قد انكسر خافت أن يعود ذلك الاعرج عملا بتهديده فدعمت الباب بطاولة . ولشدة ما اصاب ابنتها من الرعب وقعت على الارض فانحنت فوقها امها وقالت لها

— لا تخافي يا بنيتي عودي الى صوابك فقد ذهب ذلك الرجل الشرير ثم صرخت والحزن ملىء فؤادها :

ـ والسبب في كل ما اصابنا من الشقاء هو جاك فيران الظالم .

— رباه رباه ! ويلاه ياماه ! ماذا يحل بنا لو عاد ذلك الرجل ؟ فقد رأيت انه لم يجب احد نداك حين استغثت فلنرحل من هذا البيت .. انني اكاد اموت لشدة الرعب .

— لهفي عليك يا بنيتي ما بالك ترتجفين هكذا ؟ هل اصابتك نوبة الحمى ؟

فلكي لا تشغل الفتاة بال امها اجابتها : — لا بل هو الخوف و بعد حين يزول ما بي من الاضطراب وانت كيف حالك ؛ دعيني المس يديك . . رباه . انك انت المصابة بالحمى؟

— لا يابنيتي اني قبل مجيء هذا الرجل الشرير كنت في أحسن حال وما بي الآن سوى بعض الاضطراب

— اني لا أزال أرتجف رعباً فلنترك هذا البيت يا أماه

— والى أين نذهب ؟ هل نسيت كم بحثنا وتعبنا حتى وجدنا هذه الغرفة ثم اننا دفعنا أجرتها خمسة عشر يوماً سلفاً فاذا تركناها قبل أنقضاء الاسبوعين لا يردوا لنا الباقي مما دفعناه . وانت تعلمين اننا أصبحنا على الحضيض وان لابدّ من التقتير حرصاً على النذر اليسير الباقي

— لعل الفيكونت سان ريمي يجيبك على جوابك في القريب العاجل

— لم يبق لي أمل لجوابه اذ قد مضى زمن طويل

— لا تقطعي الامل يا أماه ولا تيأسي من رحمة الله فمن المحتمل ان يأتينا جواب يكون من ورائه الفرج

— من دوريني ؟

— نعم . لانك ذكرت في الكتاب الذي بعثت به اليه بعدان حفظت منه صورة كل ما اصابنا من البلاء وأظن انه يتأثر بعد اطلاعه عليه . ونفسي تحدثني بان سننال فرجاً قريباً باذن الله

— لا أظن هذا الرجل يهتم بأمرنا مثل ما تتصورين نعم انه كان يعرف أبك .وطالما سمعت أخي يقول ان بينه وبين دوربيني علاقات وديةقبل أن يرحل هذا عن باريس ويقيم في نورمنديا مع زوجته الجديدة

— ان هو لم يجاوبنا و يأخذ بناصرنا اطوح الحياء جانباً وا كتب الى الدوقة لوسيني

— لعلها تلك السيدة التي طالما سمعنا الفيكونت سان ريمي يمدحها

— نعم هي بعينها ابنة البرنس نوارمون وقد عرفها الفيكونت وهي طفلة وكان لها بمثابة الوالد لانه كانت مابينه وبين البرنس صلة ودادشديدة

— وان لم تاخذ الدوقة لوسيني بناصرنا تبقى لي وسيلة اخرى

— ماهي يا أماه ؟

— هي ان اكتب لابن الفيكونت سان ريمي . نعم انه أمل ضعيف ولكن يلزمنا قرع كل الابواب

— هل للفيكونت سان ريمي ولد ؟ انه لم يذكره قط . ولم يكن يأتي الى انجيه

— حقيقة ان الفيكونت منذ رحل عن باريس أي منذ خمسة عشر سنة لم ير والده

— هل يستطيع الولد الصبر على فراق أبيه خمس عشرة سنة

— نعم ياولدي . ذلك لان ابن سان ريمي أصبح واسع الثروة كثير الملاقات باشراف باريس وأغنيائها

— هو غني ووالده فقير ؟ كيف ذلك ؟

— لاعجب في ذلك فان ثروة الولد عن أمه

— مهما كان مصدر ثروته كيف يجوز له أن ينبذ أباه

— لو انه أراد اسعاف والده لما رضي هذا

— لماذا ؟

— لا أدري يابنيتي وغاية ما أعلمه ان أخي رحمة الله عليه كان يصف ابن الفيكونت بكرم الاخلاق والسخاء . فمن

كان صغير السن كريماً يكون على الغالب طيب القلب وبما انني أخبرته بان زوجي كان صديق والده الحميم فلا يبعد أن يرثي لحالتنا التعسة ويجد لنا عملا نرتزق منه

— هذا اذا لم يجاوبك دوريني جواباً يحيي آمالنا فان نفسي تحدثني بدنو الفرج كما قلت لك

واذ ذاك قرع الباب بعنف فارتعدت فرائص البارونة وقالت

— ياويلاه قد عاد الاعرج السكران . ثلما قال

ثم انها أسندت الطاولة خلف الباب بكل قواها ولكن خوفها تزايل حين سمعت صوت ميكو يقول لها

— قد عاد ابن أخي أندريا من بيت البريد وأتاك بخطاب عنوانه (ك .ز) وارد من بلاد بعيدة وقد دفعنا فرنكا لسحبه من البوستة

— هل سمعت يا أماه . هذا كتاب آت من بعيد . قد منّ الله علينا بالفرج فلا شك انه مرسل من الفيكونت سان ريمي أو من دوريني

فازاحت البارونة الطاولة التي دعمت بها الباب وفتحته وهي تقول — أشكرك ياسيدي أشكرك

فاراها ميكو الخطاب وهو يقول

- انقـديني الفرنك الذي دفعته

— لك ذلك يامسيو ميكواصبر لاتيك بالفرنك

— لا موجب للاسراع الى هذا الحد انني صاعد الى السطح وحين أنزل آخذ الفرنك

ثم أعطى البارونة الكتاب وانصرف فلما وقع بصرها عليه ابرقت أساريرها وهتفت قائلة لابنتها

— ان هذا الكتاب وارد من نورمنديا فاني أرى عليه اسم مزرعة أوبيه

— ألم اقل لك يا أماه ان نفسي تحدثني بدنو الفرج. ياربّاه ان قلبي يؤلمني لشدة خفقانه

ففتحت البارونة الخطاب وقرأت ما يأتي

« سيدتي

« لم يستطع الكونت دوربيني الجواب على كتابك لانه مريض ولما عدت اليوم من باريس الى اوبيه كلفني بان اخبرك بانه لا يذكر انه كان بينه وبين اخيك علاقات ودية كما تقولين . اما زوجك فيذكر الكونت انه سمع اسمه ولكنه

لم يعد يتذكر اين سمعه . اما ما ذكرته عن المسيو جاك فيران وكيل الاشغال وما نسبته اليه من التهم قد ادهشنا جداً لأننا انا وزوجي نعامل هذا الرجل ونعلم حق العلم بانه من اشرف الناس . فما ذكرته عنه في خطابك يعد قذفا ونميمة لا تحمد مغبتها فننصح اليك أن لا تعودي الى مثل هذا الطعن في رجل ورع تقي مثل جاك فيران لكي لا تكونين كالباحث عن حتفه بظلفه . اما ما ذكرته عن الشقاء الذي اصبحت فيه فقد أثر في الكونت دوربيني تأثيراً شديداً ولكنه لسوء الحظ لا يستطيع اسعافك . هذا بشأنه وارجوك ياسيدتي قبول احترامي»

الكونتس دوربيني

وبعد قراءة هذا الخطاب تبادلت الام وابنتها نظرات ملؤها اليأس والعجب ولزمتا الصمت كأنما اصيبتا بالخرس وبينما هما على تلك الحالة قرع ميكو الباب وقال

— اتسمحين لي يا سيدتي بالدخول لاخذ الفرنك الذي دفعته للبوسته عن الخطاب ؟

فاجابت البارونة بصوت حزين وهي تبتسم ابتساماً امر من البكاء .

— ان الاخبار السارة التي وردتنا في هـذا الكتاب تساوي اكثر مما ننفقه في يومين على طعامنا وشرابنا

ثم انها القت الخطاب على سرير ابنتها وفتحت صندوقاً لا قفل له وبعد أن مدت اليه يدها انقلبت هيئتها لشدة الذعر وهتفت قائلة

— سرقونا ... سرقونا ... ولم يبقوا لنا بارة واحدة

— ماذا تقولين يا اماه ؟ .. كيس النقود؟

فلم تجب الام بل فتحت الباب وقالت لميكو ووجهها محتقن والدم يكاد يقطر من عينيها

— كان لنا في هذا الصندوق كيس نقود : وقد سرق قبل الامس لاني في ذلك اليوم خرجت من الغرفة انا وابنتي وبقينا ساعة غائبتين . فأنت مسأوول عن هذا المال ويلزمك البحث عنه وارجاعه

فاجابها ميكو بقحة وخشونة

— كذبت في دعواك هذه . اذ لم يُسرق احد قبلك في فندقي . وهي طريقة من طرق النصب والاحتيال لا تخفى عليّ وأنا على يقين من انه لم يكن لديك كيس نقود قط

وانما ادعيت ذلك لكي لا تدفعي لي الفرنك اجرة الخطاب.
ولكن لا خوف علي فاني انتظر حتى تمري بباب الحانوت
فاختطف الشال الاسود القديم الذي تلبسينه فهو يساوي فرنك
فاستخرطت البارونة في البكاء وقالت بين شهيق وزفير
— اشفق علينا يا سيدي وارحمنا. أن النقود التي سرقت
منا هي كل ما بقي لنا من حطام الدنيا انا وابنتي وأن أنت لم
تساعدنا على استرجاع تلك النقود نموت جوعاً
— ماحيلتي انا اذا كان اللصوص سرقوك حقيقية كما تدعين؟
ولو بقيت تنوحين شهراً كاملا لا تجدين بارة من مالك المسروق.
ثم بدرت منه التفاتة الى البارونة فاخذته الدهشة وقال لها:
— مالي اراك تمايلين كالسكرى ؟ ... قد اصفر وجهك
... اراك على وشك الوقوع ... تعالي يا آنسة وخذي
بيد امك لكي لا تقع ..
ثم ان ميكو أسند اليه البارونة قبل أن تقع على الارض
وحملها بين ذراعيه ودخل بها الغرفة وهو يقول للفتاة
— اسمحي لي بالدخول يا حضرة الآنسة لاعيد اليك
أمك فقد أغمي عليها

فلما رأت كلير أمها على تلك الحال وثبت من فراشها مذعورة وقالت : اماه اماه!! ماذا أصابك؟

وبعد دقائق معدودة أصيبت تلك الام المسكينة بحمى شديدة فنيمتها ابنتها على سريرها وجلست الى جانبها وهي أشد منها مرضاً ولم يبق لديها بارة تبتاع بها نقطة لبن لامها وكانت فرائصها ترتعد خوفاً من أن يهاجمها الاعرج الشرير

## الفصل الرابع والثلاثون

### الكونت سان ريمي

ذكرنا في ماتقدم ان الفيكونت سان ريمي يسكن بيتاً جميلاً في شارع شايو بالقرب من الشانزيلازيه. ولهذا البيت حديقة من جهته الخليفة يفتح بابها على زقاق مقفر قلما يمر فيه أحد بحيث يسهل على الماتنات دخول بيت الفيكونت من ذلك الباب من دون ان يراهن أحد .

وذكرنا أيضاً ان كل مقتنيات الفيكونت من فرش وعربات مكتوب باسم خادميه وهما أدوار الحوزي وبويه خادمه الخاص وبهذه الطريقة أصبح في مأمن من شر المحضرين والدائنين وقلنا في الفصل السابق ان المسيو بادينو يريد الذهاب

الى بيت الفيكونت فلنسبقه اليه ونرى ماذا يحصل قبل وصوله

بينما كان الفيكونت جالساً في غرفته ولديه خادمه الخاص بويه قرع والده الكونت باب بيته وكان رجل طويل القامة ولا يزال نشيطاً على رغم كبر سنه ففتح له خادم فقال له الكونت بصوت جاف — هل حضرة الفيكونت هنا؟

فلم يجبه الخادم بل أخذ يتأمل لحيته البيضاء وثيابه الرثة وقبعته القديمة فاعاد الكونت عليه السؤال بلهجة تدل على نفاد الصبر

— قلت لك هل الفيكونت سازرني هنا ؟

— لا ليس هنا ثم ان الخادم أشار بيده الى الكونت اشارة معناها اذهب من هنا

فاجاب الكونت — اني افضل الانتظار قال ذلك ودخل فجرى وراءه الخادم وأمسكه من ذراعه وقال له

— قف مكانك لا يجوز هنا دخول البيوت هكذا مثلما يفعلون في القرى

فرفع الكونت عصاه متهدداً وقال للخادم بصوت ينم عن الغضب — ويل لك أتجسر على وضع يدك عليّ

وفي تلك الاونة سمع الخادم بويه صوت الكونت فاقبل مسرعا وقال للخادم — ماهذه الجلبة ؟

— ان هذا الرجل يريد الدخول قهراً مع انني قلت له ان الفيكونت ليس هنا

فوجه الكونت حديثه الى بويه وقال له

— أريد ان أرى ولدي وان كان غائباً فانتظره

فاحنى بويه رأسه للكونت وأجابه

— اذا أراد مولاي الكونت أن يتبعني فانا رهين اشارته

فقال له الكونت : سر امامي فاتبعك

فمشى الخادم وتبعه الكونت فمرّ بمكتب فلورستان دي سان ريمي ( هكذا ندعو الفيكونت لكي نميزه عن والده ) ثم دخلا قاعة انتظار صغيرة فوقف بويه وقال للكونت

— ان حضرة الفيكونت خرج هذا الصباح لقضاء بعض الاشغال فارجوك ان تنتظره فقد صار على وشك الاياب

ثم انصرف الخادم وبقي الكونت وحده في الغرفة فطفق يروح ويغدو ويتأمل بعين الازدراء ما كان هناك من فاخر الرياش وكانت تلك القاعة ملاصقة لمكتب فلورستان دي سان

ريمي والفاصل بينهما باب عليه ستار من جوخ أزرق وبينا الكونت يتمشى ذهاباً واياباً أزاح الستار ودخل غرفة المكتب وهو لا يعي لشدة اضطراب أفكاره وما كاد يستقر في المكتب حتى دخلت القاعة التي كان فيها الدوقة لوسيني والسبب في مجيئها ان فلورستان دعاها بالامس للمجيء الى بيته فجاءت اجابة لرغبته ودخلت من باب الجنينة السري وصعدت الى القاعة على أمل ان تجد فلورستان في مكتبه وقبل ان تجلس دخل عليها الكونت سان ريمي عائداً من مكتب ولده فلما وقعت عينه عليها قال لها وقد أخذت منه الدهشة .

— كلوتيلد !

وكان الكونت صديقاً حميماً للبرنس نوارمون والد الدوقة لوسيني وقد عرفها مذ كانت طفلة في المهد ولذلك اعتاد ان يدعوها باسم المعمودية وهو كلوتيلد كما يدعو الاب ابنته

— اما الدوقة فلما وقع نظرها على ذلك الشيخ المحترم تذكرت انها رأت وجهه ولكن لم تعد تعرف أين كان ذلك وظلت واقفة لا تبدو حراكا ولا تفوه بكلمة فعاد الكونت وقال لها بلهجة المؤنب — أنت هنا يا كلوتيلد ! .. هنا عند ابني !

فلما سمعت سؤاله تذكرت انه والد فلورستان فهتفت قائلة — أنت الكونت سان ريمي !!

ولم تشأ الدوقة ان تنتحل عذراً لوجودها في بيت فلورستان اعتماداً على المحبة الابوية التي كان يكنها لها الكونت فمدت له يدها وقالت بصوت ملؤه العذوبة

— لا تلمني فانك أقدم صديق لي واذكر انك منذ عشرين سنة كنت تدعوني عزيزتك كلوتيلد

— نعم كنت أدعوك كذلك ولكن . . .

— أنا عالمة بما تريد ان تقوله لي ولكنك تعلم مبدأي وهو: ماقدر يكون

— آه يا كلوتيلد !

— دع عنك تعنيفي واكفني شر التوبيخ ودعني أعرب لك عن سروري برؤيتك بعد طول الغياب. وان اجتماعي هذا بك يذكرني أشياء كثيرة وأهمها والدي المسكين وأيام الشباب حين كنت بنت خمسة عشر ربيعاً . . لهفي على زمن الشباب!

— ألان والدك كان صديقي الحميم أردت ان . .

فقطعت الدوقة عبارته وقالت له

— نعم كان والدي يحبك حباً جماً وهل لازلت تذكر كيف كان يدعوك مازحاً «يالابس الشريط الاخضر» وطالما كنت تقول له «لا تدلل كلوتيلد كثيراً وكن على حذر» فكان والدي يقبلني ويجيبك «لا يسعني الا تدليلها لان قيامها عندي قليل وسوف يأخذونها مني فافقد بفقدها بهجتي» رحم الله أبي ما كان أكرمه وترقرق الدمع في عينيها فمدت يدها الى الكونت سان ريمي وقالت له

— حقاً اني سعيدة برؤياك لانك ذكرتني بامور كثيرة تحنّ اليها جوانحي ويخفق لذكرها قلبي

اما الكونت فعجب لوجودها في بيت ابنه وعدم اكتراثها بوقوفه على حقيقة أمرها فقال لها بلهجة صارمة

— عوضاً عن ان تتكلمي عن الماضي أرى الاجدر بك أن تنظري في الحاضر فان ابني صار على وشك العودة و..

فقاطعته كلوتيلد وقالت

— كن مطمئناً فان معي مفتاح باب الجنينة السري ومتى عاد فلورستان يعلنون عن مجيئه بدقة جرس معروفة واذ ذاك أخرج سراً مثلما دخلت خلسة فتنفرد بابنك وكم سيسر برؤيتك

لانك هجرته منذ زمن طويل ولكني الومك على مافرط منك

— أنا ... وأنا ..

— نعم أنت نبذت ولدك وتركته يتخبط في هذا العالم ولا مرشد له يهديه سواء السبيل وكم تفيد البنين نصائح الآباء ولا شك انك أسأت صنعاً في ..

ولم تمالك الدوقة عن الضحك فاردفت وهي تقهقه — ألا تعجب مثلي من انقلاب الآية فأصبح أنا الموبخة وأنت المذنب

فرأى الكونت ما أبدته الدوقة من البشاشة وطلاقة الوجه فانساه ذلك انه يكلم خليلة ابنه فقال لها

— ربما تجهلين يا كلوتيلد انني مقيم في أنجيه من زمن بعيد وقد اخترت تلك المدينة لامرين أولا لابتعد عن غوغاء باريس ثانياً لان هنالك يقيم أحد أقاربي وهو المسيو دي فرمون الذي كان يحبني مثل أخيه وأنت تعلمين انه بعد ولادة ابني بزمن قصير توفيت زوجتي وبعد بضع سنين توفي فيرمون في انجيه بين ذراعي وترك زوجة وابنة أحببتهما حباً شديداً لانهما كانا على جانب عظيم من طهارة القلب وكان شقيق زوجة فيرمون سا كناً في باريس فاهتم بكل أشغال أخته بعد وفاة

زوجها وودع عن أحد وكلاء الاشغال مايه الف فرنك تقريباً وهي كل ثروة الارملة وابنتها وبعد زمن رزئت مدام فيرمون بوفاة أخيها رينفيل فمات ذلك الشاب منتحراً منذ ثمانية شهور فعزيتها جهد المستطاع ولما خفت وطأة أحزانها ذهبت الى باريس لتنظر في شؤونها ثم بلغني انها باعت مفروشات بيتها التي كانت تسكنه في انجيه وسددت بثمنها بعض ديون كانت عليها ثم انقطعت عني أخبارها ولما استعلمت عنها قيل لي انها أصبحت هي وابنتها في فقر مدقع وكنت أنا أولى الناس بالاخذ بناصرها ولكنها لم تكتب لي فاضطررت الى البحث عنها وسؤالها عن السبب الذي لاجله لم تستنجدني وعلى رغم فقري جئت الى هنا وتركت في انجيه نائباً عني ليخبرني بكلما يرده من الاخبار الجديدة عنها

— وبعد ؟

— وقد أتاني بالامس كتاب من انجيه يقولون فيه انهم لم يقفوا على خبر جديد وبحال وصولي الى باريس شرعت في البحث فذهبت اولا الى البيت الذي كان يسكنه شقيق مدام فيرمون فاخبرني سكان ذلك البيت بأنها كانت مقيمة

عند رصيف ترعة سان مرتين ولكنهم يجهلون اين تسكن الان ولسوء الحظ لم اقف على أثرها على رغم كل ابحاثي وبعد اللتيا والتي صممت على المجيء الى هنا

— من الغريب ان المركيزة درفيل تهتم هي أيضاً بهذه الارملة وابنتها

— كيف عرفت ذلك؟

— سوف تعلم وعرفت أيضاً ان ابنتها جميلة كالملاك وعمرها ست عشرة سنة وتدعى كلير

— ناشدتك الله خبرني أين هما

— لا علم لي لسوء الحظ واليك بيان ما أعرفه ان امرأة من معارفي تدعى المركيزة درفيل سألتني اذا كنت أعرف ارملة لها ابنة تدعى كلير وكان لها أخ انتحر وقد قصدتني المركيزة درفيل للاستعلام عن تلك الارملة لانها عثرت على صورة خطاب مرسل منها الى شخص مجهول تستمد اعانته وفي ذيله مذكور الكلمات التالية « يكتب الى الدوقة لوسيني »

— كانت تريد ان تكتب لك ولماذا ؟

— لا علم لي فانني لا اعرفها

خطر على فكر الكونت سان ريمي خاطر سريع وهتف قائلا — ولكنها تعرفك هي

— ماذا تقول ؟

— انها سمعتني اكثر من مئة مرة اتكلم عن والدك وعنك وعن كرم اخلاقك ولعلها ذكرت ذلك في بؤسها فكتبت لك

— ربما كان الامر كما تقول

— وكيف عثرت المركيز درفيل على صورة ذلك الكتاب الذي خطته يد الارملة ؟

— لا ادري وغاية ما اعلمه أن المركيزة درفيل بحثت عنهما بحثاً طويلا ولم يعد ان تكون وقفت على أثرهما

— بحقك يا كلوتيلد اكتبي اليوم للمركيزة وسليها عما لديها من الاخبار عن تلك الارملة وابنتها وقولي لها انني اكون أقوى معين لها في البحث

— مازلت أيها الكونت مثل ما كنت كريم النفس شديد المروءة فأيقن من انني سأكتب اليوم للمركيزة درفيل كما تريد والى ان ابعث لك بالجواب

— الى ازنير.

— ما أغرب ذلك . لماذا تقيم هنالك ولا تقيم في باريس

— لانني اكره باريس وللطبيب جريفون الذي لا يزال يزال يكاتبني بيت حقير عند شاطيء السين بالقرب من اسنير ولا يسكنه في فصل الشتاء فعرض عليّ أن أقيم فيه فقبلت أن أقيم هناك لانني بعد الفراغ من العمل في باريس أجد في ذلك البيت المنزل السكينة التي أتمناها

— سأكتب لك اذاً الى اسنير ويمكنني الآن ان أطلعك على أمر ربما يعود عليك ببعض الفائدة وهذا الخبر أخذته عن المركيز درفيل وهو ان ما أصاب الارملة وابنتها من الشقاء مسبب عن خراب ذمة وكيل الاشغال الذي كان مؤتمناً على ثروة تلك التعسة وابنتها فانه قد انكر تلك الثروة

— ياله من شقي !.. وماذا يدعى

— جاك فيران و... وقبل ان تتم الدوقة لوسيني عبارتها سمع صوت فلورستان فانه دخل المكتب الملاصق للقاعة واغلق وراءه الباب بسرعة وقال لشخص كان معه . هذا لا يمكن فاجابه رفيقه وهو المسيو بادينو

— اعيد عليك انك أن لم تفعل ما قلته لك يلقى عليك القبض قبل مضي اربع ساعات لان الرجل اذا لم يقبض المال حالا يقدم شكواه الى النائب العمومي وانت تعلم ما هو العقاب على مثل هذا التزوير ولا اظنك مشتاقاً الى السجن والاشغال الشاقة .

ويعجز القلم عن وصف ما ألم بوالد فلورستان والدوقة لوسيني من الدهشة حين سمعا مقال بادينو فتبادلا نظرة تنم عما في فؤاديهما من الخوف . واصفر وجه الكونت واضطربت مفاصله واصطكت ركبتاه فلم يعد يستطيع الثبات واقفاً فاسند ذراعيه الى كرسي كان هناك

وبعد بضع ثوان عاوده الصواب وتأمل ما لحق باسمه من العار فحل الغضب من صدره محل الخوف والدهشة فوثب الى جهة باب المكتب وسم الغيظ يكاد يقطر من انفه وكأن الدوقة علمت بقصده فامسكت بذراعه ومنعته عن الدخول على ابنه وقالت له بصوت خافت ولهجة تدل على شدة الاقتناع

— انه بريء من هذه التهمة الفاضحة واقسم لك بشرفي

أن ما اقوله لك هي الحقيقة فاسمع تتحقق

فتوقف الكونت عن الدخول على ولده وتمنى أن يكون ما قالته الدوقة حقيقياً وكانت هذه تعتقد أن فلورستان شريف النفس . فلكي ينال منها هذا الشاب اعانة مالية جديدة قال لها ان احد الناس غشه واعطاه كمبيالة مزورة سداداً لدين كان له عليه ولما اراد خصمها علم صاحب احد المصارف بانها مزورة فاتهمه بالاشتراك في التزوير .

نعم كانت الدوقة لوسيني تعلم أن الفيكونت مبذراً قليل الحذر عديم التبصر ولكنها ما كانت تتصور قط انه يرتكب اقل هفوة تخدش شرفه فضلا عن تلك الجريمة الفظيعة المنسوبة اليه وقد اسلفته مرتين مبالغ جسيمة من المال لتنقذه من ضيق شديد كان واقعاً فيه بسبب اسرافه ولكنه لم يرض باعانتها الا على شرط أن يرد لها المال مدعياً أن ما له اكثر مما عليه فصدقت الدوقة كلامه لان الظواهر كانت تؤيده وبقي الكونت والدوقة ينصتان فسمعا المحاورة الآتية : قال فلورستان بصوت مضطرب

— اعيد عليك ان بيتي جان رجل منافق مجرم فقد

أكد لي أن ليس لديه كمبيالات غير التي اخذتها منه قبل الامس وكنت اظن أن الكمبيالة التي نحن في شأنها تنتقل من مصرف لاخر وانها لا تستحق الا بعد ثلاثة شهور وتقبض قيمتها من محل ادمس وشركائه في لوندره

فاجابه بادينو بصوت ينم عن التهكم

— نعم . اعلم يا عزيزي الفيكونت أنك دبرت الامر تدبيراً حسناً وتحوطت لكي لا يكشف تزويرك الا بعد رحيلك والكن لم يصب سهمك المرمى

— كيف تجسر على تعنيفي بهذه اللهجة وانت الوسيط بيني وبين الذي اعطاني تلك الكمبيالات ؟

فاجابه بادينو بكل سكينة

— ارجوك أن تهدئ روعك ايها المحترم . نعم انك تحسن تزوير الكمبيالات التجارية ولكنك لا تحسن الادب اذ لا يجوز ان تخاطب اصدقائك بهذه اللهجة الدالة على القحة فان انت استسلمت الى الغضب اتركك تدبر امرك كما تشاء وامضي لسبيلي

— اتظن من السهل المحافظة على ثبات الجأش في مثل هذا

لموقف الحرج الذي اصبحت فيه ؟ فان صح ما قلته لي أي اذا قدمت الشكوى اليوم الى النيابة العمومية لا يبقى لي امل في النجاة .

— نعم انك على وشك الهلاك ولا ينقذك الا حبيبتك الغنية ذات العينين الزرقاوين فاستمد معونتها

— لا يمكن ذلك

— اعتصم اذن بالصبر الجميل واستعد لمضض السجن اما انا فلا يسعني الا لومك على تصرفك هذا الدال على قلة الادراك . كيف !! الاجل عشرين الف فرنك تسجن في طولون وانت قادر على دفعها ؟

— كيف يمكني دفع هذا المبلغ ولا املك شيئاً من كل ما في هذا البيت . وكل ما في جيبي من النقود لا تزيد قيمته عن خمسماية فرنك

— واصحابك ؟

— انني مدين لكل الذين يمكنهم ان يقرضوني

— صدقت فدعنا الآن نتكلم بتعقل وهي احسن طريقة للوصول الى حل يرضي الطرفين لقد قلت لك انك اردت

التحايل على من هو احيل منك فلم تصغ الي"

— تكلم اذا كان وراء كلامك فائدة

— فلنعد اذن الى مامضى : انك قلت لي منذ سنتين !

« ان لدي" كمبيالات على مصارف عديدة قيمتها ثلاثة عشر الف فرنك بعيدة الاستحقاق فارجوك ياعزيزي بادينو ان تجد لي طريقة في خصمها » فاجبتك ان لا بد لي من الاطلاع على تلك الكمبيالات اذ قد قيل لي انها مزورة اما انا فلم اكن أعهد فيك مثل هذه القدرة على تقليد الخط ولكن بما انني مطلع على حقيقة أمرك وعالم بانك اصبحت صفر اليدين وان كل ما في هذا البيت مكتوب باسم خادميك بويه وادوار يجوز لي ان أبدي العجب اذ قلت انك تملك كل تلك الكمبيالات

— دعنا من العجب الآن وعد بنا الى الموضوع وقل لي لماذا قال لي بتي جان ان الكمبيالة الاخيرة التي قدمها اليوم مقبولة

— لكي لا يخيفك. وقال لك ايضاً ان كل الكمبيالات ماخلا التي قيمتها خمسون الف فرنك متداولة بين المصارف وقد دفعت قيمة الاولى وبالامس اتت الثانية واليوم الثالثة

— ويل له من شقي ! ..

— اصغ اليّ كل يهتم بأمره في هذا العالم فاعلم ان جاك فيران على رغم شهرته في التقوى هو شريك بتي جان في اعماله وهو الذي يدفعه الى ملاحقتك لينال منك مايمكنه من المال لعلمه بان اصدقائك لا يسمحون بوقوفك امام قاضي التحقيق واعتقاده ان في امكانك الحصول على المال من الدوقة الكريمة

— قلت لك ان ذلك أمر محال فكيف يمكن الدوقة ان تجد لي مبلغ عشرين الف فرنك في ظرف ثلاث ساعات بعد الذي دفعته عني من الاموال الطائلة

— انها تبذل كل ما في استطاعتها للحصول على رضاك

— لقد بذلت جهد المستطاع وهو انها استدانت ماية الف فرنك من زوجها ومثل هذا العمل لا يمكن تكراره فاصغ اليّ ياعزيزي بادينو : انك حتى اليوم ماشكوت من معاملتي فلم أضن عليك يوماً بشيء ومقابل ذلك ارجوك ان تجعل بتي جان يمهلني قليلا حتى اتدبر الامر وانت تعلم اني أحسن جزاء الذين يخدموني ومتى خرجت من هذه الورطة سالما تخذ خطة اخرى ترضيك

— ان بتي جان لا يلين وصلابة قلبه تعادل قلة ادراكك

— انا !

— نعم واذا اردت ان تثبت لي عكس ذلك فاطلع الدوقة على ما أنت فيه من الضيق ولا تخف عنها شيئاً وعوضاً عن ان تقول لها بان بعض المزورين غشوك قل لها الحقيقة وهي انك انت المزور

— لا اقول لها ذلك قط اذ لا ينالني منه سوى العار

— اتفضل اذن ان تعرف ذلك من جريدة المحاكم؟

— مازال لدي ثلاث دقائق فيمكنني الهرب

— والى اين تذهب ولا فلس في جيبك. ولكن اذا امكنك الخلاص من امر هذه الكمبيالة وعدت الى مركزك الاول ولم يبق عليك سوى بعض الديون اتعدني انك تتكلم مع الدوقة ولا ريب عندي انها ترق لحالتك على رغم هفواتك وغاية ما ينالك من الحيف انك تسقط في نظرها . عدني اذن بانك تقابلها وانا اسرع الى بتي جان وابذل جهدي لاجعله يمهلك ساعة او ساعتين

— اذا لم يكن غير الاسنة مركب فلا يسع المضطر الا ركوبها

— وانا ادعو لك بالفوز فتظاهر باللين والغرام حتى

تنال المرام وهاانا ذاهب حالا الى بتي جان وابقى عنده حتى الساعة الثالثة فيجب عليك الاسراع في العمل

ثم خرج المسيو بادينو . وفي اثناء تلك المحاورة ظهرت للكونت جرائم ولده وللدوقة فساد ما كانت تتصوره في خليلها من الشهامة وعزة النفس فظلا كلاهما واقفين بلا حراك كأنهما صنمان وكان ذلك السكوت افصح ما يعبران به عما اصابهما من الالم حين لم يبق لديهما شك في صحة مانسب الى فلورستان من الجرائم

ثم ان الوالد مد زراعه نحو المكتب الذي كان فيه ولده وشخص الى الدوقة لوسيني وهو يبتسم ابتساماً مراً كأن لسان حاله يقول لها . «هذا هو الرجل الذي اقتحمت لاجله الاخطار ولم يصدك عنه خجل ولا حياء . هذا هو الرجل الذي بذلت في سبيل حبه كل مرتخص وغال . هذا هو الرجل الذي كنت تلومينني على نبذه . فادركت الدوقة معنى تلك النظرة وتلك الاشارة ولم تلم الكونت عليهما لان ماسمعته عن ولده غير حبها له الى كره لا مزيد عليه فلم يكن اسفها على ماجرى اسف حبيبة خانها حبيبها بل اسف امرأة شريفة النفس علمت ان

أعز صديق لها لص مزور

وتولاها الاسف من التأثير المخيف على الكونت صديقها القديم

وقد أصاب الكونت ذهول فشخصت عيناه وظل ثابتا

في مكانه ورأسه منكس الى الارض ووجهه اصفر فنظرت اليه

الدوقة نظرة قلق وقالت بصوت خافت

— صبراً أيها الصديق فان من ورا صبرك فائدة لك ولي

ولهذا الرجل . أما أنا فقد خطر لي خاطر لابد لي من اخراجه

الى حيز العمل وكأن كلامها أيقظه من ذهوله فرفع رأسه

واكفهر وجهه ونسي ان ابنه على مقربة منه فصرخ قائلا

— وانا أيضاً لا بد لي من عمل مفيد لك ولي ولهذا الرجل

فلما سمع فلورستان صوت والده دهش وقال

— من هنا ؟

فخافت الدوقة لوسيني مقابلة الفيكونت فخرجت من الباب

الصغير ونزلت السلم واعاد فلورستان سؤاله : ( من هنا ) واذ

لم يسمع جوابا دخل القاعة فوجد والده . وكان هذا رث

الثياب كما تقدم وقد طالت لحيته البيضاء حتى أن ولده لم يعد

يعرفه لانه لم يره منذ سنين عديدة فدنا منه متهدداً وقال له .

— ماذا تفعل هنا ؟ من أنت ؟

فاشار الوالد الى صورة زوجته المعلقة في الحائط وأجاب.

— انا زوج هذه السيدة

فتراجع الفيكونت الى الوراء مذعوراً وهتف قائلا وقد تذكر هيئة والده

— ابي !!!

اما الكونت فوقف وقفة الخصم العنيد شامخ الانف متقد العينين باسر الجبين لشدة الغضب فنكس الولد رأسه ولم يجسر على رفع بصره الى ابيه وقال له بلهجة مضطربة

— هل كنت هنا يا والدي ؟

— نعم

— وسمعت الحديث ؟

— كله

فغطى الفيكونت وجهه بيديه وصرخ قائلا : — ويلاه

وحدث فلورستان نفسه قائلا « مازال لدي بعض الامل ولعل الاقدار ارسلت والدي الي ليقف على حقيقة امري اذ ليس من مصلحته ان يلطخ اسمه بالعار نعم انه ليس غنيا ولكنه

يملك خمسة وعشرين الف فرنك ولعلي اذا احسنت التصرف استغني بوالدي عن الدوقة »

ثم انه تظاهر بالحزن والتألم وضمّ يديه الى بعضهما وتباكى وقال لوالده

— اواه يا ابتي انني اتعس الناس اليس من الامور المؤلمة ان الاقيك في مثل هذا الموقف بعد افتراقنا سنين عديدة؟ لا شك انك تحسبني اثيماً مجرماً فأرجوك ان تصغي اليّ واسمح لي ان ابين لك السبب الذي حملني على سلوكي هذا

فلم يجبه والده بكلمة وظل مكفهر الوجه وجلس على كرسي وشخص الى ولده يتأمله صامتاً . فعاد فلورستان وقال له — الا تسمح لي يا ابتي ان اشرح لك عن الدواعي التي حملتني على ارتكاب بعض المنكرات

— لا اريد اسمع شرح ولا اريد ايضاً ان يلطخ اسمي بالعار انهم ينتظرونك عند الرجل الذي بيده الكمبيالة المزورة حتى الساعة الثالثة اليس كذلك ؟

— نعم والآن الساعة الثانية

— ادخل بنا مكتبك واعطني ما يلزم للكتابة .

ثم دخلا وجلس الكونت على المكتبة وكتب ما يأتي

« الساعة العاشرة من هذا المساء ادفع الخمسة وعشرين الف فرنك المدين بها ابني « الكونت دي سان ريمي »

ثم قال لولده

— ان دائنك لا يرضى بغير المال ولكنه على رغم تهديده ووعيده يمهلك بعض الزمن متى اطلع على هذا التعهد الذي كتبته وان خامرته الظنون فليذهب الى الموسيو دوبون صاحب المصرف الشهير في شارع ريشليه نمرة ٧ وهو يؤكد له أن تعهدي هذا ذو قيمة

— كيف يا أبي ! هذا لا يكن أبداً.

— انتظرني هذا المساء عند الساعة العاشرة فآتيك بالمال وكلف دائنك أن يكون حاضراً هنا

— سمعاً وطاعة يا أبي وبعد غد سأرحل الى افريقيا وسوف تعلم انني لست بناكر الجميل واملك اذ ذاك لا ترفض شكري

— لست مديناً لي بشيء ولكنني قلت لك بأن اسمي لا يهان وهكذا يكون

قال الكونت ذلك وأخذ عصاه يريد الانصراف فقال

له فلورستان بلهجة المبتهل

- دعني اصافحك يا ابتي اظهاراً لشكري

فرفض الكونت مصافحته وقال له سأكون هنا عند الساعة العاشرة من هذا المساء

وبعد انصراف الكونت تهلل ابنه فرحا وهتف قائلا ضاقت ولما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت اظنها لا تفرج

وبعد أن فكر بضع دقائق ناجى نفسه قائلا

- نعم فرجت ولكنني لم أنج من الهلاك تمام النجاة ولكن لا بأس فان ما يدفعه والدي يفي جانباً من المطلوب مني وسوف أقر له هذا المساء بأمور أخرى وغاية ما أتمناه أن لا تثبت التهمة عليَّ فابقي لي المال الذي أخذته منه

ثم انه دق الجرس فاتى خادمه بويه فقال له

- كيف لم تخبرني بمجيء والدي انك مهمل جداً

- أردت يا سيدي أن أكلمك مرتين بينما كنت ماشياً في الجنينة مع الموسيو بادينو فاشرت اليَّ بيدك أن لا أتكلم فاطعت أمرك

- حسناً قل لادوار أن يجهز لي العربة

فانحنى بويه علامة للاحترام وقبل أن ينصرف قرع الباب فنظر الى الفيكونت نظرة استفهام فنادى هذا قائلا :ـ ادخل فدخل خادم آخر و بين يديه طبق من الصيني الفاخر فاخذه منه بويه وهو مسرور وقدمه للفيكونت وكان فيه كتاب في غلاف كبير مختوم بالشمع الاسود ثم خرج الخادمان وفتح فلورستان الكتاب فوجد داخله تحويلا على البنك بقيمة خمسة وعشرين الف فرنك فسر بذلك سروراً عظيما وقال وهو يفتل شاربيه

— لاشك ان نهاري سعيد فقد نجوت من الهلاك نجاة لا ريب فيها وسأمضي الى الجوهري ... ولكن أرى الاوفق أن أصبر لكي لا يسيء أحد بي الظن والاجدر بي أن أبقي الخمسة وعشرون الف فرنك وقد أخطأت في اساءة الظن بحسن طالعي ... لكن من أرسل هذا المال ياترى ؟ فانني لم أر قبل اليوم هذه الكتابة

ثم أنه أمعن النظر في الختم الشمعي وهتف قائلا

— لقد صدق ظني ها هما الحرفان ( ن . ل ) فهي كلوتيلد التي أرسلت النقود فكيف عرفت؟

واذ ذاك جاء بويه وقال للفيكونت

- قد جهز الحوزي العربة ياسيدي

فقال له فلورستان

— من اتى بهذا الكتاب؟

— لا علم لي ياسيدي

سوف اسأل عن ذلك البواب . خبرني هل يوجد احد في الطابق السفلي ؟

— لم يبق أحد ياسيدي

— ما اخطأ ظني ... ان كلوتيلد انتظرتني ثم مضت .

وخرج الفيكونت ليذهب الى دائنه اولاً ثم يزور الدوقة لوسيني ولم يخطر قط على باله انها سمعت حديثه مع باديتو

## الفصل الخامس والثلاثون

## « البحث »

عند الساعة التاسعة ليلا من ذلك اليوم ذهب الفيكونت دي سان ريمي راكباً عربته الى بيت الدوقة لوسيني ليشكرها على معروفها وكان قد ذهب اليها في الصباح فلم يرها فعاد اليها في الساعة التي كانت تكرسها له عادة وكان مشرق الوجه

متهللا فرحاً لثلاثة أمور .أولاً حصوله على المال من أبيه.ثانياً بقاء الدوقة على حبها اياه. ثالثاً خلوصه من الضيق الشديد الذي كان فيه

ولما دخل بيت الدوقة قصد القاعة التي تقيم فيها عادة ففتح له الخادم الباب وقال معلناً قدومه

— حضرة الفيكونت دي سان ريمي

يعجز القلم عما اصاب الدوقة من الدهشة والاشمئزاز عند ما وقع نظرها على خليلها لظنها ان والده اخبره بانها كانت معه حين دار الجدال بينه وبين باديتو

وكما تقدم ان حب الدوقة لفلوريستان انقلب الى كره واحتقار بعد الذي سمعته من جرائه فليتصور القاريء هيئتها حين دخل عليها باسم الثغر وقال لها بلهجة تدل على الهيام

— ماطيب قلبك ياحبيبتي كلوتيلد ... وما اشد ...

ولم يتم الفيكونت عبارته لان الدوقة ظلت جالسة حيث كانت وبدت على وجهها دلائل الاحتقار والنفور ولما رأى فلوريستان ذلك قطع حديثه مدهوشاً .. وظل على تلك الحال بضع ثوان ثم لام نفسه على ذلك الضعف فاعتصم بثبات جأشه

المهود وتغلب على خجله من ذلك الموقف فتقدم نحو الدوقة وقال لها بنغمة شجية

— مالي أراك عبوسة ياعزيزتي كلوتيلد ؟ .. لا اذكر اني وجدتك يوماً اجمل مما أنت اليوم ... ومع هذا ...

فتراجعت الدوقة الى الوراء كأنما تبتعد عن مصاب بداء الجزام وقالت بانفة — هذا منتهى القحة ولاشك

فعاود فلوريستان الذهول ووقف كالمأخوذ ولكنه بعد لحظة اعاد الكرة وقال

— الاقلت لي ياكلوتيلد ما سبب هـذا الانقلاب الفجائي ؟ فما هو ذنبي اليك ؟

فلم تجبه الدوقة بل نظرت اليه نظرة احتقـار اهاجت غضبه فاحتقن وجهه وصرخ قائلا

— انا اعلم ياسيدتي انك تؤثرين المفاجأة في التقاطع . فهل ترغبين في مقاطعتي ؟

— فضحكت الدوقة ساخرة منه واجابته

— ما اعظم دعواك ! اعلم ياهـذا بانني لا اقاطع خادمي اذا سرقني وانما اطرده طرداً

— ماذا تقولين !!..

— اقصر فان نفسي مشمئزة من رؤيتك . فما سبب مجيئك الى هنا ؟ ألم تصلك النقود ؟

— لقد صدق ظني اذن فان الخمسة والعشرين الف فرنك

— هي مرسلة مني : والآن اذ قد استرجعت الكمبيالة المزورة وصين شرف عائلتك فاذهب عني

— لكن اعلمي يا...

— اني آسفة جداً على ذلك المال اذ كان يمكنني أن اسعف به كثيرين من البؤساء ذوي المبادىء القويمة ولكن رأيت ان لابدّ من انفاقه حفظاً لكرامة أبيك وكرامتي

فهتف فلوريستان بلهجة تنم عن اليأس

— انك اذن عالمة بكل شيء ويلاه لم تعد تحلو لي الحياة

فضحكت الدوقة مقهقهة حتى كادت تستلقي على ظهرها وقالت

— ما كنت أظن الجرائم تحدو بصاحبها الى مثل هذا الاعتذار البليد الذي يضحك الثكلى

فاكفهر وجه الفيكونت لشدة الغضب وقال : — ويل لك !.

وفي تلك الاونة فتح الخادم باب الغرفة واعلن قدوم

الدوق مونبريزون . فظل الفيكونت ثابتاً مكانه . ولما دخل الدوق مدت له الدوقة يدها وقالت له بصوت كصوت الكروان

— اشكرك يا كونراد على هذه الزيارة فهي دليل على انك تفكر في أحياناً

فاراد الدوق ان يصافح يد ابنة عمه فقالت له — لا بل قبلها فقبل كونراد يدها وقال لها أسألك العفو يا ابنة عمي:

فقالت له غير مكترسة بالفيكونت دي سان ريمي كأنه غير موجود — كيف عزمت أن تقضي هذا المساء يا كونراد ؟

— لا اعلم ولكنني بعد خروجي من هنا اذهب الى النادي

— لا بل تذهب معنا لزيارة مدام دي سينيفال فقد عزمنا على زيارتها الليلة انا وزوجي وطالما سألتني هذه السيدة أن أقدمك لها

— اني أجد منتهى سروري بصحبتكما وتعرفها

وندع للقاريء تصور ما ألم بفلوريستان من الحقد والخجل اذ ظل واقفاً مكانه والدوقة وابن عمها لاهيان عنه كأنه آنية من أواني الغرفة . على أن الدوق دي مونبريزون كان يعرف الفيكونت دي سان ريمي حق المعرفة ولم يتعمد

عدم السلام عليه حين دخل على ابنة عمه وانما اشغلت هذه كل حواسه فلم ير فلوريستان فدنا منه هذا ولمس ذراعه وقال له

— أسعد الله مساءك يا سيدي الدوق .٠. وأرجوك ان لاتؤاخذني على كوني لم أرك

فلما رأى الدوق انه اساء الأدب التفت الى الفيكونت وقال له بتودد

— قد اخجلني ياسيدي مافرط مني على غير قصد واني أكلف ابنة عمي بطلب العفو منك على قصوري لانها هي التي سببته نخان الدوقة الصبر لما رأته من قحة فلوريستان وبقائه عندها بعد الذي اسمعته اياه من الاهانات فقالت لابن عمها

— لاداعي للاعتذار يا كونراد

فظن الدوق ان ابنة عمه تريد توبيخه لاتخاذه طريقة الجد في تصرفه فبش في وجه الفيكونت وقال له مازحاً

— لاسبيل اذن للاعتذار بما ان ابنة عمي حرمته علي ولعلها تريد أن تكون قيمة عليَّ

— يخال لي ياحضرة الدوق أن تسلط ابنة عمك عليك لايقف عند هذا الحد وبناء على ذلك اعرض عليك أمراً

فبداء الدوق يرتاب من لهجة الفيكونت اذ اشتم منها رائحة التهكم واجاب

— تريد أن تعرض علي أمراً ؟.. أنا !..

— نعم وذلك ان تبتاع بيتي وكل مافيه من فرش وعربات وخيول لاني بعد أيام معدودة ذاهب الى مركز وظيفتي الجديد في السفارة الفرنساوية في جيرولستين

وقبل ان يجيب الدوق قالت له ابنة عمه

— لايمكنك شراء مايعرضه عليك . وسوف أطلعك على السبب

فقال لها الفيكونت — وما هو السبب ياحضرة الدوقة ؟

فقالت الدوقة لابن عمها

— اعلم ياعزيزي كونراد أن ما يعرض عليك للبيع قد بيع لغيرك .. فكن على حذر كي لا يسرقونك في رابعة النهار

فعض الفيكونت على شفتيه لشدة الغضب وقال للدوقة

— احذري ياسيدتي ولاتتهوري في الكلام

فقال له كونراد بحدة

— كيف !. اتجسر على تهديد ابنة عمي في بيتها ؟

فقالت الدوقة لابن عمها

— دعه يا كونراد فان الاشراف امثالك يأنفون من محادثة رجل سافل مثل هذا . وسأذكر لك فيما بعد السبب في فحة هذا الرجل وفي تلك اللحظة فتح الباب بعنف ودخل الدوق لوسيني وقال لزوجته

— كيف . اني أراك على تمام الاستعداد للخروج ولا يزال لدينا وقت طويل . بونسوار سان ريمي بونسوار كونراد ان حزني على المركيز درفيل يكاد يفقدني صوابي ... وكلما اذكرانه انتحر يتولاني الغم والارق . وانت ياسان ريمي الم تتأثر لهذا الحادث ؟

فاجابه الفيكونت : — نعم انه حادث مفجع

واراد أن ينظر الى الدوق مونبرزون ولكن هذا حول عنه نظره لاجبناً بل احتقاراً بعد الذي سمعه من ابنة عمه عن صفاته

واذ ذاك دخل خادم وقال : — قد أعدت العربة يامولاتي

فبدرت من الدوق لوسيني التفاتة الى زوجته وقال لها

— لماذا لاتلبسين حليك فانها توافق ثوبك هذا

فاضطرب الفيكونت سان ريمي ظهراً لبطن . وأردف الدوق

— هذه هي أول مرة أذهب معك لزيارة افليس من من اللياقة ان تحلي بجواهرك اكراماً لخاطري

ثم التفت الى الفيكونت وقال

— ان جواهر زوجتي نادرة المثال . فهل رأيتها

فأجابت كلوتيلد وهي تشير الى الفيكونت

— نعم ان حضرته يعرف جواهري حق المعرفة

ثم دنت من ابن عمها وقالت له اعطني ذراعك يا كونراد فامتثل الدوق مونبريزون ومشى مع الدوقة وتبعهما الدوق لوسيني والفيكونت اما هذا فكانت نار الغيظ تشوي فؤاده وأثناء الخروج من القاعة قال له الدوق لوسيني

— الا تأتي معنا لزيارة دي سينيفال ؟

— لا ... هذا أمر محال

وقبل خروجهم من البيت قال الدوق لوسيني لكونراد على مسمع من الفيكونت

— بما انك ذاهب معنا فقل لحوذيك ان يتبع عربتنا الاَّ اذا أراد سان ريمي ان يركب معنا

فأجابه الفيكونت بخشونة

— لا يمكنني الذهاب معكم

— استودعك الله اذن ياعزيزي . ويخال لي ان العلاقات متواترة بينك وبين زوجتي لاني أراها ركبت العربة من دون ان تسلم عليك

وبعد ان ركبت الدوقة ظل كونراد واقفاً ينتظر الدوق لوسيني . اما هذا فبقي يتحدث مع سان ريمي وكانت عربته واقفة امام باب البيت فبعد ان تاملها الدوق قال للفيكونت — ما أجمل هذين الحصانين اني لم . .

وقبل ان يتم عبارته ناداه الدوق مونبريزون فقال له الفيكونت — ان الدوقة وابن عمها ينتظرانك

— نعم . نعم لقد أسأت الادب . . . اوريفوار سان ريمي

ولما سارت عربة الدوقة ظل الفيكونت واقفاً يشيعها حتى غابت عن بصره وسم الغيظ يكاد يقطر من أنفه ثم انه ركب عربته وبعد ان نظر نظرة حقد الى ذلك البيت الذي طالما دخله دخول الآمر الناهي وخرج منه اليوم مطروداً مهاناً قال للسائق — اذهب بي الى البيت

ولما وصل الى بيته قابله خادمه بويه عند الباب وقال له

— ان حضرة الكونت والدك ينتظرك ياسيدي

— حسن

— وينتظرك ايضا رجل آخر يدعى بيتي جان ويظهر ان بينكما موعد في الساعة العاشرة

— حسن . حسن يارباه قني شر هذا المساء

ثم صعد فلوريستان فوجد والده ينتظره في نفس القاعة التي رآه فيها صباح ذلك اليوم فانحنى مسلما عليه وقال له

— اعذرني ياوالدي على عدم وجودي هنا ساعة وصولك ... والكنني ما ...فقاطع الكونت حديث ابنه وقال له

— هل جاء الرجل الذي في يده الكمبيالة المزورة

— نعم يا ابي ها هو منتظر في الطابق السفلي

— دعه يصعد

فدق فلوريستان الجرس فجاء الخادم بويه وقال له

— قل للخواجه بيتي جان ان يصعد الى هنا

— ثم التفت الى والده وقال له

— اشكرك يا والدي على اهتمامك بانجاز الوعد

— لا اذكر اني وعدت ولم انجز

— ما ارق عواطفك واكرم نفسك ! كيف يمكنني ان اعرب لك عن . . .

— أريد أن لا يلطخ اسمي بالعار

لا يا ابني لا يلطخ بالعار ولن يلطخ قط بعد اليوم

فنظر الكونت الى والده نظارة غريبة وقال له

— نعم انه لن يلطخ بعد

ثم دخل المدعو بيتي جان وهو رجل تدل هيئته على الدناءة والخبث فقال له الكونت — اين الكمبيالة ؟

فاخرج بيتي جان الورقة من جيبه وقدمها للكونت وقال له — هاهي ياسيدي

فنظر الكونت الى ولده وقال له وهو يشير الى الورقة

— اهذه هي الكمبيالة ؟

— نعم يا ابني

فاخرج الوالد من جيبه أوراقاً مالية قيمتها خمسة وعشرون الف فرنك واعطاها ولده وقال — ادفع

فدفع فلوريستان المال وأخذ الكمبيالة وتنفس الصعداء كمن ازيح عن صدره حمل ثقيل . فطوى بيتي جان الاوراق

ووضعها في جيبه وخرج فتبعه الكونت وبقي فلوريستان وحده في الغرفة فقال في نفسه وهو يمزق الكمبيالة :

— لا بأس من هذا الحل الحسن فان الخمسة وعشرين الف فرنك التي دفعتها كلوتيلد تبقى لي. وتكون لي تعزية اذا بقي الامر مكتوماً ... ولكن ما الذي حمل ابي على اللحاق بابنتي جان ؟

ثم سمع صوت باب يغلق ويوصد فارتعدت فرائصه واذ ذاك عاد والده اصفر الوجه فقال له

— كأني سمعت باب مكتبي يوصد يا ابتي

— نعم أنا أوصدته

فاستولى الذهول على فلوريستان وقال

— أنت اوصدته يا أبي؟ ولماذا ؟

— ستعلم السبب

ووقف الكونت حائلا بين ابنه وبين السلم السري المؤدي الى الطابق السفلي . ولما وقع نظر فلوريستان على وجه والده راعه ماوجده فيه من الانقلاب المخيف فحدثته نفسه بشر مقبل فارتعدت فرائصه وقال — مابك ياوالدي ؟

- انك حين رأيتني هذا الصباح قلت في نفسك : « ان والدي لا يرضى بتدنيس شرفه فيضطر الى دفع المبلغ ولا سيما اذا تظاهرت بالندم »

- لا يا ابتي كن على يقين من انني...

- لا تقاطعني ... ولا أعجب من فعالك هذه لانك مجبول بالخبث والرذيلة فلا حياء ولا ضمير ولم يمنعك عن السرقة في بادئ الامر الا حصولك على المال المجلب لكل الملذات وهو تعفف الاغنياء الذين على شاكلتك . ولما ضاع المال دفعتك نفسك السافلة الى السرقة والتزوير . . . واعلم انك مازلت في مقدمة العمر وان نسبة ماينتظرك من السفالة والتحقير الى ما كابدته حتى الساعة كنسبة العلقم الى الشهد

- يصدق ظنك يا أبي ان أنا لم أغير سلوكي ولكن اقسم لك بانني أعود الى سواء السبيل

- لا يمكنك الاقلاع عن الموبقات والجرائم لان طردك من المجتمع الذي كنت تعاشره يضطرك الى عشرة الاسافل المجرمين فتصبح لصاً قاتلاً . هكذا يكون مستقبلك

- انا اصبح لصاً قاتلا ؟

- نعم لانك نذل

- قد تبارزت مراراً و برهنت على . . .

وأنا اقول لك ثانية انك جبان فقد فضلت العار على الموت وسوف يأتي يوم تفضل فيه نجاتك من العقاب على الدماء التي تسفكها . وهذا لا يمكن ان يكون لاني لا أسمح به ولابدّ لي من صيانة شرفي في المستقبل

- كيف ذلك يا أبي ؟ ماذا تعني ؟

وفي تلك اللحظة قرع الباب بعنف فأراد فلوريستان ان يفتح ليجد مخرجاً من ذلك الموقف المهيب ولكن الكونت امسكه بيد من حديد وقال - من بالباب ؟

- فاجابه القارع - بأمر الحكومة افتح

فنظر الكونت الى ولده نظرة غضب يعجز القلم عن وصفها وقال له بصوت منخفض

- لعلك زورت كمبيالات أخرى غير التي دفعت لك قيمتها

فحاول فلوريستان ان يتخلص من يد والده وقال له بصوت مرتجف - لا يا أبتي أقسم لك بأني لم أزوّر غيرها

فكرر القارع عبارته : - بأسم الحكومة افتحوا الباب

فقال الكونت : - ماذا تريد

- أنا ضابط البوليس وقد أتيت للتحقيق في سرقة جواهر والمتهم الفيكونت دي سان ريمي . والمدعي تاجر جواهر شهير يدعى بودوان ويقول ان لديه براهين دامغة تثبت التهمة . فان انت لم تفتح الباب حالا اضطر الى كسره

فقال الكونت لولده

- لقد صدق ظني فها انك اصبحت لصاً . . اني أتيت لاقتلك ولكني تأخرت لسوء الحظ

- تقتلني ! !

- كفاني عار وشنار فلا بدّ من حد لهذه الاهانات التي تقع على رأسي كالصواعق . وهاقد أتيتك بغدّارة فخذها وانتحر واذا ترددت اقتلك واقول انك انتحرت لتتخلص من الخزي والعار

واخرج الكونت من جيبه غدارة وقدمها لابنه وقال له

- خذ واثبت لي انك لست جباناً

قال ذلك ووضع فوهة الغدارة على صدر فلوريستان اما ضابط البوليس فلم يعد يستطيع صبراً وشرع في كسر

الباب ولما رأى فلوريستان الهلاك بعينيه خطر له خاطر سريع فقال لابيه

- صدقت يا أبتي . . اعطني هذه الغدارة لاتخلص بها من العار فلم أعد استطيع الصبر على الاهانة وقد اصبحت حياتي بعد اليوم اصعب من الموت . اعطني هذا السلاح لابرهن لك اني لست جبانا

ومد يده ليأخذ الغدارة وأردف — ألا تودعني بكلمة واحدة تدلني على انك مشفق عليّ وانك . . .

وقبل ان تنتهي عبارته سمع صوت كسر الباب فقال

- قد دخلوا علينا . يا ابتي . . . اشعر الآن بأن الموت عذب منقذ . . فدلي يدك لاصافحها واغفر لي

فتأثر الكونت على رغم صلابة قلبه وقال لولده

- فليغفر لك الله خطاياك

- اني أسمع وقع اقدام الداخلين علينا فقف ياوالدي في وجوههم لكي لايمنعوني عن الانتحار

واذ ذاك سمع وقع أقدام في الغرفة المجاورة للمكتب فوضع فلوريستان للحال فوهة الغدارة على قلبه وأطلق

الرصاص فأدار والده وجهه لكي لاتقع عينه على ذلك المنظر المؤلم وخرج وأغلق خلفه الباب

فلما سمع الضابط طلق الغدارة ورأى الكونت خارجاً جاحظ العينين أصفر الوجه وقف عند عتبة الباب وأشار الى رجاله يأن لا يتقدموا . وقد أدرك ان الفيكونت انتحر لان الخادم بوابه أخبره بانه كان مع والده داخل المكتب

اما الكونت فلما أبصر الضابط ورجاله وضع يده على جبينه وصرخ قائلا واليأس ملئ فؤاده

— مضى اسبيله وقضي الامر !! وهو جزاء عادل فان الموت أفضل من العار ولكنه حكم أدمى فؤادي على رغم عدالته

وبعد سكوت وجيز قال الضابط للكونت

أرجوك الآن ان تبتعد عن هذا المكان لكي لا يزداد الملك ودعني أقوم بواجباتي

— صدقت ياسيدي ها أنا ذاهب وأرجوك ان تخبر الذي سُرق بأني انتظره في مصرف المسيو دوبون

— المقيم في شارع ريشليه ؟

— نعم وماهي قيمة الجواهر المسروقة ؟

- ثلاثون الف فرنك تقريباً

- يمكنني أيضاً ان أدفع هذا المبلغ فليذهب صاحب الجواهر المسروقة بعد غد الى المصرف المذكور فاتفق معه

ثم خرج الكونت ودخل الضابط المكتب فأخذته الدهشة وقال : ــ لا أجد أحداً !!

وأخذ يبحث في كل أركان المكتب فلم يجد للفيكونت أثراً ولما وقعت عينه على الباب الصغير المؤدي الى السلم السري أراد ان يفتحه فوجده مقفلا من الخارج فقال

— يالها من مكيدة !! لاشك انه هرب من هذا الباب

وذلك ماحصل حقيقة فان الفيكونت بعد ان وضع فوهة الغدارة على صدره امام والده ورأى انه أدار وجهه أطلق الرصاص في الفضاء وانسل هارباً

## الفصل السادس والثلاثون

### « الذكرى »

وفي غد ذلك اليوم خرجت زهرة مريم من سجن سان لازار بعد ان ودعت رفيقاتها وذهبت بملابسها القروية التي كانت تلبسها في مزرعة بوكيفال ووجهتها مركز

البوليس حيث كانت تنتظرها مدام سيرافين لتمضي بها الى جزيرة الرافاجور

والذي سعى في الافراج عن زهرة مريم هو جاك فران بعينه فانه لما علم بوجودها في السجن كلف أحد عملائه من ذوي الوجاهة بالتوسط لدى أصحاب الحل والعقد في اطلاق سراحها ورجاه ان يوصي مدير السجن بارسال الفتاة لان ولي أمرها كلفه بارجاعها اليه . ولكي يخفي جاك فران فعلته هذه طلب من العميل ان يبقي اسمه مكتوماً لانه يأنف من المجاهرة بأعماله الخيرية

ولحسن ظن ذلك العميل بجاك أجاب كل طلباته وتمكن من اخراج الفتاة من السجن وكلف المدير بارسالها اليه

ولما قدمت مدام سيرافين لمدير السجن الامر بالافراج عن الفتاة قالت له انها قادمة من قبل جاك فران لاستلامها والذهاب بها الى ذويها

فظن المدير ان المركيزة درفيل هي التي توسطت في الافراج عن زهرة مريم

فلم يسيء الظن في هذه المرأة ولما وقع نظر سيرافين على زهرة

مريم اعجبها جمالها الباهر اذ انها سلمتها للبومة وهي طفلة وساءها انها ستمضي بها الى الهلاك فقالت لها

— لاشك انك مسرورة بخروجك من السجن

— نعم ولاشك اني اخرج منه بفضل المركيزة درفيل التي يعجز لساني عن شكرها

— نعم صدق ظنك فهلمي بنا فقد اذف الوقت

— السنا ذاهبين الى مذرعة بوكيفال ؟

— نعم بلا شك اننا ذاهبون الى الخلاء عند مدام جورج ولكن قبل الذهاب اليها سترافقيني الى مكان آخر تسرين برؤيته . اسرعي فان العربة تنتظرنا

وبعد ان سلمت سيرافين على مدير السجن أخذت بيد المغنية ونزلت بها ولما خرجتا وولجتا شارع سان ديني قابلتا فتاة قادمة لزيارة احدى المسجونات «وتلك الفتاة هي الضحوكة بعينها» فلما ابصرتها زهرة مريم عرفتها لانها كانت رفيقة صباها أيام كانتا في السجن معاً فهتفت قائلة — الضحوكة !!

فاجابت الضحوكة — المغنّية !!

ثم تعانقتا وكان فرح الضحوكة بلقاء زهرة مريم لا يوصف

اما هذه فكانت كئيبة لانها تذكرت أيام الصفا القليلة التي قضتها مع صديقتها قبل سقطتها الاولى فقالت لها الضحوكة

— هو انت ؟ ما اسعد حظي بلقاك

— وانا سعيدة أيضاً برؤيتك اذ قد مضى زمن مديد منذ افتراقنا ولما ابصرت الضحوكة ثياب المغنية قالت لها

— انني لم اراك منذ ستة شهور فهل تسكنين القرى ؟

فاحمر وجه زهرة مريم خجلا ونكست رأسها الى الارض واجابت — نعم انني في القرى منذ عهد غير بعيد

— وهل انت ذاهبة الان الى مقرك بعيداً عن باريس انك طيبة القلب يامغنية فهل لازلت تذكرين تلك الفقيرة التعسة التي أعطيتها فراشك وثيابك والنقود القليلة ؟

— نعم لاازال اذكر ذلك

— ولكنني الومك ياعزيزتي

— علىمَ تلومينني ؟

— لانك لم تودعيني قبل افترافنا ولم تكتبي لي عن ماصار اليه أمرك

فازداد خجل المغنية واجابت — انني تركت باريس بغتة فلم

امكن من مقابلتك لاودعك

- انا لست حاقدة عليك وفرحي برؤيتك الساعة لايوصف الا زلت تذكرين جوليا الصغيرة اللطيفة وروزين الشقراء ذات العينين السوداوين ؟

- نعم مازلت اذكرهما

- اعلمي اذن ان قد استغواهما بعض الشبان ثم نبذوهما نسارتا في سبيل الضلال فوقعتا في هاوية العار حتى ادخلتا في هذا السجن

فكاد دم الحياء يقطر من وجه المغنية فعادت ونكست رأسها وهتفت قائلة — ويلاه يا ربي !!

فاخطأت الضحوكة في تأويل هتاف المغنية وقالت لها

- وان ذينك الفتاتين أصبحتا محتقرتين اما نحن ياعزيزتي فقد حافظنا على شرفنا ولا يلزمنا ان نشمت بالآخرين ومن سوى الله يعلم مايكون من أمرنا في المستقبل ولا يبعد ان يكون الفقر هو الذي دفع روزين وجوليا الى ارتكاب المنكر وربما لو كنا في مركزهما لكنا سقطنا مثلهما

فأجابت زهرة مريم بصوت حزين

— انني لا أعنفهما ولا ألومهما ولكني آسفة عليهما

وخان الصبر سيرافين فأمسكت بذراع المغنية وقالت لها - هلمي بنا ياعزيزتي فقد أذف الوقت

فقالت لها الضحوكة - امهلينا قليلا ياسيدتي فانني لم أرَ المغنية منذ عهد بعيد

ولم ترق سيرافين مقابلة الضحوكة فقالت لها - يسوءني أيتها الآنسة ان ليس لدينا وقت لاطالة الوقوف هنا على انني أدعكما تتكلمان عشر دقائق أخرى

فعادت زهرة مريم الى الحديث وقالت للضحوكة

— وأنت أيتها الحبيبة مازلت بشوشة مسرورة مثل عادتك؟

— نعم كنت كذلك دائماً ولكنني منذ يومين تكدرت كثيراً وانني الآن قادمة الى هذا السجن لازور فتاة مسكينة كانت جارتي وقد اتهموها بجناية زوراً وهي تدعى لويز موريل وقد جن والدها لشدة ما أصابه من الحزن عليها

فلما سمعت سيرافين اسم لويز موريل ارتعدت فرائصها وأمعنت النظر في الضحوكة فلم تذكر انها رأتها طول حياتها ولكنها عمدت الى الاصغاء الى ماسيجيء من حديث الفتاتين

فقالت المغنية - يالها من امرأة تعسة فكم ستسر بزيارتك

- واعلمي ايضاياعزيزتي انني قادمة من سجن الرجال

- سجن رجال ؟

- نعم فان لي فيه صديقاً آخر يدعى جرمان وكلماذكرت مصابه يترقرق الدمع في عيني

فدهشت سيرافين عند سماع اسم جرمان فازدادت تنبها وقالت زهرة مريم

- وماهو الذنب الذي ارتكبه هذا الشاب حتى سجن ؟

فأجابتها الضحوكة بصوت ينم عن الكدر

- لاذنب له ولكن رجلا وحشياً وظيفته وكيل أشغال يضطهده وهو الظالم بعينه الذي كان سبباً في سجن لويز

- لويز التي جئت لتزوريها ؟

- نعم فانها كانت خادمة وكيل الاشغال كما ان جرمان كان وكيل صندوقه وقد يطول بي الشرح لو أردت أبين لك ماهي التهمة المنسوبة زوراً الى ذلك الشاب ولكن مالاريب فيه هو ان ذلك الرجل الشرير لايألو جهداً في الاضرار بهذين التعسين اللذين ما أساءا اليه قط ولكن لابد من الصبر

وكل يقع في شر اعماله

— فاضطربت أفكار سيرافين عند سماع مقال الضحوكة وشاركت الفتاتين في الحديث فقالت للضحوكة

— ياربّاه هل يوجد على الارض قوم ظالمون مثل ذلك الرجل الوحشي وكيل الاشغال الذي ذكرته وماذا يدعى ؟

فتذكرت الضحوكة وصية رودولف بأن لا تذكر شيئاً عن جرمان وكلما يتعلق بحكاية سجنه وسجن لويز فندمت على قولها « كل يقع في شر أعماله » ولكنها لم ترَ ضرراً من ذكر فيران فقالت لسيرافين

— ان ذلك الرجل الشرير يدعى فيران والذي يزيد عمله فظاعة في تعذيب لويز وجرمان هو ان ليس لهما أحد ينظر في أمرهما سواي وانا افقر منهما واضعف فلا استطيع اعانتهما ولا أعرف أحداً يمكنه الاخذ بناصرهما

فقالت لها سيرافين

— ياللاسف كنت ظننت لما سمعت بدي‌ء حديثك انك تعتمدين على معين يساعد ذينك الشقيين على ما يلقيانه من وكيل الاشغال

فلكي تزيل الضحوكة ظنون سيرافين قالت لها

— لا ياسيدتي ومن أين أجد رجلا كريماً يأخذ بناصرهما ويعينهما على جاك فيراف القوي ؟

فقالت زهرة مريم بعد سكوت وجيز

— لا تخلو باريس من كرام الناس وانني اعرف رجلا دأبه اغاثة المسكين والاخذ بناصر الضعيف والانتصار له

فنظرت الضحوكة الى المغنيـة متعجبة وهي تفكر في رودلف وكادت تقول بانها هي تعرف أيضاً رجلا يغيث الفقير الضعيف ولكنها لم تقل ذلك عمـلاً بوصية جارها البرنس فقالت لزهرة مريم

— هل تعرفين حقيقة رجلا فيه الصفات التي ذكرتها.

— نعم ومع علمي أن هذا الرجل يهتم بكثير من التعساء فلا اشك في انه ينتصر للويز وجرمان اذا تحقق انهما بريئان مظلومان ويخلصهما ويجازي المسيء اليهما لان عدله وطيبة قلبه ليس لهما حد

فنظرت سيرافين الى المغنية وناجت نفسها قائلة

— ربما يلحقنا من الاذى بسبب هذه الفتاة اكثر مما

كنا نتصور وكنت بدأت أشعر بعطف اليها ساعة خروجها من السجن أما الآن فاري أن أسرع بأخذها الى حيث تلاقي حتفها لنتخلص من شرها

وقالت الضحوكة لزهرة مريم

— بما انك تعرفين ذلك الرجل الكريم فارجوك أن تشفعي لديه في لويز وجرمان لانهما لايستحقان ماينالانه من العذاب .

— كوني مطمئنة البال فانني سأبذل قصارى جهدي في رجاء رودولف ليأخذ بناصر ذينك التعسين

فحملقت الضحوكة بعينيها وظهرت عليها الدهشة وهتفت قائلة

— الموسيورودلف !...

فاجابتها المغنية : — نعم وعلىم تبدين هذا العجب ؟

— لانني اعرف ايضاً رودلف:

— لعله غير الذي أعرفه

— الا قلت لي ماهي صفات رودلف الذي تعرفينه ؟

— هو صغير السن وسيماء النبل والطيبة بادية في وجهه

فازدادت الضحوكة عجباً وقالت

— يالله!! ان هذه الصفات التي تذكرينها هي نفس صفات رودلف الذي اعرفه وهل هو اسمر البشرة صغير الشاربين ؟

— نعم

وهل هو طويل القامة نحيل الخصر وموظف في أحد البيوت التجارية ؟

— نعم هو كذلك ولكن الذي يدهشني هو قولك انه موظف في محل تجاري

— انا على يقين من ذلك

— هل تعرفينه ؟

— كيف لا اعرفه وهو جاري اذ يسكن غرفة مجاورة لغرفتي في الطابق الرابع

— اذن ليس هو رودلف الذي اعرفه فان هذا ذو بأس شديد والذين يعرفونه يجلون قدره وهو مهيب جليل حتى انه كل من يراه يكاد يخر له ساجداً لشدة المهابة والخشوع

— صدقت ليس لرودلف الذي اعرفه هذه الصفات التي تذكرينها فانه ليس ذا بأس ولا يسجد له أحداً بل هو رجل

بسيط من عامة الناس وقد وعدني مراراً بالذهاب معي الى النزهة في الآحاد والاعياد

- واين تسكنين ياضحوكة .

- في شارع التامبل نمرة ١٧

وكانت سيرافين مصغية الى تلك المحاورة فلما علمت اين تسكن الضحوكة قالت في نفسها

- هذا امر غريب قد سرني الوقوف عليه وقد عرفت الآن ان الموسيو رودلف صاحب الحول والطول الذي تكلمنا عنه قد اتخذ له غرفة يقيم فيها الى جانب هذه الفتاة ولاشك انه من ذوي المقامات ولكنه متنكر بذي عامل في أحد البيوت التجارية ويغلب على ظني ان هذه الضحوكة تعرف عن رودلف أشياء كثيرة ولكنها لاتبوح بها والغريب أيضاً أنها هي و رودلف يسكنان في نفس البيت المقيم فيه موريل و بردامنتي فاذا ظل رودلف وهذه الفتاة يتداخلان فيما لايعنيهما يلقيان مايبعدهما عن هذا المسلك الوعر

ثم قالت الضحوكة لزهرة مريم

- يوجد معي بطاقات من الكرتون مكتوب عليها اسمي

ومحل اقامتي واعطتها واحدة منها وأردفت

- انظري ما أجمل خطها والذي كتبها جرمان وانا وأيم الحق نادمة على انني ما أحببت هذا الفتى الا بعد سجنه

- هل تحبينه؟

- نعم ولذلك تريني ذاهبة لازوره

- ما زلت ياضحوكة طيبة القلب مثلما كنت أعهدك

فعيل صبر سيرافين من طول المحاورة التي دارت بين الفتاتين فقالت لزهرة مريم - هلمي بنا نذهب أيتها الآنسة فقد مضى ربع ساعة ونحن واقفات هنا

فقالت الضحوكة لزهرة مريم بصوت خافت وهي تشير بطرف خفي الى سيرافين - ما أكثر شكواها وما أقبح صورتها

ثم أردفت بصوت مرتفع

- أرجوك أن لا أبرح عن بالك حينما تأتين الى باريس

- سأبذل جهدي حتى أزورك ولكنني اكتب لك قبل ذلك والآن استودعك الله ولا يمكنك أن تتصوري كم سررت بمشاهدتك

- ولا أظن سروري دون سرورك وأومل أن لا تكون

هذه المقابلة الاخيرة واني متشوقة الى أن أعرف اذا كان رودلف الذي ذكرته لي هو الذي أعرفه فأرجوك أن تكتبي لي في هذا الموضوع باقرب ما يمكن

ثم تعانقت الفتاتان وتألمتا للفراق ودخلت الضحوكة السجن لتزور لويز وركبت زهرة مريم مع سيرافين فقالت هذه للسائق أن يذهب بهما الى باتينيول ويقف عند الحاجز

وكانت الطريق المؤدية الى ذلك المكان مستقيمة وممتدة على شاطيء نهر السين قريبة من جزيرة الرفاجور ولم تكن زهرة مريم تعرف باريس حق المعرفة فلم تلحظ ان العربة سارت على غير الطريق المؤدية الى حاجز سان دني ولكن لما وقفت العربة عند باتينيول ورأت سيرافين تدعوها الى النزول قالت لها

- يخال لي يا سيدتي ان هذه الطريق التي نسير عليها ليست طريق مزرعة بوكيفال ولا أدري كيف يمكننا ان نصل اليها مشياً على القدم

فاجابتها سيرافين بلطف وتودد

- غاية ما اقوله لك ايتها الآنسة انني انجز الاوامر

الصادرة لي من اولياء امرك فان انت خالفتني في امر وابيت ان تتبعيني الى حيث اذهب تكدرين صفو عيشهم

فهتفت زهرة مريم قائلة

- ما فكرت قط في مخالفتك وبما انك مرسلة من قبل المحسنين اليَّ فلا يسعني الا طاعتك طاعة عمياء واكون لك اتبع من ظلك حيثما تذهبين

- سنصل الى المزرعة بعد ربع ساعة

ثم سارتا وراء حاجز باتينيول في طريق يكسوه العشب وعلى جانبيه اشجار الجوز. وكان الجو صافياً والهواء دافياً والشمس على وشك المغيب وكلما احست زهرة مريم بالدنو من من شاطيء النهر يزداد تورد خديها لانها كانت تستنشق هواء الخلاء النقي بملء رئتيها وكان سرورها بخروجها من السجن لا يوصف فقالت لسيرافين

- انظري يا سيدتي ما أجمل تلك الجزيرة القائمة في وسط النهر ومن حولها شجر الصفصاف والحور وانظري ما أجمل ذلك البيت الابيض عند الشاطيء فما أحسن الاقامة في هذا المكان ولا سيما في فصل الصيف حيثما ترتدي الاشجار حلتها

السندسية وما أطيب السكينة هنالك

فابتسمت سيرافين ابتساما شيطانيا وأجابتها

- يسرني انك تجدين هذا المكان جميلا

- لماذا يا سيدتي ؟

- لاننا ذاهبون الى هناك فاذا وجدت في هذه الجزيرة أولياء أمرك ينتظرونك ليعيدوا يوم خروجك من السجن أفلا تسرين ؟

- هل يمكن ذلك؟ هل يأتي رودلف ومدام جورج الى هنا؟

- ان ما اراك عليه من السذاجة يدفعني الى اطلاعك على أمر كان يلزمني كتمانه

- ساراهم هنا ! يارباه ان قلبي يخفق من شدة الفرح

- لا تسرعي الخطى هكذا كالمأخوذة انني اعذرك على قلة صبرك ولكني لا استطيع اللحاق بك

- اعذريني يا سيدتي فان شوقي للوصول الى اولياء نعمتي لا يوصف فخبريني ناشدتك الله هل سألاقي هنا مدام جورج؟ انني اكاد لا اصدق ما اسمع

صبراً يابنيتي، فانك بعد ربع ساعة ستريهما وترين أمراً

اخر ما كنت تتوقعينه

— أمراً آخر! ماذا تقولين ياسيدتي ؟

— دعيني يابنية ولا تضطريني الى اطلاعك على كل مايلزمني كتمانه

— فلندع سيرافين والمغنية تسيران على الطريق المؤدية الى النهر ولنتقدمهما الى جزيرة الرفاجور ونري مايجري هنالك

## الفصل السابع والثلاثون

## « المركب »

كان منظر جزيرة الرفاجور جميل في ذلك المساء واشعة الشمس تنعكس على الماء وتزيد منظر الاشجار المحيطة بالجزيرة جمالا

وفي تلك الساعة كان نقولا يفحص الصمام الذي فتحه في قاع القارب وكانت أخته كاليداس واقفة عند الشاطيء قريبة منه تجيل نظرها في الجهة التي تعلم أن سيرافين قادمة منها وظلت بضع دقائق لاتحول نظرها عن الافق

ثم قالت لاخيها نقولا

— انني لم ار أحداً لاعجوزاً ولا فتاة وأخشى أن يكون

وقوفنا عبثاً مثلما كان بالامس فاذا كانت المرأتان لا تأتيان قبل نصف ساعة فلا بد لنا من الذهاب لأن العمل الذي عرضه علينا براروج افضل من هـذا وانت تعلم ان الرجل ينتظرنا فان السمسارة ستجيء اليه عند الساعة الخامسة في ساحة الشان اليزه فلا بد لنا من الوصول الى هناك قبلها كما قالت لنا البومة صباح اليوم .

فخرج تقولا من انقارب واجاب

— صدقت لعنـة الله على تلك العجوز التي لم تأت حتى الآن بعد الذي كابدته من المشقة فان الصمام محكم الصنع واخاف اننا على رغم اتعابنا نفقد هذا العمل وما عرضه علينا براروج

— اما براروج و بريليون فانهما يحتاجان الينا ولا يستطيعان عملاً اذا لم نكن معهما

— صدقت فان براروج في ساعة العمـل يلزمه التجول حول خمارته للمراقبة و بريليون لا يستطيع وحده جر السمسارة الى القبو ولا شك انها تدافع عن نفسها جهد المستطاع

— الم تقل لنا البومة على سبيل الهزل انها سجنت معلم المدرسة في ذلك القبو ؟

- انها لم تسجنه في هـذا القبو بل في آخر اعمق منه ينضح فيه الماء متى فاض النهر

- لاشك ان حالته تعيسة في ذلك السجن المخيف ولا سيما انه ضرير

- قالت العوراء انه يقضي أوقاته في صيد الفيران

ثم نظرت كاليباش الى جهة البيت وكان قريباً من هنالك واشارت الى نافذة من نوافذه مصفحة بالحديد وابتسمت ابتساماً شيطانياً وقالت لنقولا

- هل تعلم ما آل اليه أمر مرسيال ؟

- هو نائم فانه منذ هذا الصباح لم يعد يقرع الباب وكلبه لم يعد ينبح

- لعله قتله ليأكله لانهما منذ يومين لم يذوقا طعاماً ولا شرابا

- هذا أمر لايعنينا وسيبقى مرسيال على هذه الحال حتى يموت واذ ذاك نشيع انه مات قضاء وقدراً بسبب مرض اصابه

- هل تظن ذلك ممكنا . ؟

- بلا شك لانه بينما كانت والدتنا ذاهبة الى ازنيير هذا الصباح قابلت ميرو الصياد ولما اظهر لها عجبه من كونه لم ير

مرسيال منذ يومين اجابته انه مريض مرضاً شديداً القاه في الفراش فاصبح في خطر شديد فصدق ميرو حكايتها وسوف يقصها على كل معارفه ومتى مات مرسيال لا يعجب أحد لموته

- نعم ولكنه يموت سريعاً بهذه الطريقة

- ماالعمل اننا لا نجد سبيلا الى هلاكه بطريقة أخرى فانه شرس الاخلاق وأقوى من الثور فلا نستطيع قتله على غير هذه الصورة من دون ان نعرض نفسنا الى الخطر ولكننا بتسمير باب غرفته وتصفيح نافذتها بالحديد نضمن هلاكه جوعاً وعطشاً

- الا يمكنه نزع الحديد من النافذة اذا استعان بسكينه؟ فانني لما رأيته يحاول ذلك صعدت على السلم وصرت اضربه على يديه بالبلطة كلما ادناهما من حديد النافذة

- لاشك انك كنت تسرين بهذا العمل

- كان لابد لي من ذلك لامنعه عن نزع قضبان الحديد حتى تعود بصفائح الصاج من عند ميكو

— وماذا تقول لخليلته الذئبة . اذا أتت تسأل عنه ؟

— تقول لها انجلي عنه

— أتعلمين أنه لولم توصد والدتنا باب القبو على فرانسوا

وامندين لكانا أعانا مرسيال على الخروج من سجنه

وبينما نقولا وكاليباس يتحدثان أقبلت عليهما امهما وقالت لهما

— هل جاءت البومة الى هنا أثناء غيابي في ازنير؟

فاجابها نقولا: — نعم يا اماه

— ولماذا لم تبق حتى ترافقنا الى حيث ينتظرنا براروج؟ اني ما زلت اسيء الظن في هذه المرأة

— انت تسيئين الظن في الجميع يا اماه فترتابين اليوم من البومة كما ارتبت بالامس من براروج

— لا الام اذا أسأت الظن في براروج لانه شارك في سرقة أخاك المسجون في طولون وتخلص هو من العقاب

— ما الفائدة من هذا القول الذي لا تبرحين ترددينه؟ ورأيي ان براروج لم يتخلص من طائلة العقاب الا لانه على جانب عظيم من الدهاء. أما البومة فلم تستطع الانتظار لان لا بد لها من الذهاب الى ساحة المرصد لتقابل هناك الرجل ذا ملابس الحداد الذي لاجله اختطفت الفتاة من مزرعة الرفاجور وعاونها على ذلك معلم المدرسة وبريليون والغلام الاعرج. وكيف تخشين ان البومة تفشي اسرارنا وهي تطلعنا

على كل الجرائم التي ترتكبها ونحن لا نطلعها على شيء مما نفعله؟ فهدي روعك يا اماه واعلمي ان الذئاب لا يفترس بعضها بعضاً . وأومل ان غنيمة اليوم تكون عظيمة لان ما تحمله السمسارة من الحجارة الكريمة لا تقل قيمته عن عشرين او ثلاثين الف فرنك . وبعد ساعتين تصبح هذه المرأة سجينة في القبو تحت خمارة براورج

— وبينما نحافظ على السمسارة في القبو يكون براروج خارج خمارته ؟

— لا بد من ذلك لكي يمنع زبائنه عن دخول الخمارة بينما نكون منهمكين في العمل

وما كاد نقولا يتم عبارته حتى سمع أخته كاليياس تقول له

— نقولا . نقولا ... ها هما المرأتان

فقال نقولا لامه

— هلمي اذن انزلي الى القارب لاقطع بك النهر

فهرولت الام مسرعة واغلقت باب المطبخ وأخفت المفتاح في نافذة من نوافذ الطابق السفلي وعادت الى حيث كان نقولا ينتظرها فقال هذا لاخته كاليياس

— يلزمنا قبل الشروع في العمل أن نتفق على الخطة التي نتبعها وهي أن أنزل المرأة والفتاة في القارب ذي الصمام وأنت تركبين القارب الآخر وتتبعيني وتظلين قريبة مني لاتمكن من الوثوب الى قاربك حينما افتح الصمام لاغراق قاربي

— كن مطمئناً فليست هذه اول مرة ادير فيها حركة قارب... هلمي اسرعي فاني أرى العجوز تشير بمنديلها

فانزل نقولا أمه في القارب ذي الصمام وقال لها

— متى تراك المرأتان في هذا القارب لا تخشيان ركوبه

ثم قال لاخته

— واركبي أنت يا كالبياس القارب الآخر وابذلي كل قوتك في التجذيف ليكون قاربك ملتصقا بقاربي على الدوام وخذي هذا المخطاف ابقيه معك فهو أحد من سمان لوح وربما نحتاج اليه في الطريق

وفي أقل من عشر دقائق قطع القاربان النهر فوثب نقولا الى الشاطئ وبينما هو يربط قاربه في وتد هناك دنت منه سيرافين وقالت له همسا

— قل ان مدام جورج تنتظرنا في الجزيرة

ثم قالت له بصوت مرتفع

— اظن ياولدي اننا اطلنا عليك الغياب؟

— نعم ياسيدتي وغيابكما اقلق بال مدام جورج فسألتني عنكما مراراً

فالتفتت سيرافين الى زهرة مريم وقالت لها

— اسمعت ياعزيزتي ان مدام جورج تنتظرنا بذاهب الصبر

ثم قالت لنقولا

— ادن قاربك من الشاطيء لنركبه

واردفت همساً : — لابد من اغراق الفتاة واذا عادت الى وجه الماء اعد عليها الكرة حتى تغوص

— حسن وانت لاتخافي وحينما ترين مني اشارة مدي لي ذراعك فانقذك وتغرق الفتاة وحدها

ثم امسك ذلك القاتل بذراع زهرة مريم لينزلها الى القارب ولم يردعه جمالها الباهر عن ارتكاب ذلك المنكر الفظيع فتوكأت الفتاة على ذراعه ونزلت فجلست في القارب ومد يده لسيرافين واشار اليها ان تركب

وكأن نفسها حدثتها بما ينتظرها من الخطر فتراجعت

الى الوراء وقالت لنقولا

— افضل ان اركب قارب هذا الفتاة «تريد بها كاليباس»

وركبت قاربها. فاشار نقولا الى اخته اشارة خفية وقال لسيرافين

— اركبي اي قارب شئت

قال ذلك ودفع قاربه بمجذافه فابتعد عن اليابسة وهكذا فعلت اخته وبقيت أمهما واقفة غير مبالية بذلك الامر الفظيع وظلت شاخصة الى نافذة الغرفة المسجون فيها ولدها منذ يومين بلا طعام ولا شراب

## الفصل الثامن والثلاثون

### « السرور باللقاء »

وبعد خروج زهرة مريم من السجن ببضع دقائق صدر لمدير السجن امر بالافراج عن الذئبة لانها حسنت سلوكها. فما كادت هذه تخرج من السجن حتى ركبت عربة ذهبت بها الى جسر اسنيير فقطعته ووصلت الى شاطيء النهر قبل سيرافين وزهرة مريم بربع ساعة اما السبب في تسرعها هذا فهو انها كانت مشتاقة شوقا عظيما الى لقاء خليلها مرسيال في جزيرة الرافاجور لتصف له المعيشة الجديدة الصالحة التي

وصفتها لها زهرة مريم في السجن وتخبره ان هذه الفتاة تعرف رجلاً كريماً يساعدهما على الحصول على تلك المعيشة

ولما وصلت الى الشاطئ ولم تجد هناك مرسيال ولا قاربه اسرعت الى بيت صياد يقال له ميرو كان ساكنا بالقرب من الجسر فرأته جالساً عند الباب يحيك شباكه فقالت له قبل ان تصل اليه

— اليّ يا ابتي ميرو اليّ. هيئ قاربا لينقلني الى الجزيرة

— اهلا بك ايتها الآنسة! اين كنت غائبة؟ انني ما رأيتك منذ عهد بعيد

— نعم ولكن ما لنا ولهذا الآن ... اسرع بالقارب اسرع

— لا يمكنني ذلك يا بنيتي لان ولدي ذهب بالقارب الى سان توان ولا ارى قارباً على طول الشاطئ.

— يا ويلاه ما اتعس حظي!!

— يسوءني جداً يا عزيزتي ان لا استطيع الذهاب بك الى الجزيرة اذ لاشك عندي ان حالته ازدادت تعساً

— من هو!!

— مرسيال

— فامسكت الذئبة بخناق مير و وقالت له بصوت مضطرب

— ماذا تقول ! هل مرض مرسيال ؟

— ألم يبلغك الخبر ؟

— من أي عهد مرض ؟

— منذ يومين أو ثلاثة

— هذا أمر لا يمكن لانه لو مرض لكان كتب لي

— انه لشدة سقامه لا يستطيع الكتابة

— ويلاه هل هو مريض الى هذه الدرجة ! ... وهل أنت واثق من انه في الجزيرة ؟

— اليك كل ما عرفته عنهُ انني في هذا الصباح قابلت أرملة مرسيال فوجدت هيئتها مخيفة فقلت لها .. « انني لم أرَ ولدك مرسيال منذ يومين أتراه ذهب الى المدينة ؟ » فلما سمعت سؤالي نظرت اليَّ بعينين تتقد فيهما نار الغضب ...

— اتم . اسرع . وبعد ؛ وبعد ؟

— اذا وعدتني بكتم السر أقص عليك كلما أعرفه لانني أحب مرسيال على رغم عناده ولا أرضى أن يصاب بمكروه

— ويلاه قد أشغلت بالي ! ماذا جرى ؛ وماذا صنع بهِ

أمهُ وأخوه ؟ وأين هو ؟ تكلم أين هو ؟

— أتعدينني بان لا تذكري لاحد ما سأقصه عليك ؟

— نعم نعم ! ! !

— لما قلت لام مرسيال انني لم أرَه منذ يومين أجابتني « انهُ مريض وان مرضه لا يرجى شفاءه » فقلت في نفسي .. « كيف يمكن ذلك ؟ انني منذ ثلاثة أيام ...

وقبل أن يتم عبارته تصورت الذئبة ان خليلها مرسيال في خطر شديد يتهدد حياته وانها ان لم تسرع اليهِ لا تراه الا جثة باردة فتركت ميرو الصياد وطفقت تركض على الشاطئ كالمجنونة ومرت برجلين كانا يسيران على نفس ذلك الشاطئ وقد أدهشهما ما كان بادياً عليها من الذعر . وهذان الرجلان هما الكونت دي سان ربي والطبيب جريفون وظلت الذئبة تجري والدم يكاد يقطر من عينيها حتى انتهت الى الجهة المقابلة للجزيرة وهناك لسان من الارض يمتد في النهر وهو أقرب نقطة الى الجزيرة فوقفت هنالك ونظرت الى البيت الذي تقيم فيه عائلة مرسيال وبعد ان تنهدت تنهداً عميقاً خلعت كل ثيابها ما خلا القميص والقت بنفسها في الماء

وطفقت تسبح بسرعة البط ولما وصلت الى منتصف النهر سمعت صوت استغاثة تقشعر له الابدان فكفت عن السباحة وانصتت فسمعت صوتاً آخر أضعف من الاول وبعد ذلك عاد السكوت فهتفت الذئبة قائلة

— هذا مرسيال يستغيث

ثم عادت الى السباحة بكل قواها وكان الكونت والطبيب يراقبانها من بعد فلما رأياها تنزع ثيابها أدركا انها تريد قطع النهر سباحة فركضا نحوها ليمنعاها عن ذلك ولكنهما وصلا بعد ان سبق السيف العذل فوقفا عند الشاطئ وسمعا صوت الاستغاثة الذي سمعته الذئبة ولما رأيا هذه تكافح تيار النهر خافا عليها من الغرق وكان خوفهما في غير موضعه لانها ظلت تسبح حتى وصلت الى رأس الجزيرة وما كادت تضع قدمها على اليابسة حتى رأت جسم فتاة طافياً على وجه الماء قريباً من الشاطئ فأسرعت اليها وانتشلتها من الماء كما ينتشل الباشق العصفور والقتها على الشاطئ وكانت تلك الغريقة زهرة مريم ولكنها لم تعرفها

وكان الكونت والطبيب يراقبان ذلك فناداها وقالا لها

— تشجعي . تشجعي . اننا سنقطع الجسر ونركب قارباً ونأتي لمساعدتك

ثم انهما اسرعا الى جهة الجسر أما الذئبة فلم تسمع ماقالاه لها لبعد المسافة .

فليعد معنا القارئ الى نقولا وأخته كاليباس بعد ان ركبت سيرافين وزهرة مريم قاربيهما . ووصل القاربان الى منتصف النهر فتح نقولا صمام الفوهة التي في قاع قاربه ثم وثب الى قارب اخته ورمى بسيرافين في الماء وضربها بالخطاف على أم رأسها فهوت الى القاع وماتت . وكان من مصلحة نقولا وأخته أن يقتلاها ليأمنا شر لسانها

أما الذئبة فبعد أن حملت زهرة مريم والقتها على العشب عند الشاطئ جلست الى جانبها وهي تلهث لشدة التعب وأخذت تتأملها . ويعجز القلم عن وصف مابدا على وجهها من علامات الذهول حين عرفت انها المغنية رفيقتها في السجن فانحنت عليها ونادتها باسمها فلم تجبها لانها كانت أقرب الى الموت منها الى الحياة فحملتها بين ذراعيها وجرت بها الى بيت مرسيال لظنها انها تجد بين أفراد تلك العائلة الوحشية من

يساونها على معالجتها برغم ما تعهده فيهم من القساوة البربرية ولكنها لما وصلت الى البيت لم تر أحداً لان نقولا وأمه وأخته بعد أن أغرقا سيرافين والمغنية ذهبوا لملاقاة باروج

وفي تلك الساعة نفسها كان جاك فيران مختبئاً وراء فرن جبس عند شاطئ النهر يراقب فلما شاهد اغراق سيرافين والفتاة ظن ان قد قضي الامر فعاد الى باريس. وما كاد يبتعد عن الشاطئ حتى أقبل الكونت سان ريمي والطبيب بعد أن قطعا الجسر فوجدا قارب نقولا مربوطاً فصمما على ركوبه ليقطعا به النهر ويذهبا لاعانة الذئبة في الجزيرة

ولما لم تجد الذئبة أحداً في البيت ووجدت الباب موصدا القت زهرة مريم على الارض وأخذت تنادي مرسيال بأعلى صوتها. فلم يجبها أحد فازتعدت فرائصها خوفاً وأخذت تدور حول البيت تبحث في كل مكان حتى عثرت على مفتاح البيت الذي خبأته أم مرسيال في نافذة الطابق السفلي كما تقدم فاخذته وهي لا تعلم انه مفتاح البيت ولكنها لما جربته وفتحت به الباب هتفت هتاف الفرح وقالت لنفسها

— لقد انقذت حبيبي مرسيال

ولما دخلت البيت سمعت صوتاً عند المطبخ فدخلته فعلمت أن الصوت خارج من اسفل وهو صوت فرنسوا وامندين فان امهما سجنتهما في القبو تحت المطبخ ولما سمعا وقع اقدام صرخا مستغيثين ولظن امهما ان لا احد يأتي الى الجزيرة ويدخل البيت اثناء غيابها اكتفت باغلاق باب القبو عليهما ولكنها تركت المفتاح في القفل . ففتحت الذئبة الباب ولما خرج الولدان قال لها فرنسوا

ـ آه ياذئبة انقذي اخانا مرسيال انهم يريدون قتله وقد سجنوه في غرفته منذ يومين

فهتفت الذئبة : — الحمد لله الذي ارسلني قبل فوات الوقت

وصعدت السلم مهرولة وقبل أن تصل الى آخره وقفت بغتة وقالت

— ولكن كيف يمكنني اترك المغنية في الحالة التي هي عليها ثم نادت الولدين وقالت لامندين

— اوقدي ناراً في الموقدة لنستعين بها على معالجة فتاة انقذتها من الغرق وهاهي ملقاة عند باب البيت مغمياً عليها

ثم التفتت الى فرنسوا وقالت له

- وانت يافرنسوا اذهب وآتني بفاس أو قدوم أو أي شيء من حديد لا كسر به باب غرفة أخيك مرسيال

فذهب الغلام وعاد وهو يجر وراءه بكل عناء فاساً غليظة لشق الخشب وقال للذئبة

- لم أجد سوى هذه الفاس ولكنها ثقيلة جداً

فاخذتها الذئبة من يده وركضت بها الى باب غرفة مرسيال وقالت له

- تشجع ياعزيزي مرسيال فها انذا حبيبتك الذئبة

ثم انها رفعت الفاس بكلتي يديها وضربت بها الباب ضربة هدت كيانه

فقال لها مرسيال من داخل الغرفة بصوت ضعيف

- ان الباب مسمر من الخارج

فركعت الذئبة على الارض وصارت تعالج الباب باظافرها وبالفاس حتى نزعت منه بعض المسامير وما زالت تجاهد حتى فتح الباب فوثبت الى داخل الغرفة فانطرح مرسيال بين يديها بلا حراك وكانت يداه داميتين فقالت له الذئبة

ــ ها قد فزت بك أخيراً ثم أسندته الى صدرها وخرجت به من الغرفة وأجلسته على مقعد في الممشى فظل بضع دقائق خائر القوى مشتت الافكار لشدة ما عاناه فى ذلك السجن ولما انقذته الذئبة كان على آخر رمق . وقد تملك منه اليأس فشعر بدنو أجله وقد اضر به فساد هواء الغرفة اكثر مما اضر به الجوع والعطش لان غرفته كانت صغيرة ولا منفذ فيها سوى الباب والنافذة وقد اتخذت كالبياس كل حيطة لمنع تجديد الهواء فسدت بقطع من نسيج قديم كل ماوجدته في الباب والنافذة من ثقوب وشقوق

وركعت الذئبة الى جانب مرسيال بعد أن اجلسته على المقعد وطفقت تتأمل هيئته وتراقب كل حركة تصدر منه ولما استنشق الهواء النقي عاودته قواه شيئاً فشيئاً فرفع رأسه وتنهد تنهداً عميقا وفتح عينيه فقالت له الذئبة

ــ هانذا خليلتك الذئبة يا مارسيال فكيف حالك؟

فاجابها بصوت ضعيف : ــ انني أحسن حالا والحمد لله

ــ يارباه ماذا تطلب ماذا تريد ؟ اتحب ان آتيك بماء أو خل ؟ تكلم

— لا اريد الا الهواء النقي

فلما سمعت الذئبة جوابه أسرعت الى نافذة في الممشى وكسرت زجاجها بقبضة يدها ولما استنشق مارسيال الهواء النقي قال لها

— هذا ما كنت اطلب انني أشعر بالحياة تعود الي وقد زال ما كان بي من الدوار

وعاوده الشعور وادرك فضل خليلته في نجاته وقال لها

— لولاك يا عزيزتي الذئبة لكنت مت لا محالة اما الآن فقد خرجت من القبر بفضلك

— ولكن ماذا أصاب يديك اني أرى فيهما جراحا؟ يالله ماذا فعلوا بك!!

— لما لم يجسر نقولا وكالبياس على مهاجمتي وجها لوجه صبرا حتى دخلت غرفتي فسمرا بابها من الخارج لكي أموت من الجوع ولما أرادا أن يسمرا النافذة أيضاً حاولت أن أمنعهما فضربتني اختي بالبلطة

— يا لهم من وحوش كاسرة فقد أرادوا أن يشيعوا أنك مت وقد بدأت أمك في نشر الخبر وقالت للبعض ان حالتك تنذر بالخطر

— لاتذكري لي أمي فان ذكرها يؤلمني

ولما عاوده كل صوابه أدرك ان ثياب الذئبة مبللة فقال لها — ماذا أصابك ؟ انني لا أرى عليك الا قميصاً مبلولا

— لما علمت انك في خطر ولم أجد قاربا...

— هل قطعت النهر سباحة ؟

— نعم ... ولكن يديك !! يديك هاتهما لاقبلهما لا شك انك تتألم منهما ... يا رباه ! ماذا فعل بك اولئك الانذال ولم اكن هنا لاعينك عليهم

— ما أطيب قلبك يا عزيزتي الذئبة وما أشجعك بين الشجعان ... ولكن مالي أراك ترتجفين ادخلي هذه الغرفة وخذي رداء كاليباس والبسيه

ففعلت الذئبة وعادت مسرعة فقال لها مرسيال وهو شاخص اليها — يالله كيف عرضت نفسك للغرق لاجلي ؟

— لا بل انني أنقذت فتاة من الغرق عندما وصلت للجزيرة

— أنقذتها !! واين هي ؟

— تركتها تحت مع الولدين وكلفتهما بالاعتناء بها ولو تدري ما أغرب هذه الصدفة فان الفتاة التي أنقذتها كانت

معي في سجن سان لازار وهي غريبة الاطوار

— وكيف ذلك؟

— اني كنت أحبها وأكرهها في آن واحد لاجلك

— لاجلي!

— اصغ اليّ يا مرسيال..

ثم قطعت حديثها وعادت فقالت

لا لا أجسر على الكلام — قد أتيت لاراك لانني لما تركت باريس لم أكن أعرف أنك في خطر

— تكلمي

— لم أعد أجسر

— كيف لا تجسرين بعد ما صنعته معي من الجميل؟

— هذا هو السبب الذي يمنعني عن الكلام لئلا تتصور اني أريد جزاء على ما فعلت

— ماذا تقولين ألست مديناً لك قبل اليوم؟ ألم تعتني بخدمتي أيام كنت مريضاً فيما مضى؟

— أما كان ذلك واجب عليّ ألست خليلي المحبوب؟

— ان كنت تحبينني فلا تكتمي عني شيئاً نعم اني خليلك

وسأظل كذلك ما دمت حياً ولا أرضى امرأة سواك يا ذئبة مهما كان ماضيك ويكفي اني أحبك وأنك تحبينني وقد أنقذتي حياتي. ومنذ سجنت آليت على نفسي أن لا أنفصل عنك ولكنني لا أريد أيضاً الانفصال عن أخوي فرانسوا واختي امندين واريد أن أكون لهما بمثابة الاب ولا بد لي من ابعادهما عن هذا البيت لكي لا يصيرا لصين مثل اخيهما تقولا وستكونين أنت معنا

فهللت الذئبة فرحا وقالت له — هل أعيش معك حقيقة؟ وهل لا نفترق؟!

— لا نفترق قط ونعيش عيشة صالحة في سلام وطمأنينة ونظل نسعى حتى نجد عملا غير مشين نرتزق منه ونقوّم ما في الولدين من الاعوجاج لكي لا يصيران اذا كبرا مثل أبيهما وأمهما.. ولكن مالي أراك مضطربة هكذا؟

— اني اخاف أن أفقد صوابي لشدة الفرح

— لماذا؟

— لان ماتعرضه عليّ هي السعادة التي اتيت اطلبها منك

— أترغبين مثلي في الرحيل عن باريس؟

— نعم اتمنى أن اعيش معك في الاحراش حيث يكون لنا بيت نظيف صغير ونرزق أولاداً أحبهما حباً جماً وأصير ادعوك زوجي عوضاً عن ان ادعوك خليلي و بغير هذا الشرط لايمكننا الحصول على الوظيفة التي ستنالها

فلم يفهم مرسيال المراد من كلام الذئبة فنظر اليها مدهوشاً وقال لها أية وظيفة تعنين ؟

— وظيفة حارس صيد:

— ومن ينعم عليَّ بهذه الوظيفة؟

— هو ولي نعمة الفتاة التي انقذتها من الغرق

— كيف ذلك وهي لاتعرفني ولايعرفني ولي نعمتها ؟

— نعم ولكنني كلمتها عنك فوعدتني بانها تكون شفيعة لك عند ولي أمرها وأكدت لي بانه ينعم عليك بالوظيفة التي ذكرتها لك اذا تزوجتني

— هذا غاية ما أتمناه فثقي بانك زوجتي منذ اليوم ولكن يلزمنا الآن الالتفات الى هذه الفتاة المسكينة التي تركتها مع الولدين

ثم توكأ مرسيال على ذراع خليلته فنزلت به الى الطابق الاسفل

وكان فرنسوا وامندين حملا زهرة مريم الى المطبخ وأجلساها بالقرب من النار وفي تلك الساعة دخل البيت الكونت دي سان ريمي والطبيب جريفون فشرع هذا في معالجة الفتاة ولما وقعت عين الكونت عليها هتف قائلا

— لهفي عليها !! انها لا تزل في شرخ الشباب ولا أظنها جاوزت السابعة عشرة

ثم وجه حديثه للطبيب وقال له ؟ كيف وجدتها

— ان قلبها ضعيف جداً فلا اكاد أشعر بنبضها ولكن من الغريب أن وجهها لم يختقن ولم يزرق مثلما يحصل عادة للمصابين باختناق الغرق

فقال له الكونت — هل لك عشم بارجاعها الى الحياة

— ان الامل ضعيف لان اطرافها قد بردت

— واسفاه !! اتموت هذه الفتاة ولا تزال في مقدمة العمر

وفي تلك الاونة دخل مرسيال المطبخ مسنداً على ذراع الذئبة وكانت هذه لا تزال مرتدية ثوب كاليياس فلما رآهما الكونت وابصر الدم يسيل من يدي مرسيال قال للذئبة

— من هذا الرجل؟

فنظرت الذئبة الى مرسيال ووجهها طافح سروراً واجابت

هذا زوجي

فقال الكونت لمرسيال — يحق لك ان تفاخر بزوجتك

هذه التي رأيتها تنقذ هذه الفتاة من الغرق ولا اذكر اني رأيت

اشجع منها بين النساء

فاجاب مرسيال وعيناه متجهتان الى الذئبة

— نعم ياسيدي أن زوجتي شجاعة ولم تكتف بانقاذ هذه

الفتاة بل انقذتني انا أيضاً من مخالب الموت

فبدت الدهشة على وجه الكونت وقال :

— انقذت حياتك انت أيضاً ؟؟

فقالت الذئبة للكونت والدمع يترقرق في عينيها

— انظر الى يديه يا سيدي

فهتف الكونت قائلا بصوت ملؤه الرأفة — يا الله ما ذا

أرى ان يديه مثخنة بالجراح فانظر اليهما أيها الطبيب

فالتفت الطبيب الى يدي مرسيال ولما رأى ما فيهما من

الجراح قال له . — اطو كفك وأبسطها

ففعل مارسيال ذلك مع بعض العناء فهز الطبيب رأسه

وقال لا أظن هـذه الجراح خطرة لأن الاوتار لم تنقطع وأظن ان الشاب يمكنه استعمال يديه بعد ثمانية أيام

فسرت الذئبة لتلك البشرى وقالت للطبيب

— وما رأيك في المغنية يا سيدي هل تظن انها تعود الى الحياة ؟

ثم التفتت الى مرسيال واردفت

— انظر أيها العزيز هذه هي الفتاة التي حدثتك عنها والتي اذا عاشت تكون سبباً في سعادتنا

فاعجب مرسيال لجمال المغنية وقال — ما أجمل هذا الوجه الملائكي !! لعل الله أرسلها الينا لتبدل شقائنا بالسعادة

ثم التفت الى الطبيب وقال له . — ألا تعيش هذه الفتاة؟

— لا أعلم ولكن اذا بقيت هنا هل يوجد من يعتني بها؟

فهتفت الذئبة قائلة : — انهم يقتلون هنا

فقال لها مرسيال : اسكتي !! اسكتي !!

فنظر الكونت والطبيب الى الذئبة مدهوشين وهمس الطبيب في اذن رفيقه قائلا — لا أعجب مما أسمع عن أهل هذا البيت فان أمرهم مشهور في هذه الجهة

فقال الكونت لمرسيال — هل اعتدى عليك احد من أهل هذا البيت ؟ ومن جرحك هذه الجراح ؟

— ليس الامر ذا بال انني تشاجرت هنا مع بعض الناس فجرحت . أما هذه الفتاة القروية فلا يمكنها أن تقيم هنا لاننا أنا وزوجتي سنرحل وسنستصحب معنا هذين الولدين وهما أخي وأختي ونهجر هذه الجزيرة ولا نعود اليها قط

فأشار الطبيب الى زهرة مريم وقال — ما الحيلة اذن؟ اذ لا يمكن الآن نقل الفتاة الى باريس وهي على هذه الحالة ولكن بيتي قريب من هنا فاذا نقلناها اليه تعتني خادمتي وابنتها بها

ثم التفت الى الكونت وقال له وبما انك تهتم لهذه الفتاة فيمكنك مراقبتها وانا اعودها كل يوم

فاجابه الكونت : — يالها من تعسة فكلما ازددت فيها تأملا ازددت اليها ميلا

فاقتربت الذئبة من الكونت وقالت

— خير ماتفعل ياسيدي ان تكون معينا لهذه الفتاة المسكينة فانها تستحق حسن عنايتك

فقال لها الكونت : — هل تعرفينها ؟

— كيف لا اعرفها وهي السبب في سعادتي فانني بانقاذها من الغرق لم اف بعض مالها من الجميل

— وهل تعرفين من هي؟

— هي ملاك من ملائكة السماء فلم أر أفضل منها بين كل النساء اللواتي عرفتهنّ فلا تنظر الى ملابسها القروية

— انها ليست قروية اذن ؟

— كيف يمكن ان تكون قروية ولها هاتان اليدان العاجيتان؟

— صدقت ولكن الا تعرفين على الاقل اسم عائلتها ؟

وقبل أن تجيب الذئبة على سؤال الكونت قال لها الطبيب

— لقد أزف الوقت ولا بد لنا من نقل هذه الفتاة الى القارب والذهاب بها الى بيتي

وبعد نصف ساعة كانت زهرة مريم ملقاة على سرير نظيف في بيت الطبيب جريفون وهي لاتزال فاقدة الرشد وحولها خادمة الطبيب وابنتها والذئبة يعتنين بها وذهب مرسيال الى باريس مستصحباً معه فرنسوا وامندين وعاد الكونت الى باريس أيضاً بعد ان وعد الذئبة بالعودة عنده

المساء لعيادة زهرة مريم

وأصبحت جزيرة الرفاجور قفراء

## الفصل التاسع والثلاثون

## « البومة »

بينما كان توماس سيتون شقيق الكونتس ساره ماك جريجور يتمشى في أحد الشوارع القريبة من ساحة المرصد وعلامات القلق بادية على وجهه رأى البومة مقبلة عليه . وكانت تلك الحيزبون القبيحة الصورة لابسة قبعة بيضاء وشالاً أحمر وحاملة في ذراعها سلا من القش فيها خنجراً حاداً وهو الذي كان تحت رداء معلم المدرسة وأراه لرودلف حين دخل واياه والعوراء خمارة الارنب الابيض كما يذكر القارئ

ولكن توماس لم يرَ ذلك السلاح فلما دنت العجوز منه قالت له

— ها ان ساعة لكسمبور تدق الثالثة فلم أتأخر دقيقة عن الميعاد المضروب

فقال لها — اتبعيني

ومشى امامها وولج زقاقاً مقفراً ضيقاً قريباً من شارع

كاسيني وفتح باباً صغيراً ودخله وأشار الى البومة ان تتبعه وبعد ان مشيا بضع خطوات في ممشى يظلله صفان من الاشجار قال توماس — انتظري هنا

— ثم ذهب وبقيت البومة وحدها فاخذت تناجي نفسها قائلة — لعل انتظاري لا يطول هنا اذ يلزمني ان اجتمع بنقولا مارسيال وأمه وأخته في خمارة براروج للفتك بسمسارة الجواهر

وكان هذا الفكر ذكرها بالخنجر الذي معها فنظرت اليهِ وأخفت ما كان ظاهراً منهُ وعادت فقالت في نفسها

— هذا خنجر معلم المدرسة وكم مرة طلبه مني ليقتل به الفيران التي تداعبه في القبو المسجون فيه أما أنا فلا ألوم تلك الفيران لانها لا تجد سواه للتسلية واضاعة أوقات الفراغ ولكن لا بأس من ذلك فانهُ سينال نصيبهُ من قيمة الجواهر التي نأخذها من السمسارة وهي لا تقل عن ثلاثين الف فرنك فسيكون يومنا مباركاً . . . أما وكيل الاشغال جاك فيران الكاذب فلم ينقدني المال الذي كنت أطمع به رغم تهديدي ووعيد. ولكنه ان ظلّ على عناده ولم يرضي بالمال اطلع

ذوي الشأن على حقيقة امره وأخبرهم بان خادمتـه هي التي سلمتني المغنية على يد تورنمين حينما كانت طفلة وهكذا أعلمه أن لايقول لي مرة أخرى .. « انك عجوز كاذبة فاذهبي من بيتي » ثم بدت من البومة التفاتة الى الجهـة التي ذهب منها توماس سيمون وعادت فقالت

— اني أرى امرأة قادمـة ... عجباً ! .. هي نفس الامرأة التي رأيتها في خمارة بونيس متخفية في ذي رجـل وكانت في تلك الليلة مع الذي أتى بي الى هنا وحاولنا ان نسرقه أنا ومعلم المـدرسـة عند البيت الخرب الكائن بالقرب من كنيسة نوتردام

وفي الحقيقة كانت المرأة القادمة هي سارة ماك جريجور بعينها ولما عجزت هـذه المرأة من استمالة رودولف اليها ارادت ان تكيد له مكيدة وهي أن تقنعه بان ابنتهما لم تمت ولكي يصدق هذا الخبر صممت على أن تجد فتاة يتيمة تدعي انها ابنتهما

ويعلم القارىء ان جاك فيران رفض أن يكون له يد في هذه المكيدة على رغم تهديد ساره ولذلك صمم على قتل

زهرة مريم ليتخلص من تهديد الكونتس والعوراء

غير أن الكونتس لم تعدل عن عزمها على رغم عناد فيران وفكرت انها متى وجدت فتاة يتيمة تقوم مقام ابنتها يضطر الى مجاراتها على افكارها

فبعد سكوت وجيز قالت ساره للعوراء — هل أنت حاذقة ومحافظة على السر ؟

- نعم اني احذق من القردة وثابتة العزم كالكلب واكتم على السر من القبر على شرط أن أنال مكافئة حسنة

- هل لك معرفة بقوم من البؤساء ؟

- نعم وهم اكثر من أصحاب الملايين في باريس

- انني في حاجة الى فتاة يتيمة جميلة الصورة حسنة الخلق لا يتجاوز عمرها السابعة عشرة فقدت ابويها منذ نعومة أظفارها

فنظرت البومة الى سارة بدهشة وقالت لها - كيف ذلك ياسيدتي هل نسيت المغنية ؟ فان صفاتها تنطبق على ماذكرت فاشور عليك أن تأخذيها بعد خروجها من سجن سان لازار واعلمي ان هذه الفتاة كانت في السادسة من عمرها حينما اسلمها الي جاك فيران منذ عشر سنين وارسلها الي مع رجل يدعي تورنمين

هو الآن في سجن روشفور وقد قال لي أنها فتاة نبذها ذووها ليتخلصوا منها

فانقلبت هيئة الكونتس وهتفت قائلة بصوت مضطرب

- ماذا تقولين أهل أسلم جاك فيران هذه الفتاة اليك و.

ولم تستطع ان تتم عبارتها لشدة الانفعال فارتعدت مفاصلها ومدت يديها الى البومة محملقة بعينيها فقالت لها هذه

- لا ادري ياسيدتي ما السبب في اضطرابك هذا فان ماقلته لك بسيط وهو انه منذ عشر سنين جاءني رجل يدعى تورنمين وقال لي : « اتريدين أن تتكفلي بفتاة صغيرة يريد ذووها التخلص منها ؟ ماتت أو عاشت على حد سوى وتأخذين على ذلك الف فرنك وتفعلين بالفتاة ماتشائين »

- منذ عشر سنين ؟

- نعم

- فتاة صغيرة شقراء ؟

- نعم

- ذات عينين زرقاوين ؟

- زرقاوين بلون السماء

- وهي التي كانت في مزرعة انرافاجور؟

- وقد اختطفناها من هناك وادخلناها سجن سان لازار

فجثت ساره على ركبتيها ورفعت يديها الى السماء وصرخت قائله — ياربّاه ! انني لا اصدق ما اسمع

ثم استوت واقفة وقالت للبومة - اتبعيني

ومشت الكونتس امامها مسرعة ولما انتهت الى آخر الممشى صعدت سلما قصيراً مؤدياً الى قاعة فسيحة حسنة الرياش ولما ارادت البومة أن تدخل تلك القاعة اشارت اليها الكونتس أن تبقى واقفة عند الباب

ثم دقت جرساً فجاءها للحال خادم فقالت له - لا تسمح لأحد بالدخول عليّ أيا كان

فأحنى الخادم رأسه وانصرف واذ ذاك اشارت الكونتس الى البومه بالدخول وأغلقت خلفها الباب ثم أخرجت من خزانة صندوقاً صغيراً من خشب الابانوس ووضعته على منضدة وأومت الى البومة أن تدنو منها ثم فتحت الصندوق وأخذت تقلب ما فيه من الحلي والحجارة الكريمة مما ادهش البومة وكانت هذه مسلحة بالخنجر المعهود ولا رقيب عليها والسبيل

الى الهرب سهل فخطر لهـا خاطر شيطاني وفي تلك اللحظة اخرجت الكونتس من الصندوق صورة وادنتها من البومة وقالت لها ـ انظري هذه الصورة

فبدت الدهشة على وجه البومة وهتفت قائلة

— هذه هي بجريوت بعينها الفتاة الصغيرة التي أسلموها اليّ منذ عشر سنين فكاني أراها حين أتاني بها تورعين هكذا كان شعرها الذهبي الذي قصصته وبعته بثمن غال

— هل عرفتها وهل هي بعينها ؟ ناشدتك الله أن تقولي الحق

— صدقيني ياسيدتي هذه هي بجريوت بعينها حتى انها الآن تشبه هذه الصورة ولو رأيتها لاخذ منك العجب

وبينما البومة تتكلم كانت تدنو من الكونتس شيئاً فشيئاً أما هذه فلم تكن تفكر الا في أمر واحد وهو ان وجود هذه الفتاة يكون سبباً في عود رودلف اليها لانها زوجته الشرعية وصارت تؤمل بتاج الملك بعد أن كادت تيأس منه

أما البومـة فظلت تدنو من الكونتس حتى صارت على بعد خطوتين منها ووضعت يدها على قبضة الخنجر فلم تلحظ

الكونتس شيئاً من ذلك بل نظرت الى البومة وقالت لها

— هل تحسنين الكتابة ؟

قالت ذلك وفتحت محفظة للورق كانت هناك والى جانبها دواة فاجابتها البومة — لا يا سيدتي

— املي علي اذن وانا اكتب واذكري لي كل ما تعرفينه عن هذه الفتاة

ثم جلست ساره الى مكتبة صغيرة كانت هناك وأخذت قلما وأشارت الى البومة أن تقترب منها فابرقت عينا العجوز واقتربت من ساره فقالت لها هذه سأقرأ كل ما تملينه علي ليمكنك أصلاح ما يقع من الغلط

— لك ما تريدين ياسيدتي

قالت البومة ذلك وهي لا تزال قابضة على الخنجر وبدأت الكونتس بكتابة ما يأتي

« اشهد انه في شهر فبراير عام ١٨٢٧ جاء المدعو ... »

— نسيت اسم الرجل الذي اتاك بالفتاة

— اسمه بطرس تورنمين

« بطرس تورنمين المسجون الآن في سجن روشفور

واسلم اليّ فتاة صغيرة اخذها من مدبرة منزل ... »

وقبل أن تتم الكونتس كتابة الجملة انقضت عليها البومة واطبقت على عنقها بيدها الشمال وأحنت رأسها على المكتبة وضربتها بالخنجر بين كتفيها بأسرع من لمح البصر حتى ان الكونتس لم تنبث ببنت شفة وظلت في ذلك الوضع رأسها محني على المكتبة ووقع القلم من يدها

فقالت البومة في نفسها — لقد طعنتها نفس الطعنة النجلاء التي قتل بها معلم المدرسة ذلك الشيخ على طريق رول ولا ريب عندي ان هذه المرأة فارقت الحياة

ثم أخذت كل الحلي والجواهر التي اخرجتها الكونتس من الصندوق الصغير ووضعتها في جيوبها ولكنها لم تنتبه ان ساره لم تمت ولا تزال تتنفس ثم فتحت الباب وولت هاربة وبعد ان قطعت الممشى خرجت من باب الحديقة الى مكان مقفر قريب من ساحة المرصد وركبت هناك عربة ذهبت بها الى خمارة براروج في ساحة الشنزليزيه ويعلم القارئ انها كانت وعدت ارملة مرسيال وابنها نقولا وبنتيها كليباس وبريليون بأن توافيهم الى هناك ليتعاونوا على قتل سمارة

الجواهر وسلبها

أما جماعة مرسيال فلما كانوا وصلوا بعد الى خمارة براروج التي عرفها القارئ

ومنذ ذهب بردامنتي مع زوجة الكونت دوريبني الى نورمنديا عاد الغلام الاعرج الى خمارة أبيه وفي ذلك اليوم أقام عند أول سلم الخمارة ليعلن قدوم جماعة مرسيال بنداء خاص وكان أبوه براروج داخل الخمارة مختلياً الى رجل من رجال الشرطة يدعى ارسيس بوريل وهو ربعة يناهز الاربعين عريض الكتفين قوي العضل ويعد من احسن رجال الشرطة في ذلك العهد وكان الجدال محتدماً بينه و بين براروج واليك مادار بينهما من الحديث : قال الجندي

— نعم انك متهم باتخاذ هذا المكان لتأوي اليه زمرة من اللصوص وتقاسمهم مايسرقونه وتضل عنهم رجال الشحنة فكن على حذر يابراروج لانه ان ثبتت هذه التهمة عليك تكون عاقبة أعمالك وخيمة ولا يرحمك احد

فأجاب براروج بلهجة تنم عن الدهاء : — نعم اعلم لسوء حظي ان هذه التهم موجهة اليّ ولكن اؤمل ياعزيزي

نرسيس انهم ينصفونني اليوم ويعترفون بحسن طويتي

— سوف نرى

— الست انا الذي سهلت عليكم القبض على امبرواز مرسيال وهو متلبس بالجناية وارحتكم من اشر لصوص باريس ؟

— نعم ولكن امبراوز كان عالماً باننا سنهاجمه لنقبض عليه ولو لم اذهب الى المكان الذي كان فيه قبل الميعاد الذي حددته له بساعة كاملة لكان أفلت من بين يدي ولما هاجمته اطلق على غدارته فاخترق رصاصها ذراعي ولو انه أصاب مني مقتلا لكنت الآن تحت الارض

— ومن حسن الحظ أيضاً ياعزيزي نرسيس ان رجلاً ذا دهاء وحيل مثلك يتمكن بواسطة خبير مثلي من مفاجئة جماعة من اللصوص في مكمنهم والقاء القبض عليهم دون أن يفلت منهم أحد كأنهم الفيران في المصيدة

— لقد وعدتنا كثيراً بمساعدتنا على مفاجأة تلك العصابة ولم تبر بوعدك

— واذا قمت بوعدي اليوم ومكنتكم من القبض على بريليون وأرملة مرسيال وابنها نقولا وابنتها كليباس والبومة

هل تحسنون الظن بي وتكافئوني على هذه الخدمة ؟

- لاشك اننا نحسن فيك الظن اذا قمت بهذا العمل لان القرائن تدل على ان هذه العصابة تعيس في باريس فساداً ولكن ليس لدينا أدلة كافية لاثبات التهمة عليها

- واذا مكنتك من مفاجأة هؤلاء اللصوص وهم متلبسون بالجناية ألا يكون ذلك دليلا كافيا لاثبات التهمة ؟

- بلا شك . وهل تؤكد لي أنك لست شريكهم في الجناية التي يريدون ارتكابها ؟

- نعم أؤكد لك ذلك . فان البومة هي التي جاءت اليَّ وسألتني أن أدعو السمسارة الى خمارتي بعد أن أخبرها ابني الاعرج ان موديل الصقال لا يصقل الجواهر الكاذبة كما أشاع في حي التأميل بل الجواهر الحقيقة فرضيت أن استدعيها ولكن تحت شرط أن يشاركنا في العمل أرملة مرسيال وابنها وابنتها وبريليه فيكونوا مجتمعين فنلقي الشبكة عليهم مرة واحدة

- ومعلم المدرسة ذلك الوحش الضاري القاتل الذي لا يفترق عن البومة ؟

فتظاهر براروج بالعجب وأجاب : معلم المدرسة ؟؟

- نعم ذلك الشقي الذي فر من سجن روشفور وكان محكوما عليه بالاشغال الشاقة المؤبدة واسمه الحقيقي انسيلم دوريسفل ويقال انه شوه وجهه بعد فراره من السجن لكي لايعرفه احد . ألا تعلم شيئاً عنه ؟

- كلا لا أعرف من هو ولا أين هو

وفي تلك الساعة كان معلم المدرسة في قبو خمارة براوج ولكن مصلحة هذا الداهية كانت تقضي بعدم اطلاع نرسيس على الحقيقة فعاد الجندي وقال

- من المرجح ان لمعلم المدرسة يداً في حوادث القتل الاخيرة ولذلك يعد رجال الشرطة القبض عليه فوزاً عظيما .. على اننا ان لم ننل هذه الامنية فلا أقل من القبض على الآخرين

- كن على يقين من انني سأجعلك تقبض عليهم لانهم سيجتمعون بعد ساعة هنا ولا يكلف الامر شديد عناء لان بينهم ثلاث نساء

وقطع براوج حديثه بغتة اذ سمع صوت صفير الاعرج فدنا من النافذة ليرى القادم الذي ينبهه اليه ابنه وقال للجندي

— هاهي البومة قادمة ... فهل صدقت الآن مقالي؟

— هذا جزء من البرهان المقنع فلا بد من الباقي . . .
ولا بدَّ لي الآن من الذهاب لاستحضار رجالي. وخرج نرسيس من الخمارة دون أن تراه البومة . اما هذه فكانت تعدو مسرعة لشدة ما كانت فيه من الاضطراب بعد الجريمة التي ارتكبتها ولما دنت من الخمارة قابلها الاعرج وصار يحوم حولها متهللاً فرحاً ولما نزلت السلم المؤدي الى الخمارة تبعها وبينما هي في منتصف السلم داس طرف ثوبها فوقعت على ركبتيها فخرج من جيبها سوار من الذهب وبعض اللؤلؤ والحجارة الكريمة فالتقطتها بسرعة واعادتها الى جيبها ووثبت على الاعرج وزبد الغيظ معقود على شفتيها وأمسكته من شعره وعضت خده فسال منه الدم فلم يصرخ على رغم تألمه بل مسح الدم عن وجهه وقال للبومة متكلفاً الابتسام — كنت اود ان لا تقبليني بهذه الشدة ياعمتي البومة

— تباً لك من خبيث ! لماذا دست طرف ثوبي واوقعتني
— انا ؟؟ اقسم لك ياعمتي البومة بانني ماتعمدت ايقاعك. ولا ادري لماذا تسيئين بي الظن ؟ اما انا فاظل أحبك مهما الاقيه منك من الاهانة واللطم وابقى لك أطوع من كلبك . فانطلت

على العوراء حيلة ذلك الغلام الخبيث وصدقت كلامه فاجابته

- لابأس من العضة التي ذقت طعمها ولو كنت لا تستحقها الآن فهي قصاص لك على مافرط منك في الماضي . فلا تحقد عليّ وقل لي اين ابوك

- مازال في البيت فهل تريدين أن اذهب واستدعيه ؟

- لا ... وهل جاءت جماعة مرسيال ؟

- لم تأت بعد

- يمكنني اذن النزول الى القبو لارى معلم المدرسة فان لي كلاماً معه

فاجابها الاعرج وهو يكتم سروره بذلك الخبر

- يجدربك أن تأخذي رزمة من ورق اللعب «الكوتشينا» وتهديها لمعلم المدرسة ليقتل الوقت باللعب اذ ليس له سلوى في القبو سوى الفيران التي تحوم حوله ويشعر بها حين تعض جلده

فضحكت البومة حتى كادت تستلقي على ظهرها وقالت للاعرج

- ما اخبثك أيها الشيطان ما كنت أعهد فيك مثل هذا

الذكاء . وبما انك تحسن الحديث الى هذا الحد فاسمح لك بالنزول معي الي القبو لزيارة معلم المدرسة فاذهب وآتني بشمعة نستضيء بها . ثم انك تعاونني على فتح الباب لانه ثقيل ولا استطيع تحريكه وحدي

فهز الاعرج رأسه واجابها - لا رغبة لي في النزول معك الى القبو فان الظلام حالك هناك

— ماذا تقول ? هل أنت جبان ? ألا تستحي ? اذهب حالاً وآتني بشمعة وقل لابيك انني سأعود اليه بعد حين

ولما ذهب الاعرج ليأتيها بالشمعة طفقت تخرج الحلي والجواهر من جيوبها ثم صرتها في منديل وكان غرضها من النزول الى القبو أن تخفي فيه تلك المسروقات وليس لتعذيب معلم المدرسة مثل عادتها وما لبث الاعرج ان عاد بالشمعة ونزل وتبعته البومة واتجها نحو مدخل القبو الذي لا يزال القارىء يذكره ونزلا السلم الحجري ولما فتحا الباب شما رائحة هواء رطب عفن خارج من ذلك القبو المظلم وسمعا صوت زفير فقالت البومة بلهجة التهكم - هذا صوت معلم المدرسة انه يحيي أمه البومة

ثم نزلت بضع درجات وارادت ان تخفي صرة الحلي والجواهر في زاوية من القبو فسمعت معلم المدرسة يقول

— اكاد اموت جوعاً فهل يريدون ان اموت ميتة الكلب

فضحكت البومة مقهقهة وقالت

— انت جائع يا (بيبه) ؛ مص اصبعك يانونو

فسمعت اذ ذاك صوت تنهد عميق وصرير اسنان فقالت

— ان معلم المدرسة يقمز في مكانه كانه كلب مربوط

قالت ذلك واستترت وراء السلم حيث اخفت صرة الحلي والجواهر في حفرة مظلمة وجدتها في الحائط ثم عادت وقالت لمعلم المدرسة

— أتدري لماذا اعذبك يا عزيزي ؛ لانك اظهرت طيبة لم أكن اعهدها فيك ليلة كنا عائدين من مزرعة سوقاجير بعد أختطاف الفتاة فانك منعتني اذ ذاك من تشويه وجهها بماء النار وقلت لي ان ضميرك تعلم الكلام وصار يوبخك بعد ان كان اخرس اصماً وصرنا نخاف انا ورفاقك في القتل واللصوصية من أن يدفعك ضميرك الى افشاء أسرارنا فنهلك جميعاً و . . .

وقبل ان تتم البومة عبارتها قال لها الاعرج

— بما ان هذا الاعمى جائع فاسمحي له أن يأ كل شيئاً من لحمك

ثم انه دفعها بغتة بكل قواه فوقعت على وجهها عند قدمي معلم المدرسة وهتف الاعرج قائلاً

— ها هي تحت يدك ياعمي فلاتدعها تفلت منك

ثم انه ذهب الى وراء السلم واخذ صرة الحلي والحجارة الكريمة وولى مسرعاً وهو يقهقه فرحاً ويقول — لقد أخذت بثاري أيتها البومة اللعينة وهذه الصدمة التي صدمتك اياها تعادل العضة التي ادميت بها خدي واظن انك بعد اليوم لن تمضيني قط

وسمع صوت هائل خارج من القبو وهو صوت معلم المدرسة فلما أحس هذا ان البومة اصبحت تحت يده قبض على عنقها وصرخ قائلاً بصوت مرتجف وهو يحرق الارم

— لقد ساعدتني الاقدار وقبضت عليك ياابنة الاشرار

فوقف الاعرج عند أعلى السلم ونادى معلم المدرسة وقال له — ن كنت قابضاً عليها أرجوك أن تشقها الى

الى نصفين متساويين

وظل واقفاً ينصت فسمع البومة تقول بصوت مختنق

— ادركوني . ادركوني!!

وسمع معلم المدرسة يقول — أشكرك ياأعرج شكراً جزيلا لانك مكنتني من القبض على عنق هذه الخائنة الغادرة

وبعد أن زفر معلم المدرسة زفرات ارتجت لها أركان القبو قال للبومة — انني أغفر لك كل ذنوبك الي ولكني أجازيك سأسمعك صوت يوم الموت أيتها البومة فاسمعي اسمعي

فضحك الاعرج ـ وقال ما أجمل هذا التشخيص اني أنا هنا في لوج من الدرجة الاولى (بينوار)

ودار العراك بين معلم المدرسة والبومة وكان عراكا خافتاً بلا صوت ولا صراخ ولم يكن يسمع من حين لآخر سوى شهيق الخصمين وزفيرهما ثم قال معلم المدرسة للعوراء

—مهما عضضت يدي أظل قابضاً عليك مثلما اريد

ولما تمكن منها قال لها اصغي اليّ الآن أنني ..

وقبل أن تسمع كلام معلم المدرسة صرخت قائلة

— ادركني يا أعرج ناد والدك ليأتي وينقذني من يد

هذا الوحش

ولما لم يجاوبها الاعرج وتحققت من أنها لا تنال فرجاً على يده لتحامله عليها قالت له

— اذا ناديت أباك وانقذتني من هـذا الاعمى أعطيك صرة مملوءة من الحلي والجواهر وهي هنا عند السلم

فأجابها الغلام وهو يضرب بيده على الصرة التي سرقها ليسمع العوراء صوت ما فيها وقال لها

— انك بلهاء يابومة فالصرة التي تفاخرين بها أصبحت ملكا لي وهاهي بين يدي فاسمعي رنة مافيها من الذهب

وعاد معلم المدرسة الى اتمام حديثه فقال للبومة بعد أن سد فمها باحدى يديه — الآن يمكنك أن تصغي اليَّ دون ان تزعجيني بصراخك اذ لا اريد قتلك حالا بل أريد تعذيبك كما عذبتني ولا بد أن أطيل معك الحديث قبل أن اقتلك وكلما طال يطول عذابك وترين الموت بعينيك

فهتف ابن براروج قائلا من اعلى السلم ولم يكن يتصور أن معلم المدرسة يريد قتل البومة فعلا

— برافو برافو قد بدأ الفصل الاول من الرواية

تم الجزء السادس ويليه الجزء السابع

# الفكاهات العصرية

مجلة روائية أدبية تاريخية

لصاحبها

عبد الله غرابه

| السنة الاولى | العدد ٢١ |
| --- | --- |

روايات يثوب الكهل منها بتفكهة وتخلية لفكر

ويقرأها الفتى فيطيب نفساً بما يلفيه من خَبر وخُبر

خليل مطران

وانت ياعمتي البومة لماذا لا تجيبين؟ انك لم تحفظي دورك في التشخيص فكأني الشيطان الرجيم ان يلقنك

وبعد سكوت وجيز عاد معلم المدرسة فقال للعوراء

— مهما تململت ومهما مزقت يديَّ بأنيابك فلا يمكنك ان تفلتي مني فلنعد الى الحديث

فتنهدت البومة تنهداً خرج من اعماق صدرها فقال لها الاعرج — ارفعي صوتك في التشخيص فانه غير مسموع

وعاد معلمّ المدرسة الى حديثه فقال للبومة

— نعم انني ابكي لشدة الالم ولكن البكا لا يجديني نفعاً فما هي حياتي الآن انها عذاب متواصل اليس الموت أهون من ان أدفن حياً في هذا المكان وانا أعمى ولا أسمع صوت مخلوق ؟ فأية قوة تمنع عني وخز الضمير؟ انك تتعجبين ياعوراء لهذا الكلام فلو انني بقيت متبعاً سبيل الضلال وعاكفاً على الفتك بأرواح العباد لما كان حصل فيَّ هذا الانقلاب ولما أصبحت أكره الشر. ولا أريد ان أسفك دمك ولو ان الناس يعذروني على ذلك فقد كفاني مااراه من خيالات الارواح الثلاث التي أهلكتها ومن يعلم ؟ لعلك في المستقبل

تتوبين عن خطاياك وتندمين

وبعد أن فاه معلم المدرسة بهذه العبارة خفف الضغط على البومة فلما تمكنت من تحريك يديها أخرجت من تحت رداتها الخنجر وطعنت به معلم المدرسة لتتمكن من الافلات من بين يديه فصرخ هذا صرخة دوت لها اركان القبو فعاودته شراسته الوحشية وتغلب عليه ميله الى سفك الدماء فهتف قائلا بصوت مرتجف لشدة الغضب

— ويل لك ياشقية ويل لك ايتها الافعة لا بدلي من سحق رأسك وأول ماأفعله للانتقام منك هو ان افقاء عينيك لتصبحي عمياء مثلي

فصرخت البومة صراخاً مخيفاً فارتعدت فرائص الاعرج فنهض قائماً وكأن صراخ البومة زاد هياج معلم المدرسة فقال بصوت منخفض

— انعبي الآن يابومة انعبي وغني غناء الموت ماسعد حظك لانك ماعدت ترين خيالات الثلاثة الابرياً الذين قتلتهم معي وهم الشيخ الذي خنقناه على طريق دول والمرأة التي اغرقناها وتاجر الابقار الذي ذبحناه. أما أنا فاراهم على الدوام

وهاهم يقتربون مني ويلمسونني ... آه. آه ! ان أيديهم باردة كالثلج

ومنذ تلك اللحظة فقد معلم المدرسة صوابه وجن لهول ماقاساه من العذاب والآلام في ذلك القبر الذي دفن فيه حياً فلم يعد يتكلم بل صار يزأر كالوحش الكاسر وامسك البومة بكلتى يديه وصار يرفعها ويضرب بها الارض فتتكسر عظامها فيسمع لتفتتها صوت تقشعر له الابدان وكلما تأوهت ضحك ضحكاً يقف له شعر الرأس وعقب ذلك صوت حشرجة ثم ساد السكون في ذلك الظلام الدامس واذ ذاك سمعت أصوات ووقع أقدام من الخارج ثم سطعت انوار مصابيح وأضاءت القبو

والتفت الاعرج وهو يرتعد فرقاً لهول تلك المعركة التي سمعها فرأى أناساً قادمين يحملون مصابيح مهرولين مسرعين وهم رجال الشحنة وكان في مقدمتهم نرسيس بوريل فقبضوا على الغلام الاعرج وفي يده الصرة التي سرقها من البومة ثم نزلوا الى القبو ولما قتربوا من معلم المدرسة رأوا منظراً ارتعدت له فرائصهم : أبصروا معلم المدرسة مقيد بسلسلة غليظة مربوطة

في عامود من الحجر وشعر رأسه مبعثر ولحيته طويلة والزبد معقود على فمه ولا يستر جسمه سوى اطمار بالية تقطر دماً وكان يدور حول العامود المقيد فيه كالوحش الكاسر ويجر خلفه جثة البومة وكانت عظام رأسها مكسرة والنخاع بارز من بين شظاياها . ولم يتمكنوا من أخذ الجثة من بين يديه الا بعد جهاد طويل ثم شدوا وثاقه وعانوا في ذلك مشقة لا توصف ثم تعاونوا على حمله وصعدوا به الى الخمارة وكان هنالك بربيليون ونقولا مرسيال وأمه واخته مقيدين بالسلاسل وقد هاجمهم رجال الشحنة وهم على وشك الفتك بسمسارة الجواهر وسلبها . وكانت هذه في غرفة أخرى مغمياً عليها

أما باروج فلم تغنه خيانة رفاقه شيئاً فان رجال الشحنة قيدوه أيضاً بالسلاسل بأمر نرسيس بوريل لعلمه انه شريك تلك العصابة في كل ما ارتكبته من الجرائم في باريس وضواحيها وكان ابنه الاعرج واقفاً الى جانبه مشدود الوثاق ولكنه غير مبال فنظر اليه والده وقال وهو يتباكى

— ماهذا المصاب الاليم ! ويلاه ! ويلاه كيف يمكنني أن افترق عن ولدي هذا العزيز اذ انهم سيذهبون به الى

سجن الاحداث؟

ثم التفت الى أرملة مرسيال وقال لها . — ان مصابنا واحد فكل منا سيكون في سجن وولده في سجن آخر

فاضطربت ارملة مرسيال ظهراً لبطن وذكرت خيانة براروج لولدها المسجون فتفلت في وجهه وقالت له

— لاشك في انك خنت ولدي سجين طولون والمرجح عندي انك انت الذي خنتنا اليوم جميعنا حتى القوا القبض علينا على أن جماعة مرسيال لايهابون العقاب ويموتون موت الابطال

فقالت ابنتها كاليياس — نعم اننا نضع حبل المشنقة في اعناقنا بايدينا ونحن باسمون

وبعد ساعة من ذلك الحادث سيقت الارملة وابنتها كاليياس الى سجن سان لازار وزج بريليون ونقولا وبراروج في سجن الفورس والغلام الاعرج في سجن الاحداث ودفنت جثة البومة وأرسل معلم المدرسة الى مستشفى المجاذيب

## ﴿ الفصل الاربعون ﴾

### « تقديم سيسيلي الى جاك فران »

وبعد بضعة أيام مرت على الحوادث التي تقدمت ذهب رودلف الى بيت شارع التامبل وكانت همته منصرفة الى تدبير مكيدة لجاك فران كما يعلم القارىء ليوقعه في أحبولة ويقف على كل اسراره وجرائمه ويضطره الى التكفير عنها ثم يعاقبه عقاباً اليماً

ولكي يصل رودلف الى غايته ظل يسعى حتى أخرج سيسيلي زوجة طبيبه داود من السجن وأتى بها من المانيا الى باريس وماكادت تطيء قدمها هذه العاصمة حتى تلقاها البارون جرون وأوضح لها المهمة التي أتت لاجلها

وقد علم القارىء أن زوجة البواب بيبليه أغرت سيرافين (المرحومة) على ادخال سيسيلي في خدمة جاك فيران بناء على ارشادات رودلف وان سيرافين وعدت بمفاتحة جاك فران في هذا الامر

وفي صباح اليوم الذي غرقت فيه سيرافين كلمت فيران بشأن سيسيلي وأفهمته أنها حائزة على كل الشروط التي يطلبها

وهي انها يتيمة فقيرة غريبة عن البلاد . وكان قصد رودلف من ذهابه الي بيت شارع التامبل مقابلة زوجة البواب ليقف منها على نتيجة تقديم سيسيلي الى جاك فيران

فلما ابصرته مدام بيبليه لاقته باسمة الثغر وحيته باحسن تحية وقالت له — ما اسعدني بلقاك يا ملك السكان

— بورك فيك يا عمتي انسطازي . اتيت استعلم منك عما كان من أمر سيسيلي وعن نتيجة الـ ...

— كفى كفى عرفت المراد . فارجوك أن تصغي اليّ اذ أن لديّ أخباراً كثيرة يلزمني اطلاعك عليها فاعلم أولا أنهم القوا القبض على العمة بوريت صباح الامس

— الساكنة في الطابق الثاني التي تسلف نقوداً على رهونات؟

— نعم والسبب في ذلك على ما يقال انها لم تكن (فايظجية) فقط بل كانت تبتاع المسروقات من اللصوص وكانت هي أيضاً من أكبر اللصوص . والاغرب من ذلك أن رجال الشحنة قبضوا أيضاً على براروج مستأجر هذا البيت كله وقد احدث هذا الخبر ضجة عظيمة في البيت

— ماذا تقولين ! هل أنت واثقة من صحة الخبر ؟ هل

قبضوا حقيقة على باروج ؟

— نعم قبضوا عليه في خمارته في ساحة الشانزيليزيه وعلى ابنه الاعرج الخبيث وزجوهما في السجن . ويقال أن رجال الشحنة وجدوا في تلك الخمارة عدداً عديداً من اللصوص كانوا على وشك الفتك بمدام ماتيو سمسارة الجواهر . ووجدوا البومة صديقة العمة بوريت مقتولة في قبو الخماره . فماذا تقول في كل هذه الاخبار ياملك السكان ؟؟

فنكس رودلف رأسه الى الارض وناجى نفسه قائلا والعجب آخذ منه

— قتلت البومة وسجن باروج فنالا مايستحقان وأخذ الله بثار المغنية المسكينة

وبعد سكوت لم يطل عادت مدام بيبليه فقالت

— ثم ماخلا الاخبار التي ذكرتها الذي خبر آخر مهم جداً

— ماهو؟

— قد غرقت سيرافين مدبرة بيت جاك فيران بينما كانت تتنزه في قارب مع احدى أقاربها

فدهش رودلف وأجاب ـ ماهذا الخبر؟ غرقت سيرافين في

السين !! كانت تتنزه !! كيف تكون مثل هـذه النزهـة في فصل الشتاء

- هذا ما يقال . اما انا فقد أدهشني الخبر أكثر مما أحزنني لاني صرت أكره سيرافين منذ أساءت الى تلك الفتاة المسكينة لوبز ابنـة موريل ... وآخر أخباري يا سيدى رودلف هو ان المسيو فران قابل سيسيلي التي يهمك أمرها

- وهل أعجبه جمالها ؟

- هل يمكن لانسان أن يعرف شيئا من هيئة هذا الرجل وعيناه مستورتان بنظارته السوداء ؟

ولا اظن ان رجـلا ورعا مثل المسيو فران يهتم كثيرا بالنساء وجمالهن . ومع هـذا يخال لي انني رأيته انتفض من على كرسيه حين دخلت أنا وسيسيلي عليه وقبل أن يفوه بكلمة فاجأته بالحديث وقلت له

« لا تؤاخـذني يا سيدي على تقـديم ابنة أخي اليك بملابس بلادها الالزاسية لانهـا وصلت اليوم الى باريس وليس لديها سوى هذه الملابس وقد أتينا لنشكرك على انك قلت لسيرافين بانك تتنازل وتسمح لسيسيلي بمقابلتك بعـد

الذي سمعته من أوصافها الحسنة . على اني لا أظن يا سيدي ان ابنة أخي هذه تصلح لخدمتك

فجلس فيران الى جانب الموقدة واجابني وهو ينظر الينا من فوق نظارته: «لماذا لا تصلح هذه الفتاة لخدمتي؟» فاجبته «لانها ما كادت تطأ قدمها باريس حتى شعرت بكره زائد لهذا البلد وصارت تتمنى أن تعود الى بلادها ولو اضطرت الى التسول على الطريق» فاجابني وهل تسمحين أنت بذلك الا تعلمين بانك ان تساهلت وسمحت لهذه الفتاة بالعودة الى بلادها على الطريقة التي ذكرتها تكوني سبباً في تعاستها وهلاكها . ألا يقشعر بدنك حين تتصورين ان هذه الفتاة المسكينة عائدة الى المانيا وهي تتسول على الطريق لتنال كسرة خبز تسد بها الرمق ؟»

وما كاد المسيو فران يتم عبارته حتى استخرطت سيسيلي في البكاء وسالت دموعها على خديها فقال لي وكيل الاشغال «اعلمي يا هذه بان الله سبحانه وتعالى سيناقشك الحساب على هذه الامانة التي استودعك اياها فان أنت أهملت ابنة أخيك ولم تحتفظي بها ترتكبين اثما عظيما ولكي أساعدك على حفظها

من الهلاك أدخلها في خدمتي ولكن تحت شرط أن تكون مطيعة أمينة مجتهدة تقية ورعـة وعلى الخصوص أن لا تخرج قط من البيت » فقالت سيسيلي وهي لا تزال تبكي وتنتحب « لا. لا. اني أفضـل العودة الى بلادي ولو أموت جوعا على الطريق »

فناجى رودلف نفسه قائلا « يا لها من امرأة خبيثة خادعة فانها قد فهمت من البارون جرون كيف يلزمها أن تلعب دورها

ثم قال لمدام بيبليه — وهل أظهر جاك فيران كدراً حين سمع جواب سيسيلي ؟

— نعم سمعته يحرق الارم وبعد أن نظر الي شذرا قال بحدة — أريد منك الجواب حالا اما سلباً أو ايجابا. فان كنت توافقين على ادخال هـذه الفتاة في خدمتي فعودي بها الى غداً في مثل هذه الساعة والبواب يوضح لها ما هي الاشغال المطلوبة منها. أما الاجرة التى أدفعهـا فلا تزيد في الوقت الحاضر عن عشرين فرنكا شهرياً فضلا عن الاكل والشرب قلت « ألا تزيد الاجرة قليلا حتى تبلغ خمسة وعشرين فرنكا قال : « لا ولكني ازيدها في المستقبل اذا كنت مسروراً من

سلوك الفتاة وأشغالها ويلزمني أن انبهك الى أمر مهم جداً وهو انه لايجوز لابنة أخيك الخروج من منزلي على الاطلاق لاي سبب من الاسباب ولا اسمح لاحد بمقابلتها في بيتي»

وكانت سيسيلي تبكي وتتنهد ورأسها منكس الى الارض فقلت لها

«لا يسعك يا ابنتي سوى الرضوخ لحكم القضاء وأرى ان حظك لا يعد سيئاً فانه لا يسهل العثور على مثل هذه الخدمة في مثل هذا البيت الشريف وان أنت لم تعملي بنصيحتي ورفضت هذه الخدمة أتركك وشأنك ولا أعود أهتم بك مهما أصابك من البلاء

فاجابتني سيسيلي بعد تنهد طويل بانها ترضى بالخدمة في بيت فران ولكن تحت شرط ان تعود الى بلادها بعد خمسة عشر يوم اذا ظلت تشعر بنفور من سكنى باريس. فقال لها فران

- لا اريد ابقاك في خدمتي رغم انفك وليس الحصول على خادمة بالامر العسير فاذا كنت ترغبين في خدمتي فعودي الي مع عمتك غداً مساء

فخنقت العبرات صوت سيسيلي فلم تستطع الجواب

فاجبت عنها بانها رضيت بما قسم لها

- اشكرك يا مدام بيبليه . انك قمت بالعمل خير قيام فخذي هذا ما وعدتك به من النقود واني اعد نفسي سعيداً لخلاصي من تلك الفتاة التي كانت عبئاً ثقيلا على عاتقي

فرفضت مدام بيبليه ما عرضه عليها رودلف من النقود وقالت له

— اصبر الى الغد يامالك السكان فقد يجوز أن المسيو فيران يعدل عن عزمه حين اذهب اليه الليلة بسيسيلي

— لااظنه يعدل عن عزمه ... واين سيسيلي الآن ؟

— في الغرفة التابعة لقاعة القومندان ومنذ دخلتها لم تبرحها عملا باوامرك . وقد لاح لي أن ظواهرها تدل على الوداعة اما عيناها فلهما نظرة لم أر بعد مثلها

وفي تلك الاونة أتت الضحوكة فلما رآها رودلف قال لها - ما أسعد حظي كنت عازما على الصعود الى غرفتك لاراك فارسلتك الاقدار اليَّ . فارجوك أن تنتظريني قليلا

ثم عاد فقال لانسطازي - لاتنسي أن تذهبي الليلة بسيسيلى الى بيت جاك فيران

- كن مطمئناً ستذهب الى هنالك الساعة السابعة

أما الضحوكة فلم تعد موردة الخدين مثلما عهدناها بل شحب لونها واستطال وجهها وفارقها زهوها واصبحت كئيبة حزينة . ولما خرج رودلف من غرفة البوابة قالت له: ما أسعد حظي بلقاك أيها الجار العزيز فان لدي أخباراً كثيرة أقصها عليك

— اخبريني عن حالك قبل أن تقصي علي أخباراً فاني أراك شاحبة اللون والمرجح عندي أنك تشتغلين فوق طاقتك

— كلا يا مسيو رودلف . ليس السبب في شحوب لوني كثرة العمل بل الحزن . لاني كلما رأيت جرمان المسكين أكاد أذوب أسىً عليه

— هلا يزال كئيباً ؟

— ان كآبته تزداد يوما عن يوم

— خففي من أحزانك يا ضحوكة وأيقني بأن جرمان متى خرج من السجن وثبتت براءته يعود الى أمه ويجد في لقاء أحبائه ولقاك من التعزية ما ينسيه عذاب السجن

— نعم ولكنه كم سيعاني من الالم حتى يمن الله عليه بالفرج

ثم ان ما يقاسيه في السجن أكثر مما يقاسيه سواه ذلك لانه ذو مبادئ شريفة وكل من حوله لصوص قتلة ولما رأوه ينفر منهم تألبوا جميعهم عليه وصاروا يريدون به شراً. ولذلك قال لي مدير السجن ان أنصح جرمان بالاقلاع عن الكبر والاختلاط بالمسجونين ليسلم من شرهم. ولكنه يأبى ذلك وأخاف أن يفتك به واحد من أولئك اللصوص

وخنق البكا صوت الضحوكة فاطرقت وبعد أن مسحت دموعها عادت فقالت

— ان اهتمامي بامري انساني أن احدثك عن المغنية

فدهش رودلف وقال: — عن المغنية؟؟

— لقد صادفتها منذ يومين بينما كنت ذاهبة لازور لويز في السجن

— المغنية؟

— نعم المغنية بعينها

— في سجن سان لازار؟

— كانت خارجة من هذا السجن ومعها عجوز

فازداد رودلف دهشة وقال

— هذا لا يمكن

— وأنا أؤكد لك ان التي رأيتها وحدثتها هي المغنية نفسها. وقد عرفتها على رغم الملابس القروية التي كانت عليها ومازالت جميلة الصورة مثلما عهدتها ولكنني وجدتها شاحبة اللون

— هي في باريس ولا علم لي بذلك !! أكاد أن لا أصدق ما أسمع . . . وماذا أتت تعمل في سجن سان لازار ؟

— لعلها مثلي ذهبت لتزور صديقة لها في السجن . ولم أجد وقتاً كافياً لسؤالها عن سبب ذهابها الى السجن لان العجوز التي كانت معها لم تسمح لنا باطالة الحديث ... انك تعرف اذن المغنية يامسيو رودلف ؟

— نعم أعرفها

— لم يبقَ عندي ريب في انك أنت رودلف الذي كلمتني عنه

— كلمتك عني ؟

— نعم انني لما ذكرت لها ما أصاب لويز وجرمان من

الشقاء مع ماهما عليه من طيبة القلب وحسن السريرة وذكرت لها كيف ان جاك فران اضطهدهما دون ان أذكر لها انك مهتم بأمرهما قالت لي : «انني أعرف رجلاً شهماً كريماً اذا علم بما اصاب ذينك التعسين من الاضطهاد يأخذ بناصرهما ويدفع الضيم عنهما » ولما سألتها عن اسم ذلك الشهم الكريم اجابتني انه يدعى رودلف

— لاشك انها هي ... هي بعينها

— ودهشت المغنية حين اخبرتها بان جاري يدعى رودلف ولذلك تواعدنا بان كلاً منا تكتب لرفيقتها لتعلمها اذا كان رودلفنا واحد وقد اتضح انك انت رودلفها مثلما انت رودلفي اليس كذلك ياجار ؟

— نعم قد عرفت هذه الفتاة واهتممت بأمرها ولكن ما ذكرته لي عن وجودها في باريس ادهشني جداً . ولولم تذكري لي اوصافها لبقيت معتقداً ان التي ذكرتها لي ليست المغنية . . . والآن استودعك الله ياجارتي فان ما اخبرتني به يضطرني الى الذهاب . استودعك الله وابشرك بان زهوك وجمال وجهك سيعاودانك بعد حين ان شاء الله

فتنهدت الضحوكة وأجابت — فليستجب الله تمنيك...

فاذهب بسلام

ولم يدر رودلف كيف ان مدام جورج تسمح لزهرة مريم بالذهاب الى باريس دون ان تخبره بذلك فلما ترك الضحوكة ذهب تواً الى بيته ليبعث رسولاً الى مزرعة بوكيفال ولما ولج في طريقه زقاق بلوميه أبصر عربة وقفت امام باب بيته وخرج منها مورف

وكان هذا الرجل عائداً من نورمنديا الى حيث ذهب ليمنع الجريمة التي اتفق برادامنتي وزوجة الكونت دوريني على ارتكابها كما تقدم

## ﴿ الفصل الحادي والاربعون ﴾

« مورف وبوليدوري »

وحين نزل السير ولتر مورف من العربة كان مشرق الوجه وبعد ان صافح رودلف تبعه الى مكتبه قبل ان يستبدل ثياب السفر وما كادا يستقران على كرسيهما حتى قال مورف

— بشراك يا مولاي بشراك !! لقد ازيح الستار عن

اعمال ذينك الشيطانين ونجا الكونت دوريني من الهلاك ... واشكرك على ارسالك اياي قبل فوات الوقت . فلو انني تأخرت ساعة واحدة لكان الكونت الآن في عالم الاموات

— والمركيزة درفيل ؟

ان سرورها بعود ابيها الى محبتها لا يوصف ولا يعلو عليه سوى سرورها بنجاته من الهلاك

— ان بوليدوري اذن ...

— شارك زوجة الكونت درويني على ارتكاب جناية ثانية ... اما زوجة الكونت فلم ترَ عيني اشد اقداما منها على عمل الشر ولا أجرأ منها ولا أشد وقاحة ... أما عن دهاء بوليدوري فحدث ولا حرج ولو انك تعلم ما كابدته في هذا السفر من المشقة لا برهن لك عن صدق محبتي لك لاشفقت عليّ

— وهل صحبت بوليدوري في الاياب ؟

— نعم يا مولاي وتصور ماقاسيته من الالم اذ اضطررت الى قضاء اثنتي عشرة ساعة جالسا الى جنب هذا الرجل الذي يعجز القلم عن وصف كرهي له . واني وايم الحق افضل

محبة الافعى على صحبته

— وأين بوليدوري الآن ؟

— في بيت ممشى الفيف تحت المراقبة الشديدة

— انه اذن تبعك صاغراً ولم يبد أقل مقاومة

— أي نعم يامولاي وقد تركت له الخيار بين ان تلقي رجال الشرطة القبض عليه وبين ان يعود معي و يلازم بيت ممشى الفيف فاختار الوجه الثاني وعاد معي صاغراً

لقد أحسنت اذ الاوفق لنا أن يكون تحت قبضة يدنا فبورك فيك ياعزيزي مورف ان خدماتك لاتثمن وأرجوك أن تقص عليّ تفاصيل رحلتك فاني أريد الوقوف على الطريق التي كشفت بها أمر تلك المرأة الخائنة وشريكها الاثيم

— أرجوك أولا يامولاي ان تقرأ هذا المكتوب المرسل اليك من المركيزة درفيل وفيه الشرح الكافي عن كل ماحصل قبل وصولي الى نورمنديا واحباط مساعي بوليدوري

— كتاب من المركيزة درفيل ؟.. اعطني اياه حالا.

وفض رودلف الغلاف وقرأ الرسالة وهذا نصها.

« يامولاي . انني مدينة لك بما لايحصى من الجميل

والفضل ماصنعته معي من المعروف هو انقاذك والدي من مخالب الموت واني اترك للايام القادمة ان تبرهن عما يكنه لك قلبي من الشكر والمحبة

« اني بفضل ارشاداتك التي بعثت بها اليّ مع السير ولترمورف ساعة خروجي من باريس وصلت الى قصر أوبيه قبل فوات الوقت . وحين دخلت ذلك القصر رأيت فيه وجوها كالحة انقبضت لها نفسي ولم أر بين كل الخدم واحداً ممن كانوا في عهد والدتي المرحومة فلم يعرفني منهم أحد

« وبعد الاستعلام عرفت أن والدي مرض مرضاً شديداً وان زوجته استدعت له طبيباً من باريس وهو الدكتور بوليدوري

« ولما اردت أن أصعد الى غرفة والدي لاراه سألت عن خادم طاعن في السن كان لا يفارقه فقيل لي انه اعتزل الخدمة ثم قادني وكيل القصر الى غرفة أعدوها لي وقال لي انه ذاهب ليخبر زوجة والدي بقدومي

وعلى رغم ما عهد في زوجة ابي من قوة الارادة ظهرت على وجهها علامات الاضطراب الشديد حين أبصرتني وقالت لي

- «لم يكن الكونت دوريني ينتظر زيارتك يا سيدتي وقد اشتدت اليوم وطأة المرض عليه فاخشى ان دخولك عليه يضر به ضرراً بليغاً فارى الاوفق أن لا يعلم بمجيئك واعلمي ان ..

« فقاطعتها وقلت لها

- « اعلمي يا سيدتي ان قد أصابني فاجعة مؤلمة وهي ان المركيز درفيل قتل فلم أعد استطيع بعد هذا الفاجع الاقامة في باريس فاتيت الى والدي لاقيم عنده الايام الاولى من أشهر الحداد»

فهتفت بلهجة التهكم

- «أنك اذن سعيدة لكونك أصبحت أرملة

فتصور يا مولاي ما كان لكلامها من الوقع الاليم على سمعي حين ذكرت ما أتته تلك المرأة الشريرة من ضروب الدهاء حتى ظفرت بتزويجي الى المركيز درفيل فاجبتها

- « قد أتيت الى هنا خوفا من أن تكوني راغبة في نفس السعادة التي تحسدينني عليها ... فاريد أن أرى والدي

- « هذا لا يمكن الآن لان رؤيتك ربما تكون سبباً

هذا الجنون ؟ »

قال ذلك واسوى جالساً على سريره ثم نهض قائماً واسند ذراعه على كتف زوجته ومشى خطوتين في القاعة فقالت « — اعلم ياوالدي ان السبب في مجيئ الى هنا هواتي فقدت زوجي يوم أمس ثم بلغني أن حياتك في خطر وان ايامك اصبحت معدودات »

وكان والدي يمشى الهوينا بقدم مرتجفة ولما سمع ماقالته له وقف بغتة ونصب قامته ونظر الى نظرة المدهوش وصرخ قائلا

« — فقدت زوجك ؟... واصبحت أيامي معدودات!. ماذا تقولين ؟ مامعنى هذا الهذيان ؟

وقالت لي زوجته : « — ومن يتجرأ على مس شعرة من أبيك ؟ »

قال لي بوليدورى . « — نعم نعم من يتجرأ على ذلك ؟

فاجبتهما أنت ياسيدتي وانت ياسيدي

نخطت زوجة والدي نحوي خطوة وهي رافعة قبضتها وقالت « ويل لك ماافظع هذه التهمة الباطلة »

فاجبتها ان لدي براهين دامغة تثبت ما اقول

فهتف ابي قائلا : « — انها تهمة فظيعة بلا شك

فقال الطبيب بوليدوري : « — اما انا فلا استطيع الصبر على مثل هذه الاهانة وارى الاجدر بي ان ابرح هذا البيت حالا »

وكأن ذلك القاتل شعر بالخطر الذي يتهدده فاراد الهرب ولما فتح الباب ليخرج وجد السير ولترمورف واقفاً امامه وجهاً لوجه .

فقطع رودلف القراءة ومد يده لمورف وقال له . — لا شلت يمينك ايها الصديق الحميم فلا شك ان وجودك هناك كان أشد من وقع الصاعقة على رأس ذلك القاتل

— صدقت يامولاي فقد اصفر لونه وتراجع خطوتين الى الوراء ونظر اليّ بدهشة يعجز القلم عن وصفها

وكأنما خيل له انه في منام لا في يقظة ولكن ارجوك يامولاي ان تتم قراءة المكتوب

فابتسم رودلف وقرأ ما يأتي « ولما وقع نظر بوليدوري على السير ولترمورف اضطرب ظهراً لبطن ووقف مذهولا كانه صنم . وحملقت زوجة ابي بعينيها الشدة ما اصابها من الذهول

وخانتها قواها فلم تعد تستطيع الوقوف وانطرحت على المقعد

«ودخل السير ولترمورف القاعة وأوصد الباب الذي دخل منه ووقف عند مدخل باب آخر يؤدي الى غرفة ثانية ليمنع الطبيب بوليدوري عن الهرب منه وقال لوالدي المسكين

« — اسألك المغفرة يا سيدي على سلوكي فاني مادخلت هذا البيت بغير استئذانك الا لضرورة شديدة سوف تقف عليها واني ادعى السير ولترمورف كما يشهد بذلك هذا الشقي الذي ارتعدت فرائصه رعباً حين ابصرني ووظيفتي مستشار خاص لسمو مولاي الدوق الاكبر امير جيرولستين»

فقال الطبيب بوليدوري بلسان متلعثم . « — صدق فيما قال »

فقال الدي لمورف : « — وماذا اتيت تصنع هنا ؟ ماهي حاجتك ؟

فقلت لوالدي : « — ان السير ولترمورف اتى ليعينني على كشف الستار عن جرائم هذين القاتلين زوجتك والطبيب»

ثم اخرجت من جيبي الزجاجة التي وجدتها على الموقدة واعطيتها للسير ولترو قلت له

« — قد الهمني الله الى اخذ هذه الزجاجة قبل ان يسقي والدي منها »

فقال السير ولتر لابي سأ كلف أحد الكيماويين بتحليل السائل الذي في هذه الزجاجة واذا وجد انه يحتوي على سم زعاف بطيء الفعل فهل لا يبقى عندك ريب في الخطر الذي كان محيقاً بك وفي ان ابنتك انقذت حياتك من الموت؟

فازدادت دهشة والدي وصار يجيل نظره الى بوليدوري ثم زوجته ثم ينظر اليّ والى السير ولتر وكانت هيئته تدل على ألم نفساني يعجز القلم عن وصفه فاردت ان أضع حداً لذلك الموقف المؤلم خوفاً على حياته وقد ادرك السر ولتر افكاري ولكنه اراد أن يكون عادلا في عمله فاجاب يسوءني ان أخبرك ياسيدي الكونت بان المرأة التي وضعت ثقتك فيها وظننتها مدينة لك بما صنعته معها من الجميل هي ناكرة خادعة تسعى في هلاكك ولكنك ولا شك ستجد تعزية كبرى في محبة ابنتك وعطفها عليك

فازبدت زوجة والدي وأرعدت وصرخت قائلة للسير مورف

« لقد تعدت وقحتك الحدود فأين هي أدلتك على هذه التهمة الفظيعة التى تلقيها على عاتقي ؟ »

وقال له والدي : « — نعم ماهي ادلتك فاتني بها فقد كفاني ما أتحمله من الألم »

فأجابه السير ولتر : « — انك تجد الادلة الدامغة في الاجوبة التي تسمعها من هذا الطبيب القاتل بعد حين »

« ثم ان السير ولتر التفت الى بوليدوري وكلمه باللغة الالمانية »

فقطع رودلف القراءة وقال لمورف

— ماذا قلت لبوليدوري بالالمانية

— قلت له بعض كلمات هذا معناها : « انك فيما مضى تمكنت من الهرب ونجوت من العقاب الذي حكم عليك به في جيرولستين واتيت باريس متنكراً وسكنت بيتاً في شارع التامبل وانتحلت اسم بردامنتي وقد علمت الحرفة الفظيعة التي تتعاطاها فقتلت بالسم امرأة الكونت الاولى ومنذ ثلاثة أيام اتت بك هذه المرأة العاتية لتعاونها على قتل زوجها فاعلم ان سمو أمير جيرولستين في باريس ولديه كل الادلة التي تثبت عليك هذه التهم فان أنت نطقت الآن بالحقيقة لرد

كيد هـذه المرأة الخبيثة في نحرها يمكنك ان تؤمل لا في العفو عنك ولكن في تخفيف العقوبة التي تستحقها فتتبعني الى باريس حيث اضعك في محل حصين لا تبرحه حتى يحكم عليك مولاي الامير بما تقتضيه العدالة . وان أنت تمنعت عن اجابة ما أطلبه منك فهنالك امر من اثنين اما أن يطلب سمو الامير نفيك الى المانيا ومحاكمتك هناك واما ان استدعي أحد رجال النيابة من اقرب بلد واسلمه هذه الزجاجة لتحلل تحليلاً كيماوياً ثم أكلف الحكومة بالقبض عليك حالاً وتفتيش بيتك في شارع التاميل ولا يخفى ما في ذلك من الضرر عليك »

فخاف بوليدوري عند سماع تلك التهم الثابتة عليه المؤيدة ببراهين قاطعة وحجج دامغة ولكي يخفف العقاب الذي ينتظره لم يتردد لحظة في خيانة زوجة الكونت واجابني :

« سلني فأجبك بالحقيقة عن كلما يتعلق بهذه المرأة

— احسنت ولم اكن انتظر منك أقل مما فعلت

قال رودلف ذلك وعاد الى قراءة مكتوب المركيزة « وبعد ان كلم السير ولتر موروف بوليدوري بالالمانية « بضع دقائق

قال له بالفرنساوية وهو يشير الى زوجة والدي

« — أجب الآن أليست هذه المرأة هي التي ادخلتك بيت الكونت دور بيني أيام مرض زوجته الاولى ؟

« فأجاب بوليدوري : — نعم هي

« — أماسقيت الكونتس دور بيني سماً زعافاً أودى بحياتها لتخدم بذلك هذه المرأة فتنال غاياتها ؟

« وأشار السير ولتر الى زوجة والدي . فاجابه

« بوليدوري : — نعم

« فصرخ والدي صرخة اهتز لها كل جسمه ورفع

« يديه الى العلا وتنهد تنهداً خرج من أعماق صدره :

« فقالت له زوجته :

« — كل ما تسمعه زور وبهتان ان هذين الرجلين قد

« اتفقا على هلاكي

« فنظر السير ولتر اليها شذراً وقال لها بلهجة الآمر

« اسكتي . ثم التفت الى بوليدوري وقال له وهو يشير

« الى زوجة والدي

« — ألم تذهب هذه المرأة الى باريس لاستدعائك

من بيتك في شارع التامبل حيث أنت متنكر تحت اسم « برادامنتي ؟

« — نعم هذا ما حصل

« — ألم تطلب منك أن تأتي الى هنا لتقتل « الكونت دوريني » مثلما قتلت زوجته ؟

« — ويلاه لا يمكنني انكار هذه الحقيقة

« فلما سمع والدي ذلك لم يعد يستطيع صبراً فاستدعى طبيب هذه الجهة وكلفه بتحليل زجاجة السم التي اراد بوليدوري أن يسقيه منها على شرط أن يخبره بنتيجة التحليل فاجاب الطبيب طلبه وبعد التحليل وجد أن ذلك السائل سم يقتل شاربه رويداً رويداً .

« هذا كل ما لدي من الاخبار يا مولاي . وبعد ساعات معدودات سأذهب بابي وابنتي الى فونتينبلو ونقيم هناك بضعة ايام ثم نذهب الى باريس عملاً بارادة والدي ونقيم في بيت جديد اذ لم اعد استطيع البقاء في البيت الذي كنت فيه بعد ذلك الحادث المفجع .

« وفي الختام اعيد عليك يا مولاي أن لك وللسير ولتر

موردف الفضل في انقاذ حياة والدي من الهلاك وعوده الى حي عن رضى وخلاصته من تلك الخائنة القاتلة . فاشكركما شكراً جزيلاً

« استودعك الله يا مولاي واسأله ان يجمعني بك وانت على ما اتمناه لك من الصحة « كليمنس درفيل »

حاشية « فاتني ان اذكر لك يا مولاي انني قبل سفري الى نورمنديا زرت سجن سان لازار لعلي اجد فيه سبيلا الى عمل البر فوجدت هنالك فتاة تدعى المغنية لم ترَ عيني اجمل منها ولا الطف روحاً ولا ادمث خلقاً : والغريب أنها تقول انك ولي امرها ومنقذها وأنها كانت سقيمة في مزرعة لك فاختطفها بعض الاشرار وسجنوها . وأظن انه سهل عليك الحصول على امر باطلاق سراحها لان كل عمال السجن يحبونها نظراً لحسن سلوكها ووداعتها . واسمح لي ايضاً أن اذكرك بالمرأتين التعستين الأم وابنتها اللتين سرق فيران اموالهما وتركهما في حالة من الفقر يرثى لها . فهل تعرف يا مولاي اين هما الآن وهل لديك بعض اخبارعنهما . ناشدتك الله أن تبحث عنهما لعلك تجدهما ولعلي حين اعود الى باريس

اقدر على الاخذ بناصرهما »

فدهش مورف عند سماع ذلك الخبر وقال لرودلف

— كيف ! ليست المغنية في مزرعة بوكيفال الآن ؟

— قد قال لي شخص اخر أيضاً انه رآها خارجة من سجن ساز لازار ولا ادري والله كيف اعلل ذلك. وسكوت مدام جورج عن هذا الحادث يزيدني عجباً ودهشة . لهفي على تلك الفتاة التعسة !! . فما عسى أن يكون هذا المصاب الجديد الذي ألم بها ... ارجوك يا مورف أن تكتب حالا لمدام جورج وقل لها أن تسرع بالمجيء الى باريس .

سمعاً وطاعة يا مولاي واومل انك تقف على الحقيقة مساء اليوم . واذكرك بانه يلزمك استنطاق بوليدوري غداً فقد قال لي أن لديه اخباراً هامة جداً يريد اطلاعك عليها ولكن تحت شرط ان لا يكون معكما ثالث

— أن نفسي تنفر من مقابلة هذا الرجل لاني لم اره منذ اليوم الذي فيه...

ونكس رودلف رأسه دون ان يتم عبارته وغطى وجهه بيديه فاردف مورف

— اذا كنت تأبى مقابلة هذا الرجل القاتل فلا تجب ملتمسه يا سيدي والزمه بايقافي على ما لديه من الاخبار وأن رأيت منه عناداً ومكابرة يكون لك الخيار اما في تسليمه الى الحكومة الفرنساوية لتحاكمه واما طلب نفيه الى المانيا حيث ينتظره العقاب .

— صدقت أن رؤية هذا الرجل تذكرني بالماضي وانت تعلم أن تلك الذكرى تؤلمني جداً ولا سيما ماطرأ من الحوادث المحزنة منذ وفاة والدي حتى وفاة ابنتي المسكينة وانني كلما تقدمت في السن يزداد لهفي على تلك الفتاة فكم كنت اعتني بها وادللها لو انها عاشت

— ارى يا مولاي أن اسفك وتلهفك يزدادان يوماً عن يوم ولكنهما لا يجديان نفعاً واخاف ان يضرا بصحتك

— صار في امكاني الآن ايها الصديق أن اطلعك على سر لم ابح به لاحد وهو انني احب امرأة شريفة النفس حباً شديداً ومنذ عاد قلبي الى الاشتغال بالحب بعد جموده زمناً طويلاً ازددت اشجاني على فقد ابنتي ولا انكر ايها الصديق أن جانباً عظيماً من اللوم واقع على عاتقي اذ كان يجب علي

حين عرفت صفات ساره ووقفت على حقيقة امرها أن آخذ منها ابنتي واعتني بتربيتها والنظر في شؤونها نعم كان يجب علي ان اعرف أن الكونتس ساره لا يمكن أن تقوم بكل واجبات الأم

— ان الاشجان انستك الماضي يا مولاي فهل كان يمكنك بعد ذلك الحادث المفجع أن تأخر سفرك يوماً واحداً ولكن هل لم تسمع خبراً عن الكونتس ساره منذ غيابي عن باريس ؟

— لا منذ الافعال المنكرة التي اتتها واوشكت أن توقع المركيزة درفيل في الهلاك لم اعد اسمع عنها خبراً قط وان وجودها في باريس يكدرني وكأن نفسي تحدثني بمصاب يتهددني على يد هذه المرأة الخبيثة

— صبراً يا مولاي صبراً فمن حسن حظنا أن الذهاب الى المانيا محرم على هذه المرأة والمانيا تنتظر عودتنا

— نعم سوف نذهب بعد حين متى عاد ابن مدام جورج اليها ومتى عوقب جاك فيران ولم اعد اخشى على مستقبل القوم الابرار المجتهدين الذين اكتنفتهم بحمايتي واذ ذاك لا تكون اقامتي في باريس عقيمة

— آه يا مولاي كم اتمنى أن ترفع الستار عن جرائم جاك فيران ليعلم الناس من هو ولينال العقاب الاليم الذي يستحقه.

— ولو أن الغاية تبرر الواسطة تراني أندم احيانا على اتخاذ سيسيلي واسطة لقصاصه

— هل وصلت من المانيا ؟

— نعم وأبيت أن اراها وقد افهمها البارون جرون الخطة التي يلزمها اتباعها فوعدت بالامتثال

— هل لا تزال جميلة الصورة مثلما كانت ؟

— يقول جرون ان جمالها يزداد يوما عن يوم وان اللباس الالزاسي التي اختارته لاتمام الحيلة زادها جمالا ويظهر من كلام جرون أن عيني هذه المرأة لا تزالان ساحرتين

— لقد صدق البارون جرون فيما قاله عنها وثق انني لو رأيتها وانا في سن العشرين وجردت علي سهام لحظها لما امكنني التغلب على قلبي ولو كنت اعلم حق العلم ما هي صفاتها الشيطانية

— لا عجب في ذلك يا صديقي مورف لانني اعرف هذه

المرأة حق المعرفة حتى أن البارون عجب غاية العجب لما ابدته من المهارة والدها في القيام بالعمل المطلوب منها لايقاع فيران في الشرك

— وهل تظن يا مولاي انه يسهل عليها الدخول في خدمة فيران بواسطة زوجة بيبليه وهو من الذين يسيئون الظن

— صدقت ولذلك عولت كثيراً على ما يكون من مفعول جمالها عليه حين تقابله لاول مرة

— وهل رآها ؟

— نعم رآها بالامس وقد استنتجت مما قالته لي البوابة أن وكيل الاشغال شغف بجمالها وادخلها في خدمته بعداول مقابلة

— ابشرك اذن بالفوز ان شاء الله

— انني أؤمل ذلك فان شغفه بجمع المال ودناءة نفسه هي التي دفعته الى ارتكاب المنكرات الفظيعة وسوف يجد قصاصه في نفس هذه الخصال السافلة وأؤمل ان قصاصه يعود بالنفع على الذين أساء اليهم ولست تجهل ماهي الخطة التي رسمناها لسيسيلي

واذ ذاك قرع باب القاعة حاجب فخرج مورف وعاد

يحمل مكتوبين أحدهما مرسل الى رودلف فلما وقع نظره عليه قال بتلهف

— ان هذا المكتوب آت من عند مدام جورج

ثم فضه وقرأه فقال له مورف

— ماذا تخبرك عن المغنية ؟

— لم يبقَ عندي أقل ريب في ان المغنية خرجت من المزرعة على الرغم منها بمؤامرة بعض الاشرار لانه في مساء اليوم الذي اختطفت فيه لما أرادت مدام جورج ان توقفني على الخبر جاءها رسول لاتعرفه وادعى انه مرسل من قبلي وقال لها انني عالم بذهاب زهرة مريم من المزرعة وانني سأعيدها الى هناك بعد حين

فهتف مورف قائلاً — نفسي تحدثني بأن للكونتس ساره يداً في اختفاء الفتاة

— ساره ؟ وما الذي يحملك تظن هذا الظن ؟

— الست تجد مشابهة بين هذا العمل وبين وشايتها على المركيزة درفيل ؟

وكأن هذا الرأي الذي أبداه مورف نبه أفكار رودلف

فهتف قائلاً — صدقت لا يبعد ان تكون ساره هي الفاعلة وغايتها من ذلك الاساءة اليّ لتنتقم من اهمالي اياها ولكن لابدَّ لفعالها هذه من حد فأرجوك أن تبعث اليها البارون جرون على الفور ليخبرها بأني متأكد من انها هي التي اختطفت زهرة مريم وبأنها ان لم تدلنا على الطرق المؤدية الى معرفة مقر الفتاة أضطر الى رفع هذه الدعوى الى رجال الحكومة الفرنساوية

— سأصدع بأمرك حالاً يامولاي وأرسل اليها البارون جرون ولكن اسمح لي قبل ذلك ان أفتح هذا المكتوب الثاني المرسل اليّ من مكاتبي في مرسيليا وهو الرجل الذي أوصيته بالسفاح ليسهل عليه السفر الى الجزائر ..

وبعد ان قرأ مورف المكتوب قال ما أغرب هذا الامر !!

— ماذا ؟

— بعد ان أقام السفاح في مرسليا بضعة أيام ينتظر سفر السفينة الى الجزائر عدل عن عزمه بغتة في نفس اليوم الذي تقلع به السفينة وعزم على العودة الى باريس

— انه أمر غريب حقيقة !

— وكنت كلفت مكاتبي هذا ان يدفع الى السفاح مبلغاً جسيماً من المال ولكن هذا لم يأخذ سوى أجرة السفر ليعود الى هنا والمرجح عندي انه صار على وشك الوصول على مايستنتج من هذا المكتوب

— سيخبرنا اذن هو نفسه عن السبب في عدوله عن السفر والآن ارسل البارون جرون الى الكونتس ماك جريجور واذهب أنت حالا الى سجن سان لازار واستعلم عن زهرة مريم

وبعد ساعة من الزمن عاد البارون جرون من عند الكونتس ساره وكانت هيئته مضطربة على رغم ماعهد فيه من الرزانة وثبات الجأش ولما دخل على رودلف لحظ هذا اصفرار وجهه فقال له — ماوراءك ياجرون ؟ مالي أراك مضطربا ؟ هل رأيت الكونتس ؟

— يسوءني يامولاي ان أطلعك على خبر مكدر جداً لم يكن في الحسبان وهوان . . .

— ان الكونتس توفيت ؟

— لا يامولاي ولكنها على وشك الوفاة وقد أصابتها

فتأثر رودلف لذلك الخبر واخذ منه الاشفاق على رغم كرهه لساره وهتف قائلا — انه حادث فظيع ! ومن هو القاتل الاثيم الذي طعنها ؟

— لايزال مجهولا والمرجح انه لص لانهم بعد البحث وجدوا ان حليها وجواهرها مسروقة

— وكيف حالها الآن ؟

— ان حالتها الحاضرة تنذر بالخطر ومازالت حتى الساعة فاقدة الصواب وحزن أخيها عليها عظيم

— يلزمك اذن ياعزيزي جرون ان تذهب كل يوم للاستعلام عن حالتها

وما كاد يتم رودلف حديثه حتى دخل مورف وكان عائداً من سجن سان لازار فقال له رودلف — يسوءني ان اخبرك ان الكونتس ساره طعنت بخنجر وان حياتها أصبحت في خطر

— آه يامولاي لايسعنا الا الاسف عليها على رغم ماأتته من الذنوب

— نعم ويحزنني ان تنتهي حياتها على هذه الصورة.. وماذا علمت عن المغنية؟

— قيل لي في السجن انهم أطلقوا سراحها وانها الآن تحت رعاية المركيزة درفيل

— هذا أمر محال لان المركيزة درفيل كتبت اليَّ اليوم وكلفتني ان أسعى في اخراجها من السجن فكيف قيل لك انها الآن تحت حمايتها.

— ما أغرب هذه الامور! فقد قال لي مدير السجن ان عجوزاً ذات هيبة ووقار أتت اليه تحمل أمراً بالافراج عن زهرة مريم ثم أخذتها وذهبت بها

وبعد ان فكر رودلف هنيهة قال.

— لابدَّ لنا اذن من معرفة اسم الشخص الذي اهتم بأمر زهرة مريم وسعى في اخراجها من السجن واذ ذاك نقف على حقيقة الخبر

— صدقت يامولاي

— فابذل اذن جهدك ياعزيزي جروف حتى تعرف ذلك الشخص المجهول بأقرب مايمكن وان أنت لم تفلح

فاستعن برجالك رادينو ولا تال جهداً في البحث عن تلك الفتاة التعسة

- يمكنك الاعتماد عليّ يامولاي

فقال مورف لروداف

- ياليت السفاح يأتينا الآن فهو أقدر الناس على مساعدتنا في هذه الابحاث

- صدقت وقد صرت انتظر عودة منقذي من الهلاك بذاهب الصبر فلست أنسى أبداً انني مدين للسفاح بحياتي

## الفصل الثاني والاربعون

## المكتب

مضت أيام كثيرة منذ دخلت سيسيلي في خدمة جاك فيران. فليدخل معنا القاريء الى مكتب هذا الرجل عند الظهر ساعة يتناول الكتبة طعام الغداء ومن المدهشات ان اولئك الكتبة الذين طالما تقتر عليهم جاك فيران بالطعام كانوا جالسين الى مائدة رحبة وامامهم ديك مالطي محمر وكثير من الخبز والجبن الهولاندي وثلاث زجاجات من جيد الخمر وكل منهم ممسكاً سكينه ومنتظراً ساعة الفتك بالديك بذاهب الصبر

حتى ان بعضهم كانوا يلوكون السنتهم واللعاب يسيل من أفواههم وهم يلعنون رئيسهم في سرهم لتغيبه عن الطعام لانهم لا يستطيعون الاكل قبل مجيئه

ولا شك ان هذا الانقلاب الذي طرأ على حالة اولئك الكتبة نتج عن تغيير جسيم في أطوار فيران

وبعد ان ساد السكوت قال أحد الكتبة — تقبل الله روح العمة سيرافين فاننا منذ غرقها لم نعد نذوق تلك الاطعمة التافهة التي كنا نأكلها يومياً

فأجابه الآخر : — ومنذ أسبوع صار الموسيو فيران عوضاً عن ان يطعمنا يعطي كل منا فرنكين في اليوم

— وهو كرم حاتمي اذ لم نسمع بأنه في مكتب من مكاتب العالم بأسره يعطى للكاتب فرنكين لينفقهما على غدائه

— لاشك ان الموسيو فيران أصابه أمر من اثنين فاما انه جنّ واما انه مرض

— اما أنا فقد لحظت منذ بضعة ايام انه مضطرب الافكار

— والغريب انه بعد ان كان لا يفارق المكتب طرفة عين

ويظل على الدوام فوق رؤوسنا صار الآن يتغيب عن المكتب يوماً ويومين

— وهذا ما يحملني على الظن بأنه مريض والذي يؤيد هذا الفكر ما أصابه من الهزال وشحوب اللون

— وقد بلغ منه تشتت الافكار مبلغاً عظيماً فانني منذ يومين قدمت له عقداً ليوقع عليه ولما رفع نظارته رأيت عينيه محتقنتين كأنهما شعلتان فأدنيت منه العقد مقلوباً

— لاشك انه زجرك على ذلك؟

— لا بل انه لم يلحظ ان العقد مقلوباً وان أعلاه أسفله بل حملق فيه بعينيه الجاحظتين المتقدتين اكثر من عشر دقائق ثم قال لي: «حسن حسن»

— ما أعجب هذا الانقلاب!

— ولم اجسر على الكلام معه لانني وجدته على جانب عظيم من الكآبة فعدت على عقبي والعجب آخذ مني

— انا منذ اربعة ايام كنت في غرفة رئيس الكتبة فدخل علينا عميل ثم اثنان ثم ثلاثة كان وعدهم المسيو فيران بالمقابلة وظلوا ينتظرون

ولما عيل صبرهم كلفوني أن اخبره بوجودهم فقرعت باب مكتبه فلم اسمع جوابا ففتحت ودخلت واقتربت منه وقلت له « ان بعض العملاء الذين وعدتهم بالمقابلة ينتظرون أن تسمح لهم بالدخول عليك » فلم يجب بكلمة فكررت النداء وقلت « يا موسيو فيران ! » فلم يجب فامسكته من كتفه وهززته فارتعد كمن لمس طياراً كهربائياً فوقعت نظارته فرأيت ما يصعب عليكم تصوره

— ماذا رأيت ؟ ماذا رأيت ؟؟

— رأيت دموعاً تنهب من عينيه

— الموسيو فيران يبكي ! انك تهزي يا صاح !

— نعم نعم كان يبكي ولما رفع رأسه وادرك انني ابصرت دموعه تولاه الغضب فستر عينيه بنظارته وانتهرني قائلا « اخرج ! » فقلت له . لكن يا سيدي .. « قال اخرج » قلت ان العملاء الذين وعدتهم بالمقابلة ينتظرون . قال . « ليس لدي وقت لمقابلتهم فليذهبوا الى جهنم وانت معهم » ثم نهض واقفاً بغتة فظننت انه يريد اخراجي بالقوة فوليت الادبار وصرفت العملاء

وبينما الكتبة يتحدثون دخل عليهم رئيسهم وقال لآخر

من تكلم منهم

- كل ماذكرته لايعد شيئاً بالنسبة الى ماحصل الآن ولكن فلنبدء بالاكل اولاثم اقص عليكم ماجرى

وبعد ان قطع الديك المالطي وفرقه على رفاقه قال لهم دخلت الآن مكتب الموسيو فيران لاطلب منه ان يمضي على بعض الاوراق وقبل أن افتح الباب سمعت حديثا داخل المكتب فوقفت انتصت فبلغ اذني صراخ وتأوه ترددت عن الدخول لحظة ثم فتحت الباب فرأيت الموسيو فيران جاثيا على الارض

- جاثيا ؟ على الارض؟

- نعم وجدته جاثياً على الارض وممسكا رأسه بيديه ومسنداً مرفقيه الى كرسي وكان يئن انيناً مختنقاً ويتمتم قائلا ياربي ؟ ياربي ؟ ثم رأيته مزق ثيابه كأنه يحاول تمزيق صدره باظافره ولما انكشف صدره رأيت عليه محفظة حقيرة حمراء اللون معلقة في عنقه بسلسلة من حديد

- ما أغرب ذلك ، وبعد ؟

- فبقيت واقفا امامه مرتبكا ثم التفت نحوي فوجدت

منظره مريعاً فتراجعت الى الوراء مذعوراً فنظر اليّ بعينين جاحظتين ثم قام وانطرح بين ذراعي وقال لي « آواه ما اتعس حظي »

- ماهي هذه الخزعبلات؟

- ربما كانت خزعبلات ولكن مالا ريب فيه ان كآبته جعلتني أشفق عليه فقلت له « ثق ياسيدى انني .... » ثم يدعني اتم عبارتي وقال لي « دعني دعني ان بث الشكوى يخفف الآلام » ولا شك انه ظنني شخصاً آخر

- ماهذه الحوادث الغريبة ؟ وماذا أصاب الموسيو فيران يا ترى !

- ومهكم لا أدري ولما عاوده صوابه نظر الى شذراً وقطب حاجبيه وقال لي : « ماذا أتيت تصنع هنا ؟ ومن أي متى دخلت عليّ ؟ ألم يعد في امكاني الاختلاء في مكتبي دون ان تفاجئني الجواسيس ؟ ماذا سمعتني أقول ؟ ... أجبني أجبني فراعني منظره واجبته : « لم أسمع شيئاً ياسيدى ولم تمض دقيقة واحدة منذ دخلت عليك فقال لي «ماذا تريد ؟ قلت أريد ان تمضي على بعض الاوراق قال هاتها وأخذ مني العقود

وصار يمضي عليها بسرعة البرق من دون ان يقرأها وانتم تعلمون انه كان لا يوقع على عقد ألا بعد ان يقرأه من أوله الى آخره ولاحظت أيضاً ان يده تتوقف أحيانا قبل ان يتم كتابة اسمه كأنه يفكر في أمر جلل ثم يعود الى التوقيع بيد مختلجة ولما انتهى من العمل قال لي اخرج وقبل أن أنصرف رأيته نزل السلم الصغير المؤدي الى فسحة البيت

- انها أفعال غريبة جداً فما لذى طرأ لى هذا الرجل!!

- أما أنا فاود أن اعرف ما الذى صنعه النجار والحداد اللذان ظلا ثلاثة أيام يشتغلان في بيته

- وأنا رأيت ذات مساء بعض الفعلة حاملين مفروشات وداخلين بها بيته

وبينا الكتبة ورئيسهم يأكلون ويتحدثون دخل عليهم خادم وقال لهم

- كونوا على حذر هاهو الموسيو فيران صاعد لى المكتب

فقاموا جميعهم وأسرع كل منهم الى مكتبه وأمسك قلمه وتظاهر بالكتابة واشتغل الخادم بنقل فضلات الطعام وبعد لحظة ظهر جاك فيران وكان لابساً قبعته الحريرية السوداء

وشعره مبعثر وسالفتاه مستطيلتان واوردة جبينه منتفخة ووجهه ضامر شاحب وعيناه مستترتان تحت زجاج نظارته الازرق فمرّ في قاعـة الكتبة دون ان ينظر اليهم كأنهم غير موجودين ثم دخل غرفة رئيس الكتبة ونزل السلم المؤدي الى فسحة البيت تاركاً كل الابواب مفتوحة وراه فعجب الكتبة لذلك وظنوا أنه أصيب بمس من الجنون

## الفصل الثاني والاربعون

## لواعج الغرام

خيم الظلام وساد السكون في بيت جاك فيران وكانت غادة حسناء واقفه الى جانب الموقدة تصطلي نارها في غرفة للنوم جميلة الرياش في الطبقة الاولى من ذلك البيت وكان باب تلك الغرفة المقابل للسرير مزلاج من حديد يمكن فتحه من الخارج وكانت الغرفه مضاءة بمصباح ضئيل النور تنعكس اشعته على مفروشات حريرية حمراء اللون

وهذا التأنق في الفراش يدل على ان أطوار جاك فيران انقلبت ايما انقلاب اذ يعلم القارئ ما كان عليه من البخل والتقتير ولم يكن السبب في ذلك الانقلاب الغريب سوى

سيسيلي فهي التي كانت واقفة الى جانب الموقدة ووجهها يفيض جمالا وقامتها الهيفاء تشغل الناسك عن صلاته

ويعلم القارىء ان حيلة رودلف انطلت عليه وصدق ماقالته له مدام بيبليه من أن سيسيلي ابنة أخيها وانها فقيرة يتيمة غريبة عن البلاد وليس لها قريب ينظر في أمرها . وعد نفسه بنيل مآربه منها ولاسيما بعد أن خلا له الجو بموت سيرافين شريكته في الجرائم وموت المغنية (لاعتقاده نها غرقت) وبعد ان علم بما أصاب الكونتس ساره وبانها أصبحت على حافة قبرها... ولكي لا تنفر منه سيسيلي رأى ان لا يدنو منها في الليلة الاولى التي قضتها في بيته

أما سيسيلي فبعد التعليمات التي تلقتها من البارون جرون رسمت الخطة التي يلزمها اتباعها في معاملة جاك فيران لتوقعه في الشرك

وفي اليوم الاول بعد ان انتهت من أشغال البيت أمرها جاك فيران بالذهاب الى غرفتها فامتثلت للامر ولكنها كانت على أشد الحذر بعد الذي علمته من سلوك فيران مع خادمته الاولى لويز فافهمته انها تخاف أن يفاجئها اللصوص في غرفتها

وانها صممت على الدفاع عن نفسها فقال لها

— بماذا تدافعين عن نفسك؟

فاخرجت من تحت ردائها خنجراً صغيراً وارته اياه وقالت له: ادافع عن نفسي بهذا السلاح

فلم يرق فيران منظر ذلك الخنجر ولكن لاعتقاده أن سيسيلي لا تخشى الا اللصوص ذهب بها الى غرفتها وهي التي كانت تقيم فيها لويز. فبعد ان أجالت نظرها في الغرفة قالت لفيران وهي تظهر الخوف الشديد بانها ستقضي الليل بطوله جالسة على كرسي اذ لم تجد مزلاجاً للباب يوصد به.

وبدا فران منذ تلك اللحظة يعنو لسلطان حبها ولكنه آثر ان لا يبوح لها بغرامه في تلك الليلة لكي لا ينفرها منه فقال لها حين أشارت الى خلو الباب من المزلاج

— لا خوف عليك يافتاة فان اللصوص لا يدخلون هذا البيت. وغداً اكلف النجار بوضع مزلاج لباب غرفتك

ولم تنم سيسيلي تلك الليلة. وفي صباح الغد صعد اليها فيران ليبين لها الاشغال المطلوبة منها وقد صمم تصميما جديداً وهو ان يبقي غرامه مكتوماً ويتظاهر بالورع والتقوى بضعة أيام

حتى تثق به كل الوثوق ولكن لما رأى جمالها على ضوء الصباح، خانه الجلد وعقه الصبر فلم يتمالك أثناء حديثه معها عن التغزل بقامتها الهيفاء وجمالها الفتان ...

ولم يخف على سيسيلي انه وقع في شراك هواها فلما أظهر لها أعجابه بجمالها رأت ان تطرح الحياء الذي تتكلفه جانباً فقالت له - هل تدل هيئتي على اني خادمة برغم الثياب القروية التي ارتديها ؟

- ماذا تعنين ؟

فمدت له سيسيلي يدها وقالت - انظر الى هذه اليد وتأملها . فهل تظن انها خلقت للاشغال الشاقة ؟

فنظر فيران الى تلك اليد الناجية البضة فكاد يسيل لعابه ولزم الصمت فمدت له ساقها وقالت له

- وهل هذه ساق خادمة ؟

فصار فيران ينظر تارة لى يدها وتارة الى ساقها ثم يشخص اليها والدهشة بادية على وجهه وقد تلعثم لسانه فلم يفه بكلمة فاردفت سيسيلي

- ان مصلحتي كانت تقضي عليّ بان أقول لعمتي كذباً

اني في حالة فقر مدقع اضطرني الى الخدمة بعد موت والديّ واخفيت عنها حالتي الحقيقية . وأظنك اعقل من ان تخدعك الظواهر مثل عمتي فتظن انني أرضى بان اكون خادمة

فازداد فيران عجباً لسماع تلك اللهجة وقال لسيسيلي

من أنت اذن ؟

ـ هذا سر لا أطلع عليه أحداً . . وبعض الظروف التي لا أستطيع الكلام عنها اضطرتني الى الرحيل عن المانيا بهذه الملابس القروية . وأردت ان أبقى متخفية في باريس بضعة أيام لكي لا يعلم بوجودي احد . واظن عمتي انني فقيرة جائعة عرضت عليّ ان أدخل في خدمتك وذكرت لي اعتزالك عن العالم وأفهمتني انني اذا دخلت هذا البيت لا اخرج منه قط . فلم اتردد لحظة في قبول هذه الخدمة لانها تنطبق تمام الانطباق على رغائبي فكأن عمتي ساعدتني على نيل رغائبي وهي لا تدري . فمن يعلم بوجودي في هذا البيت ؟

— انك اذن تريدين التخفي . . وماذا فعلت حتى تضطري الى الاختفاء عن أعين الناس ؟

ـ قد ارتكبت بعض الذنوب التي تحن لها الارواح . .

ولكن مالنا ولهذا فهو من اسراري الخاصة

- وعلى أي أمر نويت اذن يا حضرة الآنسة؟

- على نفس الامر الذي تعودته . والذي ما كنت أشير اليه لولا تغزلك بجمال وجهي واعتدال قامتي . فأصغ الي يا سيدي لقد رضيت بالدخول في خدمتك لان الظروف اضطرتني الى ذلك ولا بد لي من الصبر وتحمل النتائج التي تنجم عن هذا المركز . ولكنني اتركك لاول كلمة غرام تصدر منك . ولا افعل ذلك تعففاً مني فان هذا الجسم الذي تراه لا يمكنه ان يكون عفيفاً

ونظرت الى جاك فران نظرة مشبعة بكهرباء التيه والدلال اهتزت لها مفاصله ثم عادت فقالت وهي تبتسم عن اسنان كأنها اللؤلؤ المنظوم

- نعم لست عفيفة ومتى لعب الهوى بفؤادي أرى التهتك عفة . والآن اذ قد عرفت جانباً من سري فهل ستسلك مسلك الرجل الشهم ؟ وهلا ترى ان جمالي هذا لا يسوغ لك ان تتخذني كخادمة ؟ وهلا تريد قلب الموضوع فتصبح أنت خادماً لي ؟ فان كانت هذه بغيتك فأنا أرضى

بها على شرط ان لا أبرح هذا البيت. فاختر لنفسك ما يحلو فاما ان أخدمك ولا تمسني واما ان تخدمني واكون لك خليلة ولا تختر حالة بين بين فاني لا أرضى بها وأمضي لسبيلي ثم انك تجد هذا السلوك غريباً فلا ألومك على ذلك ولكني ألومك كل اللوم اذا ظننت كما تظن عمتي انني فقيرة احتاج الى قوت يوم لان الحقيقة بعيدة عن هذا الوهم بعداً شاسعاً والدليل على ذلك ان لدي" كيساً مملوءاً ذهباً وجواهر

واخرجت سيسيلي من جيبها كيساً من حرير أحمر وفتحته وارته ما فيه وكان مملوءه الذهب والجواهر كما تقدم. وعادت فقالت

- ولكن ذهب العالم بأسره لا يمكنني من وجود مكان اختفي فيه مثل هذا البيت نظراً لما قيل عن حبك في الاعتزال فاختر لنفسك اذن حالة من الحالتين فأكون لك شاكرة. وانت ترى انني أمنتك على سري اذ لا يخفى عليك ان رغبتي في التخفي دليل على ان بعضهم يبحث عني.. ولكني على يقين من انك لا تخونني أبداً.

وحين رأى جاك فيران ذلك الانقلاب الفجائي الذي طرأ على سيسيلي قال في نفسه — من هي هذه المرأة

يا ترى؟ ولماذا تحاول الاختفاء عن اعين الناس ؟ »

ولكن ماذا يهمه من كل ذلك ما زال يمكنه الوصول الى غايته والامر الوحيد الذي أصبح يخشاه هو خروج تلك الفاتنة من بيته وبدأت الغيرة تدب في قلبه قبل ان تراها عين غير عينه فكان كلما خطر له ذلك الخاطر يناجي نفسه قائلا : « ما زالت هذه المرأة عندى لن ينالها أحد سواي . » وكان حديث سيسيلي وحركاتها وسكناتها تثبت صحة ما قالته فانها ليست على شيء من العفاف ولذلك قويت آمال جاك فيران وتملكه سلطان الغرام فتغلب قلبه على عقله وانقاد لقوة الهوى

وتم الاتفاق بينه وبين سيسيلي على انها تعتبر خادمته في الظاهر منعاً للفضيحة ولكي يكونا في مأمن من شقشقة الالسنة صمم على ان لا يكون في بيته خادم أو خادمة ما خلا سيسيلي، عقد النية على ان يكون هو خادمها وان يكلف أحد أصحاب المطاعم بان يأتيه بما يحتاجان اليه من طعام وشراب واتفق مع موظفي مكتبه على ان ينقدهم كل يوم ما يقوم بنفقات طعامهم بعد ان كانوا يأكلون من مطبخه

وكلف بواب البيت بخدمة مكتبه ·

ثم انه اهتم بفرش غرفة سيسيلي متبعاً كل رغائبها ولم يرض ان تدفع غرشاً واحداً مما انفقه وقدره الف فرنك فهذا الكرم يعد حاتمياً بالنسبة الى ما يعهد في فيران من الشح والتقتير وذلك دليل على ان حبه لسيسيلي أخذ بمجامع لبه

ومنذ ذلك الحين تنغصت حياته فلزم العزلة في بيته القفر وأصبح أطوع لسيسيلي من بنانها كانه عبد من عبيدها . اما سيسيلي لكي لا تقطع آماله من الوصول اليها كانت من حين لآخر تبش في وجهه علامة للشكر كل ما صدع بأوامرها خاضعاً ذليلاً

ولم يطل الامر على جاك فيران حتى اضطربت افكاره وتملكته الهواجس والوساوس فصار حيثما مرّ يخيل له انه يرى أشباحاً تحوم حوله واعتلت صحته وقل أكله وتولاه الارق وكثيراً ما كان ينهض من فراشه بعد منتصف الليل وينزل الى حديقة الدار في أبان فصل الشتاء غير مبال بالبرد والمطر على أمل ان تخمد النار المضطرمة في حشاه على ان ذلك كله لم يغنِ فتيلاً وأحياناً كان يقف ساعات طويلة عند

باب سيسيلي ويظل شاخصاً اليها وهي نائمة وكان لباب غرفتها طاقة صغيرة جعلتها لهذه الغاية اذ كان جل قصدها ان تذكي في صدره نيران الهيام دون ان ينال منها مأرباً وتظل تداعبه على هذه الصورة حتى يضطرب عقله فتنفذ فيه الاوامر التي أخذتها من البارون جرون..

ولم يطل انتظار سيسيلي لان عقل فيران بدأ يضطرب قبل ان يمضي أسبوع على دخولها في خدمته أو بالحري على دخوله في خدمتها فصار يقضي الساعات الطول غارقاً في لجة الافكار غير شاعر بكلما يحدث حوله ثم يتولاه الحزن فيبكي بكاء الثكلى ثم يعقب ذلك رد فعل فيهيج ويحرق الارم ويزمجر في خلوته كالوحش الكاسر ويعقب ذلك وصب شديد فلم يكن يعرف ماهي الراحة

وفي ذات ليلة بينما كانت سيسيلي واقفة في غرفتها امام المرآة تقص شعرها استعداداً للنوم سمعت وقع أقدام في المشى فالتفتت نحو الباب وهى لاتزال واقفة امام المرآة ثم أخرجت من تحت ردائها خنجرها المعهود واستلته من غمده بحذر شديد ووضعته على رخامة الموقدة وكان ذلك الخنجر

مستميا سما زعاف اذا أصاب الجرح يجلب الموت ولم يكن يخفى على فيران مفعوله لان سيسيلي جربته امامه في كلب البيت نخدشت به انفه خدشاً صغيراً فما لبث ان سرى السم في عروقه فاختلجت اغضاؤه ثم تشنج ومات

وبعد ان وضعت سيسيلي الخنجر على الموقدة خلعت رداها فكشفت عن ذراعين وجيد ونهدين لم ترَ العين أجمل منها واذ ذاك سمعت صوتاً خافتاً يقول سيسيلي ؟... سيسيلي ؟...

ثم ظهر في طاقة الباب وجه فيران الشاحب وكانت عيناه الملتهبتان تقدحان شراراً في ذلك الظلام

فاقتربت سيسيلي من الباب وهي تتيه عجباً وتميل كغصن البان وقالت لفيران بصوت يصل الى القلب عن طريق برندزي

— كيف ! انت هنا ياسيدي العزيز ؟

فتمتم فيران قائلا واللعاب يكاد يسيل من فمه — آه . آه ما اجمل هذه الملابس التى تكشف عن عاج نهديك

— أظنك تبالغ في المدح ؟

— لا وحقك وكل يوم تزدادين حسناً في عيني عن يوم

- أنظر الى ذراعي هذا البض العاجي ما اجمله

فارتعدت فرائص جاك فيران وانقلبت سحنته فاصبح منظرها مريعاً وصرخ قائلا .

- اغربي عن عيني اغربي أيتها الشيطانة

فطفقت سيسيلي تضحك واردف فيران بصوت مختنق

- ويلاه ويلاه قد خانني الصبر فلم اعد أتحمل هذا العذاب ! ولولا خوفي من الموت لكنت فتكت بكِ ولكن كيف أفعل ذلك وذهابك عني أصعب لديّ من الموت فافضل بقائك والنظر الى جمالك ولو كان في ذلك عذابي الاليم

- انظر الى جمالي فانني لم أفتح الطاقة في هذا الباب الا لغايتين الاولى أن تراني متى شئت والثانية أن نتكلم من حين لآخر كصديقين متحابين

- وهذا الباب الا تفتحينه؟ ألم أكن لك ذليلا مطيعاً؟ وكان في امكاني هذه الليلة أن أدخل معك غرفتك ولكنني لم أفعل .

- نعم ولكنك مطيع لسببين أولا لعلمك بوجود خنجري الجميل تحت ردائي على الدوام ثانياً لعلمك بانك اذا أغضبتني ارحل عنك فتصبح في حالة أشقى من التي أنت فيها الآن

- تهكمي وتحكمي !!

- لست أتهكم ولكنني لم ارَ من قبل رجلا في سنك تأخذ منه الصبابة الى هذا الحد الذي يقصر عنه وجد الشبان ولو ان في امكانك ان تثبت لي صدق غرامك ربما كافئتك على ذلك ... هل فهمت ؟

- نعم فهمت انك تهزأين بي بلا رحمة ولا شفقة

فلم يجبه سيسيلي ولكنها نظرت اليه نظرة ذات معان فاضطربت أعضاؤه وقال لها

- صوني عينيك عني فانني اكاد افقد صوابي وأفضل ان تقولي لي . لا أرضى ابداً على ان تعديني مثل هـذه الوعود لانك لم تبري بوعدك أبداً وقد عرفتك حق المعرفة حتى لم يبق لي فيك رجاء . . .فما الحيلة يا ترى ؟ تكلمي على الاقل الست تدرين اني اهملت كل شيء لاجلك ولم اعد ادري ما انا فاعل حتى سخر بي مستخدمو مكتبي وضعفت ثقة عملائي فصاروا يحجمون عن توكيلي باشغالهم ولكنك لا تعلمين ماهي العواقب الوخيمة التي تعود عليّ بسبب هذا الغرام الذي تسلط على قلبي أفليس كل ذلك برهانا مقنعاً على صدق محبتي

لك ؟ هل تطلبين المزيد ؟ .. هل تطمعين بالمال ! ان الناس يقدرون ثروتي باكثر مما هي ولكن يمكنني ان ...

فرفعت سيسيلي كتفيها وقطعت حديثه وقالت له

— ماذا تنفعني اموالك وأنا سجينة في هذه الغرفة؟

— وما هو ذنبي وقد اخترتِ لنفسك هذه الحالة ؟ فان كانت هذه الغرفة لاتحلو لك وتريدين استبدال فرشها بأحسن منه فمري وأنا عبدك المطيع

— وما الفائدة من ذلك ولا اجد حبيباً تصبو اليه نفسي وتحن له جوارحي ؟

فهتف فيران قائلا بصوت حزين — صدقت انني طاعن في السن قبيح الصورة تنفر مني الفاتنات اللواتي على شاكلتك

فاجابته سيسيلي بتهكم : — لقد صممت أذني من تأوهك وندبك وانت منذ عشرة أيام منفرداً بامرأة صغيرة في بيت مقفر

فاخذت الحدة فيران وأجاب — ولكن هذه المرأة تحتقرني وقد اتخذت لها سلاحا تصدني به عنها واعتصمت في غرفتها لكي لاتدع لي سبيلا للوصول اليها

— ألا يمكنك ان تتغلب على احتقار هذه المرأة ؛ الا يمكنك ان تنزع الخنجر من يدها واجبارها على فتح الباب الحائل بينك وبينها ؟ ولكن ليس بالقوة لانها لاتجديك نفعا

— ماهي الوسيلة اذن ؟

— الوسيلة الوحيدة هي قوة الوجد والهيام

— وهل في امكاني ان اجعلك تحبينني ؟

— ما اسخف عقلك هل مطلوب مني ان ادلك على الطريق المؤدية الى غايتك ؛ انك قبيح الصورة فلكي تخفي هذا القبح يجب عليك ان تصير جباراً عنيداً . ولكي تخفي كبر سنك يلزمك ان تكون ذا همة . ولكي لاتنفر منك النفوس لا بدّ لك من ان تكون كاسراً كالنمر . فان للنمر الضاري الذي يلغ دم فريسته جمالا خاصا به تحن اليه أنثاه

وكانت سيسيلي وهي تتكلم ترمي جاك فران بسهام لحظها فلم يذكر قط انه رآها أجمل مما كانت في تلك الساعة فهتف قائلا

— تكلمي . تكلمي . ناشدتك الله ولعلك هذه المرة عمدت الى لهجة الجد . آه لو ان في امكاني ..

فقاطعته سيسيلي وقالت له

— لا يستحيل شيء على الانسان مهما كان طاعنا في السن وقبيح الصورة على شرط ان يكون له ارادة تامة لبلوغ مأربه فلو انني محلك لكنت أعلمك كيف استميل اليّ امرأة جميلة صغيرة ملؤها الحياة محجوز عليها تحت يدي . امرأة لا يخفى عليها شيء لأنها لا تتردد في عمل أى شيء . نعم كنت استميلها واذ ذاك يصبح ماكان ضدي معضدي . وان أنت فعلت ذلك ونلت المرام كم تفاخر بذلك وتشمخ بانفك كبراً وتقول «سترت بجدي واجتهادي كبر سني وقبح صورتي وصار من اهواه يحبني لا اشفاقا عليّ بل اعجابا بدهائي وجرأتي وهمتي وقوة وجدي . فلو ان التي أهواها تلقي بمنديلها في النار وتأمرني بانتشاله فلا أتردد طرفة عين في القاء نفسي في اللهيب . »

فجحظت عينا فران وأجابها

— نعم . نعم هكذا افعل ... عند الامتحان يكرم المرء او يهان . مرى تريني عبدك المطيع مهما كان امرك فابذل في سبيل رضاك مالي وشرفي وكل ماتصبو اليه نفسي في

هذا العالم

فوضعت سيسيلي يدها الناعمـة على يد فران الخشبية وقالت له بصوت رخيم يأخذ بمجامع القلوب

— أصادق أنت في دعواك ؟

وكانت تلك أول مرة لمس فيها جاك فران يد سيسيلي فلما أحس بنعومة بشرتها تكهرب جسمه فتشنجت عضلاته وازداد وجهه اصفراراً وكاد يختنق لشدة الانفعال

فعادت سيسيلي وقالت

— نعم يسهل على الاشيب القبيح انه يستميل اليه الحسناء الصغيرة التي يهواها اذا اطاع أمرها فان قالت له مثلا ان لها عدواً لدوداً أتريد ان تفتك به فلا يتردد لحظة في اجابة طلبها

فحاول جاك فران ان يدخل رأسه من طاقة الباب ويدني شفتيه من وجـه سيسيلي وهو يقول لها:

— نعم نعم لا يتردد لحظة في اجابة طلبها

فضغطت سيسيلي على يد فران ضغطاً معنويا لطيفا وقالت له — أصادق أنت فيما تقول ؟

— نعم لا أتردد لحظة في ارتكاب أية جريمة اذا كان من

بعدها الوصول اليك

وللحال رفعت سيسلي يدها عن يد فران وقالت له وانا أقول لك مثلما قلت لي منذ حين أغرب عن عيني اغرب فانني لم أعد أعرفك اذ لم يعد وجهك قبيحا في عيني مثلما كان .... أغرب

قالت ذلك ونفرت منه نفور الظبي الشارد وتظاهرت بانها تعتقد ماتقول وصارت تنظر الى فران من بعيد نظرات يفهم منها انها لم تعد تستقبحه فلما رأى منها تلك الدلائل التي أحيت آماله تشنجت عضلات وجهه وأمسك حافة الطاقة بأصابع متوترة وصرخ قائلا

— سيسيلي . عودي ومري فاكون لك أطوع من بنانك وأفتك بعدوك فتك النمر الجائع بفريسته

ولكن سيسيلي ظلت تبتعد عن الطاقة وأجابت

— لا لا ياسيدي لا يمكنني اجابة سؤالك ولكي ابعد عني الشيطان الطاغي عزمت على ان أغني نشيداً تعلمته في بلادي وهو . «ان الريح في الحقول تزداد دوياً وصفيراً . وهبت الزوبعة فما أحلى هذه الليلة للعاشقين »

فناداها فران مستعطفاً وتضرع اليها قائلا عودي عودي

— لا لا ربما أعود فيما بعد حينما أصبح في مأمن من الخطر ولكن ضوء هذا المصباح يؤلم عيني وأشعر بذبول أثمل أجفاني وأحس بانفعال نفساني خفق له قلبي فافضل ان يضعف نور هذا الضو ...

— سيسيلي عودى قد شواني الغرام فاسمحي لي بساعة أنس أشتريها بمالي وحياتي

— فوثبت سيسيلي كاللبوة وثبة أدنتها من الطاقة وقالت لفران بصوت خافت

— اعلم ياهذا انني كنت عازمة على ان لا اعود اليك هذه الليلة ولكن دافعا قويا ردني لانني ذكرت ماقلته لي الآن «اذا امرتك بالفتك بعدوى تفعل» مما يدل على انك تحبني فهل أصاب سهم ظني المرمى؟

— نعم نعم وهل تريدين برهانا على ذلك مالي كله؟

— لا أريد ذهبا فان عندى منه شيئاً كثيراً

— هل لك عدو . فاقتله؟

— لا عدو لي

— أتريدين ان تكوني بعلتي ..؟ أتزوجك؟

— اني متزوجة

— ماذا تريدين اذن . ماذا تريدين ؟

— اريد ان تثبت لي انك تحبني حبا أعمى وانك تبذل في سبيل رضاي كل شيء

— نعم أبذل كل شيء ولكن كيف يكون ذلك .؟

— لست أدري ولكن لاح لي منذ حين ان وميض عينيك بهرني فلو ان تلك الحالة تعود اليك وفي أثنائها تتلطف الي وتلتمس الرضى ربما أحن عليك ولكن يلزمك الاسراع في العمل لانني سريعة التقلب فرب حالة تروق في عيني الليلة وأنفر منها غداً

فاخذ فيران يفرك يديه وقد خانه صبره وضاق صدره وهتف قائلا — انه لعذاب اليم ! أي برهان تريدين ؟ تكلمي

فابتعدت سيسيلي عن الطاقة غضبي تدل هيئتها على الاحتقار وقالت لفيران

— لست سوى ابله ! وقد أخطأتُ حين ظننت انك ذو همة ونشاط ؛ أسعد الله مساك ..

- سيسيلي ..قفي لاتذهبي .. عودي عودي يارباه ماالحيلة . تكلمي ويلاه انني أشعر بدوار وتشتت مني الافكار

- لوكنت تحبني حقيقة مثلماتدعي تجدطريقة لتثبت ذلك

- سيسيلي ! ...

- عوضا عن افتح لك الباب اسمح لى ان اغلق هذه الطاقة

- بربك اصغي الي انني ...

- كنت ظننت ان حالتك اثرت في فؤادى وبدأ نور المحبة يضيء بين جوانحي ولكن ذلك الضوء انطفى وخيم الظلام فاضمحلت كل آمالك وخسرت خسارة جسيمة

فظل فيران مطرقا برهة لا يفوه بكلمة ثم هتف بغتة بصوت ينم عن الفرح الشديد

- قفي اكلمك فقد وجدت برهانا اثبت لك به عظيم محبتي

- وما هو هذا البرهان؟

قالت سيسيلي ذلك واقتربت من الموقدة وأخذت الخنجر الذى كانت وضعته على حافتها ولما عادت الى الطاقة قال لها فيران بصوت مختنق

- اذا وضعت بين يديك مالي وشرفي وحياتي الآن

حالا أهل تصدقين بعد ذلك اني احبك اهل تقتنعين ؟

— شرفك ... ومالك.. وحياتك..؟اني لا افهم مرادك

— لو أطلعتك على سر اذا علمت به الحكومة تشنقني هل تؤمنين باني أحبك؟

— كيف ذلك ! لعلك مجرم ؟ لا لا . . . . والتقشف الذي تظهره ؟ والاستقامة والتقوى ؟

— كاذب

— ان الناس يعتقدون بانك رجل صالح صديق في أي حالة تصبح اذا وقفوا على حقيقة أمرك ؟ لا . . لا أتصور انه يوجد على الارض رجل يبلغ منه الدهاء والعزم الى درجة يمكنه من اكتساب ثقة الناس واني أعد ذلك من رابع المستحيلات .

فهتف فيران قائلا وعلامات التفاخر مرسومة على سحنته الشيطانيـة - نعم أنا هو ذلك الرجـل العظيم الذي استهان المستحيل

— لاتتكلم هكذا ياجاك فانك تفقدني الصواب

— اني أسفك دمي تحت موطي قدميك

— قد بدأت أعتقد انك تحبني فخـذ ها هو خنجري الذي كنت تخشاه

فاخـذ فيران الخنجر بحذر شديد ورماه في الممشى وقال لسيسيلي - هل تصدقين الآن ما أقول؟

فضغطت بيديها على يدي جاك بشـدة وأجابته -. نعم أصدق ماتقول لاني رأيت في عينيك تلك النار المتقدة التي أوشكت ان تذهب برشـدي منذ حين ما أجـل عينيك يافيران فقد أصبحت أحبهما ولا يبعد ان يكون ما قلته عن هيامك صحيحا

— هل تشكين فى ذلك ؟.... سوف ترين ان..

— قد أصبح وجهك مخيفاً فاصبحت بذلك جميلامثل النمر الهائج... ولكن هل ماقلته عن جرائمك صحيح؟

— قد ارتكبت جرائم لاتحصى

اذا كنت تعتقد انك باطلاعي على تلك الجرائم تثبت صدق محبتك لي فافعل

— واذا أطلعتك على كل شيء.؟

— أسمح لك بكل شيء لانك اذا أظهرت هذه الامانة

العمياء وهذه الشجاعة النادرة المثال أصبح أنا الهائمة في هواك وأقول لك إليّ ... الي

وبعد ان قالت سيسيلي عبارتها هذه دنت من طاقة الباب وقربت وجهها من وجه فيران حتى شعر هذا بحر أنفاسها فتكهرب جسمه وقال لها

— هل أصدق ما أسمع؟.. هل تصبحين لي؟... وان أنت رضيت بذلك تصبح حياتي بين يديك فبكلمة واحدة منك يقطع رأسي ويصير اذن شرفي وحياتي ملكا لك منذ هذه الساعة فاعلمي انه منذ عشر سنين عهد الي بعضهم طفلة ومائة وخمسين الف فرنك لانفق من ريعها على الطفلة ولكنني القيتها على قارعة الطريق وادعيت انها ماتت وأثبت ذلك بشهادة وفاة مزورة وأبقيت لنفسي المال

— من كان يتصور انك تقدم على مثل هذا العمل

— اصغي اليّ أيضاً وكنت أكره صراف خزينتي وفي ذات ليلة استدان من الصندوق شيئاً من المال وأعاده في الغد ولكنني لكي أوقعه في هاوية من الشقا لا يخرج منها ادعيت انه سرق من صندوقي مبلغاً من المال جسيما فصدقوا دعواي

الكاذبة وزجوه في أعماق السجن والآن يا سيسيلي ألا ترين انني وضعت شرفي بين يديك؟

— آه ياجاك ... يا جاك انك تحبني حبا شديداً ولا شك فما هذه السلطة العظيمة التي لي عليك؟. فثق باني لا اكون ناكرة الجميل دعني أقبل هذا الجبين المكفهر الذى ولّد تلك الافكار الخبيثة

فابرقت عينا فيران لشدة الفرح وهتف قائلا

— لو انني أرى المشنقة معلقة أمامي فلا أتحول من عزمي فاصغي اذن يا سيسيلي واعلمي ان تلك الطفلة التى القيت بها على قارعة الطريق ظلت على قيد الحياة ثم جعلتها الاقدار حجر عثرة في سبيلي فخوفا من وخيم العاقبة قتلتها

— أنت . وكيف ذلك . وأين ؟؟

— قد تم ذلك منذ بضعة أيام بالقرب من أزنيير في جزيرة الرفاجور هنالك أغرق الفتاة رجل يدعى نقولا مرسيال في قارب له صام . . . والآن ألم تكتفي بما ذكرته لك . ألم تصدقيني ؟

— انك تخيفني وفي الوقت نفسه تضرم نار الوجد في

صدرى فما هو هذا المفعول الجديد الذي صار لك عليّ

— اصغي اليّ أيضاً واعلمي ان قبل ذلك الحادث أودع رجل عندي مائة الف فرنك فلكي أتخلص من الرجل وأستولي على ماله أوقعته في مهلك فقتل فاثبت انه انتحر وبعد قتله أتت اخته تطالبني بذلك المال المودع عندي فانكرته. فها قد أصبحت حياتي بين يديك فافتحي لي الباب لادخل

فاجابته سيسيلى بلهجة تدل على ان الغرام قد أخذ منها

— قد صرت أهواك يا جاك وأعبدك

فاجابها فيران وقد اسكرته خمرة الانتصار

— لو قيل لي ان أذبح الف رجل في سبيل رضاك لا أتردد لحظة واحدة نعم لقد صدقت فيما قلته منذ حين فلو انني عدت الى سن الشباب لما كنت شعرت بمثل هذه اللذة التي أشعر بها الآن

فارمي اليّ بالمفتاح وازيحي المزلاج

فاخرجت سيسيلى المفتاح من القفل وأعطته لجاك وهي تقول له

— لقد افقدتني صوابي يا جاك

فزمجر فران كالوحش وقال وهو يعالج الباب ليفتحه :

ـ ها قد نلت أمنيتي بعد طول الصبر

غير ان الباب لم يفتح لانه كان موصداً بالمزلاج من الداخل وبينما فران يحاول فتحه ولا يستطيع قالت له سيسيلى بصوت خافت

— الي أيها النمر المحبوب اليَّ !

— المزلاج المزلاج أزيحي المزلاج

— ولكن من يضمن لي ان ماذكرته لي من الجرائم حقيقي وانك لم تستنبط هذه الاخبار لتنال بها ماربك .

فوقف فران مبهوتاً ثم مالبث ان اكفهر وجهه واحتقنت عيناه وأخرج من تحت صدريته سلسلة من حديد معلق بها محفظة حمراء فظل يشد السلسلة حتى قطعها وأمسك المحفظة وأراها لسيسيلى وقال لها

— ان في هذه المحفظة من الادلة القاطعة على جرائمي ما يكفي للحكم عليَّ بقطع الرأس . فافتحي لي أعطك اياها

— هاتها ايها الحبيب

ثم انها أزاحت المزلاج بيد ومدت الاخرى وأمسكت

المحفظة. فظن فران ان الباب فتح فافلت المحفظة من بين أصابعه فاختطفتها سيسيلي باسرع من لمح البصر ودفع فران الباب بعنف ليدخل فلم يفلح لان الباب كما تقدم كان مقيدا بسلسلة حديدية فلا ينفتح الا قيد شبر. اما سيسيلي فبعد ان اختطفت المحفظة فتحت نافذة غرفتها ورمت رداءها وادلت حبلا طويلا متيناً معقداً كان في غرفتها لهذه الغاية وبعد ان ربطت طرفه الاعلى في حديد النافذة أمسكت به وتدلت الى فسحة البيت فلبست الرداء وخرجت من باب الحديقة فوجدت عربة كان يرسلها البارون جرون كل ليلة فتظل هنالك حتى الصباح فركبتها وبلغت بها الشارع وجاك فران لا يزال واقفاً خلف الباب ويقول

— سيسيلي افتحي افتحي

ولم يشعر بهرب سيسيلي لانه لا يرى النافذة التي هربت منها ولما لم تجبه عيل صبره فدفع الباب بكل عزمه فانقطعت السلسلة وفتح الباب ودخل كأنه القضاء المبرم ولكنه لم يجد أحداً ورأى الحبل المعقد مربوطاً الى حديد النافذة ولا يزال يتحرك فاطل فرأى باب الحديقة مفتوحاً فادرك اذ ذاك

انها أحبولة. ولكنه لم يقطع الامل فامسك بالحبل وتدلى مثلما فعلت سيسيلي وخرج من بيته لا يلوي على شيء فوجد الطريق مقفراً ولم ير أحداً ولم يسمع سوى دوي عجلات العربة الذاهبة بسيسيلي كأنه آخر دوي الرعد بعد سقوط الصاعقة فادرك للحال انه لن يرى سيسيلي طول حياته وحين فكر انها أخذت المحفظة التي تثبت كل جرائمه أظلمت الدنيا في عينيه وأصابه دوار فخانته قواه واصطكت ركبتاه فانطرح عند عتبة الباب الخارجي وظل على تلك الحال بضع دقائق ولما عاد اليه صوابه وقف ومشى ودخل الدار وأغلق الباب وطفق يعدو في الحديقة كالمأخوذ وهو يمسك رأسه بكلتي يديه. ثم مالبث ان تبلل جسمه بعرق بارد فعاودته النوبة التي أصابته وهو خارج الباب. فوقع على الارض بلا حراك

## الفصل الرابع والاربعون

## الحب في السجن

كان هذا اليوم الذي سنقص حوادثه يوم زيارة المسجونين في سجن الفورص. وكان نقولا مرسيال بين المسجونين الذين طلبوا لقاعة الاستقبال والناظر الى وجه هذا الشاب يرى لاول

وهلة ان قد فارقه ماكان اعتراه من الاضطراب والقلق يوم القي القبض عليه وعاودته السكينة والسبب في ذلك انه وجد في ذلك السجن عدداً عديداً من أمثاله وكلهم يبالغون في عدم المبالاة ويعدون النادم منهم جباناً فيوسعونه ضرباً واهانة حتى يحذو حذوهم ويطرح الخوف والندم جانباً . وما لبث نقولا ان دخل السجن حتى نسج على منوال اقرانه الاشقياء ليثبت لهم انه خير خلف لخير سلف . ولم تمض على اقامته في السجن بضعة أيام حتى أدرك كل المسجونين انهم دونه في فن القتل واللصوصية فاقاموه رئيساً عليهم فشمخ بانفه كبراً وصار يفاخر في ما أتاه من المنكرات في حياته ويبالغ في وصفها ليزداد رفاقه اعجاباً به

والذي زار نقولا مرسيال في ذلك اليوم هو الاب ميكو وكانت هيئته تدل على الخوف والاضطراب بقدر ما كانت هيئة نقولا تدل على عدم الاكتراث وثبات الجأش . ويذكر القاري ان ميكو هو صاحب حانوت المسروقات وصاحب الفندق النازلة فيه مدام فرمون وابنتها بعد الذي نالهما من الشقاء على يد جاك فران

والسبب في خوف ميكو انه كان يعلم حق العلم بما يناله من القصاص اذا القت الحكومة القبض عليه وعلمت بكل ما ابتاعه من المسروقات من نقولا مرسيال وغيره فلما قبض على نقولا مرسيال خاف ميكو ان يشي به فصار يعمل كل مايرضيه ويزوره كلما استطاع الى ذلك سبيلا ليظل راضياً عنه . ولما تقابلا ذلك اليوم قال نقولا

— كيف حالك يا ابني ؟

فتنهد ميكو وأجاب : — أحمد الله على كل حال . وقد أسرعت في تلبية كل طلباتك

— بورك فيك . ولا غرابة في ذلك لانك لست ممن ينسون أصدقاهم وهل أتيتني بالتبغ .

— نعم اشتريت لك رطلين أودعتهما عند السجان وأتيتك أيضاً بقطعه من الجمبون ورغيف كبير من الخبز الابيض وشيء من البيض المسلوق والجبن

— هذا ما كنت أنتظره من صديق حميم مثلك والنبيذ ؟

— أتيتك أيضاً بست زجاجات مختومة ولكنك تعلم

انهم لا يسمحون لك بسوى زجاجة واحدة كل يوم . فأؤمل ان تكون مسروراً مني يا ولدي .

— نعم أنا مسرور منك وسأظل مسروراً على الدوام ولا سيما اذا زرتني بعد يومين وأتيتني بما احتاج اليه من مأكول ومشروب كما فعلت اليوم

— ليحرقني الشيطان اذا أجبت طلبك هذا . فهل أنا مكلف بعلفك يا هذا .

ليس من العدل يا ابني ميكو ان تنبذني الآن بعد الذي جلبته لك من الرصاص المسروق ولكي أثبت لك ان عملك هذا غير عادل ادع القاضي ينصفني ويبين لك انك مخطئ . فأقول له مثلا ان الاب ميكو ..

فلما رأى ميكو ان تقولا لا يتردد في اطلاع القضاة على الحقيقة خاف سوء العاقبة فاخذته الحدة وقال له

— حسن . حسن رضيت بكل شروطك . وسآتيك بكل ما تحتاجه من طعام وشراب

— نعم بمثل هذا يقضي الانصاف ثم لا تنس ان ترسل شيئاً من البن لامي وأختي كالياس المسجونتين في سان لازار

لانهما تعودتا من عهد بعيد شرب القهوة صباحاً فاذا حرمتا منها في السجن تتألمان

— لك ذلك ايضاً وأرجو ان يكون آخر ماتطلبه مني

— ارجوك ان تقول لوالدتي وأختي بأنني لم أعد ارتجف خوفاً مثلما ارتجفت ساعة القوا القبض عليّ وأصبحت اشد منهما تمسكا بحرفة والدي . ومنذ دخلت هذا السجن لا افتر لحظة عن اللهو كانني ملك من الملوك من حوله الخدم والحشم ولو ان في امكان المسجونين ان يقيموا العابا نارية احتفاء بي لفعلوا لانهم شغفوا بحبي مذ علموا اني ابن اللص القاتل مرسيال الشهير الذى شنق واصبحوا كانهم اعوان تحت امرتي

فهز ميكو رأسه واجابه

— يحق لك ان تفاخر بهذا النسب

— ولماذا لا يكون بين اللصوص درجات والقاب شرف مثل المركيز والدوق والكونت ؟ . فاذا امكن ذلك يستحق اللصوص الاشراف الذين على شاكلتي اللصوص الاسافل الجبناء ويوجد الآن في السجن شاب من هؤلاء الاسافل يدعى جرمان تدل كل حركاته وسكناته على انه يكره بقية اللصوص الاماجد

وينفر منهم . واذا ظل هذا الشاب يحتقرنا اتعهد انا بتأديبه واذا عاد عدت

ـ قلت انه يدعى جرمان ؟.

ـ نعم ... فهل تعرفه . المرجح عندي انه من الخونة

ـ كلا . لا اعرفه ولكن اذا كان هو نفس الشاب جرمان الذى حدثوني عنه . فسوف يناقشونه الحساب لان فيلو والاعرج الضخم يدعيان انه وشى بواحد من عصابتهما

ـ قلت لك ان جرمان جبان خائن وقد زادني ماقلته لي اقناعا وسوف أخبر به رفاقي ونتفق على القصاص الذي يستحقهُ

ـ استودعك الله يانقولا وأرجوك ان لاتكثر من الطلبات من الآن فصاعداً

وخرج ميكو وللحال أعاد السجان نقولا الى داخل السجن وبينما كان ميكو خارجاً من بهو الاستقبال دخلته الضحوكة وكان السجان المعين هنالك جنديا مسنا ناهز الاربعين ذا وجه عبوس ولما وقع بصره على الضحوكة انبسط وجهه وبدت عليه علامات السرور لانه طالما لحظ ان زيارة هذه

الفتاة تجاب لجرمان التعزية والسلوى فلما دنت منه قال لها

— ما أقبح هذا النهار يا آنسة فلا شك ان الذين يخرجون تحت هذه الامطار والزوابع يثبتون محبتهم الشديدة للذين يزورونهم ولست في حاجة ان أسألك عن الذي ترغبين في زيارته

— بلا شك وكيف حال صديقي جرمان ؟

ـ اعلمي أيتها الآنسة انني رأيت كثيراً من المسجونين يظلون بعد دخولهم الى السجن كئيبين ولكنهم لا يلبثون بعد أيام قلائل ان يعودوا الى سابق زهوهم وينسون كل ماضيهم أما جرمان فعلى عكس ذلك فكلما طالت مدته في السجن ازداد حزناً وكآبة ويؤثر العزلة ولا يختلط بأحد من رفاقه المسجونين وقد قلت لك فيما مضى ان تنصحي اليه بان لا ينفر هكذا منهم خوفاً من ان يضروا به على رغم ما نتخذه من الحيطة والصيانه

ـ آواه يا ربي ألم يكف ما أصاب هذا الشاب حتى يظل تحت الخطر في السجن أيضا

ـ لا أقول انه تحت الخطر ولكن لاحظت ان المسجونين الآخرين يعتقدون انه ليس من طينتهم فصاروا يكرهونه

ولا سيما لانه شهم كريم الاخلاق

فاغرورقت عينا الفتاة بالدموع وقالت

- أخشى ان اولئك الاشرار يقتلونه

- كوني مطمئنة البال فان عيوننا ساهرة ولكن أعيد عليك ان تنصحيه بالائتلاف مع المسجونين فانه لا يجد في ذلك صعوبة الا في بدء الامر ثم لا يعود يرى ذلك منافياً لشرف نفسه والآن اصبري قليلا بينما أناديه ولكن قد فكرت انه لم يبق من الزائرين سوى اثنين فقط فانتظري حتى يذهبا ولا أظن انه يأتي غيرهم اليوم فقد صارت الساعة الثانية وسأخبر المسيو جرمان بذلك وبهذه الطريقة يمكنكما ان تتحدثا ولا رقيب عليكما ويمكنني حينما تختليان ان ادخله لمشى فلا يكون بينكما سوى فاصل واحد من الحديد عوضاً عن فاصلين

- ما أطيبَ نفسك ياسيدي وكم يلزمني ان أشكرك

- اسكتي لكي لا يسمعك أحد من المسجونين فيغار من جرمان فاجلسي هنالك عند آخر المقعد وحالما يذهب ذلك الرجل وزوجته استدعي لك المسيو جرمان ثم أرجوك متى جاء ان تحذريه من لص دخل حديثاً يدعى الهيكل

- ما أغرب هذا الاسم ؟

- هكذا يسمونه لانه ضامر الجسم وقد اشتد نحوله حتى أصبح مخيفاً وبعد ان حكم عليه بالاشغال الشاقة فر من السجن وسرق وقتل ولذلك سيكون عقابه أليما . قد خرج الرجل وزوجته فها أنا ذاهب لاستدعا صديقك

وذهب السجان وعاد بعد هنيهة ووراءه جرمان فلما وقع بصره على وجه الضحوكة الصبوح صبغته حمرة الخجل اما الفتاة فتظاهرت بالسرور مثل عادتها لكي تقشع غيوم الهم عن صديقها ولكنها على رغم ذلك كاد يخونها الحزن الذى تكنه في فؤادها وكانت في ذلك اليوم تحمل سلة صغيرة من القش ولما دار الحديث بينها وبين جرمان ابتعد عنهما السجان وجلس الى جنب موقدة يصطلي نارها وما لبث هنالك ان أطبق جفنيه النعاس فنام وخلا الجو لجرمان والضحوكة فامكنهما ان يتكلما كما يشاآن بلا رقيب فقالت الضحوكة وقد ادنت رأسها من الحاجز على قدر الامكان لترى وجه حبيبها عن قرب

- قرب وجهك مني لأراه لعلي لا اجده كئيبا مثل العادة

- ما أطيب قلبك فكيف أتيت اليوم تحت هذه الامطار

- انك توبخني بهذا الكلام

- الا يلزمني ان اوبخك على خروجك عن حد الاعتدال في معاملتي وانا لا يمكنني ان اكافئك على حسن صنيعك الا بان اقول لك بورك فيك

— لقد أسأت الظن فانني أجد لذة في زيارتك .

— ان اشفاقك وطيبة قلبك ينطقان لساني بالشكر وال . . .

ونكث جرمن رأسه ولم يتم عبارته واحمر وجه الضحوكة وقالت له : — وماذا ؟

فقال جرمن بصوت خافت ... والامتنان

— ولماذا لم تصدقني وتقول انك تحبني اما انا فلا أخفي عنك اني ملت اليك منذ أصبحت جاري وصرت أحبك كما تحب الاخت أخاها ولما سجنت كان لغيابك عني وحشة :

— أصادقة أنت في ماتقولين ؟

— نعم انك أوحشتني وقد زدت ميلاً اليك بعد اطلاعي على الكتاب الذي بعثت به اليّ وذهابي الى غرفتك حيث قرأت وصيتك التي تذكر فيها انك تهبني كلما تملك من حطام الدنيا

اذا مت مقتولاً بيد أثيمة فأثرت بي عواطفك هذه الرقيقة فلم أتمالك من البكاء أفيعجب الناس بعد هذه الفعال ان يروا فتاة مثلي تحب فتى مثلك.

فلما سمع جرمان مقال الفتاة احمر وجهه وجلاً وقال؟

— أتحبينني ! . . . أتحبينني .

— نعم رأيت ان أبوح لك بسري من تلقاء نفسي لانك لم تسألني عنه .

— هل يمكن ما تقولين ؟

— هل تشك في ذلك ؟ . . ولكن ماذا أصابك أيها الحبيب لماذا تخفي وجهك بين يديك كالحزين الكئيب ألست تعلم ان هذا يؤلمني فانني أبذل جهد المستطاع لتسلية خاطرك فلا أرى منك الا وجهاً عابساً . . . أيجوز ذلك في شرعك ؟

— ويلاه ما أشد مصابي قد بدأت تحبينني بعد ان أضعت شرفي ولم أعد كفوءاً لك

— أنت لست كفوءاً لي ؟ انك تهزي ياصاح فقولك هذا يعادل قولي انني في الزمن الغابر لم أكن اهلا لمحبتك لانني سجنت . . . نعم انني سجنت مثلك لما كنت صغيرة ولم تمنعني

ذلك من أن أكون شريفة النفس

— ولكنك سجنت لانك كنت طفلة طريدة فقيرة اما أنا فانني متهم بتهمة فظيعة فلا أستحق اشفاقك عليّ ولا محبتك اياي .

فهتفت الضحوكة قائلة بصوت ينم عن الالم وقلة الصبر

— قلت لك ان ميلي اليك ليس الا من باب الحب لانني لم أعد أفكر الا فيك فقد تولاني الارق وعافت نفسي الطعام وكيفما اتجهت أرى صورتك امام مخيلتي . فأحب كل شيء فيك فهل تعد هذا من قبل الاشفاق؟

- يخيل لي انني في حلم لا في يقظة لشدة فرحي

وبعد ان أبرقت أسارير جرمان عاد فاكفهر وجهه وذكر مركزه فأردف

- ولكنني مسجون ومتهم بسرقة وسوف أحاكم ويداس شرفي . وربما يحكمون عليّ بالسجن سنين عديدة

فأجابته الضحوكة بجنان ثابت : ـــ اذا حكم عليك وسجنت اطلب من رجال الحكومة ان يزفوني اليك في كنيسة السجن

- ولكن ربما أسجن في بلد بعيد عن باريس

- متى أصبحت زوجتك اتبعك وأقيم في البلد الذى تسجن فيه حيث أجد عملاً أرتزق منه وأزورك كل يوم

- ولكنني أسقط في عيون الناس جميعهم

- ماذا تهمني أقوال الناس مازلت أحبك ؟ هم يظنون انك أصبحت ساقطاً وأنا أعلم انك شهيد الظلم والاستبداد وانه لم يوقعك في ما أنت فيه من الضيق الا طيبة قلبك ولذلك أفديك بروحي واقف حياتى لخدمتك فان كنت ترفض قلبي الذى أقدمه لك . .

- لا لا بل أعد من الجبن رفض ماتقدمينه لي ولوكان فيه مشقة لك ونصب

- لقد أرحت بالي عليك ياجرمان . فهل تعدني الآن بعد ان تسلحت بمحبتي بأنك لم تعد تخشى الكلام مع المسجونين لكي لا تهيج عليك غضبهم ؟

- كوني مطمئنة فانهم سوف يحسنون بي الظن اذا انهم عرفوني حتى الآن حزيناً كئيباً فظنوا ان كآبتي ناتجة عن ندمي على جرامي ومتى رأوني بعد اليوم فرحاً مسروراً وهم

لا يعلمون السبب في انقلابي يظنون انني اقتديت بهم واستصوبت رأيهم فلا يعودون يكرهونني .

وفي تلك اللحظة بدرت من السجان حركة تدل على انه أفاق من نومه فقالت الضحوكة وهي تبتسم ابتساماً يشف عن طهارة النفس

— أسرع وقبل جبيني من خلال أعمدة الحاجز فتكون هذه القبلة بمثابة هدية الخطوبة

ثم أدنت الفتاة جبينها من الحاجز الحديدي والدم يكاد يقطر من وجهها لشدة الوجل فخفق قلب جرمان وقبل ذلك الجبين الطاهر

وبعد بضع دقائق خرجت الضحوكة من السجن باسمة الثغر متهللة بعد ان دخلت حزينة كئيبة

## الفصل الخامس والاربعون

## مؤامرة في جب الاسود

في سجن الفورس مكان خاص يدعى جب الاسود يسجن فيه ذوي الاخلاق الوحشية والذين ارتكبوا جرائم فظيعة . وفي ذلك العهد كثر المسجونون في ذلك السجن فضاق

على رحبه فاضطر المدير الى ادخال جانب من المسجونين الى جب الاسود ولو انهم ليسو من ذوي الاخلاق الوحشية ولا من ذوي الجرائم الفظيعة.

وكان لجب الاسود فسحة لها بابان باب حديدي حائل بين ذلك القسم والاقسام الاخرى وباب آخر خشبي يدخل منه الى قاعة مستطيلة يقال لها قاعة الاصطلا اذ ان في وسطها مستوقد كبير ومن حوله مقاعد يجلس عليها المسجونون

وفي ذلك اليوم كان جانب من مسجوني جب الاسود يروحون ويغدون في الفسحة التي أشرنا اليها وجانب آخر في قاعة الاصطلا وكان بين هؤلاء جماعة يتشاورون وبينهم بريليون ونقولا مرسيال . اما صاحب الكلمة النافذة بين المتآمرين فهو رجل يناهز الاربعين يدعى الهيكل . وقد أطلق عليه هذا الاسم لانه ناحل الجسم الى الدرجة القصوى بحيث لم يبق منه سوى الجلد والعظم فأصبح شبيهاً بالهيكل . وكان هذا المسجون من اكبر المجرمين فقد حكم عليه أولا بالاشغال الشاقة المؤبدة فتمكن من الفرار وعاد الى جرائمه وظل يعيس فساداً حتى قبضت عليه رجال الشحنة

وهو متلبس بالسرقة والقتل وزجته في سجن الفورس بينما يحاكم وكان المنظور انهم يحكمون عايه بالاعدام.

ولما راى السجان مالهذا الرجل من السلطة على بقية المسجونين أقامه رقيباً عليهم في قاعة النوم. وفي تلك الساعة كان هو رئيس العصابة المتآمرة التى فيها بربليون ونقولا مرسيال فقال

— نعم والف نعم ان الاب ميكو على يقين من ان ذلك الخائن وشى بأحدنا حتي ان الاعرج البدين أراد يوماً ان يقتله لاجل ذلك

قال بربليوف : — صار يلزمنا اذن ان نعاقب هذا الخائن جرمان عقاباً اليماً يتوب بعده عن الوشاية بنا. وأظن ان رئيسنا الهيكل يصادق على هذا الاقتراح

فنزع الهيكل غليونه من بين شفتيه وقال لرفاقه بصوت خافت جداً

— ان جرمان أصبح حجر عثرة في سبيلنا لانه يشي بنا وكان يجب علينا ان نخرجه بالقوة من جب الاسود ولم يكن يلزم لذلك سوي الاضرار به

فقال له نقولا

— وأي تغيير حصل في التصميم ؟

— اذا كان الاعرج البدين صادقاً في دعواه أي اذا كان جرمان وشى بنا حقيقة فلا أكتفي بالاضرار به ضرراً بسيطاً

فقال بريليون — بورك فيك ياهيكل

فقال الهيكل وقد بدأت تأخذه الحدة

— لا بد من مثل نؤدب به الذين يعتدون علينا وليس اعداؤنا الآن من البوليس ولكنهم من الخونة الجبناء الذين يشوا بنا فان جاك وبوتيه اللذين شنقا منذ بضعة أيام ذهبا ضحية الخيانة وكذلك وروسيليون الذي حكم عليه بالاشغال الشاقة المؤبدة

فهتف نقولا مرسيال قائلا

— وأنا ؟ وأمي ؟ وكليباس ؟ . . . وأخي المسجون في طولون الم يخنا جميعنا براروج ؟ والذي يثبت صدق ما أقول هو انهم أرسلوه الى سجن الروكيت عوضاً عن ان يزجوه معنا في جب الاسود لانهم خافوا عليه من ان نبطش به

فقال بريليون

— وأنا الم يشي بي برازوج ؟ فلا بد من حد لهذه الوشايات

ولا بد من مثل مؤدب مثلما قال الهيكل. ان بعض رفاقنا يخونوننا ويظنون انهم في مأمن من انتقامنا لانهم يسجنون في غير هذا السجن ولكي نمنع هذه الامور يجب على المسجونين جميعهم ان يعتبروا الواشي كعدو لدود لهم لا بد من اعدامه سواء كان وشى ببطرس أو ببولص وسيان ان كانت حصلت وشايته في مكان أو في آخر ولا بد من الفتك به ومتى قتلنا أربعة أو خمسة يكف الآخرون السنتهم عنا

فقال له الهيكل

— صدقت فيلزمنا اذن ان نقتل جرمان . . ولكن أرى ان ننتظر حتى يأتي الاعرج البدين ليثبت للجميع ان جرمان وشى بنا وبعد ذلك لا نبقي عليه .

— وكيف نتصرف مع الحراس الذين يراقبوننا ؟

- من رأيي ان بيكفينكر يسعفنا

- بيكفينكر ؟ انه أجبن من ان يقدم على مثل هذا العمل فضلا عن انه أضعف من النعجة

- لا تعترضني انني أعرف ما أفعل . . فاين هو ؟.

- قد دعوه منذ حين ليقابل المحامي عنه

ـ وهل لا يزال جرمان في قاعة الاستقبال؟

ـ نعم مازال يتحدث مع الفتاة الصغيرة التي تزوره

ـ لا يلزمنا الاستعداد للفتك به ولكن لا بد لنا من انتظار بيكفينكر لانه لا يمكننا ان نأتي عملا بغير معونته

ـ واذا أردنا ان نقتل جرمان فكيف يمكننا ذلك وقد جردونا من خناجرنا؟

ففتح الهيكل أصابع يديه اليابسة المستطيلة وأجاب

ـ وهذه الكلبات الحديدية هل يمكنك ان تضع بينها عنقك!

ـ تريد ان تخنقه اذن ؟

ـ قليلا

ـ ولكن اذا عرفوا أنك الفاعل .

ـ هل تظن انني عجل برأسين مثل الذى يعرضونه للفرجة في الاسواق

ـ صدقت فماذا تخشى مازلت محكوما عليك بالاعدام

ـ نعم انا على يقين انهم سيحكمون عليَّ بالاعدام وقد اكد لي ذلك المحامي عني لأنهم حين القوا القبض عليَّ كنت متلبساً بجنايتي القتل والسرقة فضلا عن انني فررت من السجن

فلست بجازع من الموت ولا أخشى ان يقطع رأسي على شرط ان يقع على نخالة وليس على نشارة الخشب

- فهتف نقولا مرسيال قائلا

-- صدقت ان المحكوم عليهم بقطع الرأس لهم الحق ان تقع رؤوسهم على النخالة ولكنهم لم يراعوا ذلك مع والدي فاعجب المتآمرين هذا المزاح فضحكوا حتى بانت نواجزهم

وفي تلك اللحظة سمع صوت ضوضاً وضحك وهتاف فرح بين المسجونين الذين في الفسحة فلما سمع ذلك المتآمرون تحت رئاسة الهيكل قطعوا حديثهم وهرول نقولا مسرعاً الى جهة الباب ليعرف السبب في تلك الضوضاء الغير اعتيادية ثم عاد وهو يقول

-- هذا الاعرج البدين

فقال الهيكل

-- الاعرج البدين ؟ . . وهل خرج جرمان من قاعة الاستقبال ؟

فاجابه بربليون : - لا . لم يخرج بعد

فقال الهيكل : — فليسرع اذن في العودة لاعطيه تحويلا

بنعش جديد

وكان الاعرج البدين رجلا متوسط القامة بدينا ولكنه برغم ذلك كان يظهر عليه النشاط وخفة الحركة

وكان برفقته رجل يناهز الثلاثين تدل ملامحه على انه اقل انحطاطاً من المساجين

ولما دخل الاعرج جب الاسود نزل سهلا ولاقى اهلا اذ وجد ان كل اللذين هناك من أصدقائه المخلصين فاخذوا كلهم يهنئونه ويهنئون أنفسهم باجتماعهم به

فقال له أحدهم : — يامرحبا بك يابدين انك ستكون موضوع سرورنا وانشراحنا

فقال له آخر : — كنا مشتاقين اليك شوق الظمئان الى المنهل العذب

وقال آخر : — لقد اطلت علينا الغياب فاجابهم الاعرج — ومع ذلك بذلت جهد المستطاع لاعود وأراكم أيها الاصدقاء ولكن ماذنبي اذا كانت الشقراء لم ترضى بي ولم تستسلم اليّ قبل الآن

— ليس من الحكمة ان يلقي الانسان بنفسه في التهلكة

ولكنه اذا وقع بحكم القضاء والقدر فلا يعود يجدر به سوى الاستسلام

-- يظهر انك عملت كثيراً منذ خروجك من حبس سانترال

-- نعم قد أسعدني الحظ فسرقت بعض سرقات صغيرة تبلغ قيمتها الف وخمسمائة فرنك وأحسن سرقة توفقت اليها هي كيس نقود لامرأتين تسكنان في فندق الاب ميكو . وعلى ذكر النساء هل تعرف البومة ؟

— نعم وقد أخبرني نقولا ان معلم المدرسة قتلها وجن

— ماذا تصنعون هنا ومن الرقيب عليكم؟

— الهيكل

— انه صعب المراس فقد رأيته في بيت مرسيال في جزيرة الرفاجور وقضينا هنالك ليلة أنس مع جو زفيز وبولوت وعلى ذكر مارسيال أخبرك ان نقولا هنا

— قد أخبرني بذلك الاب ميكو وقال لي انه يشكو من نقولا ويدعي انه وشى به

— اننا كنا نتحدث عن الهيكل وها هو مقبل من

قاعة الاصطلاء

— ولما وقعت عين الهيكل على الاعرج البدين قال له

— كنا ننتظرك فادخل القاعة حالا

فاطاع الاعرج صاغراً وبينما كان يتحدث خارج قاعة الاصطلاء أرسل الهيكل بربيليون ليستدعي اثني عشر اوخمسة عشر مسجوناً فاتى بهم وأدخلهم قاعة الاصطلاء سراً لكي لايعلم بهم السجان وأقام بربيليون جماعة أخرى من المسجونين في وسط الفسحة وأوصاهم بان يتحدثوا بصوت مرتفع ويصخبوا ويضجوا ليلتهي بهم السجان ولايعود يدخل قاعة الاصطلاء حيث اجتمع الهيكل وبربيليون ونقولاوفرنك وكارسيلاك والاعرج البدين وخمسة عشر آخرون من المساجين وكانوا كلهم ينتظرون بذاهب الصبر حديث الهيكل وقد أنيط ببربيليون التجسس والمراقبة لينبه بمجيء الحارس وكان واقفاً عند الباب ونزع الهيكل غليونه من فمه وقال للاعرج البدين

— هل تعرف شابا يدعى جرمان أزرق العينين أسود الشعر تدل هيئته على انه من أهل الفلاح؟

فبدت على وجه الاعرج علامة الدهشة والحقد وهتف قائلا

— كيف؟؟ جرمان هنا !!

فقال له الهيكل : — هل تعرفه

— كيف لااعرفه ! . . . فاعلموا أيها الاخوان ان جرمان جبان خائن فلا بد لنا من قتله

فاجابه الجميع . — نعم صدقت صدقت !

فقال أحد المسجونين

— ماهي التهمة الملقاة على جرمان وما هي الوشاية المنسوبة اليه .

فنظر الهيكل الى الاعرج البدين وقال له

— خبرنا بكل ماتعرفه بالتفصيل

فاجاب الاعرج البدين ان أحد سكان مدينة نانت يدعى فيلو وهو من المجرمين الذين وفوا مدة السجن ربى جرمان وثقف عقله وهو لايعلم أين منبته ولما كبر وتعلم وظفه في احدى المصارف على أمل ان يكون له بمنزلة الجاسوس ويساعده على عمل كان يدبره منذ أمد بعيد وهو ان يقبض من المصرف

تحويلا مزوراً وان يسرق الخزينة فلا يقل ما يربحه من ذلك عن مائة الف فرنك وبعد ان هيأ كل شيء وكان يعتمد على الشاب جرمان اعتماده على نفسه وقد اطلعه على الخطة التي عزم على اتخاذها لان هذا الشاب كان يبيت في الغرفة التي فيها الخزينة فبعد ان أطلع على تصميم فيلو لم يجبه لا سلباً ولا ايجابا وفي نفس اليوم وشى به الى صاحب المصرف وفي المساء هرب الى باريس

فلما سمع المتآمرون حكاية البدين أخذوا يدمدمون متهددين متوعدين

فقال أحدهم - : هذا خائن لابد من سلخ جلده

وقال آخر : - لا أسهل عليّ من ان ابقر بطنه

- وأنا أتعهد بارساله الى المستشفى عن أقرب طريق

فقال الهيكل للمتكلمين بصوت الآمر : - اسكتوا جميعكم

ثم قال للاعرج البدين . - أتمم أنت حكايتك

فقال الاعرج . — واعتمادا على معونة جرمان سطا فيلو على المصرف في نفس الليلة وكان معه رفيقان من زملائنا وكان صاحب المصرف يتوقع ذلك السطو لان جرمان نبهه

اليه كما تقدم فظل متربصاً مع رجال الشرطة ولما هاجم فيلو ورفيقاه المصرف انقض عليهم رجال الشرطة فامسكوا واحداً منهم اما فيلو والرفيق الآخر فتمكنا من الهرب

وعاد فيلو الى باريس ونار الحقد على جرمان تتقد في صدره فظل يبحث عنهُ لينتقم منهُ وفي ذات يوم صادفه في رابعة النهار فلم يستطع الفتك به ولكنه تبعه حتى دخل بيته فعرفه . وفي ذات ليلة تربصنا لجرمان أنا وفيلو وليدرو عند باب بيته ولما دنا منا هاجمناه ولكنه لسوء الحظ تمكن من الهرب وترك البيت الذي كان يسكنه في شارع التامبل . ومن ذلك العهد لم نعد نعثر عليه . فاذا كان موجوداً هنا اطلب ..

فقاطعه الهيكل وقال له . - لا يجوزلك ان تطلب شيئاً

فلزم الاعرج الصمت وأردف الهيكل

— ان مركز الرئاسة يخولني حق الافضية ولذلك أريد ان أقوم مقامك في الفتك بجرمان ولاخذ بثارنا . وأنا لست أدعى الهيكل عبثاً فاني ميت قبل ان أموت وقد حفروا قبري في كلامار . فأي شيء أخشى بعد هذا ؟ ولماذا لا اجاهد في الدفاع عن مصلحتنا ؟ . ان الخونة من رفاقنا يضرون بنا أكثر

من رجال الشرطة. ورجال الحكومة ينقلون الخونة من سجن الفورس الى سجن الروكيت ومن الروكيت الى أماكن أخرى يعيشون فيها رغداً كأنهم امراء ويظنون انهم سلموا من العقاب. ولكن ان نحن قتلنا الخونة في هذا السجن يخشى أمثالهم سوء العاقبة في أي سجن كانوا. وسأكون أول من شرع في هذا العمل وتنسجون كلكم على منوالي

فاعجب الجميع بما قاله الهيكل واحتاطوا به من كل جانب حتى ان بريلون نفسه ترك الباب وانضم الى زمرة المتآمرين ولم يلحظ ان مسجوناً آخر دخل قاعة الاصطلا. وكان هذا الداخل الجديد مرتدياً لباساً أغبر وقبعة زرقاء مزركشة بالصوف الاحمر ونازلة على عينيه فلما سمع اسم جرمان انتفض ثم اختلط بالمسجونين الذين حول الهيكل واستصوب رأيه مثلهم فقال بعضهم

— وكيف نتصرف مع السجان ياهيكل ؟

فقال الهيكل أرجوكم السكوت جميعاً

فانقطعت الاصوات وساد السكوت فقال الهيكل

— اصغوا الي جيداً : انني بعد أعمال الفكرة وجدت انه

لا يمكننا الفتك بعدونا مازال السجان في هذه القاعة أو في الفسحة اذ ليس لدي سكين ولا بد لي من خنق العدو باصابعي فاخشى ان يسمع له صوت

— ما الحيلة اذن ؟

— قد وعدنا بيكفنجر بان يقص علينا حكايته الليلة بعد العشاء وبينما نحن مجتمعون يأتي الخائن ويجلس منفرداً في الزاوية التي يختارها دائما وحين يرانا الحارس على تلك الحال لايخشى منا شراً فيذهب لقضاء بضع دقائق في « المكنتين » فنغتنم هذه الفرصة ونقتل الخائن قبل ان يعود السجان وأنا أتعهد بهذه المهمة لاني قمت بأصعب منها مراراً عديدة ولذا لاأريد ان يعاونني أحد على قتله

واذ ذاك دق جرس العشاء في السجن

## الفصل السادس والاربعون

### أين يوجد السفاح

قلنا ان أحد المسجونين الحديثي العهد في سجن الفورس دخل قاعة الاصطلا بينما كان الهيكل ورفاقه يتآمرون على قتل جرمان . ولم ينتبه أحد الى ذلك المسجون وحين دق

جرس العشا خرج من القاعة مع الخارجين واختلط ببقيـة المسجونين فى الفسحة

وفي تلك الساعة وزع الطعام على اولئك الاشرار وكان مؤلفاً من قطعة لحم مسلوق وشيء من الخبز . ومن كان لديه بعض دريهمات يمكنه ابتياع شيء من الجبن من الكينين . والذين يأتيهم الطعام من الخارج مثل نقولا مرسيال كثيرا ما يولون الولائم لرفاقهم. وفي ذلك المساء أولم نقولا وليمة ودعا اليها الهيكل وبريليون وبيكفينجر

فجلسوا على مقعد من خشب في قاعـة الاصطلا وأتى نقولا بقطعة ( الجنبون ) والرغيف والبيض المسلوق والجبن وكلما جاد به الاب ميكو اضطراراً لا اختياراً ولما هم الهيكل ان يبدأ بتناولة الطعام غير مبالٍ بالجريمة الفظيعة التي صمم على ارتكابها دخل الفسحة جرمان وبيكفينجر. اما جرمان فقد انقلبت هيئته انقلاباً عظيما فبعد ان كان حزينا مكفهر الوجه أصبح باسم الثغر متهللا رافعاً رأسـه وناظراً الى ما حوله باعجاب . وكأن غرامه الجديد سدل حجاباً على عينيه فلم يعد يرى قبح السجن

اما بيكفينجر فلم يكن يعلم شيئاً من مؤامرة الهيكل ورفاقه على قتل جرمان وغاية ما كان يعلمه انهم كانوا يدبرون حيلة لابعاده عنهم بنقله الى سجن آخر

فلما أقبل بيكفينجر أسرع نقولا مرسيال لملاقاته وقال له

— أسرع خطاك ايها الكسول واترك لرفاقك ما بين يديك من الطعام النتن فقد اولمت لاصدقائي وأنت من المدعوين

— أين ذلك في خمارة الارنب الابيض أو خمارة مدام بونيس

— قاتلك الله . أنسيت اين نحن ! الدعوة في قاعة الاصطلا وقد اعددت المائدة على مقعد من خشب ولدينا قطعة جنبون وبيض مسلوق وشيء من الجبن وعليّ القيام بكل النفقات أسرع اسرع ان الهيكل ينتظر على احر من الجمر وبريليون معه فاخشى ان يبدأا بالاكل فلا يتركان لنا شيئاً

ولما دخلا القاعة وجدا الهيكل يسخط ويلعن ولما ابصر بيكفينجر قال له

— لماذا أطلت الغياب يا بليد ! ماذا كنت تصنع ؟ الكل ينتظرونك لتقص عليهم حكايتك

— لا بأس من ذلك ولكن تحت شرط

ـ ماهو شرطك !

ـ هو ان تجمعوا لي فرنكا أجرة حكايتي

ـ لك ذلك

ـ افتحوا اذن اذانكم واسمعوا هذه الحكاية الغريبة .

وما كاد يتم عبارته حتى دخل قاعة الاصطلا كل الذين كانوا في الفسحة وتبعهم السجان

وكانت تلك القاعة مستطيلة ولها ثلاث نوافذ تطل على الفسحة وفي وسطها موقدة كبيرة . وكان الى جانبها الهيكل وبربيليوز ونقولا مرسيال وبيكفينجر

ثم أشار الهيكل اشارة خفية الى الاعرج البدين فجاء هذا واختلط بالذين ذكرناهم . ثم دخل جرمان وكان لا يزال وجهه متهللا فرحاً بعد مادار بينه وبين الضحوكة من حديث الغرام فذهب وجلس على حافة آخر نافذة في القاعة . فلما اجتمع كل المسجونين حول الموقدة قال الهيكل للسجان .

يريد بيكفينجر ان يقص علينا حكاية ظريفة وانت ترى ان كل المسجونين هنا ولا يستطيع أحد منهم الخروج الى الفسحة لان المطر منهمر فسنظل نسمع حكاية صاحبنا حتى

ساعة النوم فيذهب كل منا الى فراشه .

ـ نعم قد لاحظت انه كلما قص عليكم حكاية تجتمعون حوله ولا تبرحون أما كنتم فلا تعودون في حاجة الى حارس أو رقيب

فاجابه الهيكل : ـ نعم ولكن بيكفينجر لايبيعنا حكايته بالثمن البخس فانه يطلب منا فرنكا فقال بيكفينجر

— وهل يعد الفرنك شيئاً في جنب الحكاية الغريبة التي سأقصها عليكم ؟

فقال الهيكل . صدقت

ثم أخرج من جيبه اثنى عشر سنتيماً وقال لرفاقه

— فليدفع كل منكم شيئاً حتى يجتمع الفرنك الذي يطلبه ولا أظنكم تبخلون بذلك

فاخذ المسجونون يطرحون النقود امام فنجر ولما رأى جرمان ذلك من مكانه أراد ان يتبع نصيحة الضحوكة ويمتزج بأولئك اللصوص ليأمن شرهم من جهة ومن جهة أخرى ليكون من جملة الذين تبرعوا بشيء من الاسعاف فقام من مكانه وطرح نصف فرنك فسر فنجر وقال وهو يشير الى جرمان

- انظروا يااخواني ان هذا الشاب تبرع بنصف فرنك وحده ولا يصدر مثل هذا الكرم الحاتمي الا عن سفير اوعن صاحب مصرف كبير فبورك فيه

فقال له الهيكل: - دعنا من هذا الكلام الفارغ وابدأ حكايتك

فنظر فنجر الى من حوله وقال: -- ألا ترون مثلي ايها الاخوان ان الذى تبرع بالنصف فرنك يحق له ان يختار احسن مكان بعد الهيكل؟

فرأى الهيكل ان هذا الراي يساعده على العمل الذي ينويه فهتف قائلا - صدقت يحق له ان يجلس الى جانبي تماما ثم نظر الى رفاقه نظرة معنوية فقالوا كلهم بصوت واحد

- نعم نعم فليقترب وليجلس على المقعد الاول

فالتفت بيكفينجر الى جرمان وقال له. - أرأيت ايها الشاب كيف جزيت على كرمك فقد اقر الجميع على ان لك الحق في انتخاب احسن مكان تجلس فيه

فظن جرمان ان أولئك اللصوص مخلصون في قولهم

فسر بذلك لعلمه ان يرضي الضحوكة فقام من مكانه وجلس الى جانب بيكفنجر وكان هذا واقفاً الى جنب الموقدة والهيكل واقفاً الى جانبه وعيناه شاخصتان الى جرمان وهو ينتظر بذاهب الصبر خروج السجان ليفتك بجرمان اما نقولا مارسيان وبريليون وكرديلاك والمسجون الجديد الذي اتينا على ذكره وغيرهم من المسجونين كانوا جلوساً على المقاعد الاخيرة

وبينما كان السجان على اهبة الخروج من الباب قال بيكفينجر للهيكل : ـ هل الكل مستعدون لسماع الحكاية.

فقال الهيكل لرفاقه :ـ الزموا الصمت يا اخوان . ثم قال لبيكفنجر ـ ابدأ حكايتك الآن فاننا جميعنا مصغون

فساد السكوت ولكن قبل ان يفوه بيكفينجر بكلمة سمع صاحب الكانتين ينادي السجان ويقول له : ـ تعال يا اتى روسيل تمشى فقد ازف الوقت وعما قريب تدق الساعة الرابعة

فقال السجان لبيكفينجر . ـ ها انا ذاهب فاجتهد بان تقشع هموم رفاقك بحكايتك

ثم التفت الى المسجونين وقال لهم .ـ وأومل انكم

تلزمون الصمت والسكينة

فاجابه الهيكل بصوت مضطرب .ـ ان الحكاية ستلهونا عن كل شيء فكن مطمئن البال واذهب بسلام

ثم قال للاعرج البدين همسا . ـ اتبع السجان الى الفسحة ومتى رأيته خرج منها قل باعلى صوتك كلمة جرجوس وقبل ان تتم لفظها يكون الخائن في عالم الاموات

فتبع الاعرج السجان ووقف عند عتبة باب القاعة ينظر اليه وبدأ بيكفينجر في حكايته فقال ـ كان رجل يدعى جرمانجاله

وقبل ان يتم عبارته صرخ الاعرج البدين قائلا . جرجوس !!

وللحال انقض الهيكل على جرمان بسرعة الفهد وقال له .

— ويل لك أيها الخائن

ثم اطبق بكلتي يديه على عنقه قبل ان يفوه بكلمة او يبدي اقل حركة للدفاع عن نفسه فوقع على مقعد من الخشب ووقع الهيكل فوقه وضغط باحدى ركبتيه على صدره واذ ذاك سمع صوت المسجون الجديد يقول .

— ويل لك يا هيكل انا اعرف كيف اعلمك الرقص

ثم انقض على الهيكل بسرعة البرق وطفق يضربه بين عينيه بقبضة يده ضربات ساخنات متتابعة كأنها مطارق الحداد

ولم يكن ذلك المسجون الغريب الذي انتصر لجرمان سوى السفاح وفيما هو ينهال على الهيكل ضرباً قال له - هذه هي الضربات الذي أذاقني رودلف حلاوتها ليلة علمني الرقص وقد تعلمتها لارقص بها غيري

اما بقية المساجين فلما رأوا ما أتاه السفاح أخذتهم الدهشة وظلوا واقفين لا يبدون حراكا ولا ينتصرون للهيكل اما هذا فاصابه دوار فصار يترنح كالسكران ومد ذراعيه امام وجهه ليدفع بهما ضربات السفاح . ولما افلت جرمان من بين يديه استوى قاعداً واذ ذاك صرخ البدين الاعرج قائلا وهو يشير الى السفاح

- ماذا أصابه ؟ وما الذي حمله على الفتك بالهيكل ؟

ثم انقض عليه وحاول ان يقبض على ذراعه من خلف بينما كان هذا يبذل كل جهده ليصرع الهيكل .

ولما أحس السفاح بان البدين الاعرج يريد القبض على ذراعه قال له : - اقبض

وناوله ضربة برجله القته على الارض صريعاً. اما جرمان فكان اصفر الوجه سريع التنفس وظل جاثياً على ركبتيه الى جانب المقعد ولشدة ما اصابه من الالم من ضغط أصابع الهيكل على عنقه لم يعد يعي شيئاً مما يحصل حوله ما لهيكل فظل يدافع عن نفسه حتى تمكن من الافلات من بين يدي السفاح فانتصب واقفاً وهو يلهث كثور الصراع ووجهه اصفر وزبد الغيظ معقود على شفتيه مما زاد منظره قبحاً وكان الدم يسيل من وجهه فصرخ قائلا لرفاقه بصوت غضب يرتعد منه الفرائص وهو يشير الى السفاح. افتكوا بهذا النذل ياجبنا ... فكيف تركتموه يغدربي افتكوا به لئلا يفلت من بين ايدينا

وفي تلك الفترة دنا السفاح من جرمان فحمله بين ذراعيه واجلسه في احدى زوايا القاعة ووقف امامه لكي لا يفتك به احد من خلف ظهره. اما يكفيجنرفتولا ه الرعب وركن الى الفرار فلم يشعر به أحد. ولما رأى الهيكل ان رفاقه لا يجسرون على مهاجمة السفاح قال لهم

— اليّ يارفاقي اليّ فلا بدّ لنا من قتل الخائن والمدافع

عنه

فاستعد السفاح للدفاع ومد قبضتيه الى الامام وقال للهيكل

- كن على حذر ان لحمي مرٌّ

وفي تلك الاثناء دنا الاعرج البدين وقال لرفاقه

- عجباً لماذا لاتهاجمونه وتفتكون به ! فاي حق يخوله الدفاع عن الخائن ؟ فليقتل جرمان وليقتل معه المدافع عنه فانه خائن مثله

فاجابه الكل - نعم نعم .. فليقتل الخائن فليقتل

وفي تلك اللحظة سمع في الفسحة وقع اقدام نفر من حراس السجن استدعاهم بيكفينجر واخبرهم بما حصل

فلما دخلوا القاعة قبضوا على الهيكل وجرمان والسفاح وساقوهم الى مدير السجن ليحقق دعواهم

وفي الطريق اصاب جرمان دوار وخانته قواه وكاد يقع على الارض لو لم يتداركه الذين حوله فادخلوه غرفة الحارس فاخذ هذا يعالجه بكل مالديه من الوسائل . ولما عاوده رشده نظر الى الحارس الذي اعتنى به وشكره على حسن صنيعه قائلا

- اشكرك شكراً جزيلا واشكر ذلك الرجل الشجاع

الذي دافع عني فلو لم يدركني لكنت الآن في عالم الاموات

- كيف حالك الآن؟

- قد تحسنت حالتي والحمد لله . ويلاه يخيل اليّ ان كل مارأيته من الاهوال كان في منام لا في يقظة. واين الرجل الذي انقذني ؟

- هو في حضرة المدير يؤدي شهادته في الذى حصل

- ألا قلت لي ما اسمه ناشدتك الله

- لا اعرف اسمه الحقيقي وانما يلقبونه بالسفاح . وهو من المجرمين الكبار الذين قضوا الاعوام في السجون

— ولعلّ الجريمة التي ساقته للسجن ليست فظيعة

— هي فظيعة جداً فانه متهم بالسطو والسرقة ليلا . والمرجح عندي ان عقابه يكون شديداً كعقاب الاعرج البدين ولا يقل عن سجن عشرين سنة مع الاشغال الشاقة

فارتعدت فرائص جرمان وود لو ان منقذه من القوم الاخيار وأردف السجان

— اني أسمع وقع أقدام فها هم عائدون من قاعة المدير وسوف يزجون الهيكل في السجن الضيق المظلم المعد للمتمردين

اما السفاح فيعود الى جب الاسود واظن انهم يكافئونه على ماصنعه معك من الجميل باقامته رقيباً على المسجونين عوضاً عن الهيكل

واذ ذاك أقبل السفاح ودخل الغرفة التي فيها جرمان فقال له السجان

— قف هنا وانتظرني ريثما اذهب واستعلم من المدير ماذا يريد يصنع بالهيكل ثم أعود اليك . وها قد عاد جرمان الى صوابه ويريد ان يشكرك على حسن صنيعك

ولما خرج السجان دنا السفاح من جرمان وقال له

— لا يمكنك ان تتصور كم انا مسرور بخلاصك

ومد السفاح يده ليصافح جرمان فبدت من هذا حركة نفور وتراجع خطوة الى الوراء حين ذكر ما قاله السجان عن السفاح ولكنه ندم في الحال على ما فرط منه وتذكر انه مدين له بحياته فحاول ان ينفي عنه علامات الاشمئزاز ولكن السفاح أدرك للحال معنى ما بدا من جرمان فاكفهر وجهه وتراجع هو أيضاً الى الوراء وقال بصوت حزين

— نعم اني استحق منك ذلك . فارجوك العفو

— انا يلزمني ارجوك العفو .. الست سجيناً مثلك ؟ فلا يلزمني ان أنظر الا الى المعروف الذي صنعته معي لقد أنقذت حياتي فارجوك ان تصافحني . أرجوك جاثياً على ركبتي

— أشكرك أيها الغلام فقد اكتفيت بالاشارة الاولى التي بدرت منك . فلو انك صافحتني حين مددت لك يدي لكنت سررت بذلك كثيراً .. ولكن ...

— قد أطلعني السجان على حقيقة أمرك ولكنني لم أنظر الا الى انك أنقذت حياتي

— مافعلت الا الواجب الذي أمر بعمله . لانني أعلم حق العلم بانك المسيو جرمان

— هل تعرفني ؟

— لو لم أكن أعرفك لما دخلت هذا السجن

فاخذت جرمان الدهشة وأجاب — كيف ذلك ؟

— نعم انني لم أدخل سجن الفورس الا لكوني أعرفك

— لا أدرك كيف كنت السبب في دخولك السجن

— أنت السبب الوحيد في ذلك

فوضع جرمان يده على جبينه وقال : — أظن ان الصدمة

التى أصابتني حين وقعت تحت مخالب الهيكل أضاعت رشدي .
ولذلك لا أفهم ماتقول . فقد أخبرني السجان قبل دخولك
علينا انك ارتكبت جريمة الا ..

— السرقة والسطو ليلا ولكنني لم أفعل ذلك الا لكي
أدخل هذا السجن وأرك

ـ ماهذه الاخلاق النادرة ! كيف أقدمت على هذا
العمل لتراني ؟ ألا تعلم لاى عقاب عرضت نفسك ؟

— نعم انهم سيحكمون عليّ بالاشغال سنة ولكنني لست ممن
يحزنون لمثل هذه الامور ولكن أرجوك ان تعتقد انك كنت
وحدك السبب في ماسيحل بي من الشقاء

فاجابه جرمان بصوت حزين

— اهزأ بي ماشئت فان ذلك مايضاعف شكري لك
على ماصنعته معي من الجميل ولكنني لا أجيبك على حديثك
الا متى كلمتني كلاماً معقولا أفهمه

فبدت على وجه السفاح هيئة الجد وقال

ـ عندك يا مسيو جرمان وبما انك لاتحب المزاح فلا
أعود اليه على انني أرى من المحتم ان نتصالح وأجبرك على ان

تمد لي يدك.. واعلم بان الرجل الذي دفعني الى دخول هذا السجن يدفع عنك مثلما يدافع عني

— يدافع عني؟

ـ نعم ان المسيو رودلف يكتنفك بحمايته .. قلت المسيو رودلف والاولى ان اقول مولاي رودلف لانه من الامراء العظام

فازدادت دهشة جرمان واجاب ـ لقد اخطأ ظنك فاني لا اعرف احداً من الامراء

ـ اذا كنت لا تعرفه فهذا لا يمنع انه يعرفك . ولا غرابة في ذلك فان الذين يعرفهم ولا يعرفونه كثيرون . فكلما علم بان احد الابرار في ضيم او شدة يمد له يد المعونة وينقذه دون أن يعلم به احد. فاصبر قليلا فلا بد ان تنال الفرج على يده باذن الله : اما انا فاحبه كما يحب الكلب صاحبه فهو عندي كل شيء في هذا العالم. ذلك لانه بكلمتين قلب كياني فصيرني رجلا صالحاً محباً للخير بعد ان كنت خشناً فظاً متوحشاً . .

ـ وما هما هاتان الكلمتان ؟ ماذا قال لك ؟

— قال لي انني ذو شرف وقلب رقيق. مع انني قضيت

دهراً في السجن لا عقاباً على سرقة لانني ماسرقت قط. ولكن على جريمة أفظع وهي القتل

وبدت الكآبة على وجه السفاح فنكس رأسه الى الأرض وبعد سكوت وجيز عاد فقال

— نعم قتلت في ساعة غضب وقد يطول بنا الشرح لو قصصت عليك حكايتي. والذي جعلني أحب روداف كما يحب الكلب صاحبه هو انه رفع منزلتي في عيني نفسي فقبل ان اعرفه لم يكن يشعر في كل جسمي سوى جلدي. وبعد ان عرفته تولد فيّ شعور داخلي ولما اضطررت الى الابتعاد عنه وعن المكان الذي يقيم فيه شعرت كأنني أصبحت جسما بلا روح وكلما ازددت عنه بعدا ازددت عليه قلقا لعلمي انه كثير الاختلاط بأوباش باريس وقتلتها وانه يعرض نفسه للهلاك مراراً عديدة في اليوم الواحد وفي مثل هذه الظروف يمكنني ان ادافع عنه كما يدافع الكلب عن صاحبه ولذلك لما ركبت السفينة قاصداً بلاد الجزائر ورأيت ان البحر سيحول بيني وبينه فلا أعود أراه عدلت عن ركوب البحر وعدت الى باريس ولم أكن أدري كيف اعتذر له على رجوعي الى

باريس من دون اذنه فقابلت صديقا له يدعى مورف وأخبرته بما حصل فاجابني ان المسيو رودلف لم يتكدر لعودتي وانه يريد مواجهتي حالا ثم أدخلني اليه ولما وقع نظري عليه اضطربت ظهراً لبطن وبكيت كالثكلى فقال لي « — هل عدت؟

فاجبته « — نعم ياسيدي وأرجوك ان تصفح عن ذنبي فانني لم استطع البعاد وغاية ماأرجوه ان أقيم في زاوية من دارك وأنال كفافي من القوت على شرط ان أبقى بالقرب منك

فاجابني « — ان عودتك لم تكدرني بل انني سررت بها لانك عدت في وقت حاجتي اليك فقلت له

— « كيف يمكنك ان تكون في حاجة الي ؟ وماذا يمكنني ان أعمل ؟ فاجابني

— « اعلم ياسفاح انني أعرف فتى شريف النفس أحبه كانه ابني قد اتهموه زوراً بجريمة السرقه وزجوه في سجن الفورس وهو يدعى جرمان اما أخلاقه فرضية وهو متصف بالدعة ولين العريكة وقد حقد عليه اللصوص والقتلة المسجونون معه حتى أصبح في خطر منهم وبما انك عرفت أحوال السجون لسوء حظك وعرفت كثيرين من اللصوص المسجونين

فيهم أفلا يمكنك ان تجد وسيلة لمقابلة واحد منهم وتسأله ان يكتنفه بحمايته مقابل جائزة من المال أدفعها اليه ؟

— فازدادت دهشة جرمان وقال للسفاح

— ولكن من هو ذلك الرجل الكريم الذي يهتم بي الى هذا الحد وأنا لا أعرفه ؟

— ربما تعرفه فيما بعد أما أنا فلا أعرف شيئاً من حقيقة أمره حتى الساعة ودعني الآن أعود الى حديثي معه « فاني بينما كنت أكلمه خطر لي خاطر غريب فطفقت أضحك كالمجنون وأنا في حضرة سيدي رودلف فقال لي « — لماذا تضحك

فاجبته « — أضحك لاني مسرور ياسيدي وسبب سروري ان في امكاني منع تعدي المسجونين على جرمان وذلك بان أجد له رجلا يحميه ويدافع عنه

« — حسن ولعلك تجد له مدافعاً من رفاقك الاقدمين

« — نعم يامولاي وان ذلك الرجل الذي اخترته دخل سجن الفورس منذ بضعة أيام ولكن لا بد من المال لانجاز هذا العمل

« — كم يلزم من المال ؟

« — الف فرنك

« — خذ هاهي

« — أشكرك ياسيدي رودلف وبعد يومين تصلك أخباري »

وعلمت ان أحسن خدمة يمكنني تقديمها لرودلف هي ان اكون أنا المدافع عنك .

فقال جرمان قد أدركت الآن انك ارتكبت جناية السرقة لتدخل هذا السجن وتكون لي معينا فكلما فكرت انني أنا السبب فى ذلك أتألم من وخذ الضمير

— ان الذي دفعني الى هذا العمل هو ان المسيو رودلف قال لي «ان لي قلباً وشرفاً» فاردت ان أثبت له صدق كلامه وأبرهن على انه يمكنني في المستقبل ان ازداد رفعة في عينيه لانني أشعر بارتقاء عواطفي

— وما هي حكاية السرقة ? وان كنت لم تسرق كيف أمكنك الدخول الى هذا السجن ؟

— اليك شرح مافعلته اشتريت بالالف فرنك طاقية من الشعر الاسود ولبستها بعد ان حلقت شعر رأسي ولبست

نظارة ذات زجاج أزرق واصطنعت حدبة في ظهري وذلك
ان وضعت تحت ثوبي مخدة بين الكتفين فاصبحت كالاحدب
وطفقت أبحث عن غرفة للاجرة فوجدت مطلوبي في شارع
بروفنس فدفعت اجرة شهر مقدما وسميت نفسي المسيو
جريجوار وفي الغد اشتريت من سوق التامبل ما يلزم من الفرش
وكنت لاأزال لابسا طاقية الشعر السوداء ومتحليا بالحدبة
وبالنظارة الزرقاء لكي لا يعرفني أحد وبعد ان اشتريت المفروشات
بعثت بها الى شارع بروفنس ثم ابتعت ملاعق وسكاكين
وشوك فضية من شارع سان ديني وعدت بذلك الى غرفتي
ولما جن الليل نزعت عن رأسي طاقية الشعر ونزعت العوينات
والحدبة والثياب التي كنت مرتديا بها حين اشتريت
المفروشات وحين استأجرت غرفتي ووضعت تلك الملابس
في صندوق وشحنتها للمسيو مورف صديق رودلف ورجوته
ان يبقيها عنده ثم اشتريت هذا الثوب الذي تراه عليّ وهذه
القبعة وقضيباً من الحديد طوله قدمان وعند الساعة الواحدة
بعد منتصف الليل أتيت الى شارع بروفنس قريباً من غرفتي
وبقيت انتظر حتى تدنو مني عساكر البوليس لاشرع في

السرقة وتسلق جدار البيت على مرأى منهم حتى يقبضوا عليّ

فهتف جرمان قائلا . — فهمت الآن فهمت

— وعند الساعة الثانية بعد منتصف الليل سمعت وقع أقدام رجال البوليس فكسرت ثلاث ألواح زجاجية بعنف شديد لكي يسمع صوت انكسارها عن بعد ثم كسرت خشب النافذة ودخلت غرفتي وأخذت علبة الادوات الفضية التي ذكرتها . وفيما أنا خارج من النافذة قبض عليّ رجال الشرطة ثم قرعوا باب البيت ففتح لهم البواب ثم ذهب فاستدعى ضابط البوليس ولما وقفت امامه قلت له ان الطمع دفعني الى السرقة فارسلني الى هذا السجن ولحسن حظك وحظي أدركتك قبل ان يخنقك الهيكل ولا سيما ان سيدي رودلف قال لي انه يحبك كولده

— بارك الله فيك أيها الشجاع فقد أصبحت لك مدينا بحياتي ولكن يسؤني ان تتحمل عذاب السجن بسببي

— لست مدينا لي ولكن للمسيو رودلف

— وهل يعرف المسيو رودلف انك هنا ؟

— اني لم أطلعه على عزمي خوفا من ان يمنعني عن اتخاذ

الحيلة التي ذكرتها لك

- ولكن الا ترى مثلي انك جازفت مجازفة وخيمة العاقبة ؟

- غاية ما كنت أخشاه من مجازفتي هذه ان لا يرسلني ضابط البوليس الى هذا السجن غير انني كنت اعتمد على معونة المسيو رودلف لينقلني الى هذا السجن لو انهم ارسلوني الى غيره

- ولكن ماذا تفعل للدفاع عن نفسك يوم تقف امام القاضي !

اطلب من الموسيو مورف ان يبعث اليَّ صندوقي فالبس امام القاضي طاقية الشعر السوداء والنظارة الزرقاء واصنع الحدبة فاصبح الموسيو جرمجوار الذي استاجر الغرفة من بواب البيت وابتاع المفروشات من النجار. هذا بشأن المسروق واذا أرادوا ان يعرفوا السارق انزع تلك الثياب فيظهر للعيان كالشمس في رابعة النهار ان السارق والمسروق واحد وهو حضرة السفاح الواقف امامك ومتى رأى القاضي ذلك وعلم انني سارق نفسي ماذا يفعل بي

فاطمئن جرمان وأجاب : — نعم لا يمكنه ان يصنع شيئاً

وفي تلك اللحظة دخل الحارس وقال لجرمان بلهجة سريعة

— ان مدير السجن يستدعيك حالا ليكلمك فاتبعني

ثم التفت الى السفاح وقال له

— وأنت اذهب الى جب الاسود وقد عينتك رقيباً على المسجونين اذا كنت ترغب في هذا الامتياز اذ قد توفرت فيك كل المزايا اللازمة لهذا المركز وأظن ان المسجونين لا يتجاسرون على المزاح مع حصان مثلك

— نعم انني أرغب في هذه الوظيفة وأفضل ان أكون رئيساً على ان أكون مرؤساً

فقال له جرمان متلطفاً

— وهل ترفض الآن أيضاً ان تصافحني؟

— لا بل انني أصافحك وقلبي يطفح سروراً

لا شك اننا سنلتقي اذ لم يبق لي غنى عنك فقد أصبحت تحت حمايتك

ولما دخل جرمان على مدير السجن أخذته الدهشة اذ رأى هناك الضحوكة مضطربة شاحبة اللون والدموع تسيل

على خديها ولكنها دموع فرح والدليل على ذلك ابتسامة كانت على ثغرها الوردي تنم عن فرح وسعادة لا توصفان

ولما وقع نظر المدير على جرمان قال له

— لديّ خبر يسرك ابشرك به وهو ان القضاة أقروا بانهم لم يجدوا مايثبت التهمة التي سجنت لاجلها وبناء على ذلك صدر لي الامر بالافراج عنك حالا

— ماذا تقول ياسيدي ! . . . ما أسعد حظي !

وأرادت الضحوكة ان تتكلم ولكن شدة الفرح خنقت صوتها فاشارت برأسها الى جرمان اشارة تفيد ان ماقاله له المدير حقيقي

فقال المدير لجرمان وهو يشير الى الضحوكة

— قد أتت هذه الفتاة بعد ان صدر لي الامر بالافراج عنك وقد أتتني بكتاب وصاية من مصدر عال دلني على انها كانت تعطف عليك أثناء اقامتك في السجن ولذلك استدعيتك لكي تسر بالخروج منه برفقة هذه الانسة

فهتف جرمان قائلا : — يارباه ! ماذا أسمع !أنني اكاد أن لا أصدق أذني ولا اعرف كيف أعرب لك عن شكري

ياحضرة المدير

فقالت الضحوكة

— وأنا أيضاً ياموسيو جرمان لاأعرف كيف أعبر عن فرحي .تصور ماألمّ بي من السرور حين وجدت صديق الموسيو رودلف ينتظرني بعد ان فارقتك

فعاودت الدهشة جرمان وقال : — كلكم تذكرونه

— نعم ويمكنك الآن ان تقف على كل شيء فاعلم ان الموسيو رودلف قال لي : «لقد اصبح جرمان حراً وهذا كتاب لمدير السجن وحين تقابلينه يكون وصله الامر بالافراج عنه فتعودين معه .» لم أصدق ماسمعت لشدة فرحي وركبت عربة الى هنا وتركته ينتظرنا عند الباب

وندع القاري اللبيب يتصور ماالمّ بهذين العاشقين حين خرجا من السجن متعانقين وبعد ان أقام جرمان جانباً من الليل عند الضحوكة استأجر غرفة مفروشة واقام فيها .

(الفصل السابع والاربعون)

القصاص

فليعد معنا القاريء الى مكتب جاك فيران ليقف على

ماحصل هنالك بعد هرب سيسيلي ويسمع مايدور من الحديث بين الكتبة قال احدهم لرفاقه .

— أنا أراهن خمس فرنكات ضد نصف فرنك على ان فيران يموت بعد شهر واحد اذا طال ما أصابه من السقم

فقال آخر — ومما لا ريب فيه انه أصبح هزيلا ناحلا بعد هرب خادمته وأصبح منظره قبيحاً لشدة ما أصابه من النحول

وقال آخر — وعاد الآن الى معاشرة القسيسين .

— وقد قال لي رئيسنا ان الموسيو فيران اشترى أسهماً من أسهم بنك الحكومة بمبالغ جسيمة وانه . . .

— لماذا لاتتم حديثك ؟

— هذا سر

— اننا لانخفي على بعضنا مانعلمه من الاسرار

— يقال ان الموسيو فيران باع مركزه

— هذا محال

— لا بل ربما كانت هذه الحقيقة

— اذا صحّ ماتقول فيكون الموسيو فيران سئم من العمل ويريد ان يقضي بقية أيامه متنعما .

— أظن ان ثروته تسمح له بذلك

— من المؤكد ان فيران لا يعد بين الفقراء فقد سمعت رئيسنا يقول ان ثروته تربو على المليون فرنك ويقال انه ضارب في البورصة سراً وربح اموالا طائلة

- وكان بخيلا يتأتو على نفسه

— والذي يدهشني هو صديقه الحميم الجديد الذي يلازمه لزوم ظله ولا يفترق عنه طرفة عين

— قد رأيت هذا الرجل الجديد فوجدته قبيح الصورة.

— انه يقضي زمناً طويلا معه في غرفته ويتناولان الطعام معاً ولا يخطو أحدهما خطوة الا ليتبعه الآخر

— ألم تلحظ أيضاً انه منذ بضعة أيام يأتي اليه كل يوم رجل كبير الشاربين أشقرهما تدل هيئتـه على انه من رجال الجندية ويكاف البواب باستدعا صاحبه الجديد ولما ينزل هذا يتكلم لحظة مع الرجل ذي الشاربين الكبيرين ثم يفترقان

— نعم قد لاحظت ذلك وقد صادفت مراراً عديدة وانا ذاهب من هنا رجالا يحومون حول البيت مراقبين

— ان رئيسنا يعلم من هذا الامر مالا نعلمه

- وأين هو رئيسنا ؟ اني لم أره منذ ساعة

- قد ذهب لبيت الكونتس ماك جريجور التي طعنت بسكين ويظهر انه تعافت وبرأ جرحها وهذا الصباح طلبت مواجهة فيران فاعتذر وأرسل رئيس الكتبة لينوب عنه

- لقد كثرت الاشغال على رئيسنا ولا سيما بعد غياب جرمان لانه يؤدي وظيفته

- بلغني ان فيران سعى في الافراج عن جرمان

- نعم والغريب انه أقر بأن جرمان بريء من تهمة السرقة التي نسبها اليه وبانه بعد مراجعة الحساب وجد المال الذي ظن ان جرمان سرقه

- اما انا فلا ارى الامر غريباً وانما أجده عادلا . ألم اقل لك ان جرمان لا يسرق

- نعم ويسوؤ كل محب للانسانية ان يتهم جرمان بمثل هذه التهمة الباطلة ويسجن ويهان . ولو انني مكانه لكنت أطلب تعويضاً من المسيو فران

- اني أسمع صوت عربة !...

واطل المتكلم من النافذة وعاد فقال :

— هذا قسيس الحي

— انه رجل صالح ولو ان كل القسيسين مثله لما أوجد الله نار الجحيم

— اسكت اني اسمع وقع أقدام خلف الباب

ثم ان الكتبة جلسوا في أماكنهم وتظاهروا بالكتابة. ودخل القسيس الذي أعلن احدهم بقدومه وكان ذا وجه شاحب. تدل ملامحه على الطيبة والنباهة. ولسلامة نيته كان يصدق مايظهره فيران من التقوى والصلاح ويعتقدانه من رجال البر والاحسان والمبادىء الشريفة. فلما دخل قاعة الكتبة قال لهم

— هل المسيو فيران في مكتبه؟

— نعم

وسمع اذ ذاك صوت حديث داخل مكتب فيران فدنا القسيس من الباب وقرعه فقال له بلهجة تليانيه — ادخل

ولما دخل وجد بوليدوري وفران. اما هذا فصدق فيه ماقاله موظفو مكتبه من انه اصبح على حافة قبره اذ كان أصفر الوجه ناحل الجسم حتى لم يبق منه سوى الجلد والعظم وكانت

كل أعضائه ترتجف ارتجافا تشنجياً وكان مع هذا مصابا بحمى تشويه فاحتقنت عيناه ولولا زجاج النظارة الازرق لكان منظرهما مخيفاً . وعلى الجملة كانت حالته العمومية تنذر بسوء العاقبة

اما بوليدوري فكانت هيئته مخالفة لهيئة فران على خط مستقيم فالذي يتأمل وجهه يرى فيه علامات الصحة الجيدة واللؤم وعدم المبالاة وكان شعره الطويل الاشقر يكلل جبينه المجعد وكلاهما قبيح وكان مرتديا ثوبا أسود وجالساً الى جانب مكتبة جاك فران. ولما أبصر القسيس وقف فقال القسيس لفران

- كيف حالك يا عزيزي فران. لعلك أحسن مما كنت

- مازلت على حالي يا حضرة القسيس . فالحمى لا تفارقني طرفة عين والارق اضناني فلتكن مشيئة الله

فقال بوليدوري للقسيس بكل احتشام

- أرأيت يا أبتي صبراً جميلا يدل على الورع والتقوى مثل صبر صديقي فران ؟ انه يتحمل آلامه غير متذمر ولا يخفف عنه أوجاعه سوى ما يأتيه من الاعمال الخيرية

فاجاب فران وهو يحاول ان يخفي ما الم به من الغيظ

عند سماع مقال بوليدوري

— اني لا أستحق هذا الاطراء يا مسيو بوليدوري فارجوك ان تعفيني منه

— فقال له القسيس

— انك تستحق مثل هذا الاطراء يا مسيو فران فان الذين على شاكلتك قليلون . فمن مثلك يهمل كل الامور الدنيوية ولا يهتم الا بعمل الخير ومساعدة بني الانسان بكل الطرق الممكنة ؟ فهل لازلت مصمما على بيع مركزك للتفرغ للاعمال الخيرية التي تكسبك الثناء والاجر ؟

— لقد بعت مركزي قبل الامس وقبضت ثمنه نقداً وسأضيف الى هذا المال مبالغ أخرى وأشتري بالمجموع المحل الذي أخبرتك عنه وقد رسمت الخطة التي سأتبعها وسوف أطلعك عليها

فاجابه القسيس باعجاب

— ان من كان مثلك يعمل الخير والمبرات لوجه الله تعالى لا يكافئه أجر مهما كان عظيما

فابتسم بوليدوري ابتسامة لؤم وقال

— قلما يوجد في الناس رجل مثل جاك يجمع بين الغنى والشفقة وبين النباهة والمبرة

— فلما سمع فيران ذلك الاطناب الظاهري الذي يقصد منه بوليدوري التهكم فاتقدت نار الغيظ في صدره ونظر الى بوليدوري من تحت زجاج نظارته نظرة حقد وغضب

فقال بوليدوري موجهاً كلامه للقسيس

— لا تعجب يا ابني مما تراه من اضطراب جاك فانه مصاب بهذا الارتعاش العصبي منذ أيام عديدة وطالما نصحته ان يتخذ الوسائل الشافية لعلته فلم يصغ الى نصحي وهو بعناده هذا يجلب لنفسه الاذى كالباحث عن حتفه بظلفه

ثم التفت بوليدوري الى جاك واردف

— نعم لا أخشى ان أقول الحقيقة على مسمع من حضرة القسيس وهي انك تسعى في هلاكك أيها الصديق العزيز

فكاد فيران يتميز غيظاً من سماع حديث بوليدوري ولكنه تجلد ولم يفه بكلمة بل نكس رأسه الى الارض وهو يحرق اللارم وعاد بوليدوري وقال للقسيس

— أليس من الاسف يا ابني المحترم ان صديقي جاك يهمل

صحته الى هذا الحد ؟ ولست ترى مثلي انه يجب عليه الاعتناء بصحته حبا بنفسهُ وباصدقائه وبالبؤساء الكثيرين الذين يعولهم

فتمتم فيران قائلا بصوت مختنق : - كفى كفى

ثم قال للقسيس . - قد رجوتك يا ابتي ان تزورني لاطلعك على مشروع ذي أهمية عظيمة وليس لاسمعك مدحي من فم صديقي هذا

فنظر بوليدوري الى فيران شذراً وقال له

- أنت تعلم ياجاك انه لا يسعك الا الاصغاء الى كلامي مهما كان

فاطرق فيران ولزم الصمت فقال بوليدوري للقسيس

— اظنك لحظت ياحضرة القسيس ان هذا المرض العصبي الذي اصاب صديقي جاك لم تظهر اعراضه الاولى الا بعد تلك الفضيحة التي أحدثتها لويز موريل في هذا البيت لان كدره من الجريمة التي ارتكبتها تلك الفتاة سبب له اضطراباً عصبياً شديداً ولو لم يبتلِ صديقي بغير تلك الفضيحة لهان عليه الامر ولكنه لسوء الحظ أصيب بكوارث أخرى أضنته ولم تبق منه سوى الجلد والعظم كما ترى . ومن تلك

الكوارث ان خادمة عجوزاً كانت في خدمته ...

فقال القسيس مقاطعاً بوليدوري

— لاشك انك تعني مدام سيرافين المرحومة فقد بلغني خبر وفاتها غرقاً بالقضاء والقدر ولا عجب اذا كان حزن الموسيو فيران عليها شديداً لانها خدمته عشر سنين متوالية وحزنه عليها يزيد مقامه رفعة بين الناس

فقال فيران للقسيس بصوت مرتجف

— أرجوك ان لا تضيع وقتك الثمين في الكلام عما أصابني ولنتحدث في الموضوع الذي استدعيتك لاجله وطلبت معونتك

فقال له القسيس : — حسن فلنتحدث عن أعمالك الخيرية الجديدة وفي مقدمتها المسألة التي كلفتني بها فانني بناء على رغبتك ودعت في بنك فرنسا تحت اسمي مبلغ مائة الف فرنك لاعادتها على يدي الى اصحابها ... وقد فضلت ان نودع هذا المال في البنك على ابقائه في صندوقك لكي تكون امناً عليه

— لم أر بدّاً من ذلك العمل يا ابتي لان المال الذي كلفتك

بايداعه في البنك ليس لي بل لشخص آخر يريد ارجاعه الى صاحبه ليرتاح ضميره وبناء على طلبه أعطيتك اياه ورجوتك ان ترجعه الى أرملة فيرمون المولودة في رينفيل حين يمكنها ان تثبت لك انها هي بعينها

فقال له القسيس : — سأقوم بما كلفتني بعمله

فقال بوليدوري للقسيس — وليست هذه آخر خدمة يطلبها منك صديقي جاك

فقال له القسيس : — ماذا تعني ؟

وقال له فيران — ماذا تريد بقولك هذا ؟

فاجاب بوليدوري — وهل نسيت عائلة موريل التعسة ؟

فاجابه جاك فيران بصوت مختنق — نعم . . . نعم . . صدقت لقد نسيت

فقال له القسيس — ها أنا مصغ اليك ياعزيزي تكلم

قال جاك للقسيس — انت تعلم يا ابني ان سلوك لويز موريل المشين كان سبب جنون والدها المسكين حتى اوشكت عائلته ان تموت جوعاً ولكن لحسن حظها أخذ الله بناصرها والرجل الذي كلفني برد الاموال الى أصحابها على يدك لايزال

يتألم من وخز الضمير لانه لم يكفر عن ذنب أتاه فسألني اذا كنت أعرف قوماً تعساً ليساعدهم تكفيراً عن ذنبه فذكرت له عائلة موريل فأعطاني شيئاً من المال للانعام به على تلك العائلة التعسة وسوف أسلمك ذلك المال ايضاً الذى لا يقل ريعه عن الفي فرنك سنويا

فقال له القسيس بدهشة - كيف لم يكلفك ذلك المحسن القيام بالعمل الذى تشيراليه؟

- ان الرجل المجهول الذى يريد هذا العمل يفضل انجازه على يدك ليزداد قبولا

لا يسعني الا القبول وسأقوم بهذه الخدمة الجديدة خير قيام

فقال بوليدورى للقسيس - سوف ترى الآن الى اية درجة ارتفع مقام صديقي جاك بعد ذلك العمل الخيرى الذى تحدثنا عنه قبل الآن وسيقرأ علينا الخطة التي يريد اتباعها اما المال اللازم للمشروع فوجده في صندوقه ولكنه منذ الامس خامره بعض الخوف فلم يجسر على مفاتحتك في الامر

فقال جاك فيران لا أرى موجباً لهذا ياحضرة القسيس

وأحب ان ينشأ ذلك المحل باسم غيري

فهتف القسيس قائلا - لقد زاد تواضعك الحد وأرى انه يحق لك الفاخرة بحسن صنيعك هذا وأرى من العدل بل من الواجب ان يدعى ذلك المحل باسمك

— اما انا فافضل ان يبقى اسمي مجهولاً وانني أعتمد على طيبة قلبك لتقوم بالاعمال التي كلفتك بها والمحافظة على سرها وان تجد لي موظفين لذلك المحل وأنا أجد مديراً له وحارساً

— لا يسعني الا الرضا ولو انني لا أسر بمساعدتك على عمل خيري أنت موجده

فقال بوليدوري للقسيس — والآن يقرأ لك صديقي جاك بنود الخطة التي استقر رأيه عليها

فقال فيران — أرجوك ان تنوب عني في القراءة

فاجابه بوليدوري - كلا . كيف أحرم نفسي من سماع شرحك عن الاحساسات الشريفة التي دفعتك الى هذا العمل الخيري

فقال فيران . - حسن ! . . . أنا اقرأ

وكان بوليدوري مطلعاً على كل الجرائم التى ارتكبها جاك فيران وكان شريكا له في كثير منها ولذلك لم يتمالك عن الابتسام حين رأى فيران مرغماً على قراءة البنود التى كتبها رودان وقد أراد البرنس بعمله هذا ان يعاقب جاك فيران عقاباً أليما فعذبه بالشهوات لانه شهواني و بالطمع لانه ذو مطامع و بالنفاق لانه منافق ولم يختر رودلف ذلك القسيس الصالح لمعونة جاك فيران على رد الاموال المسلوبة لاصحابها الا ليضاعف قصاص هذا اللص جزاء نفاقه على القسيس وادعائه انه من أهل الصلاح

وقرأ جاك فيران مايلي

(تأسيس مصرف للفعلة الذين لاعمل له)

« بما ان مؤسس هذا المصرف ليس لديه من المال ما يكفي لاعانة كل المعوزين رأى ان يبدأ بالفعلة النشيطين ذوي المبادىء الشريفة الذين رغم اجتهادهم لا يربحون مايكفي للقيام بنفقات عيالهم الضرورية . ولا يقصد المؤسس من عمله هذا الاحسان المذل لاولئك البؤساء وانما يريد ان يسلفهم مايحتاجون اليه من المال بغير فائدة وهو يؤمل ان يجدوا مايسدون به الرمق

اذا لم يجدوا عملا يرتزقون منه

« ولا يأخذ ضمانا على ما يسلفه من النقود سوى تعهد المدين بارجاع الدين متى استطاع ذلك ويكفي ان يكون التعهد شفاهيا معززاً بالقسم

« ويؤمل المؤسس ان ارباح هذا المصرف من معاملة غير الفعلة ستكون في السنة الاولى اثنى عشر ألف فرنك ولكنه قبل الحصول على هذا الربح يمكنه ان يسلف الفعلة ذوى العيال الذين لا يجدون عملا مبلغا من المال لا ينقص عن عشرين فرنك ولا يزيد عن أربعين بغير فوائد على شرط ان يكون اولئك الفعلة من سكان الدائرة السابعة من مدينة باريس وقد اختار هذا الحي دون سواه لازدحام الفعلة فيه

« وهذه السلفيات لا تمنح الا للعمال والعاملات الذين يقدمون للمصرف شهادة بحسن سلوكهم من آخر محل اشتغلوا فيه ويشترط ان يذكر في الشهادة سبب انقطاع العمل وتاريخه ويرد العامل ما استدانه على أقساط شهرية لا يتجاوز كل قسط منها سدس المبلغ أو جزء من اثنى عشر منه كما يشاء المدين ولا يبدأ بسداد الاقساط الا بعد ان يجد عملا والمستند الوحيد

الذى يطلب منه هو تعهد بسيط بسداد الاقساط في استحقاقها ويجب ان يكون لكل مدين ضامنان من رفاقه

« واذا تأخر أحد الفعلة عن سداد الدين ولم يسدده الضامنان يحرم الثلاثة من الاستدانة مرة أخرى جزاء لكل على نكس عهوده المقدسة وعلى كونه منع ذلك المال عن رفاقه لان المبلغ الذى لم يسدده يضعف خزينة مصرف الفقراء ولكن اذا رد كل مدين دينه تعم الفائدة ويزداد عدد المدينين ومتى راجت أعمال المصرف يمكن اعانة العمال في حي آخر من أحياء باريس

« والغايات التي يرمي اليها هذا المصرف عديدة منها : عدم اذلال المعوزين للصدقة . وقتل الكسل . وتقوية العواطف الشريفة في طائفة الفعلة . واسعاف العامل النشيط الذى لايجد عملا لسبب من الاسباب لكى لايتضور من الجوع هو وعياله »

فهتف القسيس قائلا ـ ما هذا الاحسان النادر المثال فلا عجب اذا اضطرب صوتك في قراءة بنوده لشدة الانفعال

وقد صدق القسيس في قوله فان فيران لم ينته من القراءة حتى كاد صوته ينقطع وزايله الصبر ولكن بوليدورى كان

يراقبه فلم يجسر على اهمال أقل أمر من أوامر رودلف فليتصور القارى ماالمّ بجاك فيران من الحقد والغضب حين رأى نفسه مضطراً الى بذل ثروته في معونة البؤساء الذين طالما اساء اليهم ولما رآه بوليدوري على تلك الحال قال له

— لاشك انك تقدر مدح القسيس لك قدره ولسوف يسمعك أكثر من هذا الاطناب حينما تخبره بينك الرهونات الذي ستأسسه ويكون تابعا لمصرف الفقراء

فدهش القسيس وقال . — ماذا اسمع !..هل في عزم المسيو فيران ان يشيد مصرفا للرهونات .

وبعد سكوت وجيز عاد فيران الى قراءة ما يأتي

« والغرض الاول من تسليف النقود للفعلة هو تخفيف مايصيبهم من الويل حين لايجدون عملا ولذلك لاتجوز السلفيات الاّ للذين لاعمل لهم

« غير ان الفعلة العاملين يكونون احيانا في مراكز حرجة فلكي يخفف مؤسس المصرف الحمل عن عاتق اولئك المساكين قد عين رأس مال قدره خمسة وعشرون الف فرنك يسلف منها للفعلة على رهونات على شرط ان لاتزيد السلفية الواحدة

عن عشرة فرنكات

« والمدينين لا يدفعون نفقات ولا فوائظ ولكن يجب عليهم ان يثبتوا انهم يتعاطون حرف شريفة ويبرزون شهادات من رؤسائهم تثبت حسن سلوكهم

« وبعد مضي سنتين تباع الرهونات التي لم تسترجع وما يزيد من أثمانها عن المبالغ المتاخرة يعطى لاصحاب الرهونات وبعد مضي خمس سنين اذا لم يسترد الراهن ما بقي له من ثمن الرهن الذى بيع على ذمته يضاف الفرق الى مصرف الفقراء.

« وادارة بنك الرهونات ومصرف الفقراء ستكون في شارع التامبل نمرة ١٧ في بيت ابتيع لهذا الغرض في وسط حي الفعلة وسيعين لنفقات ادارة بنك الفقراء مبلغاً سنويا قدره عشرة آلاف فرنك اما ادارة هذا البنك فقد عهدت . . . »

فقطع بوليدورى قراءة جاك فيران وقال للقسيس

سوف ترى يا حضرة القسيس حين تعرف من هو الرجل الذى عين مديراً للبنك ان جاك يعرف كيف يكفر عن السيئات التي ارتكبها بغير ارادته وأنت تعلم انه أساء الى صرافه

باتهامه بسرقة مبلغاً من المال ثم وجد بعد ذلك انه مخطيء وان الصراف بري ولذلك سيعينه مديراً للبنك ويجعل راتبه أربعة آلاف فرنك بالسنة اليس هذا عمل مجيد ياحضرة القسيس؟

فاجابه القسيس . — لم أعد أعجب بشيء الآن او بالحري لم أعجب لكل ما رأيته من فعال صديقي العزيز فيران حتى الساعة لانه كان ينتظر من فضائله ان تكلل بمثل هذه لاعمال المجيدة وأي عمل يرفع قدر الانسان اكثر من انه يبذل كل ثروته لاعانة البؤساء.

فقال بوليدوري . — ولو كنت تعلم قدر الثروة التي بذلها صديقي جاك في سبيل هذا العمل الجيد لزاد أعجابك فان ثروته تبلغ مليون فرنك جمعها بالجد والكد والتوفير والتقتير حتى ان بعض الوشاة الحسودين عدوه بخيلا وكانوا يقولون . « اليس من الشح المكروه ان يربح جاك فيران ستين الف فرنك سنويا ويضن على نفسه باللباس والقوت . »

فاجاب القسيس بحماسة . — اني أجيب هؤلاء الوشاة الحسودين ! — لقد عاش هذا الرجل الفاضل خمس عشرة سنة عيشة الفقير المعوذ ليتمكن يوما ما من اعالة المعوزين

وفي أثناء تلك المحاورة كان جاك فيران واقفاً مكفهر الوجه شاخص البصر منكس الرأس وغارقاً في لجة الافكار فالتفت اليه بوليدوري وقال له وهو يبتسم

- ما بالك يا صديقي جاك لاتشمخ بانفك مفتخراً بما تأتيه من المبرات ؟

- فانتفض فيران انتفاض من افيق من النوم مذعوراً ووضع يده على جبينه ليجمع أفكاره المشتتة ثم قال للقسيس

-- لاتؤاخذني ياابتي على ماأصابني من الذهول فانني كنت أفكر في ما سيناله هذا المصرف من الاتساع وزيادة رأس المال بتراكم الارباح لولا العجز الذي سيكون من وراء السلفيات بغير فائدة فقد وجدت أنها تبلغ خمسين الف فرنك بعد اربع سنين وهو مبلغ جسيم جداً

وبعد ان فكر في ماسيناله من العذاب الاليم من تضحية كل امواله رغم أنفه عاد الى قراءة تقرير المشروع ونار الغيظ تتقد في صدره

«ويعين من الارباح عشرة آلاف فرنك لنفقات بنك العمال الذين لاعمل لهم ويكون مدير هذا البنك المسيو فرنسوا

جرمان و يكون حارسه بواب بيت المسيو جاك فيران المدعو بيبليه ويكلف القسيس ديمون الذى يودع عنده رأس مال البنك بتشكيل مجلس عالي لمراقبة العمل مؤلف من شيخ الحي وقاضي الصلح وغيرهم من الذين يجدون فيهم الكفاءة لترويج أعمال بنك الفقراء اما مؤسس هذا المشروع فيكفيه مكافأة ان بعض المحسنين يعضدونه »

ولم يتم جاك فيران القراءة حتى كادت روحه تبلغ التراقي فلم يجب القسيس على ما كان يسمعه من الاطراء بل انه أعطاه المال الجسيم اللازم المشروع وما فرض في التقرير من الاعانة السنوية لعائلة موريل صقال الجواهر وقال

— أؤمل ياحضرة القسيس ان لا ترفض هذه الخدمة التي كلفت بها واعلم ان رجلا غريباً يدعى السير ولتر مورف أرشدني الى مافيه تخفيف العبء عنك وسيقابلك اليوم فتتباحثان في اخراج المشروع الى حيز العمل ويكون طوع اشارتك اذا وجدت من معونته بعض الفائدة واني أرجوك ان لا تطلع أحداً على سر هذا المشروع الذى أسسته ماخلا السير مورف

— ما أصوب رأيك ! . . . ان الله عالم بما تصنعه من

المعروف لبني البشر . . وماذا يهمك بعد ذلك ؟. . ولكن ماذا أصابك ؟ . . قد ازداد اصفرار وجهك . . . فهل تشعر بألم ما ؟

فجلس فيران على كرسي خائر القوى وأجاب القسيس بصوت مختنق - نعم انني أشعر ببعض التعب والملل من قراءة هذا التقرير الطويل فضلا عن الانفعال النفساني الذى ألمّ بي من سماع مدحك اياى ولا يخفى عليك اني منحرف الصحة منذ بضعة أيام . على انني أؤمل ان يزول هذا الضعف

فظهرت على القسيس علامات الاهتمام والقلق وقال لفيران — ارى لاوفق اذن ان تضجع في فراشك وان تستدعي طبيبك

فقال بوايدوي للقسيس - أنا طبيب ياحضرة القسيس واعلم ان حالة جاك تستدعي اعتناء زائداً واني مستعد لمعالجته

فارتعشت مفاصل فيران ولم يجب بكلمة فقال له القسيس — تشجع ايها الصديق ولا تقنط فسوف تنال الشفاء باذن الله والآن أرجوك ان تسمح لي بالانصراف

وخرج القسيس بعد ان أعطى جاك فيران ايصالا بالمال

الذي أخذه وبقي بوليدوري و فيران وحدهما

وما كاد القسيس يخرج من المكتب حتى انفجر مرجل الغضب في صدر جاك فيران فاخذ يرغي ويزبد ويسخط ويلعن ثم طفق يروح ويغدو في المكتب وهو يلهث ووجهه مكفهر وعيناه تختنقان كانه وحش ضار تقيد بالسلاسل اما بوليدوري فكان يراقب حركاته وهو ساكن الجأش فقال فيران - يالها من نكبة قاضية ! لقد ضاعت ثروتي كلها في هذه المشروعات الخيرية التي لاطائل تحتها . كيف ! من كان يقول انني انا أنشيء مصرف للفقراء برغم انفي ؟

ثم وقف بوليدوري وقال له : - لاشك ان سيدك شيطان من شياطين جهنم

— ليس لي سيد ولكن لي قاض مثل مالك ولكن كيف أطيع هذا الرجل صاغراً كالابله !

— ان انت لم تطع اوامره تشنق

— ويلاه ألا يمكنني ان اتخلص من نير هذا الرجل فقد بذلت حتى الساعة أكثر من مايون فرنك ولم يبق لي سوى ماية ألف فرنك وهذا البيت فماذا يريد مني بعد؟

— انك مقيد بسلاسل من حديد

— وأصبحت انت جلادي يالئيم

— ماالحيلة ان طريقة البرنس في القصاص بسيطة فهو يعاقب على الجريمة بالجريمة

— ان لساني يعجز عن وصف مابي من الغيظ

— ولكنه غيظ الاسير على الغد فلا يجديك نفعاً . وطالما لايصدر لي أمراً من البرنس بان أخلي سبيلك أظل ملازماً لك لزوم ظلك وأنا مثلك استحق المشنقة فان أنا لم أطع الاوامر وخليت سبيلك يقطع رأسي فكيف لا أحافظ عليك؟ وكيف افترق عنك طرفة عين. ولا نستطيع الهرب معاً لان عيون البوليس السري ترقبنا نهاراً وليلاً عند باب بيتك ولو فرضنا اننا تمكنا من الهرب فلا نكاد نخرج من باريس حتى يقتفي آثرنا رجال البوليس ويقبضون علينا ولكن اذا أطعت أنت الاوامر الصادرة لك وان راقبت انا طاعتك لتلك الاوامر تتخلص من المشنقة

— دع عنك هذا التهكم والا . .

— والا ماذا ؟ . . انني لا أخشاك ولدي من السلاح

مايدفع عني شرك وهب انك وجدت خنجر سيسبلي فذلك لا يجديك! نفعاً فانت تعلم انني كل ساعتين أقدم تقريراً عن صحتك العالية لذوي الشأن فلو فرضنا انك تمكنت من قتلي فلا تمضي ساعتان على ذلك حتى يقف البرنس على الخبر ويقبض عليك. ولكنك أجبن من ان تقدم على قتلي وتعرض نفسك للهلاك ودليلي على ذلك انك بذلت أكثر من مليون فرنك فداء لحياتك

- رباه ماهذه البلوى!! ما هذه البلوى!.. كيف أتجهت لأرى حولي سوى الدمار والعار والموت

- ألسنا الجانين على أنفسنا؟ ألست أنت السبب فلماذا أبقيت معلقاً في عنقك المكتوب الذى بعثت به اليك بشأن جريمة القتل التي اشتركنا في ارتكابها واكسبتك مائة الف فرنك فلولا اهمالك هذا لظل الناس يعتقدون ان الرجل انتحر كما أشعنا بعد ان قتلناه

- ويل لك ايها الشقي: تسألني لماذا كان كتابك معلقا في عنقي ليلا ونهاراً وانت اعلم مني بالسبب؟ ألم أنقدك أربعين الف فرنك مقابل تلك الجريمة ومقابل ذلك الكتاب الذى

كان لي سلاحاً عليك اذ لم يبق في امكانك الوشاية بي دون ان تقع معي في الفخ فكانت حياتي وثروتي معلقتين فيه ولذلك علقته في عنقي حرصاً عليه

- نعم لقد أظهرت في هذا العمل دهاء نادر المثال لانني لم أكن أنال من الوشاية بك سوى المشنقة على ان مبالغتك في الدهاء والحرص كانت سبباً في هلاكنا وطالما كان دهائي سببا في نجاتنا من العقاب

- وهل كنت تظن ان دهائك يجدينا نفعا لو لم يسرق مني مكتوبك؟

- من يعلم ماهو مسطور في عالم الغيب ولكن كل الظروف كانت تدل على ان جريمتنا تظل مجهولة الى الابد بفضل دهائي

- بفضل دهائك !!

- نعم لاننا بعد ان قتلنا ذلك الرجل أردت ان تقلد خطه وتكتب لشقيقته انه ضارب فخسر كل ثروته فاستولى عليه اليأس فانتحر فظننت ان من الدهاء ان لاتذكر شيئاً في ذلك المكتوب عن المال الذي أودعه الرجل عندك وكم كنت مخطئا

لان شقيقة الرجل كانت تعلم بوجود المال عندك ومن البديهي انها تطالبك به فلم يكن يسعنا سوى اتباع الخطة التي اتخذناها وهي ان نذكرلها في المكتوب ان أخاها أودع عندك مالا وذلك يبعد عنك الشبهة اذ لا يقبل العقل السليم انك تقتل رجلا لتسلب منه مالا كان يأتمنك عليه ولو انك ذكرت شيئاً عن ذلك المال في كتابك المزور لكنت تعد من المجانين وقد صدق الناس ان الرجل انتحر بعد ان خسر كل ثروته وامكنك ان تقنعهم انه لم يودع عندك شيئاً

— ولكن ماذا يهمنا العود الى كل هذه التفاصيل بعد اكتشاف الجريمة ؟

— ومن هو السبب في ذلك ؟ وما ذنبي اذا كان مكتوبي سلاحاً ذا حدين ؟ وما الذي أضاع رشدك حتى أعطيت ذلك السلاح لسيسيلي الملعونة ؟

فانقلبت سحنة فران عند سماع ذكر سيسيلي فاصبح منظره مخيفاً وقال بصوت خنقة الغيظ اسكت ـ ولا تذكر لي هذا الاسم

﴿ تم الجزء السابع ويليه الثامن ﴾

# الفكاهات العصرية

مجلة روائية أدبية تاريخية

لصاحبها

عبد الله غزاله

السنة الاولى

العدد ٣٢

روايات يثوب الكهل منها بتفكهة وتخلية لفكر
ويقرأها الفتى فيطيب نفساً بما يلقيه من خبر وخُبْر

خليل مطران

# رواية

# مكنونات باريس

تأليف

القصصي الشهير في عالم التحرير

اوجين سو

تعريب

الكاتب البليغ والطبيب البصري البارع

الدكتور ابراهيم شدودي



مطبعة العرب

## بيان

تركنا في الجزء السابق جاك فران بحالة عصبية و يمنع بوليدوري عن ذكر سيسلي على سمعه . فاجابه بوليدوري

---

— لك ماتريد . اذ لا أحب ان تصاب بداء الصرع ولكن لابد لي من تنبيهك الى أمرٍ ذي بال وهو ان الحيطة التي اتخذها كل منا كانت تكفي لخلاصنا لو اننا عرضة لاحكام الشريعة فقط . ولكن أحكام الرجل القابض الآن على ذمامنا مخالفة لاحكام الشريعة . فهو يرى ان شنق المجرمين لا يكفي للتكفير عن جرائمهم

— نعم وأنا أعلم الناس بذلك . ان هذا البرنس لا يرضى للتكفير عن الجرائم بغير العذاب الأليم والشقاء الدائم وذرف الدموع. على انني لا أعرف هذا الرجل وما أسأت اليه قط فلماذا يضطهدني هذا الاضطهاد ؟

— لانه يدعي انه يشعر بما يصيب الاخرين من خير او شر اذ يعدهم اخوة له ويعرف الذين أسأت اليهم وآل على نفسه ان يجازيك على طريقة خاصة به وكان في امكانه ان يرفع أمرك الى الحكومة فتحكم بقطع رأسك ولكن ما

الفائدة من ذلك؛ أنه لم يكن لك سوى قريبين وقد توفيا فلو شنقتك الحكومة تضع يدها على اموالك حين لا تجد لك وريثاً فتدور الدائرة على الذين سلبت اموالهم ولكن بالطريقة التي اتخذها البرنس تكون اموالك مورداً للذين جعلتهم عرضة لانياب الفقر فان موريل والد لويز التي لطخت شرفها أصبح هو وعائلته في مأمن من الفقر والسيدة فرمون شقيقة رينيفل الذي قتلناه تسترجع مائة الالف فرنك التي أنكرتها عليها والشاب جرمان الذي أتهمته بالسرقة زوراً يجد تعزية كبرى عما أصابه من الشقاء على يدك بالوظيفة التي عينه فيها البرنس وهي ادارة مصرف العمال الذي ستنشئه باموالك فترى ن حياتك وأنت في قبضة البرنس أفيد من مماتك

-نعم وهذا هو سبب الحقد الذي تتأجج ناره في صدري ويا ليت ذلك عذابي الوحيد

— ان ذلك لا يخفى على البرنس اما الآن فلا أدري ماذا يريد ان يفعل بنا انه وعدنا بالابقاء على حياتنا اذا أطعنا أوامره طاعة عمياء ولكنه اذا رأى ان مافرضه علينا لا يكفي للتكفير عن ذنوبنا يستنبط لنا من أنواع العذاب مايهون دونها الموت

أنت لاتعرف هذا الرجل أما أنا فاعرفه وأعلم انه متى أصر على قصاص مجرم فلا يعادله جلاد في صلابة قلبه ولم أعرف حتى الساعة كيف أمكنه ان يقف على السبب الذى لاجله سافرت الى نورمنديا . . على ان هذا لايعد شيئا بالنسبة الى تلك الفاجرة سيسيلي

- قلت لك ان لاتذكر لي هذا الاسم

- فلتمطر السماء ناراً وكبريتاً على تلك اللعينة فهي التي سببت هلاكنا ولولا حبك اياها لما كان يتهددنا حبل المشنقة

والغريب ان جاك فيران لم يستشط غضباً لتكرار ذكر سيسيلي بل انه أجاب بصوت خافت ينم عن الاضطراب

— هل عرفت تلك المرأة ؟ . . أجب بحقك هل رأيتها

— لم أرها قط ولكن قيل لي انها جميلة

فرفع فيران كتفيه وأجاب :جميلة !!

ثم أردف بصوت حزين ولهفة يأس — اسكت ولا تتكلم في ما تجهل . فلو كنت مكاني لفعلت فعلي

— أنا أضع حياتي بين يدي امرأة !

— نعم انك تضعها في يدي امرأة مثل سيسيلي نعم نعم

ولو استطيع تكرار مافعلت فلا . أحجم اصغ الي يابوليدوري أنت تعلم شدة شغفي بالمال وتعلم كم عانيت من المشقة في جمعه وكم كنت أتلذذ في احصاء ماأملك من الذهب وأتلذذ حين أفكر انه يزداد يوماً عن يوم وأتلذذ بالبخل لانه من أقوى الوسائط المؤدية الى الغنى . تلك كانت سعادتي ولو انني خيرت منذ شهر بين قطع رأسي وخسارة ثروتي لاخترت الاول بلا تردد فان الموت أهون على الغني البخيل من ان تسلب أمواله مثل ماسلبت أموالي التى قضيت العمر في جمعها . ان الذي يقتل يموت مرة واحدة اما أنا فاموت في كل دقيقة من دقائق النهار

— فشخص بوليدوري الى فيران والدهشة بادية على وجهه وقال له

— لم أفهم مرادك . . فلماذا اذن أطعت أوامر الذي يمكنه قتلك في كل حين ؟ لماذا فضلت الحياة على الموت بعد ان سلبت أموالك مازلت ترى ان الحياة في المتربة أصعب من الموت ؟

فاجابه فيران بصوت ضعيف وهو منكس الرأس

— لانني اذا مت لاأعود أفكر في سيسيلي

فهتف بوليدوري قائلا وقدأخذ منه العجب — هل لازلت تؤمل ؟ .

— لست اؤمل ولكنني أملك . .

— ماذا تملك ؟

— الذكرى

— ولكنك لن تراها طول حياتك .. وهي التي كانت سبباً في هلاكك

— نعم ولكنني مازلت أحبها وكلما طال الامد أزددت بها شغفا

ثم طفق جاك فيران يبكي بكاء الثكلى وسالت دموعه على خديه الشاحبين المجوفين وعاد فقال بين شهيق وزفير

— نعم مازلت أحبها وسأظل أحبها ولا أريد الموت لانني صرت أتلذذ بألم النيران التي تشويني رويداً رويداً كما يتلذذ المجروح بحك جرحه فلا يزال يعمل فيه ظفره حتى يموت. اعلم يابوليدوري انني مازلت اذكر تلك الليلة التي رأيت فيها جمال سيسيلي الساحر وذلك المشهد المهيج لا يبرح نصب عيني سواء كانتا مفتوحتين أو مغمضتين انني على الدوام

أرى عينيها السوداوين المتقدين مما يذوب له نخاع عظامي وما زال جبيني يشعر بحر أنفاسها وما زال صوتها يتردد في أذني تردد صوت الاعواد في اذن الطروب النشوان

— انك اذن في عذاب أليم من دونه عذاب النار

- نعم نعم ياله من عذاب والذي يزيدني ألماً هو ذكر الموت. ورجوعي الى العدم. وفقد ذكرى سيسيلي. لانني أفضل الحياة ولو كنت فقيراً مهاناً مريضاً لكي لا تزول ذكراها من مخيلتي لانها أصبحت المحور الوحيد الذي تحوم حوله أفكاري

فقال له بوليدوري بصوت رزين مناقض للهجة التهكم التي كان يبديها

- لقد شهدت كثيراً من الآلام وضروب العذاب فلم أرَ عذاباً مثل عذابك فان الرجل القابض علي عنقينا قدحكم عليك بأشد عقوبة يتصورها عقل الانسان حكم عليك بان تعيش أو بالحري بان تنتظر الموت وأنت في عذاب أليم من دونه عذاب النار وقد عرفت الآن بعد ماذكرته لي السبب في اعراض السقم المخيفة التي تزداد ظهوراً على وجهك يوماً عن يوم

- ولكنّ هـذه الاعراض ليست مخيفة لأنها لا تدل على غير السقم وهو نتيجة أشجاني . . وما زلت بعيداً عن الخطر أليس كذلك ؟

- لا لا ولكن مركزك حرج وحالتك سيئة فان أنت لم تقلع عن بعض الافكار التي تضنيك ساء مصيرك

فاسند فيران جبينه الى أصابعـه المتوترة وهتف قائلا والغيظ أخذ منه كل مأخذ

- ان نار الحقـد تضيء بين جوانحي كلما ذكرت انني في هذا العذاب الدائم وان الذين يكرهونني شامتون بي متنعمون وان ثروتي التي سلبت مني قهراً وكلما اذكر كيف كان القسيس يباركني ويكثر من اطرائي بينما قلبي الجريح يقطر دماً تزداد نار حقدي اضطراماً . . ويلاه ويلاه ! ان هـذا العذاب فوق ما أحمل . وأشعر بان رأسي مشرف على «الانفلاق» ولا يجديني غيظي نفعاً ولا يغني عذابي فتيلا وكل ذلك لاجلك ياسيسيلي . . سيسيلي . . سيسيلي ! . . هل تعلمين كم أقاسي من العذاب لاجلك ! . . هل تعلمين ذلك ياسيسيلي ؟ . . ياسلطانة شياطين جهنم

ثم انطرح جاك فيران على كرسيه خائر القوى مكفهر الوجه متشنج الاعضاء سريع التنفس وطفق يزمجر كالخنزير المجروح فلم يعجب وليدوري لتلك الاعراض التشنجية لتضلعه من فن الطب وعلمه ان ما أصاب جاك فيران من الحزن على فقد أمواله وسلي أشعلت في صدره نارا آكلة وفضلا عن ذلك لحظ انه قد بدأت تظهر في فيران اعراض مرض من الامراض العصبية العضالة التي تقشعر لذكرها الابدان

الفصل الثامن والاربعون

رودلف وساره

بدأت الماركيزه تعود الى الكونتس ماك جريجور بعد ما أصابها من الآلام والسقام مما جعل حياتها في خطر بضعة أيام

وفي ذات مساء بينما كانت جالسة على كرسي وهي في دور النقاهة واخوها توماس سيتون جالس الى جانبها أخذت تتأمل صورتها في مرآة كانت بين يدي خادمة جاثية امامها وكان ذلك في القاعة التي طعنتها فيها البومة تلك الطعنة النجلاء

كانت الكونتس شاحبة اللون مرتدية ثوبا من حرير أبيض وغدائر شعرها الدامس مرسلة على كتفيها

وبعد ان ظلت بضع دقائق تتأمل صورتها قالت لاحدى خادماتها

— متى جاء الموسيو فيران ادخلوه القاعة الصغرى الزرقاء وحين يأتي سمو البرنس رودلف دوق جيرولستين ادخلوا به الى هنا

ولما خلت ساره الى اخيها قالت له قد دنت الساعة التي تتحقق فيها آمالي واضع تاج الملك على رأسي

— لقد نصحتك كثيرا يا ساره وما زلت أنصحك بالاقلاع عن هذه الاماني المستحيلة وهذه الاحلام الكاذبة لكي لايكون عذابك اليما متى صحوت وتجلت لك الحقيقة

— ماذا تقول ؟ أتحسبها أحلاما كاذبة ؟ هل تظن ان رودلف يظل على عناده متى علم ان تلك الفتاة المقيمة في سجن سان لازار والتي كان يظنها ميتة هي ابنتنا ؟

— أظن ان الامراء يقدمون الاحوال السياسية

والامور الدولية على العواطف الطبيعية

— الست تحسب أقل حساب لدهائي؟

— ليس البرنس اليوم مثلما كان في اول عهدك معه تتأجج في صدره نار الوجد والهيام ان ذلك الوقت قد ولى وأصبح بينك وبينه مراحل فان ظل البرنس يذكر ما كان بينكما من صلة الغرام فانه يذكر أيضاً العواقب الوخيمة التي نتجت عن ذلك الغرام . وهل نسيت سلوك والده الفظيع معك ؟ وهل نسيت سكوتك المستطيل بعد زواجك بالكونت ماك جريجور عند ما كان يطلب منك ابنتك وهي لا تزال في المهد ؟ وهل نسيت المكتوب الذي بعثت به اليه منذ عشر سنين وذكرت له فيه انها ماتت ؟ هل نسيت ان البرنس منذ ذلك العهد لم يعد يضمر لك سوى الاحتقار والحقد ؟

— ان حقده قد استحال الى شفقة منذ عرف اني في خطر شديد فصار يبعث الي البارون جرون كل يوم للاستعلام عن حالتي ومنذ حين بعث رسولا يخبرني بانه يزورني الآن . وهي فرصة ثمينة يلزمني الاستفادة

منها يا أخي

ـ لعله يظن انك أصبحت على حافة القبر وانك تريدين وداعه الوداع الاخير وقد اخطأت في انك لم تكتبي له عن الخبر الذي تريدين اطلاعه عليه

— انني سلكت هذا السلوك لغاية وهي ان البرنس حين يقف على ذلك الخبر تأخذه الدهشة ويطفح قلبه سرورا فاستفيد من تلك الفرصة واسأله ما أريد وأومل ان يقول لي: «ان الزواج يصير ابنتنا ابنة شرعية» فان قال ذلك برَّ بوعده لانه صادق الوعد واذ ذاك تتحقق كل امالي

— نعم اذا وعدك ذلك الوعد!

وفي تلك اللحظة سمعا صوت عربة دخلت فسحة الدار فهتفت ساره قائلة — ها هو رودلف

فاطل توماس سيتون من النافذة وأجابها

نعم هو البرنس — وقد نزل من عربته

فقالت له ساره بثبات جأش نادر المثال اذهب ودعني وحدي فها هي الساعة التي يكون فيها فصل الخطاب

وبعد انصراف توماس دخل رودلف غرفة ساره

وعلامات الاشفاق بادية على وجهه ولكنه لما رآها جالسة على كرسيها وقد زايلتها اعراض السقام التي كان يتصورها فيها أخذته الدهشة وتراجع الى الوراء واكفهر وجهه وقد ادركت الكونتس ما جال في خاطره فقالت له بصوت عذب

— لعلك كنت تحسب انني على آخر رمق من الحياة فاتيت لتودعني الوداع الاخير؟

— انني على الدوام احترم رغائب المشرفين على الموت . . . ولكن يظهر لي ان عملك هذا مكيدة تديرينها وان . . . .

فقاطعته ساره واجابت - كن مطمئنا انني ما غششتك ويظهر لي ان ساعاتي أصبحت معدودات. قد جمعتني بك الايام بعد فراق طال عشر سنين فاشكرك شكراً جزيلا اما انت فلا يسعك الا شكر الله تعالى الذي ألهمك ان تستجيب دعائي ولا تخيب رجائي الاخير لانك ان لم تجد سؤالي لكان دفن معي السر الذي يجعلك سعيداً طول حياتك غير ان سعادتك لا تكون خلوا من الخوف والدموع

فدهش البرنس وقال لها - لم أفهم مرادك!!

— نعم يا رودلف لو لم تأت لكان دفن سري وعددته انتقامي الوحيد ولكن هل كنت اجسر على هـذا العمل؟ كلا بل كنت اطلعك على سري لتشاطرني الفرح والسعادة

- ارى وجهك يزداد اصفرارا وأعضائك تزداد اضطرابا مما يدل على ان ذلك السر ذو بال

فتزايد اضطراب ساره حين ذكرت اهميـة الخبر الذي ستطلع عليه رودلف فقالت له بصوت متلجلج

— اعلم يا رودلف ان ابنتنا لا تزال على قيد الحياة

— ابنتنا!.

— نعم مازالت حية ترزق

فاضطرب البرنس ظهرا لبطن حين تحقق صدق لهجة الكونتس فدنا من كرسيها وهتف قائلا

— ابنتنا!... ابنتنا على قيد الحياة؟

— نعم انها لم تمت ولدي براهين قاطعة على ذلك.. وستراها غدا

فازداد رودلف اضطرابا وقال: — ابنتي.. ابنتي!..

هلا تزال على قيد الحياة ؟ . . هل أصدق ما اسمع ؟

ثم تصور بعد ذلك الخبر عن الحقيقة وعاد فقال . لا لا انها أضغاث أحلام ! .. انك تغشينني وهي حيلة تؤيد ما أنت عليه من النفاق اذ لا تخفى عليّ مطامعك واعلم شدة دهائك وأدرك الغاية التي لاجلها تكذبين

— صدقت فيما تقول انني متى رضيت في الوصول الى غاية فلا تعيقني العقبات وكنت وطدت النفس على استبدال ابنتنا بفتاة مجهولة ولكن قضت الاقدار ان أطعن بتلك اليد الاثيمة وأنا في ابان العمل

— هل بلغ منك التهور الى هذا الحد ؟

— نعم ... والغريب ان الفتاة المجهولة التي وجدتها لهذه الغاية هي ابنتنا بعينها

— خبريني ناشدتك الله هل تهزين او تكذبين أو تقولين الحق ؟

— لست بهاذية ولا كاذبة يا رودلف

ثم أشارت الى صندوق صغير كان على المنضدة وقالت وانك تجد في هذا الصندوق كتابا وصورة يثبتان لك صدق

تولي وتجد ورقة ملطخة بدمي فان المرأة التي كانت تملي علي ذلك المكتوب هي التي طعنتني بخنجرها

— ومن هي تلك المرأة ؟ وكيف كانت تعلم ان لنا أبنة ؟

— هي التي عهد اليها تربية ابنتنا حين كانت طفلة بعد ان اشيع انها ماتت

— وما اسم هذه المرأة ؟ وهل يمكننا ان نثق بقولها ؟ وأين عرفتها ؟

— اعلم يارودلف ان كل ذلك كان مقدوراً ... انك منذ بضعة شهور انتشلت فتاة من هوة البؤس والشقاء وأرسلتها الى مزرعة بوكيفال فتأججت نار الغيرة في صدري وثار بي ثائر الحقد فاستعنت بالمرأة التي ذكرتها لك على اختطاف الفتاة من المزرعة

— وقد زجوها في سجن سان لازار

— نعم وما زالت هناك

— لا بل قد أطاق سراحها وأنت تجهلين الجريمة الفظيعة التي ارتكبتها في اختطاف تلك البائسة من المزرعة ولكن ..

فقاطعت ساره رودلف وصرخت قائلة بصوت ينم عن

الذعر — ماذا تقول ؟ هل خرجت تلك الفتاة من سجن سان لازار وما هي الجريمة التي تنوه عنها ؟

— ان طاغية من الاشرار رأى من مصلحته هلاك تلك الفتاة فاغرقها ولكن اجيبي تقولين ان . . .

فانتصبت سارة واقفة وجحظت عيناها وتقلصت كل عضلاتها فلم تعد تبدي حركة كانها صنم من الاصنام وصرخت صرخة وقف لها شعر رودلف وقالت : ابنتي !!

وهتف رودلف قائلا : — يارباه ! .. ماذا تقولين ؟

اما ساره فاكفهر وجهها وازداد اصفرارا لشدة اليأس حتى أصبح مخيفا وقالت بصوت مختنق

— ابنتي ! .؟ قتلوا ابنتي .

فتراجع رودلف الى الوراء مذعورا وهو يقول المغنية ابنتك !! ..

— المغنية ... نعم هو نفس الاسم الذي ذكرته لي تلك المرأة الملقبة بالبومة .. ماتت .. ماتت

وظلت ساره متيبسة في مكانها لاتبدي حراكا وهي منكسة الرأس شاخصة البصر

نخفق قلب رودلف واصفر وجهه حتى أصبح كوجه ساره وقال لها

— عودي الى صوابك ياساره وأجيبي على سوآلي هل المغنية تلك الفتاة التي سعيت في اختطافها من المزرعة هي ..

- ابنتنا .. ابنتنا ..

— هي ؟ ..

— وقد قتلوها .؟؟

— ويلاه . كلا .. انك تهزين فالذي تقولينه بعيد عن عن الامكان انك لاتدركين فظاعة هذا العمل لو كان صحيحاً عودى الى صوابك يا ساره واسترجعي سكينتك وكلميني . اجلسي وهدى روعك ... ان ما تقولينه محال كلا . كلا . ذلك لايجب ان يكون

وبعد سكوت وجيز استجمعت ساره كل أفكارها المتشتة وقالت لرودلف

— اني لما وقفت على خبر زواجك وعقدت النية على ان أتزوج مثلك لم يمكنني ابقاء ابنتنا معي وكان عمرها اذ ذاك أربع سنين

فقال لها رودلف بصوت تتفتت له الاكباد ـ ولكنني طلبتها منك في ذلك العهد وتوسلت اليك ان تجيبي طلبي فلم تكتبي لي سوى جواب واحد اخبرتيني فيه بوفاتها

ـ أردت الانتقام منك بعدم ارجاع ابنتك اليك ولا أنكر ان ذلك كان أمراً فظيعاً ولكن اصغ الي انني أشعر بدنو أجلي فان هذه المصيبة هدت كياني

ـ كلا . كلا . لا أصدق ما تقولين . . . المغنية.. ابنتي ! . . .

ـ قلت لك اصغ الي فاعلم انها لما بلغت السنة الرابعة كلف أخي باخذها امرأة تدعى سيرافين وأوصاها بان تعتني أتربيتها حتى تبلغ السن الذي يمكننا من ادخالها المدرسة وقد بودع أخي المال اللازم لضمانة مستقبلها عند وكيل أشغال مشهور بصدقه وأمانته وما زالت كتب ذلك الرجل وتلك المرأة المرسلة الي والى أخي محفوظة في هذا الصندوق الصغير وبعد سنة من ذلك العهد ورد لي منهما مكتوب يقولان فيه ان ابنتي مريضة ثم كتب لي بعد ثمانية شهور انها توفيت وأرسلا الي شهادة الوفاة وفي ذلك العهد دخلت مدام سيرافين

في خدمة جاك فيران بعد ان أسلمت الفتاة الى البومة على يد مجرم كبير مسجون الآن في روشفور . ذلك ما أملته علي البومة قبل ان تطعني بخنجرها ولا يزال ذلك المكتوب في هذا الصندوق مع صورة ابنتنا وهي في السنة الرابعة فافحص كل هذه المكاتيب وتأمل الصورة واحكم بعد ذلك

وما كادت ساره تنتهي من عبارتها حتى خانها الجلد فوقعت خائرة القوى .

وبقي رودلف واقفاً كالمأخوذ ذلك لانه كان واثقاً من موت زهرة مريم فلم يبق له سوى أمل واحد وهو اقناع نفسه بانها ليست بابنته فتقدم من المنضدة بثبات جاش أدهش ساره وفتح الصندوق وطفق يقرأ المكاتيب واحداً واحداً ويفحص الاوراق التي مع تلك الخطابات فحصاً دقيقاً . وكانت المكاتيب مرسلة الى ساره واخيها من فران ومدام سيرافين وموضوعها كلها زهرة مريم والمال الذي عينوه لتربيتها . فلم يشك رودلف في صحة تلك المكاتيب . وجاء اقرار البومة مطابقاً للمعلومات التي حصل عليها رودلف ومفادها ان رجلا يدعى تورنيمين من مسجوني روشفور هو الذي استلم زهرة مريم

من مدام سيرافين وأسلمها الى البومة . وقد عرفت الفتاة هذه المرأة حين رأتها في خمارة مدام بونيس وكانت اذ ذاك برفقة رودلف كما يذكر القارىء

ولم يكن في شهادة الوفاة شيء يدعو الى الريبة . غير ان فران نفسه أقر لسيسيلي ان تلك الشهادة مزورة وانه بواسطتها استولى على المال المودع في مصرفه للفتاة التي كلف نقولا مرسيال باغراقها في جزيرة الرافاجور

فاقتنع بعد ذلك رودلف بان زهرة مريم هي ابنته بعينها وانها ماتت غرقا والذي زاده تأكيداً . هو انه قبل معاقبة جاك فران على الجرائم التي أقر بها لسيسيلي استعلم عن زهرة مريم في جزيرة الرافاجور فعلم ان امرأتين احداهما عجوز والاخرى شابة غرقتا حقيقة بينما كانتا تقطعان النهر لتذهبان الى جزيرة الرفاجور . وقد شاع في تلك الناحية ان نقولا مرسيال وأمه وأخته هم مرتكبو تلك الجناية

ثم لا بد لنا ان نذكر للقارىء انه برغم اعتناء الطبيب جريفون والكونت دي سان ريمي والذئبة في معالجة زهرة مريم ظلت في حالة يخشى منها ولم تتمكن لشدة اضطراب

دماغها من الكتابة لمدام جورج او رودلف لتخبرهما بما صارت اليه

كل هذه المعلومات لم تبق للبرنس أقل أمل . والذي زاده حزنا وغما وكان برهانا جديدا على حقيقة ذلك المصاب الاليم انه حين وقعت عينه على صورة الطفلة التي مع الاوراق ادرك انها صورة زهرة مريم نفسها اذ رأى فيها أنفها الاقنى وفمها الصغير ووجهها الصبوح وعيناها الجميلتان الصافيتان . فانهمرت دموعه وانطرح على كرسي خائر العزيمة وغطى وجهه بيده وبكى بكاء مرّا .

ثم انه استوى واقفاً بغتة ومسح دموعه ودنا من ساره وضم ذراعيه الى صدره وبدت على وجهه علامات التهديد وعدم الرحمة وشخص اليها بضع ثوان قال لها بصوت مختنق

— كان ذلك كله مقدوراً عليّ .. لقد جردت حسامي على والدي في مامضى . والآن فجعت بوفاة ابنتي وهو أعدل عقاب على قتل الوالد . اصغي اليّ يا امرأة فلا بدّ لك ان تعلمي كم هي الشرور التي سببتها مطامعك وتفانيك في حب نفسك لقد كنت عديمة الايمان واماً عقوقة لاقلب لك

— ارحمني يارودلف ناشدتك الله ! !

— كيف أرحمك وقد فرطت في حبي واتخذته واسطة لنيل أمانيك ومطامعك ؟ . كيف أرحمك وقد سلطتني على والدي ! كيف أرحمك وقد أهملت ابنتك وعوضاً عن ان تعتني بتربيتها نبذتها نبذ النوات ووضعتها بين أيدي قوم أشرار قتله ليخلو لك الجو وتتزوجي رجلا غنياً. وقد أغريت ذلك الرجل مثلما أغريتني فيما مضى. كيف أرحمك وقد منعت عني ابنتي ثم كنت سبباً في هلاكها ؟ فلعنة الله عليك أيتها الشقية ؛ انك كنت مصدر شقاء لي ولاهلي

— ويلاه ! ! ياربّاه ! ! انك عديم الرحمة يارودلف . . دعني وشأني ناشدتك الله دعني ! !

— لا بدّ لك ان تسمعي حديثي حتى آخره . هلا زلت تذكرين آخر يوم رأيتك فيه منذ عشر سنين ؟ لم يكن في استطاعتك اذ ذاك ان تخفي نتيجة زواجنا السري . وكنت أعلم ان والدي صلب الرأى لا يلين ولكنني مع ذلك لم اكترث بغضبة وقلت له انك أصبحت زوجتي الشرعية امام الله والناس وانك عما قريب تضعين ولداً .

فكان غضب والدي شديداً هائلا ولم يسلم بزواجنا . وكنت في ذلك العهد أحبك حباً أعمى . فاجبت والدي باني لن أتزوج امرأة غيرك فبلغ هياجه الدرجة القصوى فطفق يسبك مسبات لا يروق سمعها وقال ان زواجنا فاسد لا يعتد به وانه يريد عقابك على فعلتك الشنعاء. فأخذتني الحدة وتهددته بالدفاع عنك وعن نفسي ان هو أصر على اضطهادنا فخانه جلده فرفع يده ليضربني فاعمى الغضب بصري وبصيرتي فسللت سيفي وهجمت عليه.. ولولم يتوسط بيننا مورف لكنت قتلته لا محالة ؟ وكل ذلك للدفاع عنك ياخائنة .

ويلاه ! . . اني كنت أجهل ذلك ألم أتألم من قساوة والدك الذي أبطل زواجنا ؟ ولماذا تتهمني بانني لم أحبك ؟

فنظر رودلف اليها نظرة احتقار جارحة وأجابها

— تسألينني لماذا ؟ فاليك السبب ولا تعجبي بعد سماعه لما أكنه لك من البغضاء . انني بعد هجومي على والدي أسلمت سيفي وقبض على بوليدوري الذي كان واسطة زواجنا فاثبت ان ذلك الزواج كان فاسداً وان القسيس الذي عقد لنا لم يكن من رجال الكهنوت وان قد انطلت الحيلة عليك وعليّ وعلى

خيك ولم يكتف بوليدوري بذلك بل أطلع والدي على كتاب منك الى أخيك كان تمكن من سرقته

— يارباه ! .. هل هذا ممكن !

— هل عرفت الآن السبب في احتقاري اياك وحقدي عليك ؟ وقد بحت لاخيك بذلك الجواب بمطامعك وغايتك من الزواج وقد ذكرتني فيه ونسبتي اليّ كل مايشين ولم أكن في عينك سوى الواسطة التي توصلك الى سعادة الملك التي أنبئت بها .. ولكنك وجدت أخيراً ان حياة والدي تطول

وفي الغد لما أطلعني والدي على ذلك المكتوب دون ان يسمعني أقل توبيخ جثوت عند قدميه وسألته العفو ومن ذلك العهد لازمني وخز الضمير فهجرت المانيا وطوحت بي أيدي النوى فطويت القفار وخضت البحار وقضيت السنين الطوال في حل وترحال وقد آليت على نفسي منذ أول أسفاري ان اكفر عن ذنوبي وأظن ان التكفير لا ينتهي قبل انتهاء حياتي وهو مجازات الخير ومعاقبة الشر واغاثة الملهوف واعانة الفقير البائس واصلاح حال الشرير على قدر الامكان هذا هو التكفير

الذي وطدت النفس عليه

— انه تكفير يدل على الشرف وعزة النفس وهما من بعض صفاتك

فاجابها رودلف باحتقار : — اني لم اذكر لك ماذكرت لتمدحيني وانما لاطلعك على الحقيقة ثم اني تقابلت لاول مرة مع . . . وكان رودلف خشي من ذكر الخبر الذي يريد اطلاع ساره عليه فقطع حديثه وبعد ان تردد لحظة قال .

كلا كلا لا أجسر على الحديث

— يارباه ! . . ماهو الخبر المشوم الذى تخشى ذكره!

فاجابها رودلف بلهجة التهكم — بما انك تهتمين كثيراً بالماضي يلزمني ان اذكر لك الحوادث التي حصلت قبل رجوعي الى فرنسا . فبعد أسفاري الطويلة عدت الى المانيا وامتثلت لارادة والدي وتزوجت أميرة من عقيلات بروسيا وفي اثناء غيابي طردت من مملكة والدي ولما علمت انك تزوجت الكونت ماك جريجور طلبت منك بالحاح ان تردي عليّ ابنتي فلم تجيبيني وعلى رغم مابذلته من الاستطلاع لم أعلم ماآل اليه أمر تلك الطفلة الشقية ومنذ عشر سنين بمثت

اليّ بكتاب أخبرتني فيه انها توفيت فياليت ذلك النبأ المشوم كان صحيحاً ولم اصبح في الحالة الشقية التى أنا عليها الآن

فاجابته ساره بصوت خافت : - لم أعد أعجب الآن للبغضاء التي تكنها لي ولم أعد أستطيع الحياة بعدها نعم انني كنت ضحية الكبر والمطامع ولما أصبحنا كلانا أرملين تجددت آمالي وتعشمت ان يتحقق ما أنبئت بهُ بانني سأكون ملكة يوماً من الايام ولما ساعدتني الاقدار ووجدت ابنتي ظننت انها معونة من الله تعالى .. نعم تصورت ان حبك لابنتك ينفي حقدك عليّ فتتزوجني وتعيد بذلك ابنتك الى المقام الذي تستحقه

- لو ان ابنتنا بقيت على قيد الحياة لكنت حققت آمالك على رغم حقدي عليك ولكنت تزوجتك ثانية لتصبح ابنتي شرعية وترد الى مقامها السامي بعد الذي قاسته من ضروب العذاب

- ان ظني لم يخطيء اذن ! .. ولكن وأحسرتاه قد سبق السيف العذل

-. انك لا تأسفين على موت ابنتك ولكن على ضياع المركز السامي الذي بذلت قصارى جهدك للوصول اليه فليكن

غمك هذا آخر قصاص اك . . هـل لا زلت تذكرين تلك الليلة التي كنت فيها متجولا في أحـد أحياء المدينة واقتفيتما أثري أنت وأخوك حتى دخلتما تلك الخمارة السافلة حيث يجتمع اللصوص القتلة ؟ ففي تلك الخمارة وبين اولئك الاوباش حصل

ثم غطى رودلف وجهه بيديه وقال بصوت حزين لا لا . لا استطيع الحديث فانه يريعني

- ويريعني انا ايضاً . . . فما عسى ان يكون ذلك الخبر ؟

فتجلد رودلف وتسلح بما بقى له من قوة الادارة وقال

- ولقد رايت ما كان في تلك الخمـارة من النساء السافلات المجلبات العار لجنسهن وقد رأيت بينهن فتاة جميلة تبلغ السادسة عشرة وجدها الاشرار فقيرة طريدة لا معين لها فاوقعوها في تلك الهوة الدنسة ولـكن على رغم الوسط القذر الذي كانت فيه ظلت تلوح عليها سمة الطهر والعفاف حتى ان اللصوص والقتلة كانوا يدعونها زهرة مريم . . . فخبريني ناشدتك الله هل رأيت تلك الفتاه ايتها الام الحنونة ؟

فشعرت سارة بغصة في صدرها وتولاها خوف شديد واجابت وهي لا تعي — كلا لم ارها

— ماذا تقولين ؟ .. هذا امر غريب ! اما انا فقد رايتها وهل تدرين من هي تلك الفتـاة ؟ لا اظنك تتصورين هـذا

— كلا لا اعرف من هي ولكن ناشدتك الله دعني

- تلك الشقية كانت زهرة مريم

يا ربي يا ربي !!

— وهل تعلمي من هي زهرة مريم ايتها الام الطاهرة ؟

— اقتلني بربك اقتلني !

— هي المغنية . . هي ابنتك ! . . . نعم ان تلك التعسة الشقية التي انتشلتها من بين يدى احد المجرمين هي ابنتي . . . أبنة رودلف امير جيرولستين اواه اواه ان الاقـدار ساقتني الى خلاصها دون ان اعرفها وكان ذلك جزاءاً للرجل الذي يبذل جهده لمعونة بني الانسـان وقصـاصاً لمن استل سيفه على ابيه

— فاستلقت ساره على كرسيها وغطت وجهها بيدهـا وقالت بصوت خنقته العبرات

— اموت ملعونة . .. لعنة الله عليَّ :

فهتف رودلف قائلا ـ نعم نعم لعنة الله عليك لان كل ما

اصابنا واصاب الفتاة من البلاء كان على يدك وأسفاه لانني بعد انتشالها من تلك الهاوية الدنسة وارسالها الى حيث تأمن شرور العالم سلطت عليها من اختطفها . . . لعنة الله عليك لان عملك هذا اوقعها بين ايدي جاك فران

وبعد ان لفظ رودلف ذلك الاسم قطع حديثه بغتة واضطربت كل اعضائه واكفهر وجهه لشدة الغضب حتى اصبح مخيفاً وظل واقفاً حاسر الرأس يفكر في ان قاتل ابنته لايزال على قيد الحياة

اما ساره فعلى رغم ما كانت عليه من الضعف وما الم بها من الانفعال بعد الذي سمعته من الاخبار المحزنة راعها انقلاب وجه رودلف وتولاها الزعر فقالت بصوت مرتجف

— ويلاه ماذا دهاك ! ! رباه اما كفاني ما نالني ؟

— كلا ان عذابك هذا يكفر ذنوبك . اما فران فرأيت ان قتله لايجدي نفعاً ولكن يمكن الاستفادة من حياته اذا اضطررته الى سلوك السبيل الذي أريده وعمل بمقتضي الشروط التي وضعتها له واهمها ان يقضي ما بقي من حياته في عمل البر والاحسان ليكفر عن ذنوبه . واظن ان حرمانه من

الذهب يكون اشد من عذاب النار . . ٠ و بعد سكوت وجيز صرخ رودلف بغتة

— ولكنه القى بابنتي فى هاوية المهالك ! ! ثم قتلها بعد ان اذاقها من العذاب ما لا طاقة للانسان به . فلا بد من قتله

ثم وثب لجهة الباب يريد الانصراف فمدت ساره اليه يديها وقالت له مستغيثة

— الى أين أنت ذاهب ؟ لا تتركني وحدي ٠٠٠٠ اني أشعر بدنو أجلي

— انك لا تبقين وحدك وانما تؤانسك روح ابنتك التي كنت سبباً في هلاكها

فجثت ساره على ركبتيها فاقدة الرشد وصرخت صرخة من أعماق صدرها دوت لها أركان القاعة وجحظت عيناها وبدت علي وجهها علامة الزعر الشديد كأنها ترى خيالات مخيفة وقالت بصوت مختنق — اشفق عليَّ فاني أشعر بالموت

— فانقلبت سحنة رودلف حتى أصبحت مخيفة وأجاب والغضب آخذ منه

— موتي أيتها اللعينة هذه الميتة الشنيعة التي تستحقينها

اما أنا فلا بد لي من قتل شريكك في الجريمة لاشفي منه غليلي وأنتقم لابنتي التي سفك دمها على يدك

وسار البرنس مسرعاً الى محل جاك فران

## الفصل التاسع والاربعون

## هذيان الغرام

وساعة ترك رودلف سارة أقرب الى الموت منها الى الحياة كان جاك فران راقداً على سريره فاقد الصواب وثيابه مبللة بالدم وذراعه مربوط . وكان بوليدوري واقفاً عند رأسه بعد فصده لينقذه من نوبة عصبية هائلة كادت تؤدي بحياته

وفي تلك الليلة كانت السماء ملبدة بالغيوم والمطر يدوي والبرق يخطف الابصار والرعد يصم الاذان وكان بوليدوري خائر القوى لطول وقوفه فجلس على كرسي الى جانب سرير فران وأخذ يناجي نفسه قائلا

— ما اشد هذه العاصفة !! يالها من ليلة مفزعة !! وما أشد وطأتها على حالة جاك . ولست أعلم هل كان يتوقع البرنس المرض العصبي الذي أصاب جاك بسبب ماقاساه من غرامه بسيسيلي وحرمانه من الذهب الذي قضى حياته في جمعه ؟

ما أغرب أطوار هذا البرنس! انه بلغ النهاية في رقة العواطف وعمل المبرات في استنباطه بنك العمال الذين لا عمل لهم. وبلغ منتهى القساوة في الابقاء على حياة جاك فران ليذيقه عذاباً باطالة أجله على قدر الامكان. ولكني أرى لسوء الحظ ان أعراض مرضه تزداد شدة يوما عن يوم وتنذر بالخطر العاجل حتى لم يعد يمكن انقاذه الا باعجوبة. رباه؟ ما العمل؟ ما الحيلة؟ وفي تلك الاونة بلغت العاصفة أشدها. وكان في بيت فران مدخنة قديمة متداعية فلم تثبت على مقاومة الريح فهوت وكان لوقوعها دوي كالرعد القاصف اوقظ جاك فران من سباته فتحرك على فراشه وتمتم قائلا بصوت ضعيف وعيناه مغلقتان

بوليدوري! . ماهذا الصوت يابوليدوري؟

فاجابه بوليدوري بصوت خافت خوفا عليه من الاضطراب

هذا صوت مدخنة سقطت

فلم يسمع فران الجواب وأدار وجهه الى جهة بوليدوري وقال

- بوليدوري! الست هنا؟

فاجابه بوليدوري - نعم نعم انا هنا ولكني أجبتك بصوت خافت لكي لا يثقل حديثي على سمعك ويصيبك ما أصابك

منذ حين

- لان كلامك الآن لا يؤلم سمعي مثلما كان يؤلمني منذ حين . والغريب انني على رغم تلك الآلام التي لا يحملها الانسان كان يخيل لي انني أسمع سيسيلي تناديني

- لا تزال تذكر هذه المرأة ليلا ونهاراً ... فدع عنك هذه الافكار لئلا تقتلك واطرد عن مخيلتك هذه الخيالات التي كادت تذهب بعقلك

- فهتف فران قائلا : اطرد هذه الخيالات !. كلا . كلا فهي كلما ترددت على مخيلتي ازدادت قرباً من الحقيقة . وكلما خفت عني وطأة الألم وامكنني جمع افكاري تخطر على بالي سيسيلي التي أحبها بقدر ما المها وتتمثل صورتها أمام عيني . وكأني الآن أرى شبحاً أبيض واقفاً هنا . هنا

ومد فران أصابعه الجافة نحو الجهة التي يرى فيها الشبح الوهمي فقال له بوليدوري - اسكت

- هاهي .. هاهي !!

- هذا الموت يأتيك

- فكز فران أسنانه وقال : - اني أراها . ها هي

ما أجملها وما أجمل شعرها الاسود وما أجمل أسنانها اللؤلؤية
وهذا الثغر الباسم ما أجمله . وعيناها . عيناها . أرى كأن
الشرارة تطاير منهما أحياناوأحياناأراهماذابلتين كاعين الاموات
سيسيلى سيسيلي !! اني قتيل هواك . سيسيلى !!

— عد الى صوابك ياجاك ولا تتعب مخيلتك بهذه الصور
الكاذبة . وكن على حذر . فانك منذ حين خيل لك انك
تسمع غناء تلك المرأة فاصاب سمعك ألم شديد لايطاق.
فكن على حذر

— دعني دعني لاخير في السمع ان كان لا يسمع صوتها
ولا خير في العين ان كانت لا تراها

فهزه بوليدورى بعنف ليعيد اليه صوابه ويريحه من
ذلك الهزيان ولكنه لم يفلح وعاد جاك الى هذيانه فقال:
يامالكة فؤادى ! ياسلطانة الجمال . . ما رأيت في حياتي.

ولم يتم جاك عبارته بل صرخ صرخة دوت لها أركان
الغرفة واستلقى على ظهره

فدهش بوليدورى وقال له ماذا دهاك؟

— اطف هذا المصباح فلم تعد عيناي تحتمل

الساطع

فازداد بوليدوري دهشة وأجاب عجباً أتشكو من قوة الضوء وليس في الغرفة سوى مصباح واحد عليه قبعة زرقاء تحجب نوره عن عينيك ؟

- لا . لا ان قوة الضوء تزداد في هذه الغرفة . أنظر . ويلاه هذا لا يطاق

وأغمض جاك عينيه وبدت على وجهه الشاحب علامات الالم الشديد فهدده بوليدوري وقال له

- لقد جننت ! قلت لك ان الضوء ضئيل في هذه الغرفة حتى يتعذر على من يدخلها ان يرى ما فيها فافتح عينيك وأنظر لتتحقق صدق ما أقول

- ويحك ماذا تقول ! افتح عينيّ ! اني ان فعلت ذلك أفقد بصري لشدة الضوء . أنظر . أنظر . ما هذه المصابيح التي أراها حولي . ما هذه النيران المتقدة ؟ ما هذا اللهيب ؟

ثم استوى جالساً وجحظت عيناه وأمسك شعر رأسه بيديه وقال

- لقد أعماني هذا الضوء الشديد . وأحرقتني هذه

النيران وسوف تلتهمني . اطف هذه المصابيح فان لهيبها يحكي لهيب نار جهنم

فقال بوليدوري مناجياً نفسه — ان الهياج العصبي الذي أصاب سمعه منذ حين أصاب الآن بصره . وكل هذه الحوادث اعراض تنذر بالخطر العاجل . فاذا أصابته نوبة أخرى مثل هذه لاتبقي عليه فما حيلتي؟

وعاد جاك الى صراخه وقال . — ايها الجلاد الظالم اطف هذا المصباح فان اشعته تولم بصري اغثني ياربي!!... ادركني!.

واصابته نوبة تشنجية فطفق يتقلب على فراشه كما تتقلب الافعى على جمر الغضى فخاف بوليدوري سوء المنقلب فاطفاء المصباح واصبح هو وجاك في ظلام دامس . واذ ذاك سمع صوت عربة وقفت عند الباب الخارجي . اما جاك فلما اصبح في الظلام الحالك خفت وطاءة الامه شيئاً فشيئاً فقال لبوليدوري

— لماذا أبطأت في اطفاء المصباح؟ هل كان مرادك ان تذيد في عذابي ؟ . . . ويلاه ان الالم الذى تحملته لايطاق !

- ألم أقل لك انك كلما تذكرت تلك المرأة تصاب بتهيج عصبي يؤثر على كل حواسك ؟ واعلم ان هذه النوب العصبية التي تصيبك لها مفعول سيء على حياتك فلا تسهل لها السبيل اليك ودع عنك ذكر تلك المرأة الجهنمية فهي السبب في كل ما أنت فيه من البلاء

- ما زلت ارغب في الحياة لأني لم اعدم ذكر سيسيلي . واصبحت حياتي محصورة في ذكرها

- ولكن هذا الذكر يؤدي بحياتك

- لا أريد ولا اقدر ان ابعد ذكرها عن مخيلتي . . . لقد سلبني ذلك الرجل ثروتي ولكنه عجز عن سلب صورة مالكة فؤادي المرسومة على مخيلتي . . . وهي طوع امري اراها في كل لحظة كأنها آمة لا شريك لي فيها تقول ما احب . . . وتحبني كما اتمنى .

- عد الى صوابك يا جاك . . . واطرد هذه الاوهام واذكر ان النوبة الاخيرة كادت تميتك . . .

ثم شعر بوليدوري في ذلك الظلام الحالك بان جاك نهض من سريره يريد المشي فارتعدت فرائصه وقال له

— قف . . . اين تذهب ؟

— دعني اذهب الى سبسيلي

— لا تبرح مكانك . . . فان منظر تلك القاعة يقتلك

— ان سبسيلي تنتظرني في غرفتها

فامسك بوليدوري جاك بذراعه وقال له

— لا ادعك تخطو خطوة واحدة

فلم يستطع جاك مقاومته لشدة ضعفه فقال له

— تريد ان تمنعني عن رؤية سيسيلي ؟

— نعم . . . واعلم ان في القاعة المجاورة لهذه مصباحا شديد الضوء يكون له تأثير سيّ على بصرك فكن على حذر

— قلت لك ان سيسيلي تنتظرني في غرفتها فلا أحجم للوصول اليها عن المسير في اتون من النار . . دعني اذهب اليها فقد قالت لي اني نمرها المحبوب . . . فاياك وبراثني فانها جارحة

— لا ادعك تخرج من غرفتك . . واذا دعت الحال اقيدك في سريرك كما يقيد المجنون الهائج

اصغ اليّ يا بوليدوري — انا لست مجنونا ولم افقد شيئا من صوابي واعلم ان سيسيلي ليست في غرفتها ولكن

خيالها الذى اراه يغنيني عن الحقيقة

— اسكت ... لقد سمعت منذ برهة صوت عربة والآن اسمع وقع اقدام وصوت حديث في فسحة الدار فلا يبعد ان يكون القادم علينا..

— تريدان تسخر بي وتتذرع بهذه الاكاذيب لتمنعني عن الخروج ولكنك لا تفلح

— اسكت الست تسمع؟

— دعني اصعد الى سيسيلي فاني اسمع صوت نداها واحذر أن تهيج غضبي

— لا ادعك تخرج من هذه الغرفة فان مصلحتي تقضي بذلك

— تمنعني عن الذهاب للقاء سيسيلي فمصلحتي تقضي بقتلك.. فخذ اذن.. فصرخ بوليدوري صرخة ألم وقال

— لقد اصبت ذراعي بخنجرك ولكنك لم تصبني بسوى خدش صغير لان يدك المرتجفة لم تحكم الطعنة فلا ادعك تخرج

— نعم انك لم تصب بسوى خدش صغير ولكنه خدش مميت لاني طعنتك بخنجر سيسيلي الذي لا يزال معي على الدوام

والان تقتل مرغما لانك عن قريب تموت وأنت الجاني على نفسك فلماذا منعتني عن الذهاب الى ميسيلي

وطفق يتجسس في الظلام ليصل الى الباب . فصرخ بوليدوري قائلا

— ويلاه ! ان ذراعي يؤلمني المآ شديداً وأشعر ببرودة في أطرافي . وركبتاي تضطربان وتصطكان وكأن الدم يجمد في عروقي . . ماهذا الدوار الذى أشعر به ! ! أدركوني انقذوني من الموت

ثم خارت قواه فسقط على الارض وفي تلك اللحظة تمكن جاك من العثور على الباب ففتحه ودخل الغرفة الملاصقة وهو لايزال شاهراً خنجر سيسيلي المسموم . وماكاد يلج الباب حتى سمع وقع اقدام ثم كسر الباب الثاني المؤدى الى الممشى وسطعت الاضواء ودخل رودلف مكفهر الوجه مزبداً مرعداً كأنه اله الانتقام . ولما رأى فران في الغرفة الثانية هجم عليه وهو يقول

— لقد قتلت ابنتي . فستنال . .

ولم يتم البرنس عبارته وتراجع الى الوراء مذعوراً لما بدا

على جاك من الاضطراب حين رآه فانه رمى بالخنجر وغطى عينيه بيديه وصرخ صرخة تقشعر لها الأبدان وسقط على الارض وأخذ يفحصها بأظافره كأنما يلتمس مخرجا يهرب منه

وكان مع رودلف أحد رجاله وبواب البيت فظلوا واقفين يتأملون ذلك المنظر الفظيع وهم كالمأخوذين . وأخذت رودلف الشفقة على رغم غضبه فأمر رجاله برفعه عن الارض ونقله الى مقعد ففعلوا ولما وقعت اشعة الاضواء على عيني فران صرخ صراخاً مزعجاً وقف له شعر رودلف . ثم خفت وطأة النوبة ولم يعقبها الموت كما كان يتوهم بوليدوري بل عقبها نوبة هذيان فتخشبت اعضاه وجحظت عيناه وشخصتا الى الاضواء بعد ان كانتا تنفران منه وخيل لذلك المسكين ان سيسيلي واقفة أمامه وانها تدعوه نمرها المحبوب ثم لانت مفاصله وتحركت فوقع من المقعد على الارض فاراد ان يقف ويمشي ولكن خانته قواه فصار طوراً يزحف كالافعى وتارة يدب على يديه وركبتيه يميناً وشمالا بحسب ماتدفعه الخيالات التي يراها . ثم خيل له انه أصبح نمراً كاسراً فانكمش في احدى زوايا الغرفة وطفق يحرق الارم ويصرخ وتقلصت عضلات وجهه

وطفق يقول

— أنا النمر . أنا النمر الكاسر . ماهذه الدماء التي أراها في عريني ؟ وماهذه الجثث الممزقة . هذه جثة المغنية ! . وهذه جثة شقيق تلك الارملة . وهذه جثة الولد الصغير ابن لويز موريل . ماهذه الجثث ؟ نعم انني نمر كبير السن ولكنني لا أزال محافظا على كل قوتي ومرونة عضلاتي وسرعة وثباتي فمن يستطيع ان يسلبني سيسيلي . ماذا أسمع ! انها تناديني

وكف جاك عن الحركة والصراخ وأدار أذنه الى جهة الباب وبعد ان أنصت برهة عاد فقال

— لا . ليس هذا صوتها . ولكن خيل اليّ اني أسمعه هي ليست هنا الآن ولكني أراها . . أراها على الدوام ها هي مقبلة عليّ . . انها تناديني . ها انذا . اين هي ؟ اين هي ؟ . ها هي اني ارى عينيها الكبيرتين الوحشيتين سيسيلي أنا نمرك المحبوب انا عبدك المطيع

ولكنه سقط بغتة على ظهره ووقف شعر رأسه وتقلصت شفتاه وانبسطت ذراعاه واصابعه كانما يريد مصارعة عدوا يهاجمه في عالم الخيال وطفق يقول

— ويلاه ! . قد عرفني . جاك فران في الكنيسة ..
رجل صالح . . لا يزال في الكنيسة . . اذهب . اذهب

وتصبب العرق البارد من جبينه وبدأت عيناه تفقدان شفافتهما وظهرت على وجهه علامات الموت وكان روداف ومن معه واقفين كالاصنام بلا حراك كانهم يرون تلك الحوادث في المنام لا في اليقظة وعاد جاك فران فقال وهو ملقى على الارض

— ها أنا ذاهب الى الكنيسة .. أنا رجل صالح ... وأصلي . . . هذا كذب ولكن من يعلم الحقيقة ؟ . . لا لا هذا أمر أكيد ؟ . . السر ما هو السر ؟ . . فلتأتي النسوة كلهن نعم كلهن اذا كان لا يعلم أحد

وأصبحت حياته أوهن من خيط العنكبوت وصارت قدماه في حفرة القبر ودخل في دور الحشرجة وبعد سكوت وجيز عاد الى هذيانه وقال

ـ ها هي النساء . . ولكن السر ! . اني رجل صالح .. والسر ! . . اني أراهن ! . . هن ثلاث ! . . . ماذا تقول هذه انا لويز موريل ويلاه ! . نعم لويز موريل . انظر يا جاك غدائر شعري المرسلة على كتفي . . لا أريد . . لا أريد . . دعني ..

أغرب عني . . أغرب عني . . وما هـذه المرأة الاخرى ! .
ماأجملها . . ماأجملها . . أنا الدوقة ياجاك . . دوقة لوسيني . .
انظر الى قامتي الهيفاء . . والى ثغري البسام . . والى عيني
الدعجاء . . تعال ! تعال ! نعم هاأناذا ولكن اصبري ! وهـذه
من هي ! : سيسيلي ! سيسيلي ! . . نعم . . جاك . . أنا سيسيلي
انظر الى الجميلات الثلاث . . لويز والدوقة وأنا فاختر لنفسك
مايحلو فلديك جمال العامة وجمال الخاصة والجمال الوحشي . .
تعال ! تعال ! .

ثم نهض جاك فيران على ركبتيه ومد ذراعيه
كانه يريد مس الخيالات التي يراها وتبع هذه الحركة التشنجية
رد فعل قاتل فوقع فيران على ظهره بغير حراك فانقلبت هيئته
وصارت مخيفة وانعقد زبد دام على شفتيه وخالط تنفسه
صفير في الشهيق والزفير تصم منه الاذان وبينما هو يلفظ
آخر نسمة من حياته قال

— ليلة سوداء . . ماهذه الاشباح ؟ . . هذي هياكل
من عظام تحترق في أتون من نار انها تدنو مني وتلمسني
باصابعها المحرقة . . ان جلدي يحترق والدخان يتصاعد ؟ . .

وذاب نخاع عظامي ماهذه الخيالات ؟ . . لا لا . . سيسيلي النار . . سيسيلي . .

ذلك آخر مالفظه جاك فران ثم اسلم روحه الخبيثة فذهبت الى حيث لاندري وخرج رودلف من القاعة مذعورا .

## الفصل الخمسون

### المستشفى

يذكر القاريء ان زهرة مريم بعد نجاتها من الغرق نقلت الى بيت الطبيب جريفون قريباً من جزيرة الرقاجور وكان هذا أحد أطباء المستشفى الوطني في مدينة باريس ونرجو القاريء ان يدخل معنا هذا المستشفى حيث دخلت في الليلة السالفة الآنسة فرمون ابنة الارملة التي سرقها جاك فران . أمامدام فرمون نفسها أم هذه الفتاة فكانت ايضاء على فراش الموت في الغرفة المعهودة التي سرق فيها ماكان باقياً لها من النقود فاضطر المحسنون الى نقل ابنتها المريضة للمستشفى وفي صباح ذلك اليوم دخل الطبيب قاعة المرضى مستصحباً صديقه الكونت سان ريمي وكان شديد الاهتمام بمدام فرمون وابنتها ولكنه لم يكن ينتظر ان يرى تلك الفتاة التعسة في المستشفى

وكانت علامات الحزن والكآبة بادية على وجهه وأهم أسباب أشجانه اثنان أولهما انه بعد البحث الطويل لم يعثر على مدام فرمون وهو يعلم انها في ضنك لا مزيد عليه وثانيهما ما أتاه ولده من المنكر وما أظهره من الجبن حتى انه فضل عيشة العار على ميتة الشرف

ولما دخل الكونت قاعة المستشفى مع الطبيب قال له هذا مفاخراً — كيف وجدت هذا المستشفى ؟

— والله لا أدري لماذا أجبت سؤالك وأتيت معك الى هنا فان هذه القاعات المملوءة بالمرضى تنقبض لرؤيتها النفس وانني منذ ولجت باب هذا المستشفى شعرت بغصة

— دع عنك هذه الاوهام فبعد بضع دقائق تتقلب أفكارك ويجدر بك مع ما انت عليه من الميل الى الفلسفة ان تدرس هنا الاخلاق فان المجال واسع وقد استصحبتك لانك اقدم صديق لي ويعز عليّ ان لا تعرف هذا المستشفى الذي نلت فيه الفخر وقضيت السنين دائباً على العمل وهل الام اذا فاخرت في مهنتي ؟

— كلا كلا وهل كنت استطيع الامتناع عن المجيء

معك الى هنا بعد ان أنقذت حياة الفتاة من مخالب الموت؟

— قل لى ناشدتك الله الم تسمع شيئاً جديداً عن مدام فرمون وابنتها؟

— مابلغني شيء ولم تجد ابحاثي نفعاً ولم يبق لى أمل في غير المركيزة درفيل لانها هى الوحيدة التى تهتم بتينك التعستين فامل لديها بعض الاخبار التي تهديني الى السبيل الموصل. ومنذ ثلاثه ايام ذهبت لبيت المركيزة فقيل لي انها لا تزال في السفر وانها صارت على وشك الرجوع وقد كتبت لها في هذا الموضوع ورجوتها ان تجيبنى حالا

وبينما الكونت يتحدث مع الطبيب اجتمع حولهما الاطباء المساعدون فانسحب الكونت سان ريمي وبدأ الطبيب ومساعدوه في عيادة المرضى وما لبثوا ان وصلوا الى سرير الانسة كلير فرمون

وعلى رغم ما تولى هذه الفتاه من السقام وشحوب اللون كانت لا تزال آثار الجمال بادية على وجهها . . وبعد ان قضت ليلة تتقلب على فراش الآلام اصبحت خائرة القوى واصابتها حمى اوقعتها في ثبات شديد لم يوقظها منه

دخول الطبيب ومساعدوه الى الغرفة التي كانت فيها ولما دنا الطبيب من سريرها خاطب مساعديه قائلا وهو يشير الى الفتاة

— هذا حادث من حوادث الحمى العصبية وهو من الامراض النادرة الهمّ اذا كان مساعدي اصاب المرمى في تشخيصه . وقد قلت لكم مراراً اني اترقب حادث من هذا النوع لاشرح لكم عن اعراضه ولم تسمح لي الظروف بذلك قبل اليوم لان هذا المرض لا يصيب الفقراء ويحدث عن الكوارث المفجعة التي تفاجيء ذوي الوجاهة من الناس فتغير حالهم وتذهب بصفو عيشهم والذي لاريب فيه انه كلما كان مركز المريض عالياً كانت وطأة المرض شديدة

ثم ان الطبيب هز كتف الآنسه ليوقظها ففتحت عينيها الغائرتين في محجريهما ولما أبصرت الطبيب وأعوانه حولها وشعرت بيد بعضهم تجس نبضها أصابها ذعر شديد فاستجمعت كل قواها وصرخت قائلة — اماه ! . أدركيني . انقذني !.

وكان سان ريمي حين ذاك جالساً على كرسي في احدى زوايا القاعة فلما بلغ اذنه صوت الفتاة تذكر انه سمعه فتنبهت

كل حواسه بعد ان كان غارقاً في لجة من الافكار . وفي تلك اللحظة عينها دخلت القاعة سيدة صغيرة السن مرتدية ملابس الحداد وبصحبتها مدير المستشفى وهي المركيزة درفيل . ولما أصبحت بين أسرة المرضى قالت للمدير — ناشدتك الله ياسيدي ان تدلني على سرير الآنسة فرمون

— ان نمرة سريرها ١٧ فارجوك ان تتبعيني

ومشى المدير وتبعته المركيزة وهي تناجي نفسها قائلة والدموع تتساقط على خديها — لهفي عليك من فتاة تعسة هنا القت بك يد الاقدار ! !

ولما دنا المدير والمركيزة من الاطباء المحيطين بسرير الآنسة فرمون سمعت المركيزة المحاورة الآتية

— أقول لك ان فعلك هذا يعد جناية فظيعة . ولا يبعد ان يكون سبباً في قتل هذه الفتاة

— أرجوك ان تسمع الي ياعزيزي سان ريمي .

— أعيد عليك ان فعلك هذا منكر . واني أعد الآنسة فرمون كابنتي فامنعك عن الدنو منها ولا بد لي من اخراجها من هذا المكان حالا

— انه حادث حمى عصبيـة نادر المثال . وكنت عازم على ان أصف للمريضة شيئاً من المركبات الفوصفورية لارى مايكون مفعولها في هذه المرض . وأنا لا أعارضك في اخراج الفتاة من هذا المستشفى وانما أرجوك ان تسمح لي بمعالجتها بعد خروجها

— ان لم تكن فاقد الشعور فانت وحش ضار

وكانت المركيزة درفيل تسمع تلك المحاورة وقلبها يخفق لشـدة الاضطراب ولم يكن في امكانها الاقتراب من سرير الفتاة لتزاحم الاطباء حوله . ولما رأى المدير ذلك قال باعلا صوته

— ارجوكم ياسادتي ان تفسحوا للمركيزة درفيـل فانها تريد زيارة المريضة نمرة ١٧

فلما سمع الاطباء والمساعدون ذلك انشطروا الى شطرين وأفسحو طريقا للمركيزة وقد أعجبوا بجمالها . أما الكونت سان ريمي فلما وقعت عينه عليها أزاح الطبيب بعنف ودنا منها وقال لها .

— تبارك الله الذي أرسلك في هذه الساعـة يا حضرة المركيزة . انني أعلم بشدة اهتمامك بهذه الفتاة التعسة وأمر

وقد أسعدك الحظ بالعثور عليهما قبلي ولولا يد الاقدار التي ساقتني الى هذا المكان لبقيت جاهلا ماحل بهما من الشقاء . واني تارك الآن هذه الفتاة بين يديك ويدي الراهبات ومتى ماودها الصواب أنقلها الى مكان آخر لان هذا الطبيب مصاب بنوع من الجنون ودليلي على ذلك انه عارضني في اخراج الفتاة من المستشفى ويريد ان يعالجها هنا بالمركبات الفوصفورية .. فارجوك ياسيدتي ان تؤيدي طلبي هذا

فاجاب الطبيب : — قلت لك اني لاأعارض في اخراج هذه الفتاة ولكنني اتبعها بعد خروجها الى حيث تذهبون بها ولا أدعها تفلت من بين يدي فان نوع المرض المصابة به نادر جداً فلا أتنازل عن درسه مهما كلفني الامر . وابذل قصارى الجهد في الاعتناء بها والسهر عليها مثلما سهرت عليك أنت ياناكر الجميل . فان هذه الحمى العصبية تشبه التي أصبت أنت بها من قبل .

فلما رأى الكونت ان لامندوحة من تكاليف الطبيب جريفون بمعالجة الفتاة قال له

— ويل لك ! ! أنا أعلم انك من المتضلعين بفن الطب

ولكن كيف أمكنك الاحاطة بكل هذا العلم ؟

فاجابه الطبيب همساً

— السبب في علمي الواسع ماخبرته من أنواع الامراض بالمزاولة والصبر . أفلا تسمح لي بمعالجة هذه الفتاة ؟

— نعم . ولكن هل يمكن نقلها الى مكان آخر وهي على هذه الحال ؟

— بلا شك

— ابتعد عنها اذن ناشدتك الله

فقال الطبيب لاعوانه : — يسوؤني ان تخرج هذه المريضة من المستشفى ونحرم جميعنا من درس هذا الحادث النادر ولكني سأقوم بهذا وسأطلعكم على مايكون من أمرها

فاستأنف الطبيب وأعوانه عيادة بقية المرضى وتركوا الكونت والمركيزة عند سرير الفتاة وظلت هذه مغمياً عليها والراهبات يعالجنها والمركيزة تعاونهن فدنا منها الكونت وهمس في أذنها قائلا

— وأم هذه الفتاة ماجرى لها ؟

فاجابته المركيزة بلهجة تنم عن الحزن — توفيت الى رحمة

ربها . ولم أعثر على محل اقامتها الا يوم أمس بعد رجوعي من السفر ولما دخلت عليها ورأيتها على آخر رمق من الحياة استدعيت طبيبي ليعالجها فلم يجد علمه نفعاً . ويعجز القلم عن وصف الحالة التعسة التي كانت عليها تلك الارملة المسكينة وآخر مالفظته قبل ان تسلم روحها اسم ابنتها

— لهفي عليها ! . انها لاتستحق هذه الميتة الشنيعة . . أما أنت فليجزك الله عن الانسانية خيراً لما تأتينه من المبرات ولا تؤآخذيني على انني لم أذكر لك اسمي فان اضطراب أفكاري أنساني هذا الواجب . فانا الكونت سان ريمي وكان زوج مدام فرمون من أعز أصدقائي . وكنت مقيما في أنجيه فتركت هذه المدينة لابحث عن مدام فرمون وابنتها لان انقطاع أخبارهما عني أشغل بالي . ولا سيما بعد ان علمت انهما أضاعا كل ثروتهما وأصبحا في حالة ضنك يرثى لها ولا يخفى عليك يا حضرة المركيزة كم يصعب الفقر على من كان في رغد من العيش

— انك يا سيدي لم تقف على كل الحقيقة فاعلم ان مدام فرمون سلبت قبل وفاتها ولم يبق لها ثمن رغيف خبز

— ولا يبعد ان يكون وكيل أشغالها سارقها . فاني أشك في أمانة هذا الرجل

— نعم ان هـذا الرجل وحش ضار وليس ما أتاه مع مدام فرمون من المنكر الجناية الوحيدة التى ارتـكبها ولكن رجلا من ذوى الصلاح أرسله الله تعالى لقصاص ذلك الطاغية والذي يعزيني بعض التعزية هو انني أغمضت عيني مـدام فرمون وأكدت لها قبل ان تصيبها غيبوبة الموت انني سأنظر في مستقبل ابنتها كأنها ابنتي . وأظن انني خففت عنها وطأة أحزانها . أما الفتاة ففضلا عن اهتمامي بأمرها سيرد اليها المال الذي سلب منها

— كيف ذلك ! هل يمكن ان جاك فران ؟ ..

— قد أجبر على ارجاع المال الذى سلبه بطريقة منكرة يعجز القلم عن وصفها فانه قتل شقيق مدام فرمون وادعى انه انتحر بعد ان بدد ثروة اخته

— انه أمر فظيع يصعب تصديقه ومع هـذا خامرني شك في صحة انتحار رينفل بعـد الذي علمته من دهاء فران وغشـه والذي زادني شكا هو ما كنت أعهد في رنفيل من

الصدق والامانة . فمن كان متحلياً بمثل هذه الفضائل لا يقدم على تبديد ثروة أخته وهو يعلم انه يكون سبباً في شقائها طول حياتها. ولكن ارجاع المال المسلوب لصاحبته ليس بالقصاص الكافي لذلك الرجل القاتل. والعدل يقضي باعدامه لانه لم يقتل رينفيل فقط بل قتل أخته أيضاً بعد ان أذاقها العذاب الأليم

— وأنا أزيدك علماً وأخبرك بأن فران ارتكب جناية قتل ثالثة

— ماذا تقولين يا سيدتي ؟

— نعم انه مثلما قتل المرحوم رينفيل وادعى أنه انتحر قتل أيضاً فتاة بريئة بطريقة فظيعة وهي فاغرقها في النهر لكي يقال انها ماتت قضاء وقدراً

فتذكر الكونت زهرة مريم وأخذته الدهشة فقال للمركيزة — ما أغرب هذه الصدفة ! . خبريني ناشدتك الله أين أغرقها ؟

— في نهر السين قريباً من أزنير على ماقيل لي

فهتف الكونت قائلا : — هي هي بعينها

— من تعني يا حضرة الكونت ؟

- تلك الفتاة التي كانت مصفحة فران تقضي بقتلها

- زهرة مريم!

- هل تعرفينها ياسيدتي ؟

يالها من فتاة مسكينة ! اني كنت أحبها حباً جماً أواه يا حضرة الكونت لو كنت تعلم ما كانت عليه من الجمال ورقة العواطف . ولكن كيف عرفت ؟

- حين انتشلوها من الماء كنت مع الطبيب جريفون عند شاطيء النهر فاعتنينا بعلاجها وكان ذلك قريباً من جزيرة الراقاجور

- هل نجت زهرة مريم من الغرق؟ ياربي اني لا أكاد أصدق ما أسمع !!

- نعم وقد أنقذتها امرأة مارأت عيني أشجع منها ولا أثبت جاشاً . ولكن ماذا أصابك ياسيدتي ؟

- ان فرحي بهذا الخبر لا يوصف ولذلك انظر الى نفسي والى ماحولي لا تأكد اني في يقظة لا في منام وأخشى ان يكون في الامر التباس . فقل لي ناشدتك الله متى أغرق جاك الفتاة وهل كان بصحبتها عجوز ؟

— نعم . ولم نعرف ذلك الا يوم أمس لانها كانت لا تقوى على الحديث وما زالت حتى الساعة في حالة ضعف شديد . وقد قالت لنا أمس ان امرأة عجوزاً كانت بصحبتها

فضمت المركيزة يديها وشخصت الى العلا وهتفت قائلة وقد أبرقت أسرتها فرحاً — تبارك الله العلي العظيم كم سيسر رودلف حين أخبره بان التي كان يكتنفها بحمايته وظن انها ماتت غرقاً لا تزال على قيد الحياة ! . لو كنت تعلم ياسيدي ماسببته من الفرح لي ولشخص آخر لما عجبت لسروري بهذا الخبر . والآن أرجوك ان تخبرني أين توجد زهرة مريم ؟

— هي الآن في بيت الطبيب جريفون بالقرب من أسنير ومن غريب الاتفاق ان هذا الطبيب كان قريباً من الشاطيء حين نشلت من الماء فنقلها الى بيته وما زال حتى الساعة يعتني بعلاجها

— وهل أصبحت في مأمن من الخطر ؟

— نعم منذ ثلاثة أيام أمن الطبيب الخطر عليها واليوم يسمح لها بالكتابة لاولياء أمرها

— أنا . أنا ياسيدي أتعهد بالذهاب بالفتاة الى ولي

أمرها وأحظى وحدي بهذا السرور

— لاغرابة في ما أصابه من الحزن حين بلغه خبر غرقها ولا غرابة اذا ذهب الفرح بصوابه حين يراها على قيد الحياة. لانها تجذب اليها كل من تقع عينه عليها والمرأة التي أنقذتها من الغرق وظلت تعتني بتمريضها حتي الساعة تعد من أشجع النساء وأطيبهن قلباً ولكنها شرسة الطباع سريعة الغضب ولذلك لقبوها بالذئبة. ولقد أصبحت تتفانى في حبها

— لاغرابة في ذلك فاني أعرف الذئبة

— أنت تعرفينها ؟

فابتسمت المركيزة وأجابت : — نعم ولا ألومك اذا أبديت العجب من ذلك

ثم وجهت حديثها الى راهبة كانت تسقي الانسة فرمون جرعة من دواء وقالت لها وهي تشير الى الفتاة

— كيف حالها الآن يا أختي ؟ هل عاودها صوابها ؟

— نعم ياسيدتي ولكنها مازالت خائرة القوى حتى ان نبضها يكاد لا يشعر به

وبعد نصف ساعة خرجت المركيزة من المستشفى

برفقة الكونت واستصحبت معها الآنسة فرمون وذهبت بها الى بيتها ولم تطلعها على خبر موت أمها.

ثم انها ذهبت مع الكونت سان ريمي الى أسنير لتأتي بزهرة مريم وتردها على رودلف

## الفصل الحادي والخمسون

## الامل

أقبل الربيع وزهت الشمس بعد ذبولها واشتدت حرارتها فانعشت الارواح التي أضر بها زمهرير البرد ونالت زهرة مريم من ذلك نصيباً فأخذت تعاودها قواها شيئاً فشيئاً. وفي ذات يوم بينما كانت تتنزه في حديقة بيت الطبيب جريفون مسندة الى ذراع الذئبة وقفت عند مقعد حجري تحت ظل سنديانة باسقة وقالت للذئبة

— ماأجمل الشمس اليوم !! ألا تجلسين معي قليلا على هذا المقعد ياذئبة ؟

— افعلي مابدا لك ياحبيبتي بغير استئذان

ثم نزعت الذئبة شالا كان حول عنقها وطوته ووضعته على الارض عند اسفل المقعد وقالت لزهرة مريم

— ضعي قدميك على هذا الشال

فاحمر وجه الفتاة خجلاً وقالت: — انك تتلفين شالك ياذئبة

— لا يهمني سوى أمر واحد وهو ان الارض رطبة ولا يجوز ان تضعي قدميك عليها

ولما جلست زهرة مريم على المقعد أمسكت الذئبة رجليها ووضعتهما على الشال فقالت لها

— كم تبالغين في الاعتناء بي؟

— وهل تظنين انك تستحقين هذا الاعتناء بعد الذي تظهرينه من المقاومة كلما حاولت ان اعمل عملاً يعود عليك بالفائدة ؟. ولكن خبريني الآن الا تشعرين بتعب ؟ فاننا نمشي منذ نصف ساعة. وقد دقت الان الساعة الثانية عشرة في اسنير

— اني اشعر ببعض التعب ولكن هذه النزهة انعشت فؤادي

— ولماذا لم تطلبي مني ان اجلسك اول مابدأت تشعرين بالتعب ؟

— لا توبخيني فاني ماشعرت بالتعب الآ في هذه اللحظة .. ماأجمل المشي بعد طول الرقاد على فراش السقام!

وما أجمل مرأى الشمس والسماء والماء والاشجار في عين الذي اوشك ان ييأس من رؤيتها

- نعم انك بقيت يومين في أشد الخطر يامغنية ولا أخشى الآن من اطلاعك على الحقيقة . ولكن الله سبحانه وتعالى أخذ بيدك بعد أن كدنا نقطع الامل

- لعل الطبيب يسمح لي بالكتابة لمدام جورج اذ لاشك انها في قلق شديد . ولا يبعد ان يكون غيابي أشغل بال المسيو رودلف فظن انني مت

- والذين أغرقوك يظنون أيضاً انك مت . فتباً لهم من قتلة مجرمين

- هلا زلت تظنين ان وقوعي في الماء لم يكن بحكم القضاء والقدر ؟

- ان جماعة مرسيال ماخلاخليلي يقدمون على أفظع من هذه الجناية

- ماهي غايتهم من قتلي فاني ما أسأت الى أحد ولا فني منهم أحد

بعد ... ن دهاء جماعة مرسيال يعادل فظاظة قلوبهم فهم

لا يغرقون فتاة بريئة مثلك اذا لم يكن من وراء ذلك فائدة تعود عليهم والذي يثبت لي صحه هذا الزعم بعض كلمات قالتها الارملة لخليلي في السجن

- هل زار امه في سجنها ؟

- نعم ولم يبق لهـا رجاء في الخلاص وهذا شأن ابنتها كالياس وابنها نقولا والسبب في ذلك ان نقولا أقر بجناية قتل أخرى شارك في ارتكابها أمه واخته وقد فعل ذلك أملا بالعفو عنه ولكن خيانته لم تجده نفعاً بل أوقع الثلاثة في ورطة جديدة وأقر المحامي عنهم انه لم تبق له حيلة في الدفاع عنهم والمرجح انه يحكم عليهم بالاعدام ليكونوا عبرة لأمثالهم من اللصوص القتلة

— ياله من أمر فظيع أيمكن ان يحكم بالقتل على ام وولديها ؟

— اللهم الا اذا أمكن نقولا الهرب من السجن لانه يوجد في سجنه شقي آخر افتك منه بأرواح العباد يدعى الهيكل ويقال انه يتآمر مع بعض المسجونين على الفرار وقد ابلغ نقولا اخاه مرسيال انه من جملة المتآمرين وطلب منه ان يهيء

له ملابس ونقوداً وان يدعها عند ميكو ليمكنه التخفي ساعة فراره من السجن

— لاشك ان خليلك مرسيال طيب القلب!

— نعم ولكنني لا ادعه يساعد اخاه على الفرار من السجن بعد ان حاول قتله في جزيرة اسنير ويكفي مرسيال فضلا ان لايطلع رجال البوليس على مؤامرة الهيكل ورفاقه . والآن اذ قد اصبحت في دور النقاهة صار يمكنني الابتعاد عنك والذهاب مع خليلي واخيه واخته الصغيرين الى بلاد نائية ولا تعود اقدامنا تطاء ارض باريس . ان مرسيال كان يذوب خجلا حين يذكر ان ولده شنق فماذا يحل به حين تشنق امه واخوه واخته ؟

— الا تنتظرين حتى اكلم المسيو رودلف بشأنك كيف يمكنني اذن ان افي مالك عليّ من الجميل ؟ انك انقذت حياتي من الموت . وبعد ذلك لازمتني واعتنيت بي كابني اختك

— اني لأجل خلاصك من الغرق لم اعد اجسر على طلب شيء من وليّ امرك لكي لا يظن اني اطلب منه جزءاً على مافعلت فيكفاني جزءاً انك نجوت من الهلاك

ياسيدتي فليحسنوا الى هذه المرأة الشجاعة الكريمة الاخلاق التي خاطرت بحياتها لتنقذ حياتي

- كوني مطمئنة يابنيتي ان اولياء امرك يعلمون حق العلم ان الذئبة هي التي انقذتك ويعرفون كيف يكافئونها ويعربون لها عن شكرهم

فاحمر وجه الذئبة خجلا ولم تستطع الجواب على ماقالته المركيزة لان ظواهرها دلتها على انها ذات مقام رفيع ولكنها عجبت كل العجب حين سمعت المركيزة تلفظ اسمها. وقالت المركيزة للمغنية

- قد أزف الوقت وفقدت الصبر فاصبحت على أحر من الجمر فلا بدّ لي من الذهاب معك حالاً وقد اتيتك بشال ورداء من صوف لتلبسيهما . وهاهما في عربتي التي تنتظرنا عند الباب فهلمي ايتها الحبيبة اتبعيني

ثم وجهت حديثها الى الكونت وقالت له وهي تشير الى الذئبة

- ارجوك ان تكتب لهذه الشجاعة عنوان بيتي لتأتي وتودع صديقتها زهرة مريم

والتفتت الى الذئبة واردفت

- وبهذه الطريقة تضطرين الى زيارتنا

فاجابتها الذئبة

- لاشك انني اذهب اذا كان لا بد من ذلك لوداع المغنية اذ لا استطيع فراقها ان لم اقبلها مرة اخرى

وبعد بضع دقائق كانت العربة تسير بالمركيزة والمغنية على طريق باريس

اما رودلف فبعد ان شهد موت جاك فران عاد الى بيته وهو على جانب عظيم من الكآبة والاضطراب وكان التعب اخذاً منه كل مأخذ لانه لم ينم طول الليلة السالفة . وما كاد يستقر في بيته حتى استدعى المستر ولتر مورف صديقه وموضع اسراره ليطلعه على الاخبار المؤلمة التي بلغته عن زهرة مريم . فحزن مورف حزناً شديداً وادرك ما كان لتلك الاخبار من الوقع الاليم على قلب رودلف لانه اعلم الناس بسرائره ولم يعجب لما رآه عليه من الاضطراب والحزن الشديد ولما كان يذرفه من الدموع السخينة. وزاده حزن البرنس حزناً فبكى وقال لسيده وهو يكفكف دموعه

— تشجع يامولاي واعتصم بالصبر الجميل فاني لا أجد مقالا يعزيك عن هذا المصاب الاليم

— صدقت ياعزيزي مورف ان ما كنت أشعر به بالامس لا يعد شيئا بالنسبة الى ما أشعر به اليوم وقد يعجز القلم عن وصف احتقاري لتلك المرأة واشمئزازي منها . . ولكنني أسأل الله ان يشفق عليها . . وأظنها الآن فارقت الحياة ... ان ماعانيته بالامس من الدهشة والحقد والخوف وكل الآلام النفسية أشغلني عن الحنان والبكاء . اما الآن فاطلق لدموعي العنان . وها أنا كما تراني خائر القوى . . ودموعي هذه التي أذرفها تدل على قلة الصبر فلا تؤاخذني

وكيف لا أذرف الدمع على ابنتي . لهفي عليك يا ابنتي!

— ابك يامولاي ابك فان خسارتك لا تعوض

— ويلاه !! ان بدني يقشعر كلما اذكر ماقاسته تلك المسكينة من الشقاء قبل ان تموت

ولزم مورف الصمت لعلمه ان عبارات التعزية لا تخفف وطأة ذلك الحزن الشديد وبعد سكوت وجيز عاد البرنس فقال وهو يكفكف دموعه

- صرت أكره باريس بعد هذه الفاجعة . ولا بدّ لي من الرحيل غداً

- صدقت يامولاي

- وقبل رحيلي اذهب الى مزرعة بوكيفال حيث أقضي ساعتين في الغرفة التي قضت فيها ابنتي أسعد أيام حياتها .. فارجوك ان تجهز كل معدات السفر لنرحل غداً صباحاً

فاراد مورف ان يسلي البرنس فاجابه

- أمرك مطاع يامولاي ستكون كل معدات السفر جاهزة غداً صباحاً . ولكنك نسيت ان سيحتفل غداً بزفاف ابن مدام جورج الى الضحوكة في مزرعة بوكيفال . فاذكر انك وعدت بحضور حفلة الزفاف بعد انه أنعمت على الفتاة بائنة سنية وعلى جرمان بوظيفة تضمن له مستقبله . وهما ينتظران غداً بذاهب الصبر ليعرفا اسم المحسن اليهما

- صدقت قد وعدت . . وهما الان في المزرعة .. ولا استطيع الرحيل دون ان أحضر حفلة الزفاف .. وأرى ان قلبي الحزين يأبى وجودي في حفلة عرس

- لعل ماتراه على وجهيهما من علامات الحبور والسعادة

مجيئي الى هنا يدهشك ولكن الضرورة احوجتني الى عدم المبالاة بما تقتضيه اللياقة فأرجوك ان تبلغ سمو البرانس بأني التمس مواجهته بضع دقائق لاحدثه في أمر ذي بال يجلب له فرحاً عظيماً . »

فاصفر وجه رودلف على رغم تجلده وقال بصوت مضطرب

— ولكني لم أفهم حتى الآن ماهو سبب اضطرابك يامورف ... والمرجح عندي انك تكتم عني أمراً ... فما عسى أن يكون سبب مجيء المركيزة ياترى !

— يشهد الله أني لاأعرف شيئاً أكثر مما ذكرته لك ولا أدري لماذا اضطربت حين سمعت كلام المركيزة الذي ذكرته لك .. ولكنك أنت أيضاً يامولاي أصبت باضطراب شديد واصفر وجهك

فأسند رودلف ذراعيه على كرسي اذ شعر ان ركبتيه تصطكان وأجاب ـ أنا ؟

— نعم يامولاي ان اضطرابك لايقل عن اضطرابي فماذا أصابك ؟

فهتف البرنس قايلا : — دع المركيزة تدخل ولو كان من وراء ذلك هلاكي

فخرج مورف وبعد هنيهة عاد وبصحبته المركيزة درفيل

## الفصل الثاني والخمسون

## الوالد وابنته

ولم تكن المركيزة تعلم ان زهرة مريم ابنة البرنس وغاية ما تعلمه انه كان يكتنف تلك الفتاة بحمايته. ولما وجدتها في المستشفى أرادت ان تعيدها اليه لتكون سبباً في سروره ولكنها لم تصعد بها الى بيته بل تركتها في عربتها عند الباب ريثما تسأله اذا كان يقبلها في بيته ولما دخلت عليه راعها ما وجدته فيه من الاضطراب فظنت ان قد دهاه مصاب أشد ألماً من موت المغنية فقالت له بتلهف

— رباه ! ... مابك يامولاي ؟

— هل تجهلين مابي ياسيدتي ؟ ... لقد انقطع الرجاء .

— ناشدتك الله يامولاي قل لي ماذا أصابك ؟ وما علة الحزن الشديد الذي أراك عليه ؟ ... ان اصفرار وجهك يخيفني .. جبني يامولاي ولا تطل في عذابي

- ما الفائدة ياسيدتي ان جرحي لا يشفى

- فالتفتت المركيزة الى السير ولتر وقالت له

- ان جواب سمو البرنس ذادني قلقاً فخبرني أنت بما جرى ناشدتك الله

فتجلد رودلف واعتصم بما بقي له من الصبر وقال لهما بصوت متهدج

- اعلمي انني بعدان أخبرتك بوفاة زهرة مريم عرفت انها ابنتي

فبدت على وجه المركيزة دهشة يعجز القلم عن وصفها وصرخت قائلة

- زهرة مريم !.. ابنتك؟

- نعم .. وحين أخبرني السير ولتر الآن بأنك تريدين مواجهتي لتحدثيني في أمر مفرح ظننت ان .. ولكن لا لا لقد اخطأ ظني وأصبحت كالمأخوذ

قال رودلف ذلك وانطرح على كرسيه واليأس آخذ منه كل مأخذ وظلت المركيزة درفيل واقفة امامه لا تتحرك ولا تفوه بكلمة حتى كادت تقف أنفاسها ولم تعد تفكر

بسوى أمر واحد وهو كيف يكون وقع خبر نجاة المغنية على البرنس مع علمه انها ابنته واعتقاده انها ماتت

وبعد سكوت وجيز خطر لها خاطر سريع فجثت على ركبتيها وضمت يديها وهتفت قائلة بلهجة الخشوع الشاكر

— اشكرك اللهم شكراً جزيلا لأنك اخترتني بشيراً بنجاة ابنته !

قالت تلك العبارة بصوت خافت ولكنها بلغت مسمع مورف والبرنس فرفع هذا رأسه وبدت على وجهه دهشة يعجز القلم عن وصفها اما المركيزة فاستوت واقفة ووضعت يدها على قلبها لتخفف وطأة ضرباته فقال لها رودلف وهو يرتجف كورق الشجر في ابان العاصفة

— وأين هي ؟

في عربتي عند الباب

فاراد رودلف الخروج من القاعة فوقف مورف في سبيله وقال له

— قف مكانك يا مولاي ان الفتاة اذا رأتك على هذه الحال تموت رعباً

وقالت له المركيزة

— نعم يا مولاى انها لا تزال في دور النقاهــة فاحذر من مفاجئتها

فعاد دردلف الى صوابه وتملك على عواطفه وأجاب

— صدقتما لا بد لي من السكينة قبـل ان اراها . . . رباه من يمكنه احتمال الانفعالات النفسية التي ألمت بي هذا اليوم ولا يموت ؟

ثم قال للمركيزة درفيل .

— وكيف نجت من الهلاك ؟ من انقذها؟

— ان امرأة شجاعة انتشلتها من الماء حين كانت على وشك الغرق

— هل تعرفين تلك المرأة ؟

— نعم وغداً تأتي الى بيتي

— هذا دين عظيم عليّ ولكنني افيه باذن الله . . . والآن قد عاودني صوابي وتملكت على عواطفي فارجوك يا مورف ان تأتني بابنتي

فقالت له المركيزة

— هل أنت واثق من نفسك ؟ كن على حذر

— نعم هدئ روعك فاني أعلم ما يصيبها من الانفعال الشديد اذا رأتني مضطربا . . . أرجوك يا مورف ان تذهب وتأتي بها

وكان مورف يبكي فكفكف دموعه وأجاب

— أمرك مطاع يامولاي ولكن أرجوك ان تمهلني بضع ثوان ريثما أملك حواسي فانني من لحم ودم واخاف ان تلحظ اني بكيت

وبعد ان هم السير مورف بالخروج عاد فقال لرودلف

— ماذا أقول لها يا مولاي ؟

— قل لها ان الموسيو رودلف يريد ان يراك ولا تزد على ذلك حرفاً

فخرج مورف ولما انفردت المركيزة درفيل برودلف توردت وجنتاها خجلا فقال لها البرنس

— انني منذ رأيتك يا كليمنس مالت اليك نفسي وقد اخترت هذه الساعة لاعرب لك عما يخامرني من حبك ليكون له وقع في نفسك وقد كتمت هذا الحب ما استطعت ورأيت

الآن ان لا بد لي من ايقافك على حقيقة أمري. ولقد اعدت الي ابنتي فهل تريدين ان تكوني أمها

فهتفت المركيزة قائلة : — ان يا مولاي ! ماذا تقول ؟

— أتوسل اليك بان لا ترفضي رجاي واجعلي هذه الليلة عليّ فاتحة عهد سعيد

واشدة ما أصاب المركيزة من الفرح عند سماع كلام البرنس خيل لها انها في منام لا في يقظة فاجابت بلهجة المتردد

— لا تنس يامولاي ما بيننا من البون الشاسع ولا تنس ما يقضي به عليك مركزك بين أرباب التيجان

— دعيني أذكر الآن فيما يتعلق بقلبي وبصالح ابنتي فكوني سبب سعادتنا وان أنت أجبت التماسي أصبح ذا زوجة وابنة تحبانني بعد ان كنت في هذا العالم مثل السيف فرداً

فهتفت كليمنس قائلة ودموع الفرح تجري على خديها

— لسان الدمع أفصح من بياني

ثم التفتت بغتة لجهة الباب وقالت : — اني أسمع وقع اقدام . . . هذه ابنتك

— لا ترفضي رجائي بحقك وقولي ابنتنا لا ابنتك

- حسن ! ابنتنا

وما كادت تفوه بهذه الكلمة التي أحيت آمال رودلف حتى دخل مورف وبصحبته زهرة مريم ولما وقع عليها بصر المركيزة أسرعت اليها وطوقتها بذراعيها وأدنتها من رودلف أما هذا فظل واقفاً عند الموقدة ولم يخط خطوة واحدة . اما مورف فبعد ان أدخل الفتاة استتر خلف ستارة النافذة ولما رأت زهرة مريم ولي نعمتها ومنقذها يتأملها بدهشة اضطربت مفاصلها وأصيبت بارتعاش شديد فقالت لها المركيزة درفيل

- خففي من روعك ياحبيبتي ان صديقك الموسيو رودلف كان ينتظر قدومك بذاهب الصبر وكان شديد القلق عليك

وظل رودلف واقفاً لا يبدي حراكا وقلبه يذوب تقطراً حين وقعت عينه على وجه ابنته الصبوح فلما سمع ماقالته المركيزة قال بصوت مرتجف

— نعم . نعم كنت شديد القلق عليها

وقالت المركيزه لزهرة مريم لتاهيها: مازلت ضعيفة القوى أيتها العزيزة فاجلسي

ثم أمسكتها بذراعها وأجلستها على كرسي . أما زهرة

مريم فازدادت دهشتها وأخذت نفسها على كونها لم تقل لرودلف كلمة شكر . ولما عاود البرنس تمام صوابه دنا من كرسي ابنته وقال لها

— ها قد عدت يا بنيتي الى أحبائك وأرجو ان لا تفترقي عنهم أبد الدهر وان تنسي ماقاسيت من الآلام

فقالت لها المركيزة . — نعم يابنيتي ان أقوى برهان تقدمينه على محبتك ايانا هو ان تنسي الماضي

— ثق يامسيو رودلف وثقي ياسيدتي من انني اظل أذكر حتى أموت انني لولاكما لكنت في اتعس حالة

فقال رودلف : — ولكننا سنبذل جهدنا لابعاد الافكار السوداء عن مخيلتك ياعزيزتي مريم ألا تذكرين انني سميتك بهذا الاسم في المزرعة ؟

— نعم ما زلت أذكر ذلك ياسيدي . وكيف حال مدام جورج التي سمحت ان أدعوها والدتي ؟

— هي في أحسن حال . ولدي أخبار جديدة تهمك لا بد لي من اطلاعك عليها . وأهمها اني علمت أموراً جديدة عن أصلك وفصلك وولادتك

- عن ولادتي ؟ . . .

- نعم وقد عرفت أهلك وأباك . . .

وازداد اضطراب البرنس ولكنه بذل جهد المستطاع في كبح جماح عواطفه أما السير مورف فكان يبكي كالثكلى وراء الستارة . ولما رأت المركيزة ما ألم بالبرنس من شديد الانفعال قالت للفتاة

- نعم يا بنيتي قد عرف أبوك وهو لا تزال على قيد الحياة

فهتفت الفتاة قائلة : - والدي ! ! . .

فاجابتها المركيزة : - نعم وسوف ترينه بعد حين وتعجبين حين تعلمين انه وجيه من ذوي الحسب والنسب

- وهل أرى والدتي يا سيدتي؟

- ان أباك يجيبك على هذا السؤال فهل تسرين اذا رأيته ؟

فنكست زهرة مريم رأسها الى الارض وأجابت :

- كيف لا أسر يا سيدتي؟

- وهل تحبينه متى عرفته ؟

وقال لها البرنس : — وأظن انك تدخلين في حياة جديدة بعد ان تعرفيه

فاجابته الفتاة برقة : — لا يا موسيو رودلف ان حياتي الجديدة بدأت منذ اليوم الذي شفقت فيه عليّ وأرسلتني الى المزرعة

فقال لها البرنس : — ولكنّ أباك يحبك

— ربما كان ذاك ولكنني لا اعرفه وأراني مديونة لك بكل شيء

— انك اذن تحبينني مثل ما تحبين اباك أو اكثر

اني اجل قدرك كانك اله ياسيدي لان الذي صنعته معي من الجميل لا يصنعه بشر ولما كلمتني هذه السيدة في السجن قلت لها انني طالما عزيت المسجونات البائسات بقولي لهنّ ان الموسيو رودلف يأخذ بناصرهنّ اذا علم بماهنّ فيه من الشقاء اذا كنّ من الصالحات ويجازيهنّ اذا كنّ من الشريرات ولما ثقلت عليّ وطأة المرض وظننت انني مشرفة على الموت قلت في نفسي ان الله يرحمني لان الموسيو رودلف رثى لحالي

وعقب كلام الفتاة سكوت وجيز ثم عاد رودلف وقال لها ووجهه طافح بالفرح

— أرى انني حللت من قلبك محل والدك

— نعم ولست أراني مذنبة بذلك يا سيدي لانني كما قلت لك اجهل والدي ولم اعرف محسناً اليَّ سواك

ثم نكست رأسها الى الارض وأردفت : — والذي يزيدك رفعة في عيني هو انك شملتني بافضالك مع علمك باحوالي الماضية المخجلة أما والدي فلا يعرف شيئاً من ذلك الماضي ولعله يندم على كونه سعى للحصول عليَّ. واذا كان من ذوي الحسب والنسب مثل ما تقول سيدتي هذه فلا شك انه يخجل من وجودي تحت سقف بيته متى وقف على حقيقة أمري

فرفع رودلف رأسه وشمخ بأنفه وهتف قائلا : — يخجل من وجودك في بيته !... لا لا كوني مطمئنة يابنيتي لان اباك سيرفعك الى اعلى ذروة المجد. فيصبح أمير الامراء ينظر اليك بعين الاعتبار ولسوف تكون وصيفاتك من الاميرات وبنات الملوك فانك فوقهنَّ حسباً ونسباً

ولما فاه رودلف بذلك الحديث بدت على وجهه علامات

الاندفاع وخاف مورف والمركيزة سوء العاقبة ولا سيما حين رأيا ما الم بزهرة مريم من الدهشة واصفرار الوجه فقالا كلاهما للبرنس بصوت واحد

— يا مولاي !... يا مولاي !...

فلم يكتف البرنس بذلك وأردف : — والدك يخجل منك ؟... انني لا افاخر بما لي من المجد وسؤددا لملوك الا لان هذا المركز يساعدني على رفع مقامك بقدر ماحط من قدرك هل فهمت يا بنتي العزيزة ياولدي وفلذة كبدي .. انني أنا ابوك

وانطرح البرنس على ابنته وطوقها بزراعيه وطفق يقبلها ويسقي ورد خديها الذابل بدمعه السخين

فضمت زهرة مريم يديها وشخصت ببصرها الى العلى وهتفت قائلة : — اشكرك اللهم شكراً جزيلا على الهامك اياي الى محبة المحسن اليَّ ..فهو والدي . تبارك اسمك العظيم

وخانت الفتاة قواها لشدة ما أصابها من الانفعال فاغمي عليها ووقعت بين يدي البرنس ولما رأى مورف ذلك خرج من مخبئه مزعوراً وفتح باب القاعة وقال لخادم كان في الدهليز

— اليَّ بالطبيب داوود حالا ... ان مولاي البرنس

يدعوه لينظر في امر مريض . . . حالا حالا

اما البرنس فلما رأى ما حلّ بابنتـه كاد يذوب قلبه ألماً فجثى على ركبتيه الى جانب ابنته وقال وهو ينتحب

— غفرانك اللهم .. لقد قتلتها . . ماري ياولدى . . اصغ اليَّ . . . انا ابوك اصفحي عني فانني لم اتمالك على كتم ذلك السر اكثر مما تمالكت . . ويلاه ويلاه لقد قتلتها

فقالت له المركيزة : ـ هدِ روعك يامولاى اظن انها بعيدة عن الخطر باذن الله .. انظر ان وجنتيها قد تلونتا ولا شك انه اغماء بسيط

— ولكنها لا تزال في دور النقاه ولا يبعد ان هـذا الاغماء يقتلها . . ويل لي ويل لي

واذ ذاك دخل الطبيب الاسود مسرعاً وفي يده صندوقا صغيراً ممـلوء بزجاجات العقاقير وناول مورف مكتوباً كان يحمله فقال له البرنس

— ادركنا ياداود ! . . . ان ابنتي مشرفـة على الهلاك فانقذ حياتها مثلما انقذت حياتك من قبل

فأخذت الطبيب الدهشة من سماع مقال البرنس وأسرع

نحو زهرة مريم التي كانت ملقاة بين ذراعي المركيزة وبعد أن جس نبضها قال له

— كن مطمئناً يامولاي اذ لا خطر على حياتها وسيزول هذا الاغماء متى اشممتها شيئاً من « الايتير »

فقال له البرنس - اشكرك يا عزيزي داود وأبارك الساعة التي عرفتك فيها

ثم نظر الى المركيزة وقال لها : — تبارك الله العظيم قد عادت ابنتنا الى الحياة

وكان مورف في تلك الفترة يقرأ المكتوب الذي اخذه من الطبيب ولما سمع ما قاله البرنس انتفض ونظر اليه بدهشة فقال له البرنس

— نعم أيها الصديق بعد حين ستقول ابنتي للمركيزة دورفيل . . ياأماه

فاجابه مورف بصوت مرتجف ! - اعلم يامولاي ان الخبر الذي بلغنا بالامس كان كاذباً

— ماذا تقول ؟

— نعم ان الكونتس ساره لم تمت كما قيل لنا ولكنها

أصيبت باغماء وخرجت منه سليمة

— الكونتس! . .

ـ نعم وقد تعافت هذا الصباح

ـ يارباه ! . . . ياربا ه !

وكانت المركيزة شاخصة الى رودلف والعجب آخذ منها لانها لم تفهم شيئاً مما دار بينه وبين مورف وكان الطبيب داود لا يزال منهمكا في معالجة زهرة مريم ولما رآها تتعافى شيئاً فشيئاً قال للبرنس

ـ انها أصبحت بعيدة عن الخطر ولكن لابد لها من استنشاق الهواء الطلق فيمكننا ان ننقل كرسيها الى جهة باب الجنينة فتضمحل نوبة الاغماء

فاسرع مورف وفتح الباب وعاون الطبيب على نقل الفتاة وبقي رودلف وكليمنس وحدهما فقال البرنس

— انك تجهلين ياسيدتي من هي الكونتس ساره فاعلمي انها والدة زهرة مريم

— يالله ! . . .

— وكنت ظننتها ماتت

وعقب ذلك سكوت مهيب واصفر وجه المركيزة وخفق قلبها فقال لها رودلف بصوت ينم عن الحزن

— وانك تجهلين أيضاً ان تلك المرأة لا يهمها مني سوى لقب البرنس وانها اغوتني وانا حديث السن فتزوجتها ثم انفصلت عنها ولما أرادت ان تتزوج غيري ورأت ان ابنتها حجر عثرة في سبيلها اسلمتها الى قوم اسافل وكانت سبباً فيما اصابها من الشقاء والبلاء

— الان ادركت يامولاي سبب كرهك اياها

— ولا شك انك ادركتِ ايضا السبب الذي لاجله ارادت ان تفتك بك مرتين؟

— نعم هو حب الذات والغيرة

— وهي لم تمت

— ليس من كرم الاخلاق يامولاي ان تأسف على بقاءها على قيد الحياة

— انك تجهلين الشرور التي سببتها لي والذي يكدرني هو معرفتي ببقائها حية حين وجدت ابنتي واوشكت ان اجد لها اماً ثانية

فتأثرت المركيزة لهذا الحديث وبكت ثم قالت

- لاخوف على ابنتك منذ اليوم فانك سترفع قدرها بقدر ماخفضتها يد الاقدار ولكي تعيدها الى شرف نسبها لابد لك من الاقتران بالكونتس ماك جريجور

- هذا لا يكون ابداً واعاتخذك اماً لابنتي وستلقى منك حنانة ومحبة اكثر مما لقت من امها

- لا يامولاي لن تفعل ذلك ولن تترك ولادة ابنتك امراً مجهولا . وارى ان الكونتس ساره كفوءاً لك لانها من عائلة شريفة ومتى تزوجتها تصبح ابنتك شرعية وتصير سعيدة

- ولكنني لا أستطيع الحياة بعيداً عنك لانني قسمت فؤادي بينك وبين ابنتي

- ألم تتم سعادتك بلقاء ابنتك ؟

- وأنت اذا كنت تحبينني ويصعب عليك فراقي مثلما يصعب عليَّ فراقك ألا تصبحين تعسة ؟ وماذا يبقى لك في هذا العالم ؟

- الاحسان يامولاي تلك الصفة الشريفة التي اكسبتني اياها فانستني كثيراً من أشجاني وكانت السبب الاكبر في تعزيتي

— اصغي الي ناشدتك الله هبي انني تزوجتها فهل يمكنني ان أعيش معها مع ما اكنه لها من الكره ؟ كلا اننا نظل مفترقين الى الابد ولم أسمح لها برؤية ابنتي . فتفقد زهرة مريم بفقدك أحسن الامهات

— ولكن يبقى لها أفضل الاباء واذا تزوجت الكونتس تصبح زهرة مريم ابنة أمير من ذوي التيجان في أوروبا . وأرى ان تذهب بها الى المانيا متى تعافت وصار يمكنها السفر وهنالك تجد السكينة والسعادة وتنسى ماضيها

- ولكن أنت ؟ أنت ؟

- أنا أظل أحبك كمنقذي ومرشدي مازلت على قيد الحياة وكل ما أصنعه من الاحسان أنسبه اليك واكتب لك كل يوم وأومل ان تجاوبني من حين لآخر وتذكر لي ما يصير اليه أمرك وامر ابنتك التي صرت أحبها كأنها ابنتي ومتى سمحت لي الظروف الحق بك اذا أردت واسكن نفس البلد الذي تسكنه

- وما كادت تتم عبارتها حتى دخل مورف الناعمة مسرعا وقال للبرنس

- بشراك يا مولاي قد أفاقت ابنتك من اغمائها وعادت الى تمام صوابها واول ما فاهت به اسمك وهي تريد ان تراك

- وبعد هنيهة عادت المركيزة درفيل الى بيتها وذهب البرنس لعند الكونتس ماك جريجور مستصحبا مورف والبارون جرون ورجلا آخر من حاشيته

## الفصل الثالث والخمسون

### القران

منذ اخبر رودلف الكونتس ساره بوفاة زهرة مريم اضمحلت كل آمالها وتولاها اليأس وأصيبت بنوب عصبية شديدة الوطأة مصحوبا بهذيان مخيف فسال جرحها بعد اندماله وأصابها اغماء كاد يؤدي بحياتها ولم تنج من مخالب الموت الا بفضل قوة بنيتها ولما أفاقت من اغمائها أسفت على نجاتها من الموت وبينما هي مضجعة على كرسي دخل عليها أخوها توماس سيتون وكانت علامات الاضطراب بادية على وجهه وباشارة أخرج من غرفتها خادمتين كانتا تمرضانها ثم قال لها

- كيف حالك الآن ؟

- مازلت أشعر بضعف شديد وضيق صدر مؤلم

- فقال لها بعد سكوت وجيز: - اعلمي يا مدام ان الموت أقرب اليك من حبل الوريد وان أقل انفعال يودي بحياتك

- لم اعد انفعل لشيء يا أخي حتى لو قيل لي ان رودلف مات ولم يعد يشغل مخيلتي سوى أمر واحد وهو غرق ابنتي لانني كنت السبب في هلاكها وهو وخز ضمير قتال لا يفارقني

- يعز عليّ ان ارى اضمحلال آمالك التي طالما عللتي النفس بها

- ان توبيخ البرنس امات بي تلك المطامع ولم يعد يشغل قلبي الآن سوى حزن الام الثكلى

— ولكن لو فرضنا اعجوبة او لو فرضنا المحال وعلمت ان ابنتك على قيد الحياة كيف يكون وقع هذا النبأ عليك؟

— اذا وقعت عيني عليها أموت خجلا ويأساً

— لا بل انك تصبحين سعيدة باحياء آمالك لان البرنس يتزوجك لا محالة اذا كانت ابنتك لا تزال على قيد الحياة

— لو فرضنا صحة ما تقول لا أراني أهلا لان أكون بعلة البرنس واماً لتلك الفتاة التي ظلمتها

فحار توماس سيتون بامره ولم يعد يدري كيف يكلم أخته

ولاسيما حين رآها أقرب الى الموت منها الى الحياة وكان البرنس جالساً في غرفة مجاورة لغرفة الكونتس وهو الذي كلف اخاها توماس باخبارها بان ابنتها ما زالت حية وانه يريد الاقتران بها بأسرع ما يمكن خوفا من ان تموت لتصبح زهرة مريم ابنته الشرعية ولذلك استصحب البرنس معه الثلاثة أشخاص الذين ذكرناهم في آخر الفصل السابق ليكونوا شهوداً على عقد الزواج وقد كلف الدوق لوسيني واللورد دوجلاس بالمجيء لحضور العقد ليكونا شاهدين للكونتس فما لبثا ان حضرا

فقال توماس لاخته بصوت رزين : - اعلمي يا أختي ان كلمت منك اما ان تعيد اليك الحياة او توردك المنون

- قلت لك انني لم اعد أتأثر لشيء

- لا بل انك تتأثرين لامر واحد

- ما هو ؟

- أمر ابنتك

- ماتت ابنتي

- وان كانت لاتزال حية؟

- قلت لك ان هذا فرض محال فلا تزدني يا أخي حزنا

يكفاني ما أنا به من ألم وخز الضمير

- وان قلت لك ان ابنتك حية حقيقة ؟

- كف عن هذا الكلام فانه يؤلمني

- لا بل كوني سعيدة فانني أبشرك بان ابنتك لم تمت

- ابنتي !!

- نعم هي حية ترزق واعلمي ان البرنس هنا في الغرفة المجاورة ومعه شهود وقد استدعينا اثنين من أصدقائك ليكونا شاهدين لك فها قد تحققت امالك وتمت النبوة وعما قريب تصبحين ملكة. وكان ينتظر توماس ان يرى علامات البشر والفرح على وجه أخته حين يطلعها على ذلك الخبر ولكنه عجب حين رأى انها لم تكترث به أقل اكتراث ولم تبد أقل حركة سوى انها وضعت يديها على قلبها واستلقت على الكرسي وتنهدت تنهداً خرج من أعماق صدرها ثم عادت الى السكون فقال لها أخوها - مابالك يا أختي

- قد أثرت بي الدهشة وشدة الفرح بتحقيق آمالي

- ألم اقل لك يا أختي ان كلمة مني تحييك وتحيي آمالك ؟

— صدقت يا أخي مازال حب الذات في متغلباً على

العواطف الوالدية

- ستعيشين وتحبين ابنتك

- نعم سأعيش فانظر كيف عاودتني السكينة. وأين البرنس؟

- هنا

- أريد ان أراه قبل عقد الزواج . . . . ولا شك ان ابنتي هنا أيضاً؟

- لا ولكن سترينها فيما بعد

- أرجوك ان تدعو البرنس

- ما بك يا أختي ان هيئتك تقلق الناظر اليها

قال ذلك وخرج ولما انفردت اللونتس ناجت نفسها قائلة

- غاية ما أتمناه الآن ان أرى ابنتي وأقبلها ولكنني اعلم ان دون ذلك خرط القتاد لان رودلف سيعاقبني بمنعي عن رؤيتها ولكنني سأنال هذه الامنية باذن الله

واذ ذاك دخل عليها رودلف وأغلق الباب وقال لها

- قد أخبرك أخوك بكل شيء وتحققت مطامعك

- نعم تحققت

- ان الشهود هنا فهل يمكنهم الدخول؟

- اسمح لي قبل ذلك بكلمة يامولاي

- تكلمي يا سيدتي

- اطلب منك ان أرى ابنتي

- هذا أمر محال

- قلت لك يامولاي اني أريد ان أراها

- انها لاتزال في دور النقاهة وأخشى ان يؤثر الانفعال فيها تأثيراً سيئاً اذا قابلتك

- ولكن أليس من العدل ان تقبل والدتها ؟

— ما الفائدة من ذلك ؟ ألا يكفي مطامعك انك اصبحت ملكة؟

- لا يزال لي مطمع واحد وهو ان اقبل ابنتي

— فاجابها البرنس بدهشة :

— كيف.. اتحطين من قدر كبريائك

- نعم ان كبريائي تخضع للحنان الوالدي . فهل تعجب لذلك يامولاي ؟

— نعم

— أيمكنني ان ارى ابنتي ؟

— لا اظن

— اشفق على حالتي يا مولاي واعلم انني بين الموت والحياة وان الانفعالات الشديدة تقضي علي ان هي لم تردني الى الحياة . فان أنت لم تسمح لي برؤية ابنتي أموت كمداً دون ان اتزوجك فلا تكون ابنتك شرعية

— زهرة مريم ليست هنا ويلزم استدعائها

— استدعها على جناح السرعة فافعل كل ما تريد . وبما ان ساعاتي أصبحت معدودات أرى ان نبدأ بعقد القران منذ الآن

— يعجبني منكِ هـذا الشعور فاسمح لكِ بقبلة ابنتك وساستدعيها على الفور . ثم جاس البرنس الى مائدة وكتب مكتوباً يستدعي فيه زهرة مريم وقال للكونتس

— سأبعث هذا المكتوب لزهرة مريم مع احد رجالي وأظن انها تكون هنا بعد نصف ساعة . فسأدخل شهودي

— نعم ولكن أرجوك ان لا تبتعد عني طرفة عين بل كلف السر مورف باستدعاءهم

فدق رودلف الجرس فأتت احدى الخادمات فقالت

يبقى الى جانبي ولا يفارقني ففتح رودلف الباب فدخل الكاهن وتبعه شاهدا رودلف وهما مورف والبارون جرون وشاهدا ساره وهما الدوق لوسيني واللورد دوجلاس. ثم تبعهم توماس سيتون وكانوا كلهم كئيبين منكسي الرؤوس كأن عليها الطير

ثم قرأ البارون جرون عقد الزواج وبعد ان وقع عليه البرنس وساره والشهود الاربعة قال الكاهن للبرنس : - هل ترضى ياسمو البرنس ان تكون مدام ساره سيتون كونتس ماك جريجو زوجة لك ؟

فاجابه البرنس بصوت جهوري : — نعم

فلما سمعت ساره جواب البرنس أبرقت أسارير هافاختلطت علامات الفرح بعلامات الموت اختلاط الحابل بالنابل. وبعد العقد سلم شاهدا الكونتس على البرنس وانصرفا وتبعهما مورف والبارون جرون. ثم قالت ساره لاخيها بصوت خافت

— اخرج بالكاهن الى القاعة المجاورة ودعه ينتظر برهة

فقال لها أخوها . - كيف حالك الآن ياأختي ؟

فابتسمت ساره ابتساماً مراً وأجابته . — أصبحت الآن واثقة من الحياة . ألست الآن دوقة جيرولستين ؟

وبعد ان خرج توماس سيتون تزايد اصفرار وجه ساره واقلبت هيئته حتى أصبح مخيفاً فقالت لرودلف بصوت خافت متقطع — قد تلاشت قواي . . واشعر . . باني . . . أموت قبل . . ان أراها

— لا . . . لا . . . تشجعي ياساره وثقي بانك سترينها

— لا أمل لي بذلك . . وها أني أرى غشاوة الموت امام عيني

فامسك البرنس يدي زوجته بين يديه وقال لها بحنان

— تشجعي ياساره فقد صارت على وشك المجيء . تشجعي

— ان الله لا يسمح لي بهذه التعزية الاخيرة

— اصغي ياساره اصغي . اني اسمع صوت عربة . . . نعم هاهي . . قد أتت ابنتك

فقالت له الكونتس بصوت يكادان لا يسمع وقد أصابها صمم الموت فلم تعد تسمع حديث البرنس

— أرجوك يارودلف ان لا تقول لها اني كنت امرأة شريرة

فانحنى البرنس فوقها ورأى ان نور الحياة يزول من عينيها شيئاً فشيئاً وسمعها تقول همساً . — اصفحي عني . . ياابنتي . . أريد ان اراها . . العفو العفو . . وارجو ان بعد موتي أنال

الاكرام الذي يستحقه مركزي

وذلك آخر مانطقت به تلك التعسة من الكلام المعقول

وفي تلك الاونة دخل مورف وقال لرودلف

- قد حضرت يامولاي البرنسيس ماري

- لاتدعها تدخل وقل لسيتون ان يستدعي الكاهن

ثم أشار الى ساره وهي على آخر رمق وأردف .

- ان الله لم يسمح لها بقبلة ابنتها ووداعها

وبعد نصف ساعة لفظت الكونتس ماك جريجور آخر نسمة من حياتها

## الفصل الرابع والخمسون

## الجزاء

وبعد وفاة الكونتس بخمسة عشر يوم ذهب الى مستشفى المجاذيب المدعو ( بيستر ) مدام جورج وابنها جرمان وزوجته الضحوكة ولويز موريل وأمها وكانت هذه قد تعافت من مرضها بفضل اعتناء رودلف بها اما مدام جورج فكانت تنظر الى ابنها وعروسه ووجهها يطفح بشرا وسرورا

ولما وصلوا الى المستشفى سألهم البواب عن حاجتهم فاجابته

مدام جورج ان أحد الاطباء وعدها ووعد الذين معها بمقابلته في الساعـة الحادية عشر ونصف فادخلهم البواب فوقفوا في حديقة المستشفى وأخذت مدام جورج تتحدث مع زوجـة موربل وكانت لويز والضحوكة وجرمان يتبعونهما فقالت الضحوكة للويز

- ما اسعدني بلقاك يا حبيبتي اننا لما وصلنا مزرعـة بوكيفال أردت ان أزورك لاراك ولكن زوجي لم يوافقني على ذلك بسبب ارتفاع البيت الذي تسكنينه وهـذه اول مرة رأيتك فيها بعد ان . . . .

- بعد ان زرتني في سجني وعزيتني فما اطيب قلبك ايتها الآنسة؟

- ماعدت آنسة بل اصبحت مدام جرمان فهل لم يبلغك خبر زواجنا ؟

- قدعلمت بزواجك ولـكن دعيني اشكرك

-ولكن ربما لم تعمي انني تزوجت جرمان بفضل الرجل المحسن الينا جميعاً

- هو الموسيو رودلف ولا شك اننا نسأل الله ليلاونهارا

ان يطيل في اجله واعلمي انني لم اخرج من السجن الا بفضله وهو الذي اجبر فيران على ان يجعل لنا من ماله ريعا سنويا لي ولوالدي المسكين الذي لا يزال في هذا المستشفى

- ولكن قيل لي ان حالته تحسنت عن ذي قبل ويؤمل احد اطباء هذا المستشفى ان والدك يعود الى صوابه اذا اجتمع امامه كل الذين تعود ان يراهم قبل ان يجن ولكنني لم اتم حديثي عن الموسيو رودلف فهل تعرفين من هو؟

- هو معين الفقراء

- وانا ازيدك علما..

ثم التفتت الضحوكة الى زوجها الذي كان يتحدث مع زوجة موريل وقالت له اريد ان تقترب منا

فدنا منها جرمان وقبلها فقالت للويز الم اكن مصيبة في تفضيلي زوجي هذا المحبوب على الشبان الآخرين الذين جاوروني وهم المسيو جيرود والموسيو كبريون وعلى ذكر كبريون خبريني اين الموسيو بيبايه البواب وزوجته فقد قال لي الطبيب انهما سيأتيان في هذه الساعة الى هنا لان اباك طالما ذكرهما

- لا يلبثان ان يصلا

- فلنعد الى ذكر رودلف واعلمي انه هو الذي سعى في اخراج جرمان من الحبس وبعد الافراج عنه ارسلني واياه الى مزرعة بوكيفال حيث لاقتنا مدام جورج بالترحاب وبللتنا بدموع الفرح وهل تعلمين ان مدام جورج هذه هي ام جرمان؟

- امه !!

- نعم امه وما كدنا نستقر هناك حتى جاءها كتاب من الموسيو رودلف يخبرها فيه بما بيني وبين جرمان من المودة فطفقت تقبلني ولما رأى جرمان ذلك اطلعها على رغبته في زواجي فاستصوبت رايه وقالت له انه لم يجد فتاة افضل مني فحددنا يوم العرس وبعد بضعة ايام جاء المزرعة رجل بدين تدل هيئته على الوقار يحمل هدية لي من الموسيو رودلف وهي صندوق مملوء ثياباً فاخرة وحلى مكتوب على غطاه «جزاء الاجتهاد وحسن السلوك» فلم اصدق ما رأته عيني

- هذا جزاء ما ابديته من طيبة القلب وحسن الصنيع والمثابرة على العمل

- اشكرك على حسن ظنك . . ولما فتحت الصندوق وجدت بين الحلي والثياب مظروفين احدهما لي والآخر لجرمان

فوجدت في مظروفي تحويلا على البنك قيمته أربعون الف فرنك فاردت ان أرفضه فلم تستصوب مدام جورج هذا الرأي وقالت لي انني استحق هذا الانعام نظراً لما أبديته من حسن الصنيع لجرمان وغيره من أصدقائي ووجد جرمان في مظروفه أمراً بتعيينه مديراً لمصرف براتب قدره أربعة آلاف فرنك سنوياً

ولما رأى الرجل الذي أتانا بالهدية عزمي على رفض المال المرسل اليَّ من رودلف وسمع مادار بيني وبين مدام جورج من الحديث قال لي « - ان المسيو رودلف ذو ثروة واسعة وأراد ان يقدم لك بائنتك على سبيل المحبة فاذا رفضتها يتكدر كدراً شديداً ولا يبعد ان يجبرك على قبولها. ثم أحيطك علما بانه سيحضر حفلة العرس

— ان حسن صنيع المسيو رودلف وجد أهله

— وهل تدرين من هو رودلف انني حين اذكر كيف؟ كنت أحمله ثيابي أكاد أذوب خجلا. ويوم حفلة الزواج جاء الرجل البدين الى المزرعة وأخبرنا ان المسيو رودلف مريض ولا يمكنه حضور الحفلة واذ ذاك قال لنا ان مولاه أمير من

الامراء المالكين فتصوري دهشتي حين سمعت ذلك الخبر

— المسيو روداف أمير؟

— نعم يالويز أمير من الامراء العظام وبعد زواجنا بثمانية أيام بعث الينا مكتوبا يقول فيه انه يسر سرورا عظيما اذا قبلنا دعوته وزرناه في باريس حيث يولم لنا وليمة فاخرة فلم نر بدا من اجابه دعوته ولما دخلنا قصره الفخيم في شارع بلومه ورأينا مافيه من المفروشات النفيسة التي لاترى الا في قصور الملوك والخدم والحشم والحجاب ورجال الحاشية المرتدين ملابس مزركشة بالقصب أخذتنا الدهشة وكدت أذوب خجلا حين ذكرت ان صاحب هذا البيت هو نفس الرجل الذي كنت أكلفه بربط شالي ومساعدتي على مسح غرفتي ولكنني لما دخلت قاعة البرنس حيث كان ينتظرنا ووجدته مرتديا الملابس العادية التي كنت أراه فيها ووقعت عيني على وجهه البشوش زال ماكان ألم بي من الوجل

— وهل لم تخافي؟

— كلا لم أخف لانه قابلني بالترحاب وكلمني بنفس اللهجة التي كان يكلمني بها يوم كنت جارته .. ولكن أراني تماديت

في ذكر مالقيته من الامور السارة ولم أفطن الى ان هذا الحديث يؤلمك لان ذكر السعادة يدمي قلوب التعساء

فاجابتها الويز بصوت حزين .- لو ان ابنتي عاشت لكانت لي تعزية كبرى اذ من هو الرجل الذي يقدم على زواجي ولو انني أصبحت ذات ثروة ؟

— انني أعرف رجلا واحداً يقدر مركزك حق قدره فحين يقف على حقيقة أمرك يعذرك ويحترمك ويتزوجك

- انك تقولين ذلك لتعزيتي

- لا بل اني أقول الحقيقة

- ان كان هذا أو ذاك فاني أجد في حديثك تعزية وأشكرك ولكن من هذان القادمان هما بيبليه وزوجته انظري ان وجهه يطفح سروراً وأنت تعلمين كم كانت هيئته تعسة من قبل بسبب ماكان يلقاه من كبريون الخبيث

ولما دنا بيبليه من الجماعة قال للويز بلهجة الفرح

- لقد ذهب لقد ذهب

فقالت له الضحوكة اني مسرورة لسرورك ياابتي بيبليه فاجابها .- لقد ذهب أيتها الآنسة لا بل يامدام اذ انك

أصبحت مثل انسطازي قرينة رجل شهم

- أشكرك يامسيو بيبليه على حسن ظنك بي وبزوجي ولكن من هو الذي ذهب؟

فتنفس بيبليه الصعداء وهتف قائلا بصوت خرج من اعماق صدره كانما أزيح عن صدره حجر ثقيل

- كبريون ذهب كبريون رحل عن فرنسا ولم يرجع اليها أبداً . . ذهب ذهب

-! هل أنت واثق من ذلك ؟

- لقد رأيته بعيني ركب عربة الداليجانس ومعه كل أمتعته وسافر الى ستراسبورج

واذ ذاك دنت انسطازي من الضحوكة وقالت لها

- ماذا يقول لك هذا الشايب المحبوب لاشك انه يحدثك عن سفر كبريون لانه ظل يهدس بذلك طول الطريق

— وكيف عرفتِ ان كبريون سافر الى المانيا؟

— ان رجلا لانعرفه سأل زوجي الفريد اذا كان يعرف مصوراً ماهراً يدعى كبريون فارتعدت فرائص الفريد حين سمع هذا الاسم وكاد يذوب فرقاً ولكن الرجل لحسن الحظ

أخبره حالا بانه يبحث عن ذلك المصور ليذهب به الى المانيا لاعمال يقتضي لانجازها سنين عديدة. وربما يقيم كبريون هنالك دائما. فتنفس زوجي الصعداء عند ماسمع الخبر ثم استعلم من محدثه عن تاريخ سفر كبريون

فقالت الضحوكة لبيبليه

— آمنا بان كبريون ذهب ولن يرجع ولكن غاب عنك أمر لم يكن يخطر لك على بال وهو ان المسيو رودلف برنس من أصحاب التيجان

فقالت انسطازي. — اهذا المزاح الفارغ !!

فاجابتها الضحوكة. — اقسم لك بزوجي ان ماأقوله لك حقيقي.

وفي تلك الاونة نادت مدام جورج ابنها جرمان وزوجته الضحوكة وقالت لهما. — هوذا الطبيب هرمان

ثم التفتت الى الطبيب وقالت له

— لا تؤاخذني على مجيئي مع ولدي وزوجته لان ماذكراه لي عن المسيو موريل حرك بي عامل الشفقة ودفعني الى عيادته ولو كنت لا أعرفه ثم اني أحببت ان أشارك الجميع في

السرور حين يعود هذا الرجل الى كامل صوابه بعد استعمال الطريقة التي صممتم عليها

فاجابها الطبيب. اؤمل ياسيدتي ان رؤية ابنته والاشخاص الاخرين الذين كان يراهم تنبه حواسه وتعيد اليه كامل صوابه

فقالت زوجة موريل للطبيب وهي تشير الى الضحوكة

— حينما ألقوا القبض على زوجي كانت هذه السيدة مشغولة في اسعافنا

وقالت له لويز. — ووالدي يعرف أيضاً جرمان لأنه كان شديد العطف علينا

ثم أشارت الى الفريد وانسطازي وأردفت. — وهذا الصديق وزوجته طالما مدا لنا يد المعونة في أوقات الضيق

فقال الطبيب للجميع. — أشكركم على تلبية دعوتي واسمحوا لي الآن بادخالكم المستشفى

قال ذلك ومشى فتبعه الكل ودخلوا قاعات المستشفى فرأوا هنالك عدداً عظيماً من المجاذيب والمعتوهين والمجانين. وكان بعضهم يسلمون على الطبيب وعلامات السرور بادية على وجوههم. فسألت مدام جورج الطبيب هل يظل هؤلاء

المجانين على تلك الحال من السكينة على الدوام . فاجابها

— ان بعضهم يستفيد من العلاج فلا يلبث بعد دخول المستشفى ان يلزم السكينة ولكن البعض الآخر لا ينجح فيه علاج وهؤلاء نضطر الى ابقائهم في غرف خاصة لكي لا يختلطوا ببقية المرضى . ويوجد الآن مجنون أعمى وهو من أشد المجانين هياجاً . وقد وجدوه في حي الشانزليزه في مغارة لصوص وقتله وكان الى جانبه جثة امرأة مثل بها ذلك الضرير المجنون حتى لم يعد أحد يعرفها

فارتعدت فرائص مدام جورج عند سماع ذلك وقالت

— يا لله ما أفظع هذا الحادث !!

وعاد الطبيب الى حديثه فقال — ولم تر عيني أشنع من هذا الرجل فان وجهه مشوهاً بماء النار ومتلئ كلوما . ومنذ دخل المستشفى لم ينبس ببنت شفة . ولا أدري هل هو أخرس او يتخارس وقد أصيب بنوبتين شديدتين منذ دخل المستشفى ولم أحضر واحدة منهما لانهما حصلتا ليلا وكنت غائباً

ثم أشار الطبيب الى أحد المرضى وقال — ها هو

فاشمئز الجميع حين رأوا وجه ذلك الرجل وكان معلم

المدرسة بعينه ولم يصبه داء الجنون ولكنه تظاهر بذلك وادعى الخرس لكي يبقى في المستشفى ولا يحاكم وكان من حين لآخر يتظاهر بنوبة عصبية ولكن لا يفعل ذلك الا في منتصف الليل حين يكون الطبيب بعيداً عن قاعة المرضى فلا يمكنه مراقبته

وكان معلم المدرسة جالساً على مقعد من خشب وشعر رأسه طويل كثيف قذر قد وخطه الشيب وكان مظلل الوجه القبيح . فكان هـذا الرجل كما يعهده القاري مجدوع الانف ضريراً تشغل كلوم ماء النار كل وجهه . وعلى رغم هذا التشويه الهائل . كانت علامات اليأس بادية عليه وكان الى جانبه مجنون صغير السن جاثياً عند رجليه وممسكا يده الغليظة بين يديه النحيفتين . وبعد ان تأمل جرمان معلم المدرسة قال لامه

— ياربّاه ان منظر هذا الضرير يفتت الاكباد

— نعم يا ولدي ان منظر هذا الرجل يؤثر في النفس ولا أدري لماذا اصبت بانقباض حين وقعت عيني عليه ... الانسان حين يصاب بمثل هذه الامراض

وكانت مدام جورج تتكلم على مقربة من معلم المدرسة

فلما سمع هذا حديثها انتفض مرتعشاً واصفر وجهه ثم نهض واقفاً والتفت نحوها فصرخت هذه لشدة الرعب حين رأته ملتفتاً نحوها وهي لاتعرفه اما هو فعرف زوجته من صوتها وعلم من لهجة حديثها انها تكلم ابنه ولما رأى جرمان ما أصاب والدته من الاضطراب قال لها

— مابك يا أماه ؟

— مابي شيء ياولدي ولكن منظر هذا المجنون الاعمى أثر في نفسي تأثيراً شديداً ثم التفتت الى الطبيب وقال له

— لقدندمت ياحضرة الطبيب على دخولي قاعات المرضى

فقالت الضحوكة : — لاشك انه منظر يفتت الاكباد وثق يا حضرة الطبيب من اننا لا نكرر هذه الزيارة فقد كفانا ما رأيناه

فقال الطبيب : — لا ألومكم على اشمئزازكم من رؤية هذا المجنون الاعمى لانني أنا نفسي نفرت من رؤيته والله يعلم كم مجنون رأيت في حياتي ؟

ثم وجه حديثه الى معلم المدرسة وقال له :

— كيف حالك الآن ؟

فلم يجبه فامسكه من كتفه وهزه وقال له

— ألم تسمع ماقلته لك ؟

فلم يجب معلم المدرسة ولكنه نكس رأسه الى الارض ورأى الطبيب دمعة سقطت من محجره الفارغ فدهش وقال

— انه يبكي !

فقال جرمان — ياله من رجل شقي

فارتعدت فرائص معلم المدرسة حين سمع صوت ولده المشفق عليه وبدت على وجهه علامات الحزن الشديد

فلما رأى الطبيب ذلك قال له

— مابك ؟ ما هو سبب حزنك ؟

فلم يجبه وغطى وجهه بيديه

فقال الطبيب : — لافائدة من سوآله فانه لا يجيب

ولما رأى منظره أثر تأثيراً سيئاً في الجماعة قال لمدام جورج

— انك بعد حين سترين منظر يفرح له فؤادك وهو ان موريل يعود الى كامل صوابه متى وقع نظره على زوجته وابنته فينسيك ذلك هذا المنظر المحزن

وابتعد الطبيب وتبعه الجميع وبقي معلم المدرسة وحده

في يأس يعجز القلم عن وصفه لعلمه انه لن يعود يسمع صوت ولده وزوجته الى الابد ولم يرد ان يذكر لهما اسمه لان ذلك يجلب لهم حزناً وعاراً ففضل الموت على ذلك. والتعزية الوحيدة التي نالها هو انه سمع ولده يأسف على حالته وذكر ما قاله له رودلف قبل ان يفقأ عينيه : « وهو ان كل كلمة تقولها الآن تجذيف. وكل كلمة تقولها بعد اليوم تكون رجاء واستعطافا. وانك اليوم جريء وشرس لانك قوي ولكنك ستفقد قوتك وتصبح ضعيفاً ذليلا. وقلبك اليوم أقسى من الجلمود وسوف تبكي يوما على جرائمك »

اما الطبيب فبعد ان سار هنيهة في مقدمة الجماعة التفت نحو مدام جورج وقال لها

— ها قد وصلنا الى القاعة التي فيها موريل وقد أوصيت الممرضين ان يقوه بالقاعة وحده لكي يكون وجودكم حوله أشد وقعاً على نفسه

فاجابته همسا لكي لا تسمعها لويز : — وماهو نوع جنونه؟

— يتصور انه لم يكسب الف وثلثماية فرنك في يومه ليفي ديناً عليه لرجل يدعى فيران وأن لويز سيقطع رأسها لانها

ارتكبت جناية قتل ابنها

فهتفت مدام جورج قائلة : — اعلم يا سيدي أن فيران هذا وحش ضار ولم يسبب الاذى لموريل فقط ولكنه اضطهد ابني أيضاً فقاسى بسببه اشد العزاب والاهانة

فاجابها الطبيب : — قد اخبرتني لويز موريل بكل شيء والحمد لله على موت ذلك الشقي وخلاص العالم من شروره . والآن ارجوك ياسيدتي ان تنتظري هنا مع الجماعة ريثما ادخل على موريل وحدي وارى كيف اصبحت حاله

ثم وجه حديثه لابنة موريل وقال لها . — ارجوك يالويز أن تنتبهي وحين تسمعين لفظة تعالوا تدخلين وحدك وحين اقول تعالوا مرة ثانية تدخل بقية الجماعة

فكفكفت لويز دموعها واجابته . — أن نبضان قلبي تكاد تقف لشدة الانفعال واخشى أن هذا العمل لا يجدي والدي نفعا

— وانا اؤمل أن هذه الطريقة تشفيه فهدي روعك قال الطبيب ذلك ودخل قاعة تطل نوافذها على الجنينة وكان موريل في صحة جيدة ولم يعد شاحب اللون مثلما

كان قبلا بسبب ما لقيه من حسن الاعتنا في ذلك المستشفى ولم يبق فيه من اعراض الجنون سوى ثبات نظره وابتسامة يأس لا تبرح ثغره. ولما دخل عليه وجده جالسا على كرسي الى جانب مائدة صغيرة يحاول أن يؤدي صناعته وهي صقل الحجارة الكريمة ويقول

— الف وثلثماية فرنك... الف وثلثماية فرنك لا بد لي من الحصول عليها والا يقطعون رأس لويز لا بد من كسبها

ولما دنى منه الطبيب وسمع هزيانه اخرج من جيبه كيسا فيه نقود كان استحضره لهذه الغاية فافرغ الذهب في يده وقال لموريل

— كفاك تعمل يا موريل لانك قد ربحت بعملك واجتهادك الف وثلثمايه الفرنك الذي لا بد لك منها لخلاص لويز.. وهاهي

ووضع الكيس على المائدة امامه فابرقت اسارير الرجل والتقط الذهب بتلهف وقال

— نجت لويز من الهلاك فها انا ذاهب حالا الى جاك فيران ثم نهض وركض نحو الباب واذ ذاك صرخ الطبيب

قائلا . — تعالوا

وللحال اقبلت لويز ودخلت الباب في نفس هذه اللحظة التي كان والدها يريد الخروج فلما وقعت عينيه على ابنته تراجع خطوتين الى الوراء لشدة دهشته ووقع الذهب من يده وظل بضع دقايق يتأملها وهو في اندهاش عظيم ولم يعرفها بادىء بدء ولكنه كان ينبه ذاكرته لعله يتذكر . ثم اخذ يقترب من ابنته شيئاً فشيئاً وهو يتأملها من رأسها الى اخمص قدميها اما لويز فكانت في حالة اضطراب وحزن شديدين ولكنها بذلت جهد المستطاع لكي لا تبكي وبدرت منها التفاتت نحو الطبيب فرأته يشير اليها بلزوم الصمت وكانت تنظر الى والدها بتلهف وحنان ولم تفتها اقل حركة من حركاته . اما موريل فظل شاخصا اليها وقد اصفر وجهه فوضع يديه على جبينه ثم تقدم نحوها واراد أن يكلمها فخانه صوته وازداد اصفرار وجهه وصار ينظر الى ما حوله بدهشة كأنه افاق من ثبات

فقال الطبيب للويز . — كل هذه علامات حسنة فكوني على تمام الانتباه وحين اقول ( تعالوا ) عانقي والدك وقولي له يا ابتي

اما موريل فبعد أن تأمل ابنته اخـذ ينظر الى نفسه ليتحقق انه في يقظة لا في منام ثم اخذ يخاطب نفسه همسا قائلا . — لا . لا هذا حلم . . . اين انا ؟ . . . هذا محال

ولما وقعت عينه على الدنانير المبعثرة على الارض قال — وهذا الذهب ؟ . لم اعد اذكر شيئا . . قد افقت اذن . . اني اشعر بدوار . ولا اجسر على النظر اليها . . اكاد اذوب خجلا . هذه ليست لويز .

فقال الطبيب همسا . — تعالوا

وللحال عانقت لويز اباها وهي تذرف الدموع وقالت له . — انا هي لويز ياابتي نبه ذاكرتك وانظر الى وجهي تعرفني

وفي تلك اللحظة دخل بقية الجماعة وهم : زوجة موريل والضحوكة ومدام جورج وجرمان وبيبليه وزوجته . وكانت لاتزال لويز معانقة اباها وتقبله فقال لها

— اين انا ؟ . . . يا رباه !! . . ماذا يريدون مني ؟ . . ماذا جرى ؟ . . لا اصدق . وبعد سكوت وجيز امسك رأس ابنته بين يديه واخذ يتأمل وجهها ثم هتف قائلا — لويز ! . . .

فقال الطبيب . — لقد نجا ! . . .

فهتفت مدام موريل قائلة . — زوجي المحبوب !! . .
عزيزي موريل !

فقال موريل . — رباه اني ارى زوجتي وابنتي !!

فقالت له الضحوكة . — وانا هنا ايضاً فقد اتفق كل احبائك على الاجتماع هنا في هذه الساعة

فقال له جرمان . — نعم كل اصدقائك هنا وانا منهم

وكلما عرف موريل واحداً من اصدقائه يزداد دهشة

ثم دنت منه انسطازي وقالت له . — وهل نسيت اصدقائك القدماء ؟ هل نسيت انسطازي وزوجها المحبوب الفريد؟

فلما ابصر موريل كل اولائك الاشخاص قال :

— يخيل اليَّ أن قد مضى زمن طويل منذ . . ولكن . .

ثم ضم ابنته الى صدره وعاد فقال : — انت لويز بعينها انت ابنتي . . اليس كذلك ؟

— نعم يا ابتي انا هنا الى جانبك مع امي واحبائنا وكلنا سعداء

— كلنا سعداء ! كيف ذلك وقد القوا القبض عليك وسجنوك . فكيف تقولين اننا كلنا سعداء

— نعم يا والدي سجنت ولكنهم اطلقوا سراحي حين

تأكدوا برأني وها انذا بالقرب منك .

- اصبري .. اصبري .. ها أن الذاكرة تعاودني.. ووكيل الاشغال فيراف ؟؟

- لقد مات يا والدي .. مات

- مات ! . اني اذن اصدق الآن قولك اننا اصبحنا سعداء .. ولكن اين انا؟ ولماذا اتوا بي الى هنا ؟ ومن أي متى انا هنا ؟ .. اني لم أعد اذكر شيئاً

فقال له الطبيب : - اتوا بك الى هنا للاستشفاء بهواء الخلا النقي لانك كنت مصابا بحمى شديدة

فقال موريل . - نعم ما زلت اذكر اخر ما صنعته قبل أن اصاب بالهزيان انني كنت اكلم ابنتي . ومن كان معها ؟. من ؟ . رجل كريم .. نعم نعم المسيو رودلف وهو الذي دافع عني ومنع رجال الشرطة من القاء القبض عليّ .. ولم اعد اذكر ما جرى بعد ذلك ..

فاجابه الطبيب : أذ من اعراض المرض الذي اصابك فقد الذاكرة وها قد عاودتك ذاكرتك حين ابصرت احبائك

- وفي بيت من انا الآن ؟

- فاجابه جرمان على الفور : - انت هنا في بيت احد اصدقاء المسيو رودلف . وقد اتوا بك الى ضواحي المدينة لتستفيد من هواء الخلاء المنعش وقد صدق ظن الذين اشاروا بذلك

فسر الطبيب بجواب جرمان ثم انه استدعى احد خدم المستشفي وأمره أن يذهب بالعربة التي أتت لتأخذ موريل عند باب الحديقة الصغير لكي لا يرى احداً من المرضى حين خروجه

وبعد حين خرج من المستشفى وهو لا يذكر قط ما اصابه . وشيع الطبيب الجماعة الى باب الحديقة فقالت له مدام جورج

- هل تظن أن هذا الرجل شفي من مرضه تمام الشفاء ؟

— نعم ياسيدتي . غير انه لا يزال الآن في حالة النقاهة ولذلك سأبعث معه أحد تلامذتي ليعتني بطعامه وشرابه . واني مهتم بهذا الرجل بنوع خاص لان وكيل أشغال دوق جيرولستين أوصاني به

وبعد انصراف الجماعة مع موريل عاد الطبيب على عقبه

الى المستشفى فقابله أحد اعوانه في الطريق وقال له

— لقد شهدت الآن حادثة غريبة في ذاتها وكنت أود أن تراها مني

— ما هي الحادثة ؟ خبرني

— أنت تعلم ان في المستشفى امرأتين محكوم عليهما بالاعدام وهما أم وابنتها وغداً يكون تنفيذ الحكم

— نعم وبعد

— لا اذكر اني رأيت امرأة اجرأ من الأم كأنها من أبالسة جهنم

— أليست المرأة التي تدعى ارملة مرسيال؟

— هي بعينها

— وماذا فعلت ؟

— كانت سألتنا ان نضعها هي وابنتها في حجرة واحدة حتى ساعة الاعدام فأجبنا طلبها اشفاقاً عليها. وليس لابنتها ما لها من الجرأة فانها كلما قربت الساعة تصف شجاعتها ومنذ برهة دخل عليهما كاهن السجن ليعزيهما فلجأت الابنة اليه أما والدتها فأخذت تهزأ بها وبالكاهن معاً وأسمعتهما من قوارص

الكلام والسخرية ما اضطر الكاهن الى الخروج من حجرتها بعد ان حاول اقناع تلك المرأة الجهنمية ولكن على غير جدوى

— انها جرأة نادرة المثال

— ويظهر ان الاقدار حكمت على كل أفراد هذه العائلة بالشنق والاعدام فيقال أن زوج هذه المرأة شنق ومحكوم على احد أولادها بالاشغال الشاقة المؤبدة وعلى ولد آخر بالاعدام ولكنه فر من السجن . ولم ينج من الشقاء سوى ابنها الاكبر وولدين لها صغيرين . وقد كتبت لولدها الاكبر ليجيء ويودعها الوداع الاخير

— انه وداع مؤثر للغاية

— ألا تريد ان تشهده ؟

— لا . لا ... انت تعرف مذهبي فيما يتعلق بالحكم بالاعدام .. ولست في حاجة الى مثل هذا المشهد المؤلم لازداد تمسكاً بمذهبي واذا كانت هذه المرأة لم تغير شيئاً من طباعها حتى ساعة الاعدام فأية عظة يجد الناس حين يرونها تشنق ؟

— وهنالك امر آخر مدهش في هذا الاعدام وهو

اليوم الذي اختاروه لتنفيذ الحكم

— وما هو ذلك اليوم ؟

— يومنا هذا وهو عيد منتصف شهر الصوم

— وما وجه الغرابة في ذلك ؟

— وجه الغرابة ان الشبان والفتيات الذين يجولون الليلة في المدينة يشربون ويرقصون يظلون حتى الصباح وهم عائدون يلتقون بالمرأة وابنها وهما ذاهبتان الى المشنقة

— نعم هذا من غريب الاتفاق

وفي الغد اشرقت الشمس بهيـة وكانت اشعتها ترسل الحرارة الى الارض فتحيي بها الارواح . وعند الساعة الرابعة صباحاً جاءت ببستر كوكبة من فرسان الحرس لتمنع الناس من الدنو من المستشفى

## الفصل الخامس والخمسون

## ( مارسيال والسفاح )

لا بد لنا من اطلاع القارئ على ما جد من المودة بين السفاح ومارسيال فبعد خروج جرمان من السجن أثبت السفاح لقاضي التحقيق بالحجج الدامغة انه كان سارق نفسه

وبين له السبب في ذلك فاطلق للحال سراحه من السجن ولكي يكافئه رودلف على حسن صنيعه هذا انزله في قصره في شارع بلومه ووعده باستصحابه معه الى المانيا . فسر السفاح باقامته مع رودلف سروراً عظيماً لانه كان يحبه حباً جماً ويرى كل السعادة في القرب منه

ولكن لما وجد البرنس ابنته تغيرت الخطة التي كان رسمها فعدل عن استصحاب السفاح معه الى المانيا ولو انه انقذ حياته من الهلاك لانه شهد وقوع زهرة مريم في هاوية العار . فاستدعاه وطلب منه خدمة جديدة اثباتاً لمحبته اياه فاشرق جبين السفاح سروراً ولكنه لما علم انه لم يرافق البرنس الى المانيا وانه سيضطر الى مبارحة القصر للقيام بمهمته الجديدة تولته الكآبة ولما عرض عليه رودلف جائزة مالية مكافأة له على حسن فعاله رفضها وبكى ولعله كان أول بكائه طول حياته غير ان البرنس ظل يلح عليه حتى قبل هديته

وفي الغد استحضر البرنس الذئبة وخليلها مارسيال وسألهما عما يتمنيان ولما ذكر ما قالته له زهرة مريم عن طباعهما وأخلاقهما عرض عليهما أن يختارا شيئاً من اثنين إما مبلغاً عظيماً من

المال أو نصف ذلك المبلغ ومزرعة صغيرة مجاورة للمزرعة التي اشتراها للسفاح في مستعمرة الجزاير فاختار مارسيال والذئبة الوجه الثاني ووعدا السفاح بالذهاب معه الى الجزاير ومن ذلك العهد استحكمت صلة المودة بين السفاح ومارسيال ولما أراد مارسيال الذهاب الى مستشفى بيستر لوداع والدته وأخته قبل أن تشنقا رافقه السفاح وانتظره بالعربة عند باب المستشفى وقبل ان يصعد الى سجن والدته وأخته قال له السفاح

— تشجع أيها الصديق فانك قد فعلت كلما يستطع الشهم فعله والآن قد قضي الامر وصار يلزمك ان تفكر في الذئبة وأخيك وأختك وبذل المستطاع لردهما الى السبيل القويم ومنعهما عن التشبه بأبيهما وأمهما واذكر اننا سنرحل هذا المساء عن باريس ولن نعود اليها أبد الدهر فتنسى كل ما لقيته فيها من العار بسبب أهلك

— كيف لا أحزن والمحكوم عليهما بالاعدام امي وأختي

— انني اعزرك أيها الصديق ولكن ما الحيلة هكذا أراد الله فلا يسعك سوى الامتثال والصبر

وبعد سكوت وجيز قال مارسيال : — وأنا يلزمني ايضاً

اني اعزيك على ما أراك فيه من الحزن بسبب بعادك عن ولي نعمتك البرنس ولعلي أنا وزوجتي نعزيك ونسليك متى أصبحنا بعيدين عن باريس

فأجابه السفاح بصوت متهدج : — لا يمكنني ان اكون في صحبتك الا اذا اطلعتك على سابق حياتي فاعلم انني فيما مضى قتلت رجلا

— هذه جناية كبرى ولكنك معذور لانك ساعة ارتكابها كنت فاقد الصواب كالمجنون واذكر انك أنقذت حياة آخرين وهذه الحسنات تعد لك ايضاً وتكون كفارة عن جريمة القتل

— ولكن اعلم أيها الصديق انني فيما مضى كنت أصاب بغم شديد حين أرى في المنام خيال الرجل الذي قتلته وقد حمدت الله على اني لم أعد اراها منذ عدة سنين ولكنني رأيتها في الليلة البارحة فقمت من النوم مذعوراً ونفسي تحدثني بمصاب أليم مقبل وبانني لا ارحل عن باريس

— ان حزنك على فراق المحسن اليك والي واشتغال فكرك بالمجيء معي الى بيستر وتصورك المشهد الفظيع الذي

منزاه كل ذلك هيج ساكنك في الليلة الغابرة فرأيت تلك الاحلام المزعجة

فهز السفاح رأسه وأجاب :— انني رأيت ذلك الحلم المنذر بالسوء في ليلة اليوم الذي يذهب فيه الموسيو رودلف عن باريس وبالامس استعلمت عن سفر البرنس فقيل لي انه سيرحل اليوم في الساعة الحادية عشرة عن طريق حاجز شرنطون فصممت على الانتظار عند ذلك الحاجز لأودعه بالنظرة الاخيرة

— لاشك ان البرنس يستحق محبتك هذه الشديدة لانه في عيني افضل مخلوق على الارض

— يصعب عليك أيها الصديق ان تتصور عظيم محبتي لهذا الرجل وكم أتمنى ان اكون دائما ملازما له واكتفي بكسرة من الخبز وشربة من الماء ولكنه لسوء حظي لم يرض

— لاغرابة في ذلك لانه أحسن اليك

— ليس هذا السبب في حبي له وانما السبب هو انه نظر الي بعين الاعتبار حين كنت احتقر نفسي وقال لي انه ما زال بي بقية من الشرف وطيبة القلب . ومنذ ذلك الحين آليت ان اسفك

دي لاجله اذا دعت الحال

- من يعلم المستقبل ؟ فلعلك تراه يوما ما

- لا أمل لي في ذلك لانه قال لي : - «اعلم ياصاحبي انه يلزمك ان تقطع الامل من رؤيتي طول ايام حياتك فان مصلحتي تقضي بذلك» وقد وعدته يا مارسيال وأقسمت له بشرفي ان أبر بوعدي ولا يخفى عليك مافي ذلك من الصعوبة علي

ألك متى اصبحت في مزرعتك في مستعمرة الجزاير ورأيتني أنا والذئبة الى جانبك واشتغلنا بحراثة الارض تنسى الماضي وتتعزى شيئاً فشيئاً ولا سيما حين يضطرنا أعراب تلك البوادي الى مناوشتهم ببنادقنا فترى اذ ذاك مايكون من فعال الذئبة يوم النزال والطعان وملاقاة الفرسان

- سأصبر أيها الصديق فاما أقتل الحزن أو يقتلني

- أؤمل انك تقتله وان نعيش هنالك رغداً وتصلي الى الله كل ليلة بحفظ حياة مولانا رودلف

- ان كلامك هذا يامرسيال دواء شافي لاشجاني كالبلسم للجرح

ولما عاد مارسيال من بيستر بعد وداع والدته وأخته ركب العربة الى جانب السفاح فمادت بهما الى باريس ولما أصبحت على مقربة من المدينة قال مرسيال لرفيقه

— سننتظرك أنا والذئبة عند الساعة الرابعة لان عربة الداليجانس تسافر في الساعة الخامسة

— حسن . والآن اذ قد وصلنا الى قرب الحاجز يمكنني النزول والمسير على القدم حتى أصل الى حيث انتظر مرور سيدي رودلف فانظر اليه نظرة الوداع

ثم وقفت العربة ونزل السفاح ولم يكن يذكر ان ذلك اليوم كان عند منتصف شهر الصوم ولذلك أخذته الدهشة حين أى الطرقات مزدحمة بالرعاع والاوباش وكلهم يصرخون ويغنون ويرقصون على قارعة الطريق . ثم أقبلت زمرة من اولئك القوم فدفع السفاح بالرغم عنه الى اتباع ذلك الجمع الجارف وما زال يسير مرغماً حتى انتهى الى آخر طريق سان جاك حيث نصبت المشنقة لتنفيذ حكم الاعدام على أرملة مرسيال وابنتها . وكانت أصوات الموسيقى تصم الآذان في كل جهة من ذلك الحي .

وبينما السفاح يجول بين ذلك الجمع المزدحم مر بخمارة تجمهر الخلق امام بابها ورأى داخلها مشهداً غريباً في ذاته وذلك ان جماعة من الرجال والنساء بلغ عددهم العشرة كانوا يرقصون رقصة الشاهو بالهمسكه وكان من جملة الراقصين أربعة هربوا من سجن الفورس وهم بريليون ونقولا مرسيال الذي عرفه القارئ والهيكل وكان صابغاً وجهه بدهان أسود حتى لم يعد أحد يعرفه . وامرأة طرطبه وهي مدام بونيس صاحبة الخمارة التي وصفناها في أول هذه الرواية . وكان أيضاً بين الراقصين غلام أدهش الجميع برقصه وحركاته الشيطانية وهو الغلام الاعرج ابن باروج الذي قام مع الاب ميكو تاجر المسروقات بعد ان سجن والده

وبينما الرقص دائر على ساق وقدم في تلك الخمارة بدرت من الهيكل التفاتة الى جهة الباب وهمس قائلاً موجهاً حديثه للمتفرجين الواقفين امام الباب

— كونوا على حذر . . . اننا خارجون الى الشارع

— نعم . نعم . . . فلنجري شوطاً من هنا حتى نصل الى حاجز سان جاك

- قد دنت الساعة التي تعلقون فيها المحكوم عليهما بالاعدام

- قاتل الله الجلاد انه سيضرب ضربة مزدوجة

ولما خرجت زمرة الراقصين من الخمارة تراجع المتفرجون الى الوراء والجانبين واشتد الازدحام وعلت الجلبة وارتفع الصراخ وكثر التشاتم والتلاكم فاصبحوا كأنهم من أهل جهنم. وفي تلك الآونة ازداد هياج المزدحمين بحادثين جديدين. اولهما مجيء عربة المحكوم عليهما بالاعدام فهجم الجمع لملاقاتها ولشدة تزاحمهم كادوا يدوسون بعضهم بعضاً. وثانيهما ان فارساً أقبل من خلفها يريد عبور الطريق فلم يستطع لشدة الازدحام فأخذ ينادي باعلى صوته لذين حوله لينبههم خوفا من ان يدوس حصانه واحداً منهم. أما هؤلاء فلما أبصروه أخذوا يصخبون ويسخطون ويلعنونه ويتهددونه فقال الاعرج أين براروج

- ما هذا الحيوان الراكب الحصان؟

وقال نقولا مرسيال: - واذا ظل يضايقنا يضطرنا الى انزاله عن ظهر حصانه وسلب صفائح الفضة التي على صدره

ودنا الهيكل من الفارس وأمسك بلجام حصانه وقال له

- اذا أبديت أقل معارضة او تذمر ابقر بطنك باصابعي

وكان الفارس شجاعا مقداما فلما رأى الهيكل ممسكا
بلجام حصانه قال له

— اذا كنت لا تقلت حصاني اشرط وجهك بهذا الصوت

— أنت تشرط وجهي يا أقبح الحيوانات ؟

— نعم لاني لم اسبب ضرراً لاحد.. وحصاني يسر الهوينا
ولا انفك عن النداء والتنبيه فكيف يجوز لك ان تمسك بلجامه
وتوقفني واعلم ان عربة مولاي الامير قادمة خلفي .

— مولاك ؟ لا يهمني مولاك . .. واذا أردت أبقر بطنه
مثلما ابقر بطنك

وهتف الغلام الاعرج قائلا : ـ قد انقضى زمن الامراء
فلم يعد لهم شأن في ايامنا

قال ذلك وتعلق باحدى رجلي الفارس ففقد هذا الموازنة
وكاد يقع على الارض ولكنه عاد فاستوى جالساً وناول الاعرج
ضربة بالصوت شرطت وجهه وكانت له خير قصاص . غير ان
الجمع لما رأوا ذلك انتصروا للاعرج واخذوا يصرخون ويلعنون
وهجموا على الفارس من كل جانب فاعمل هذا المهماز في شاكلة
حصانه لعله يخرج به من ذلك المأزق فلم يفلح . وهجم عليه عدد

عديدو بأقل من طرفة عين أنزلوه عن ظهر حصانه وكادوا ان يفتكوا به لو لم تصل العربة التي اشار اليها الفارس. وكان داخلها رودلف وابنته زهرة مريم وكلاهما مرتد لباس الحزن على الكونتس ساره

ولشدة الازدحام لم تعد العربة تستطيع المسير فاطل رودلف من النافذة وقال لغلام كان جالساً الى جانب السائق

— ماسبب هذه الازدحام يا فرنز؟ . ماذا جرى ؟

— لا أدري يا مولاي ما السبب .... والازدحام شديد جدا حتى ان الخيل لم تعد تستطيع المسير

— وما هو سبب هذا الازدحام؟ تكلم ؟

— سمعت البعض يقولون انهم سيشنقون بعض المجرمين

فاكفهر وجه رودلف وعاد الى داخل العربة وهو يقول ما افظع فعال الانسان

فقالت له زهرة مريم بتلهف واضطراب: ما بك يا ابتي؟

- ما بي شيء يا بنيتي

- ولكن لست تسمع هذا الصراخ يا الله ماذا جرى ؟

فقال رودلف لغلامه قل لسائق العربة أن يذهب بنا

الى شرنطون من طريق اخر

فاجابه الغلام . — لم يعد ذلك ممكنا يا مولاي قد احاط الجمع بنا من كل جهة واوقفوا الخيل

وما كاد الغلام يتم عبارته حتى احدق الاشرار بعربة رودلف من كل جانب واخذوا يسخطون ويتهددون وبعضهم يمسك بصراع الخيل وكان الهيكل في طليعتهم فهجم على باب العربة ولما أبصرت زهرة مريم تلك الوجوه القبيحة طوقت عنق رودلف بذراعيها وهي ترتجف لشدة الرعب وقالت له :

- كن على حذر يا والدي

واذ ذاك أدخل الهيكل رأسه من نافذة العربة وقال لرودلف متهكماً

— لعلك أنت الأمير الذي قال لنا عنه الفارس؟

ولو لم تكن زهرة مريم مع رودلف لكان علم الهيكل الرقص مثل ما علم السفاح من قبله ولكن لكي لا يوقع الرعب في قلب ابنته لزم السكينة وأجاب ولماذا أوقفتم عربتي

فامسك الهيكل بنافذة العربة وأجابه :- فعلنا ذلك لاننا

اردنا وكل يرقص في دوره لقد كنتم انتم الامراء تسحقون عامة الناس تحت أرجلكم واليوم العامة تسحقكم تحت ارجلها اذا أبديت أقل حركة

فازدادت زهرة مريم رعباً وقالت لأبيها :

— لقد هلكنا يا أبتي

— لا تخافي يا بنيتي قد تذكرت الآن السبب فيما أرى ان اليوم عيد منتصف شهر الصوم وكل هؤلاء الناس سكارى ولكني سأجد وسيلة للتخلص منهم واذ ذاك صرح نقولا مارسيال قائلا . — انزلوا هذا النزل من عربته وانزلوا ابنته معه لنعلمهما كيف يدوسان الناس بخيولهما فاخرج رودلف كيسه من جيبه وقال موجهاً حديثه للقريبين من نافذة العربة

— لا شك ان بنت الكرم عبثت برؤوسكم وأرى انكم تطلبون المزيد فخذوا هذه الدراهم واشربوا بها وافلتوا عربتي قال ذلك ورمى كيسه فالتقطه الغلام الاعرج ولما رأى الهيكل ذلك قال لرودلف وهو يترنح من السكر

— لا شك انك تحمل كثيراً من الذهب كما يفعل المسافرون فاعطنا كل ما لديك من الذهب او أبقر بطنك في رابعة النهار

غير مبالي بشيء .

ثم فتح الهيكل باب العربة فلم يعد رودلف يستطيع الصبر فوثب من العربة ليهاجم الهيكل فتراجع هذا الى الوراء واستل خنجراً وهجم على رودلف فلما أبصرت زهرة مريم وميض الخنجر فوق رأس أبيها كادت تفقد صوابها لشدة الخوف وصرخت ووثبت من العربة وطوقت أباها بذراعيها

وبينما كان الهيكل على وشك الطعن بخنجره هجم عليه السفاح وأوقف ذراعه باحدى يديه وجذبه الى الوراء باليد الاخرى فالتفت الهيكل الى الخلف ولما أبصر السفاح صرخ قائلا — هذا هو الرجل الخائن لذي دفع عن جرمان في سجن الفورس .. انك لا تفلت مني هذه المرة

قال ذلك وهجم على السفاح واغمد خنجره في صدره تمايل السفاح ولكنه لم يقع لشدة الازدحام واذ ذاك سمع صوت يقول : — أقبلت رجال البوليس ! .. جاء الحراس

فلما سمع الناس ذلك ورأوا ماحل بالسفاح خاف كل منهم ان تلقى التهمة عليه فتفرقوا شذراً مذراً وأخذوا يهربون من كل جهة وهرب من جملتهم الهيكل ونقولا مارسيال والغلام

الاعرج ولما وصل رجال الشرطة الذين استدعاهم الفارس لم يجدوا هنالك سوى روداف وابنته والسفاح مدرجاً بدمه وتعاون سائق عربة رودلف وغلامه على اسناد السفاح الى جذع شجرة وكان رودلف واقفاً اصفر الوجه مرتجفاً ومطوقاً ابنته بذراعيه لانها كادت تموت لشدة الرعب

ثم قال لرجاله وهو يشير الى السفاح انقلوا هذا التعس الحظ الى هذه الخمارة

ثم التفت الى الفارس وقال له اركب العربة وذهب باسرع ما يمكن وائتني بالطبيب داود

فجرت العربة تسابق الريح ونقل رجال البرنس السفاح الى الخمارة التي كان يرقص فيها الهيكل ورفاقه ويشربون ويعربدون ومشي رودلف وراءهم وهو يقول لابنته

- ما أتعس حظك يا بنيتي لا بد لي من ان أجد لك غرفة في أعلى هذه الخمارة حيث تنتظريني اذ لا بد لي من الاعتناء بهذا الشجاح الذي انقذ حياتي مرة ثانية

فامسكت زهرة مريم بذراع أبيها وقالت له

- نا شدتك الله يا أبي لا تتركني وحدي فاني أموت رعبا

ودعني اتبعك الى حيثما تذهب

- ولكن المنظر محزن

- لست اخشى ذلك يا أبي ولا سيما ان هذا الرجل الشجاع انقذ حياتك فاسمح لي ان اكلمه وأشاركك في شكره وتعزيته

فلم ير البرنس بدًّا من اجابة سؤال ابنته فدخل معها الخمارة وكان النسوة اللواتي هنالك وبينهن مدام بونيس القين السفاح على فراش وضمدن جرحه بما لديهن من المناديل والفوط ولما دنى رودلف من السفاح فتح هذا عينيه وقد علا وجهه اصفرار الموت فابتسم ابتساما يفتت الاكباد وقال لرودلف

- اشكر الله يا موسيو رودلف الذي اوجدني هنا في هذه الساعة

فاجابه البرنس وقلبه طافح حزنا

- انك نموذج الشجاعة والاخلاص وقد انقذت حياتي مرة ثانية

- كنت ذاهباً الى حاجز شرنطون لاودعك بنظرة اخيرة ولحسن الحظ اعاقني الازدحام هنا والذي اصابني كان لا بد منه

وقد أنبأت به مارسيال اذ قد رأيت الليلة البارحة في المنام الجندي الذي قتلته

- دع عنك هذه الافكار وتمشم بالنجاة فان جرحك ليس بمميت

- لا بل انا مائت لان الهيكل طعنني طعنة نجلاء ... وقد صدقت في ماقلته لمارسيال من ان أحقر الناس يمكنه ان يفيد أحيانا . وربما يفيد اميراً مثلك يا مولاي

- انني مدين لك بحياتي

- كلانا لا عليه ولا له . فان ماقلته لي من ان لي شرفا وقلبا طيبا يعادل عندي انقاذك من الهلاك ولكن ... اني اشعر بضعف زائد .... فمد لي يدك يا مولاي لاصافحك قبل ان أفارق هذه الحياة ....

فجثا البرنس على ركبتيه عند رأس السفاح وأمسك يده بكلتي يديه وهتف قائلا

- لا .... لن تموت بل تعيش

فاجابه السفاح بصوت ضعيف جداً . لقد قتلت الجندي بطعنة خنجر فكان جزاي ان اموت بطعنة خنجر . ثم بدرت من

السفاح التفاتة الى جهة زهرة مريم وحين وقعت عينه عليها بدت على وجهه علامات الدهشة وقال . - رباه ! ماذا ارى؟ المغنية هنا ؟

- نعم ... هي ابنتي وجاءت تشكرك على انقاذك والدها من الموت

- هي ... ابنتك ؟ ... هنا ... هذا يذكرني باليوم الذي عرفتك فيه يا موسيو رودلف .. ويذكرني بالضربات الاخيرة التي علمتني الرقص .. وهذه الطعنة التي اذاقني الهيكل مرارتها هي الاخيرة . . لقد ذبحت وطعنت كثيراً فمن العدل ان اموت مطعونا

ثم انه تنهد تنهداً عميقاً والقى رأسه الى الوراء واسلم روحه الى خالقها . واذ ذاك وصل الطبيب وكان بصحبته مورف فلما رآه البرنس قال له وهو يكفكف دموعه ويشير الى السفاح

- انظر الم يبق اقل امل ؟

وبعد ان نظر الطبيب في وجه الميت وجس نبضه اجاب البرنس . - لقد اصبح جثة لا روح فيها رحمه الله وبينما كان البرنس منهمكاً في امر السفاح دنت مدام بونيس من زهرة

مريم واخذت تتأمل وجهها وتقول في قلبها اني اعرف هذه الفتاة. ولما لفظ السفاح اسمها ايقنت انها هي زهرة مريم بعينها فاخذتها الدهشة حين قال رودلف انها ابنته وسمعت السفاح يقول له يا مولاي

اما زهرة مريم فاثر فيها رؤية تلك المرأة لانها ذكرتها بوقوعها في العار وزادها غماً موت السفاح فحدثتها نفسها بان ذلك المشهد سيظل منقوشاً في ذاكرتها وبانه نذير بالسوء

وبعد ساعة ذهب رودلف وابنته عن باريس ذهاباً لا اياب بعده

## الخاتمة

### الفصل الاول

( جيرولستين )

من اولدينزال في ٢٥ اغسطس سنة ١٩٦١

من البرنس هنري ديركوزن اولدينزال الى الكونت مكسيمليان كامينز

أيها العزيز

«عدت اليوم من جيرولستين حيث قضيت ثلاثة شهور

في صحبة البرنس رودلف وعائلته وكنت أنتظر خطاباً منك يلبثني بمجيئك الى هنا ولكن لما علمت ان اقامتك في فينا ستطول الى ثلاثة اسابيع . أما انا فعدت من جيرولستين غير مخير لان المرض اشتدت وطأته على والدي فاستدعاني واني الآن ملازم له وحالته موجبة للقلق . والباعث الى كتابة هذا الخطاب هو ان اطلعك على أمر يهمك كثيراً لانك تحبني حباً جماً كما يدلني على ذلك قلبي . واعلم اني طلبت اجازة ستة شهور فتركت فينا غير آسف على فراقها لاني رأيت فيها من عناء الاشغال ما تنوء تحت ثقله الجبال ولما وصلت الى اولدينزال رأى والدي ان أذهب الى جيرولستين لزيارة عمتي البرنسس جوليان رئيسة دير جيرولستين . واذكر انني قلت لك ان جدي ابن عم جد البرنس جوستاف رودلف ولذلك يعزنا هذا البرنس كأقرب اقاربه ولا يخفى عليك انه كلف والدي بالنظر في شؤون بلاده مدة اقامته في فرنسا

ولا شك انك لا تزال تذكر اننا منذ سنة حين كنا على ضفاف نهر الرين علمنا أن البرنس وجد في فرنسا الكونتس سارمساك جريكور واقترن بها رسمياً لتصبح الفتاة التي رزق

منها ابنته الشرعية وبأنه بعد عودته الى جيرولستين سمى ابنته باسم البرنسس اميلي وكانت تدعى قبلا مريم

قلت لك ان والدي رأى ان أزور عمتي البرنسيس جوليان فلم أر بداً من الامتثال وأنت تعلم ان الدير التى تقيم فيه عمتي قريب من مدينة جيرولستين . فلما زرتها أنزلتني في بيت مجاور الدير يكاد يكون من بيوت المدينة لقربه منها

وأول ما قاله لي العمة بعد وصولي هو ان البرنس رودلف سيحيي في الغد وليمة فاخرة وليلة راقصة والسبب في ذلك انه سيعلن عن قرانه القريب بالمركيزة درفيل التي جاءت مع والدها الكونت دوربيني الى جيرولستين منذ عهد قريب

وقد انقسم أفراد عائلة جيرولستين الى قسمين قسم يخطئ رأي البرنس رودلف في عزمه على زواج المركيزة درفيل وقسم يستعو به وعمتي البرنسس جوليان من هذا القسم

وعلى ذكر الحفلة التي سيقيمها البرنس اخبرتني عمتي بأني سأدهش حين أرى جمال البرنسس اميلي ابنة البرنس رودلف وأسمع عذوبة حديثها . ثم انها وصفتها لي وصفاً شوقني كثيراً الى مشاهدتها . والذي زادني شوقاً هو ان عمتي اخبرتني بان

البرنسس رأت صورتي ولما علمت بأني ابن عاها طلبت ان تراني ولما عدت الى البيت الذى انزلتني فيه عمتي تذكرت كل ما سمعته وحين فكرت في ان البرنسس اميلي استظرفت صورتي أخذت ابنى القصور والعلالي على فسحة الامل . وقلت في نفسي من يعلم ربما اتزوج هذه البرنسس ولكني عدت ففكرت في ان اسرتنا فقيرة بالنسبة الى اسرة البرنس رودلف التي تعد من أغنى اسر المانيا وبأنني لم اتجاوز الحادية والعشرين وبأنني لم انل سوى رتبة ملازم في فرقة الحرس مما يجعل زواجي بالكونتس اميلي من رابع المستحيلات

وفي الغد لبست أفخر ثيابي وذهبت الى قصر جيرولستين ولما دخلت قاعات الاستقبال كانت مزدحمة بالمدعوين ولما وقع نظر البرنسس اميلي عليّ عرفتني لان صورتي التي رأتها تشبهني كثيرا أما انا فعرفتها لاني بقيت أتذكر وصف عمتي حرفا حرفا

وحين دخولي كانت الموسيقى تعزف نغما شجيا ولما انتهى قدمني رئيس الحفلة الى سمو البرنس فلاقاني هذا بوجه بشوش وصافحني ثمّ سار بي الى الدوقة صوفيا وقال لها

— اسمحي لي يامولاتي ان اقدم لك ابن عمي البرنس هنري

ديركوزن اولد ينزال

فأجابته لدوقة :—قد عرفت البرنس هنري في فينامن ذى قبل واليوم اسر برؤيته فيما بيننا

ثم التفت البرنس الى ابنته وقال لها :—واقدم لك ياعزيزتي أميلي ابن عمي البرنس هنرى وهو ابن البرنس بولص أقرب قريب وأعز صديق لي واني متكدر كل الكدر لعدم وجوده بيننا في هذه الحفلة

فقالت لي البرنسس املي

— أرجوك ان تبلغ حضرة والدك انى اشارك والدي في كدره على عدم امكانه المجيء الى جيرولستين لأن أحب شيء عندي هو ان اعرف أحباء والدي

قالت لي ذلك بصوت عذب ماسمعت مثله طول حياتي ولا أبالغ اذا قلت لك انه صوت ملائكي

اما البرنس فبالغ في اكرامي وطلب الي ان أطيل الاقامة عند عمتي وان ازورهم كل يوم بلا كلفة . وكنت قبل دخولي القصر آليت ان لاأفوه بكلمة أو أبدي أقل حركة تدل على مابغيته من القصور والعلالي ولكن لما أبصرت البرنسيس

شغفت بجمالها وصرت أخشى ان كل حركاتي وسكناتي تنم عما يخالجني من العواطف

ولما سمعني البرنس ادعو ابنته البرنسيس ابتسم وقال لي . — أرى الافضل ان تدعوها ابنة عمك وهي تدعوك ابن عمها كما هي العادة في الاسر المالكة في المانيا . فاتبعنا رأيه وتركنا الكلفة جانباً وصرنا نتحدث كأخ وأخته فوجدتها أجمل وأرق وألطف بكثير مما ذكرته لي عمتي

تلك كانت أول زيارتي لقصر جيرولستين وبعد بضعة أيام دعيت الى حضور زفاف البرنس الى المركيزة درفيل فوجدت البرنسيس اميلي في حبور لا مزيد عليه وكان وجهها يشرق ابتهاجاً كلما وقعت عينها على أبيها والمركيزة

وبعد زواج البرنس صرت أكثر التردد الى قصره وفي ذات يوم أخذ يسألني عن عمري والمدرسة التي تخرجت فيها ومقدار العلوم التي حصلتها ورتبتي في الجيش الى غير ذلك من الاسئلة التي جعلتني أظن انه لحظ ان حب ابنته يكاد يذيب فؤادي وانه يريد التنويه عن هذا الامر . ولكن مالبثت ان خاب ظني لان البرنس أتم حديثه بنصحي بترك الخدمة العسكرية

والاشتغال بالسياسة وقبل انصرافي ألح علي بالتردد عليهم يومياً واجبت دعوته بغير تردد كما لا يخفى عليك أيها الفطن وصرت أزور البرنس أو بالحري البرنسيس كل يوم ونقضي جانباً من النهار في الضرب على الات الطرب والجانب الآخر في ركوب الخيل .

وكانت ابنة عمي اميلي تزداد الي ميلا كلما طالت عشرتنا فتسر لي حين تراني وتعنفني اذا أطلت عنها الغياب وكثيراً ما كانت تسألني عن أحوالي وأشغالي وما آل اليه أمر والدي بعد مرضه الى غير ذلك مما يدل على ذكاء مفرط . وما لبثنا ان أصبحنا كأخ وأخت . غير اننا لم نكن نفوه في خلوتنا بكلمة واحدة نستحي من قولها امام الناس .

ولما رأيت ما كان من استحكام الحب بيني وبين البرنسيس اميلي فكرت في ان ذلك النعيم لا يدوم وبان وظيفتي تضطرني بعد حين الى العودة الى فينا وان أنا عملت بنصيحة البرنس واشتغلت في السياسة اضطر الى الرحيل الى البلاد النائية .

ولما قرب يوم الرحيل تولاني الحزن والكدر ولم يخف ذلك على ابنة عمي فقالت لي

— ما السبب في كآبتك ؟ ان والدي يحبك كابنه والكل هنا يحبونك فلا أظنك كئيباً من اقامتك بيننا

فأجبتها : — لست كمن ثيباً الاقامة عندكم بل أنا حزين على رحيلي العاجل عنكم

— ولكننا اذا افترقنا تدوم لنا الذكرى وذكر الاحبة يعزي

— صدقت ولكن البعد يولد الجفاء وتقلبات الايام لها شؤون ليست في الحسبان

— ان تقلبات الايام لا يمكنها ان تزعزع حباً خالصاً من كل شائبة مثل حبنا اياك

وبعد سكوت وجيز عادت فقالت وعيناها مغرورقتان بالدموع : — كيف يمكن ان ينسى أحدنا الآخر بعد ان تآخينا ؟

فأثرت نظرها في فؤادي تأثيراً كاد يذيبني ولولا القليل لخانني صبري وبحت بغرامي ولكنني لم أعمل لحسن الحظ وأجبتها

— نعم ان محبتنا تدوم ولكن أحوالنا تتغير وتتغير معها المحبة فهل تظنين انني اذا عدت لى هنا بعد بضع سنين تظل محبتنا مثلما هي اليوم؟

— ولماذا لا تظل مثلما هي ؟

- لانك تكونين اذ ذاك زوجة وتنهمكين بأمور جمة تشغلك عني

وما كدت انتهي من عبارتي حتى اصفر وجه البرنسيس ولزمت الصمت وبعد قليل انصرفت وتركتني في حيص بيص

وفي مساء ذلك اليوم أتاني كتاب من والدي يأمرني فيه بالعودة اليه على جناح السرعة .

وفي الغد حين قابلت البرنس لاودعه قال لي ان ابنته منحرفة المزاج ولزمت سريرها ولذلك لم تقابلني لتودعني وانها كلفته بابلاغي سلامها . اما البرنس فودعني وداع الاب لابنه وسألني من أزورهم كلما سمحت لي الفرص . وأعاد علي نصيحته بترك خدمة الجيش والاشتغال بالسياسة

ولما عدت الى والدي وجدته أحسن حالا من ذي قبل ولكنه لايزال حتى اليوم طريح الفراش غير ان حالته العمومية لاتدعو الى القلق . ولم يخفَ على والدي ماتولاني من الكآبة والغم بعد فراق حبيبتي فسألني مراراً عديدة ان أطلعه على حقيقة أمري فلم أكن أجيبه على سؤاله ولكن كان ينوب عني لسان حالي ويقول :

نعم أنا مشتاق وعندي لوعة

ولكن مثلي لا يباح له سر

اذا الليل اضواني بسطت يد الهوى

واذللت دمعاً من خلائقه الكبر

اجل ذلك ماكان فاني اذللت دمعي . وفي ذات ليلة فيما كنت ساهراً عند فراش ابي وأنا اظنه نائما ذكرت حبيبتي وبكيت فرأى أبي الدموع تتساقط على خدي وانا لا أدري

وفي صباح الغد كتبت لك هذا الخطاب في مكتبتي الخاصة ولما بلغت آخره دخل عليّ والدي وكنت اظنه في فراشه ولما رأى اوراق هذا المكتوب الطويل قال لي وهو يبتسم

- لمن تكتب ؟

— اكتب لمكسيمليان يا ابتي

فقال لي بلهجة المؤنب : — هو اسعد مني لانك تطلعه على أسرارك وتكتمها عني

فأثر بي تأنيبه هذا فناولته المكتوب وقلت له .

— اقرأه يا أبتي

ففعل وبعد ان قرأه ظل مفكراً برهة ثم قال لي .

-لا بدَّ لي ياهنري من ان اكتب للبرنس وأخبره بما جرى اثناء اقامتك في جيرولستين

فقلت له : — لا تفعل ناشدتك الله

فقال لي : — هل ما ذكرت لكسيمليان في كتابك هو الحقيقة تماما ؟

— نعم

— لم يبدأ اذن منك أمر مشين فلا يحقد البرنس عليك ولكن أرجو ان لا تفعل في المستقبل ما يضيع ثقته فيك

— هل تظن اني اقدم على عمل . . .

— اظن انك اذا ملت لشيء تتفانى في حبه فما بالك اذا ملت الى البرنسيس اميلي أميرة الجمال

. وما تقول للبرنس في كتابك ؟

— انك تحب ابنته حباً يذيب فؤادك

— لا لا يا ابي بربك لا تفعل ! . .

— هل تحب ابنة عمك ؟

— بل اني أعبدها ولكن...

فقطع والدي حديثي وقال لي . — اذن سأكتب للبرنس

وأطلب منه يد ابنته

— ولكن مثل هذا الطلب يعد تهوراً وقحة مني ..

— ربما كان ذلك ولكن شرف النفس تقضي عليّ بان أطلع البرنس على الحقيقة وان اطلب منه يد ابنته فان رفض وهو المرجح عندي يعلم بعد ذلك انه لا يجوز السماح لك وللفتاة بالالفة التي اعتدتما عليها اذا عدت يوماً ما الى جيرولستين وبما انك سمحت لي بالاطلاع على كتابك لصديقك صار من الواجب عليّ وقد عرفت الحقيقة ان اكتب له على الفور

هذا ما جرى أيها الصديق العزيز ولا أدري كيف يكون وقع كتاب والدي على البرنس. وكل خوفي ان يجرح تصرفنا هذا احساسات ابنة عمي اميلي لاني أطلعت والدي على رغبتي في الاقتران بها من دون ان أبوح لها بغرامي وان انال رضاها

هذا بشأنه الآن وعما قريب اكتب لك وأطلعك على ما يجد من الاخبار وأطال بقاءك المخلص لك

هنري

. . . . . . . . . . . . . . . . . .

والآن نذهب بالقارئ الى قصر جيرولستين حيث تقيم المغنية منذ عودتها من فرنسا

## ﴿ الفصل الثاني ﴾

### ( البرنسيس اميلي )

أقامت زهرة مريم في قصر جيرولستين في قاعة اعتنى البرنس ورداف بفرشها هو نفسه فكان ما بها من فاخر الرياش يأخذ بمجامع العقول ولم يكن لتلك القاعة مثيل في كل القصر وكانت نوافذها تشرف على دير سان جرمان وحول ذلك الدير حقول كستها الخضرة ودبجتها الزهور يعلوها جبل يناطح السحاب وعلى سفحه احراش من شجر السنديان

وفي ذات صباح من ايام الصيف كانت زهرة مريم جالسة امام نافذة قاعتها تسرح الطرف في تلك المناظر البهجة الممتدة الى آخر مرمى العين . وكانت لابسة ثوباً أبيض تزينه خطوط زرقاء وجالسة على كرسي من خشب الابنوس ومرفقها مسند الى الكرسي ورأسها ملقى على يدها العاجية . وكانت جلستها واصفرار وجهها وشخوص نظرها وابتسامها التكلفي علامات

تدل على انها كئيبة مغمومة

ظلت على تلك الحال برهة ثم تنهدت تنهداً عميقاً وأزاحت يدها المسند اليها رأسها فازداد هذا انحناء كانما هو وازح تحت هم ثقيل أو مصاب أليم

وفي تلك الاونة دخلت القاعة امرأة تناهز الخمسين تدل هيئتها على الرفعة وكرم الاصل وكانت مرتدية ملابس بسيطة ولما ولجت الباب سعلت لتنبه زهرة مريم بدخولها فأفاقت هذه من ذهولها ورفعت رأسها وبعد ان حيت الداخلة عليها بكل لطف واحترام قالت لها

— ماذا تريدين مني يا عزيزتي الكونتيس ؟

— جئت اخبرك يامولاتي البرنسيس بان البرنس والدك سيزورك بعد حين

— اني انتظر قدومه بذاهب الصبر لأقبله ولا ادري ما السبب في تأخره اليوم . ولعل كثرة ترددك على القصر ليس ناتجاً عن انحراف صحة الآنسة هرنيم

— طمني بالك يا مولاتي فان الآنسة هرنيم كلفتني بالقيام مقامها اليوم وغداً تعود الى خدمتك وأرجوك ان تعذرينا على

هذا التبديل

— اني اعذركما ولا شك لان ذلك لا ينغصني فبعد ان اسر بصحبتك يومين ياعزيزتي الكونتس تعود الى المدموازيل هرنيم وتقيم معي يومين ايضاً

فاحنت الكونتس رأسها وأجابت . — انك توسعيني لطفاً يامولاتي مما يجعلني التمس منك حاجة

— تكلمي فانك تعلمين بميلي الى عمل كل ما يسرك

— نعم انك عودتيني يامولاتي من زمن بعيد على معاملتي بالطيبة غير ان الموضوع الذي أريد اكلمك عنه هو صعب حتى اني لا أجسر على مفاتحتك به

---

تم الجزء الثامن ويليه الاخير

لم تنته رواية مكنونات باريس في هـذا العدد لاننا لم نشأ اختصارها خوفاً من لوم القراء وبما ان الباقي منها لا يشغل كل العدد القادم لذلك سنختار حكاية ظريفة يتم بها السنة الاولى

والمرجو من حضرات المشتركين الكرام الذين لم يسددوا بعد بدل الاشتراك ان يواصلونا به تحويلا على البريد تنشيطاً لنا على مواصلة هذه الخدمة التي راقت لحضراتهم والسلام

# الفكاهات العصرية

مجلة روائية أدبية تاريخية

لصاحبها

عبد الله غراله

| السنة الاولى | العدد ٣٣ |
| --- | --- |

روايات يثوب الكهل منها بتفكهة وتخلية لفكرِ
ويقرأها الفتى فيطيب نفساً بما يلفيه من خَبَرٍ وخُبْرِ

خليل مطران

# رواية

# مكنونات باريس

تأليف

القصصي الشهير في عالم الحرير اوجين سو

ورواية دهاء البوليس

تعريب

الكاتب البليغ والطبيب البصري البارع

الدكتور ابراهيم شدودي



مطبعة العرب

## ايضاح

تركنا القاري، في العدد الماضي بينما كانت البرنسيس اميلي تتحدث مع وصيفتها الكونتس وتقول لها بانها تجيب كل طلباتها مهما كانت : فقالت لها

— تكلمي يا عزيزتي الكونتس فاني اترقب بذاهب الصبر كل فرصة تمكنني من عمل الخير

— اريد اكلمك عن أمرأة مسكينة تركت جيرولستين قبل أن تؤسسي فيه الملجا الخيري للفتيات اليتيمات اللواتي ليس لهن من يعولهن

— وماذا جرى لتلك الفتاة ؟ وماذا تطلبين لها ؟

— أن والدها هاجر الى امريكا التماساً للرزق وترك زوجته وابنته في حالة عوز يرثى لها ثم توفيت الام قبل أن تبلغ ابنتها السادسة عشرة ولما لم تجد لها معينا هجرت الديار اذ اغراها رجل مفسد فتبعته الى فينا ولكنه مالبث أن هجرها مثلما يحصل عادة للذين يقعون في شرك الرجال فاصبحت من اشقى خلق الله

ولما سمعت زهرة مريم ما قالته الكونتس نكست رأسها

الى الارض واحمرت وجنتاها واصابتها رعشة خفيفة لم تخف على الكونتس اما هذه فخافت أن يكون كلامها خدش مسمع البرنسيس لما تعهده فيها من الورع والتقوى فقالت لها

— اسألك العفو يا مولاتي عما قلته لك من الكلام الثقيل على السمع ولكنني لم اتجاسر على ذكر تلك الشقية الا لعلمي بانها نادمة على ما فرط منها فاردت أن يكون لها نصيب من مراحمك .

فتملكت زهرة مريم على عواطفها لتخفي ما بدا عليها من الانفعال واجابتها

— لقد احسنت صنعا وارجوك أن تتمي حديثك عن تلك الفتاة وكل خاط يستحق الرحمة والشفقة اذا ندم على ما فرط منه

— وهذا ما حصل لتلك الفتاة التعسة فبعد أن ظلت سنتين فى اسفل دركات الانحطاط تولاها الندم وعادت الى هنا ومن غريب الصدف أن يوم وصولها نزلت في بيت لارملة صالحة تحسن الى الفقراء ولما آنست الفتاة الطيبة من الارملة افرت لها بهفوتها واظهرت لها اشمئزازاً من ماضيها وسألتها أن

تسعى لها في ادخالها أحد الاديرة حيث تظل طول حياتها تستغفر ربها. وبما أن الارملة تعلم أنني في خدمتك كتبت الي ترجوني أن أنظر في أمر الفتاة وأن التمس منك الواسطة لادخالها لدير سنت أرمانجيلد وهي ترجو أن يكلفوها في الدير باشق الاشغال لتكفر عن ذنوبها وقبل أن اكلمك يامولاتي عن تلك الفتاة حادثتها مراراً وثبرت غورها فتحققت ان ندمها صادق ثابت ولم يدفعها الى السبيل القويم الحاجة او كبر السن. فانها لم تتجاوز الثامنة عشرة فضلا عن انها جميلة جداً وتملك شيئاً من المال وقد آلت على نفسها ان تحسن الى الفقراء بكل ماتملك اذانالت بغيتها ودخلت الدير

فازداد انفعال زهرة مريم حين ذكرت ان ماقاسته في باريس يشبه ماتقاسيه تلك التعسة فقالت للكونتس

— أعدك بأنني سأنظر في أمرها لان ندمها على ذنوبها يشفع بها

وما كادت زهرة مريم تتم عبارتها حتى سمع وقع أقدام فقالت الكونتس:

— هذا مولاي البرنس قادم فانني أسمع وقع أقدامه

وبعد هنيهة دخل رودلف وفي يده طاقة كبيرة من الزهر فلما أبصرته الكونتس انسحبت وما كادت تتوارى حتى وثبت زهرة ريم على أبيها وطوقت عنقه بذراعيها واسندت جبينها الى كتفه وظلت صامتة بضع ثوان فقال لها رودلف وقد ضمها الى صدره ولم يكن لحظ علامات الحزن البادية على وجهها

— أسعد الله صباحك يا بنيتي أنظري ما أجمل هذه الطاقة التي أتيتك بها وقد قطفت كل هذه الزهور بيدي ولذلك تأخرت عن ميعادي

وكانت طاقة الورد لاتزال في يد البرنس فتراجع قليلا الى الوراء ليتخلص من ذراعي ابنته ويقدم لها الطاقة ولكنه لما أبصر وجهها رأى الدموع تتساقط على خديها فالقى طاقة الزهر على منضدة كانت هناك وأمسك يدي ابنته وهتف قائلا

— رباه ! لماذا تبكين ؟ مابك ؟

— مابي شيء يا أبي

قالت ذلك ومسحت دموعها وتكلفت الابتسام فلم يخف تصنعها هذا على والدها فقال لها

— ناشدتك الله خبريني ماذا أصابك؟ من الذي أحزنك

— ثق يا أبتي من ان ليس بي شيء يوجب انشغال بالك واعلم ان الكونتس توسلت الي ان آخذ بناصر فتاة فقيرة فقد أثر بي ماذكرته من حالة الفتاة الشقية فبكيت

— أصادقة أنت في ماتقولين؟

فأخذت زهرة مريم طاقة الورد وأجابت أباها

— نعم قد ذكرت لك كل الحقيقة ولم أخف عنك شيئاً ولكن أراك تبالغ في تدليلي . . فما أجمل هذه الطاقة التي جئتني بها وكم ابتهج حين اذكر انك كل يوم تهديني مثل هذه الطاقة

فأخذ رودلف يتأمل ابنته والقلق باد على وجهه ثم قال لها

— انك تكتمين عني أمراً يا بنيتي فانك تتكلفين هذه الابتسام فقولي لي بحقك ما الذي يحزنك ولا تهتمي بهذه الزهور

— كيف لا اهتم بها وأنت تعلم انها موضوع سروري وبهجتي كل صباح وتعلم انني أحب الورد ألست تذكر شجرة الورد الصغيرة التي ذكرتها لك والتي لا ازال أحفظ بقاياها؟

فلما فكر رودلف في ذلك الزمن الغابر هتف قائلا

-- لاشك اني مصيب في ظني وانك برغم ماأنت فيه من النعيم مازلت تذكرين ذلك الماضي المحزن وكنت اؤمل ان ماأبذله في سبيل رضاك ينسيك ذلك الماضي الاسود

— عفوك ياأبتي على ماسببته لك من الشجن

فاجابها رودلف بصوت حزين

— يؤلمني ان ذكرك الماضي يضر بك فهو لحياتك كالسم

— انني لم اذكر الماضي سوى اليوم ياابتي

— الاحرى بك ان تقولي انك لم تبوحي لي بذلك الا اليوم وقد ظننت مراراً ان حزنك ناتج عن ذكر الماضي ولكنني لم افاتحك بالامر خوفاً من ان يكون حزنك ناتج عن سبب آخر فيكون استعلائي مجلباً للضرر الذي أريد تجنبه

— خوفك عليَّ يدل على انك معدن الطيبة

فاخذ البرنس ينصح ابنته بالاقلاع عن ذكر الماضي ويثبت لها بالادلة القاطعة انها لم تكن مخيرة في كل أعمالها حين كانت بلا معضد ولا مرشد وانها ان ارتكبت ذنباً فقد كفرت عنه بما قاسته من الشقاء في بدء حياتها

واذ ذاك فتح باب القاعة ودخلت كليمنس التي صارت

تدعى دوقة جيرولستين العظيمة فدنت من زوجها وناولته خطاباً وهي تقول

— خذ أيها الحبيب هذا كتاب من فرنسا وقد أتيتك به لاتمكن من رؤية ابنتي الكسولة فاحييها لانني ما رأيتها هذا الصباح

ثم ضمت كليمنس زهرة مريم وقبلت جبينها

وبعد ان قرأ رودلف الكتاب أبرقت أساريره وقال

— قد جاء هذا الكتاب في أوانه لاننا كنا نتكلم عن الماضي الذي لابد لنا من قتله ياعزيزتي كليمنس لانه يتهدد سعادة ابنتنا

فاجابته كليمنس : — أتظن ان ذلك هو السبب في ما نرى الفتاة عليه من الحزن الدائم ؟

— نعم ليس لكآبتها سبب سوى ذكر الماضي ولكننا الآن نعرف عدونا ونعرف كيف نحاربه ونتغلب عليه

فقالت له كليمنس : — ولكنك لم تذكر لي من أين أتاك هذا الكتاب

— أتاني من الضحوكة اللطيفة امرأة جرمان

— فقالت زهرة مريم : — الضحوكة ! ما اسعد حظنا بالوقوف عن أخبارها!

فقالت كليمنس لرودلف همساً : — ألا تخشى ان هذا الكتاب يذكر ابنتنا بأمور محزنة ؟

— لا لا اظن انه يكون كالبلسم لجراحها لان الضحوكة كانت تحبها حباً شديداً وتقدرها قدرها

ثم انه قرأ الكتاب الآتي

من مزرعة بوكيفال في ١٥ اغسطس

«مولاي

«أتجاسر على الكتابة لك مرة أخرى لابشرك بأمر كان سبباً في سعادتنا ولا التمس منك منة فوق مالك علينا من الافضال لاننا أنا وجرمان وأمه مدينين لك بنعيم الفردوس المقيمين فيه

«فاعلم يامولاي انني رزقت ابنة منذ عشرة أيام وهذا هو سبب سعادتي العظيمة ومنذ ولادتها دار الجدال بيني وبين جرمان فهو يقول انها تشبهني وأنا اقول انها تشبهه وامه تقول انها تشبه كلينا فان عيناها زرقاوان كعيني جرمان وشعرها

اسود كشعري واني اغتنم هذه الفرصة لاشكو اليك جرمان فانه غير عادل في احكامه اذ يبقي ابنتنا على ركبته طول النهار ويحرمني منها . اعدل هذا يامولاي ؟ »

فقال رودلف — ما ارق عواطف جرمان وزوجته وما اسعدهما فكان الله خلق احدهما للآخر

ثم عاد الى تلاوة الكتاب فقرأ ما يأتي

« والامر الذي نرجوه منك يامولاي انا وزوجي هو ان تختار اسما لابنتنا المحبوبة لاننا سنعمدها عما قريب وسيكون عراباها شخصين انقذتهما من الهلاك وصيرتهما سعيدين مثلنا وهما موريل صقال الجوهر وجان ديبور »

فقالت زهرة مريم لابيها : — الا ترى ياوالدي ان عمل جرمان وزوجته يدل على رقة عواطفهما فهما قد اتخذا لابنتهما عرابا مدينا لك بسعادته وعرابة مدينة لامي الجديدة بسعادتها

فاجابها رودلف وزوجته بصوت واحد :

— صدقت ايتها العزيزة

ثم عاد رودلف الى القراءة

« واعلم يامولاي ان موريل صار الآن يتاجر بالحجارة

الكريمة بفضل الرأس مال الذي وهبته اياه وصار يربح ما يقوم بنفقات عياله وقد بلغنا ان ابنته لويز النشيطة ستتزوج عما قريب شاباً من العمال يحبها ، يحترمها وهي تستحق الاحترام لانها فعلت مافعلته في بدء نشئتها غير مخيرة ولم يخف ذلك على الشاب الذي يحبها »

فقال رودلف لابنته .

— كنت واثقا من ان أجد في جواب الضحوكة أخباراً مفرحة تنسيك الماضي الاترين كيف تقول عن لويز انها كانت تعسة لا مذنبة وان خطيبها يقدرها حق قدرها؟

فلم تزدد زهرة مريم الا كآبة من تلاوة ذلك المكتوب ولا سيما حين ذكر آخر جملة منه ثم عاد البرنس الى تلاوته

«سيكتب لك جرمان مثل عادته في آخر كل شهر عن سير أشغال البنك الذي أسسته لاعانة الفعلة الذين لاشغل لهم وسيخبرك ان أعمال ذلك البنك سايرة على قدم النجاح وانك بهذا العمل أنقذت كثيرين من الشقا في حي الفعلة وكل من سمع بهذا المصرف يباركك لانه وان كان أسس بمال غيرك فالكل يعتقدون انك كنت السبب في تأسيسه . ومدام بيبليه

هي التي تزيع مالك من الفضل في كل مكان ولا تزال تسأل الله ان يطيل بقاك لانك أسعدتها وأسعدت زوجها بتعينه حارساً للمصرف فقد أصبح الآن في أمن من ملاحقة كبريون

«ومن الاخبار التي يهمك الوقوف عليها ان مارسيال الذي أنعمت عليه بمزرعة في بلاد الجزائر أظهر شجاعة فايقة الحد في صد هجمات العربان على الحدود وأبلى بلاءً حسنا والاغرب من ذلك ان زوجته الذئبة كانت تقاتل الى جانبه وقد جرحت في احدى المواقع وابراعتها في اطلاق الرصاص على العدو لقبوها بسيدة البنادق

«اني اكتب لك من مزرعة بوكيفال حيث اجد السعادة بين زوجي وأمه الحنونة ويذهب جرمان كل صباح الى أعماله ويعود مساء وفي فصل الخريف سنعود الى باريس. والغريب انني صرت أعشق سكنى الخلا بعد ان كنت أنفر منها والسبب في ذلك ميل جرمان اليها وكل ما يفعل المحبوب محبوب

«وعلى ذكر المزرعة ان كنت تعلم أين مقر الفتاة الملقبة بالمغنية وكانت بينكما مخابرة فاذكر لها يا مولاي أن كل أهل المزرعة يذكرونها بالخير. وكلما ذكرت انك كنت المحسن اليَّ واذكر

أمك تكتنف المغنية بحمايتك أيضاً يطمئن بالي على مستقبلها وأكرر رجاي يا مولاي بان تنتقي لنا اسما لابنتنا العزيزة لاننا نستبشر بذلك جداً

« ولا أستحي ان قلت لك اننا أنا وزوجي نحسن الى البؤساء جهد المستطاع وليس الغرض من ذكر ذلك المفاخرة وانما نريد ان تعرف اننا نشاطر المعوذين ما نلناه من انعامك وكلما أحسنا الى أحد نقول له : « لسنا نستحق الشكر ولكن الذي يستحقه هو الموسيو رودلف أكرم المحسنين على الارض

« والآن استودعك الله يا مولاي داعية لك بطول العمر واؤكد لك ان أول كلمة تنطق بها ابنتناهو اسمك الكريم ولا تؤاخذني اذا وجدت هذه الاسطر الاخيرة مطموسة لان الذكرى هيجت أشجاني فبكيت وتساقطت دموعي على الكتابة فطمستها

« وفي الختام أهديك يا مولاي التحية والاكرام »

خادمتك المقرة بجميلك

الضحوكة مدام جرمان

ولما انتهى رودلف من تلاوة تلك الرسالة الطويلة تأثرت

زوجته كليمنس وهتفت قائلة :

ما أطيب قلب الضحوكة وما أرق عواطفها !!

فاجابها ر. دلف : — صدقت وقد صادف حسن صنيعي اهله ولا شك ان ابنتنا العزيزة تشاركنا في اكرام الضحوكة ولكنه لما تأمل وجه ابنته ورأى اصفراره المخيف هتف قائلا

— ما بك يا بنيتي ؟

— أواه ! ان البون بيني وبين الضحوكة شاسع اماهي فحياتها تنحصر في أربع كلمات وهي : عمل. وحكمة. وشرف وسعادة . كانت فتاة عاقلة نشيطة فاصبحت زوجة محبوبة وامًا سعيدة وسيدة محترمة هذا ماقدر لها .. اما أنا ...

— يالله ! ماذا تقولين ؟

— عفوك يا ابتي. لا تحسبني للؤم ونكران الجميل . واعلم انني برغم حنوك الزائد وعطف والدتي زوجتك عليّ وبوغم ما ألاقيه هنا من الاكرام والاحترام . وبرغم مالك من الجاه والسؤدد أرى ان العار الذي وقعت فيه لايمحى . ولا توجد وسيلة تزيل مني ذكر الماضي . فلا تؤاخذني يا ابتي على

كتمان هذه الحقيقة عنك حتى اليوم ان ذكر الماضي يقتلني يا والدي

فقال رودلف لزوجته واليأس ملء فؤاده :

— هل سمعت يا كليمنس ؟

فقالت لها كليمنس .. كيف لا تنسين الماضي ايتها العزيزة وانت موضوع محبتنا واكرام كل اهل القصر ؟

فقال رودلف وهو مطرق ويده على جبينه

— هكذا قدر فكان . ان هذه الافكار المهلكة رسخت في ذهنها وبدأت تفتك بها ولم يعد في امكاننا استئصالها .. ويلاه ما أشقاني وما أتعس حظي ؟

فقالت له كليمنس

تشجع أيها العزيز . ألم تقل لي مرارا انك تفضل ان تعرف عدوك لتعرف كيف تحاربه ؟ واذ قد عرفنا الآن سبب اشجان ابنتنا صار في امكاننا التغلب عليه ويعيننا على ذلك الحق والعدل والمحبة

وبعد سكوت وجيز أمسكت زهرة مريم باحدى يديها يد والدها وبالاخرى يد كليمنس وقالت لهما بصوت مضطرب

— اصغيا الي . اراد الله ان لا اخفي عنكما ما اشعر به

واني أشكره على ذلك . وبعد حين اطلعكما على ما الهمني الله به فان لكل عذاب نهاية

فهتف رودلف قائلا : — فهمت مرادها . . قد تولاها اليأس وقطعت الرجاء

— ما زلت اومل في المستقبل يا ابتي . ولولا هذا الامل لما أمكنني ان أكلمك على هذه الصورة

— وماذا تؤملين في المستقبل اذا كان حاضرك حزن وكآبة ؟

— سأذكر لك ما اؤمل يا ابتي ولكن اسمح لي قبل ذلك ان أذكرك بالماضي . وان أعترف لك امام الله بكل سرائري

فقال لها رودلف : — تكلمي فانا مصغون

— لما كنت في صحبتك في باريس كنت اعد نفسي أسعد خلق الله . فترى انني لم احرم من السعادة طول حياتي

— ولكن تلك السعادة لم تطل اكثر من بضعة ايام

— لا بل طالت كثيراً ولما عرفت انك والدي طفح قلبي سروراً وازددت حبوراً حين علمت ان المركيزة درفيل ستكون لي أماً

فقالت لها كليمنس : — اذن ما الذي بدل ذلك السرور بهذا الكدر الذي نراك فيه؟

— ان لهذا الانقلاب سبباً لم يكن في الحسبان

— ما هو ذلك السبب ؟

فقالت زهرة مريم لرودلف بصوت مرتجف

— اتذكر يا والدي ذلك المشهد الفظيع الذي رأيناه يوم سفرنا من باريس حين أوقف الاوباش عربتك ؟

فاجابها رودلف بصوت حزين

— نعم مازلت أذكر تلك الساعة المنحوسة .. لهفي عليك ياسفاح !! بعد ان أنقذ حياتي مرتين ذلك الشجاع الباسل قتل اشنع قتلة امام اعيننا

— اتدري من رأيت يا ابنتي حين كان ذلك الشجاع يلفظ آخر نسمة من حياته؟ رأيت شخصاً نظر الي نظرة لا تزال مطبوعة في مخيلتي حتى هذه الساعة

— ما هي تلك النظرة ؟ عمن تتكلمين؟

— عن مدام بونيس صاحبة الخمارة التي دخلناها معاً ليلة رأيتني اول مرة مع السفاح

- هل رايت تلك الفاجرة؟ واين كان ذلك؟

- كانت في الخمارة التي مات فيها السفاح ولكنك لم ترها بين النسوة اللواتي كن هناك

قد ادركت الآن سبب حزنك. انك بعد اضطرابك في مقتل السفاح حدثتك نفسك بسوء مقبل حين ابصرت تلك المرأة الجهنمية. أليس كذلك؟

نعم يا أبتي انني حين ابصرت تلك المرأة شعرت بقشعريرة الموت وخيل لى ان نبضات قلبي تكاد تقف من تأثير نظرها بعد ان كان طافحا سرورا. نعم أن رؤية تلك المرأة ساعة احتضار السفاح كان كقصاص الهي لي على نسيان الماضي الذي كان يجب علي التكفير عنه بالتواضع والتوبة

- ولكنك كنت غير مخيرة في كل ما أتيته في الماضي فلست مسأولة عنه امام الله الديان

وقالت لها كليمنس. - نعم قد اجبرت على الوقوع في تلك الهاوية

وقال لها ابوها. - وبعد وقوعك في تلك الهاويه رغم انفك لم يعد في امكانك الخروج منها على رغم وخز ضميرك

والسبب في ذلك عدم شعور القوم الاجلاف الذين كانوا محيطين بك . فكنت فيما بينهم كالمقيدة بسلسلة من حديد ولو لم تسقني اليك يد الاقدار لبقيت على تلك الحال الى ماشاء الله

وقال لها كليمنس . — الست تعلمين مثلا ان وقوعك في تلك الهاوية كان اضطرارا لا اختيارا ؟

فاجابتها زهره مريم والحزن ملئ فؤادها

— ولكن الوصمة القبيحة التي وصمت بها لا تمحي . ولاشيء يمحو تلك الذكرى المؤلمة التي تبعتني الى هذا القصر الفخيم لا تفارقني طرفة عين حتى حين اكون بين ذراعي والدي

وخان زهرة مريم صبرها فاستخرطت في البكاء . وتساقطت دموعها على خديها الذابلة تساقط الندى على الورد الابيض

ولما رأى رودلف وزوجته ان الفتاة لم تجد أقل تعزية في كلامهما ورأيا ماكانت عليه من الالم شاركاها في البكاء . وعادت زهرة مريم فقالت بعد ان كفكفت دموعها

— ومنذ وقعت عيني على تلك المرأة في ذلك اليوم المشؤم صرت اقول في نفسي والخجل اخذ مني « كيف اكون موضوع الاكرام وكيف يتمنى خدمتي ذوو المقامات السامية

وكيف تتنازل اخت الامبراطور الى ربط عصبتي وقد قضيت حياتي في اقذر احياء باريس بين اللصوص والقتلة لا تلمني يا والدي على هذا الشعور بل اعزرني فانني كلما ارتفعت منزلتي في هذا القصر ازداد حزنا والما حين اذكر ذلك الماضي وكم يكون خجلي اذا عرف حقيقة امري الاشراف المحيطون بي الذين يوسعونني اكراما وتعظيما

فقال لها رودلف اننا انا ووالدتك نعرف حقيقة امرك وقدر مركزنا في العالم حق قدره ومع هذا نحبك حبا جما ثم اذكري انك منذ وصولك الى هذه البلاد حتي الساعة مازلت تحسنين الى البؤساء المعوزين وقد شدت ملجاء للفتيات اليتيمات اللواتى لا نصير لهن وما زلت تبذلين قصارى الجهد في اعالتهن . الا تكفي هذه لمبرة للتكفير عن ذنوب اقترفتها مرغمة لاخيرة ؟ ... واذكري ان رئيسة دير سانت هرمنجلد تحبك وتكرمك وذلك اكبر دليل على رفعة منزلتك في عينيها وهي كما يعلم الجميع لا تحب الا اللواتى يزينهن الورع والتقوي والميل الى عمل المبرات

— حين تمدحني هذه الرئيسة على فعالي الحاضرة لا اشعر

تؤخز ضمير ولكنها حين تتخذني كانموذج وتنصح الى التلميذات ان يقتدين بي وحين تنظر اليّ تلك الفتيات نظر الاحترام ويتصورن اني مثال التقوي وحسن الخصال اكاد اذوب الماً لاني اكذب على الله والناس

وعقب تلك المحاورة سكوت طويل ثم قال رودلف وقد بدت على وجهه علامات الحزن واليأس

ـ ارى يابنيتي ان كل مانبديه ونعيده لاقناعك لايجدي نفعاً . وان ماترينه من البون العظيم بين ماضيك وحاضرك يسبب لك حزناً دائماً فانا اسألك العفو

ـ انت ياأبتي تسألني العفو ؟ وعلى م يارباه !!

ـ على انني لم انظر في العواقب . كان يجب عليّ حين عرفت رقة عواطفك ان توقع ماحصل ولكن هل كان في امكاني منعه ؟ كلا . اذا كان من الواجب عليّ الاعتراف علناً بانك ابنتي وذلك يستلزم حتما اكرامك الذي يؤلمك . وياله ماأتعس حظي قد ظننت ان الله غفر لي ذنبي الى والدي ولكنني مخطيء في ظني ولا يزال ربي ينتقم لذلك الوالد فاشقاني واشقي ابنتي ليكون المي مزدوجا

وفي تلك اللحظة قرع الباب فقطع رودلف حديثه وفتح فدخل عليه مورف وقال له

- لا تؤاخذني يا مولاي على ازعاجك . فقد جاء رسول من قبل البرنس دي ركوزن اولدنزال يحمل هذا الكتاب ويقول انه من الاهمية في مكان ويلزم تسليمه لسموك حالا

فاخذ رودلف الكتاب من مورف وقال له

- أشكرك أيها الصديق وأرجوك ان لا تبرح القصر لاني أريد محادثتك في أمر ذي بال

ثم أغلق رودلف الباب وقرأ الكتاب وهذا نصه

« مولاي

« ان ما بيننا من صلة الرحم والمودة التي لا تشوبها شائبة وما أكنه لك من المحبة والاكرام يجرئني على مفاتحتك في أمر هام جداً

« لما عدت من فرنسا منذ خمسة عشر شهر جئتنا بفتاة هي الملاك الطاهر ومثال الجمال وطيبة القلب ودماثة الاخلاق أعني بها البرنسيس اميلي . والذي يزيدنا حباً لابنتك هذه هو عظيم محبتك لها لانك كنت تظنها مفقودة ثم تحققت

انها لم تبارح أحضان امها. وقبل ان تمت هذه تزوجتها فاصبحت البرنسيس اميلي ابنتك الشرعية فهي اذن اميرة ابنة أمير. ولست في حاجة الى ذكر محاسنها من جمال ورقة وأدب فانت يامولاي اعلم بها مني اذ ليس من سمع كمن رأى. وأنا ما وقفت على وصف البرنسيس اميلي الا من كتاب اتاني من شقيقتي رئيسة دير سنت هرمنجيلد التي تشرفت بمعرفة ابنتكم حق المعرفة والآن اسمح لي يامولاي ان أبدأ في موضوع هذا الكتاب الهام. ولولا المرض الذي ألقاني في الفراش منذ أيام عديدة لكنت أتيت الى جيرولستين لا تكلم معك في هذا الموضوع

«فاعلم يا مولاي ان ولدي هنري لما زاركم كان يقضي اوقات طويلة مع البرنسيس اميلى فنتج عن ذلك انه وقع في هواها وصار يحبها حباً يبرحه ولكنه أخفى عنها ذلك الحب فرأيت من الواجب علي يا مولاى ان أطلعك على هذا الامر لعلمي بأنك دعيت ولدي لزيارتكم مرة أخرى والاقامة فيما بينكم فلا أريد ان يكون ذلك وانتم جاهلين حقيقة الامر وأنا أعلم يا مولاي ان مركز ابنتكم السامي يجعلها تطمح باولاد

الملوك الذين لا نعد شيئاً بالنسبة اليهم ولكنني أعلم من جهة أخرى انك والد شفوق رقيق العواطف واعلم انك اذا كنت ترى في زفاف ابنتك الى ولدي سعادتها فلا تنظر الى ما بيننا من البون الشاسع في المقام والغنى. ولا يجوز لي ان اعدد حسنات ابني هنري ولكنني أذكرك بما قلته له انت نفسك مراراً من عبارات الاطناب والمدح

«هذا كل ما يمكنني ان أقوله لك في هذا الموضوع ومهما كانت النتيجة أرجوك يا مولاي ان تعتقد باننا نخضع لرغبتك باحترام وأظل على الدوام خادمك المطيع»

غوستاف بولص برنس درجوزت اولدنزال

وبعد قراءة هذا الكتاب أطرق رودلف وظل يفكر برهة ثم خطر له خاطر أحيي آماله فعاد الى ابنته وقال لها

— لقد صدقت يا بنيتي في قولك لي ان هذا اليوم سيكون يوماً مشهوداً فان هذا المكتوب الذي أتاني من ابن عمي يؤيد نبوتك

— وما هو موضوع هذا المكتوب يا ابتي ؟

— ان موضوعه ربما يسبب أشجان جديدة

— لمن يا ترى ؟

— لك لانك لم تبوحي لنا ببعض أشجانك

— أرجوك الاسهاب ياوالدي فاني لم أفهم مرادك

— نعم الآن يمكنني ذلك واني لم افاتحك بهذا الامر من ذي قبل الا لجهلي ان اليأس بلغ منك المبلغ الذي أظهرته اليوم فاصغي اليَّ يابنيتي انك لما قلت لي في بدء حديثنا انه لم تبقَ لك آمال ولا مطامع في هذا العالم فهمت مرادك وأيقنت انك تريدين الدخول الى الدير أو بعبارة أخرى تريدين ان تدفني حية

— أبي ماذا تقول ؟

— هل أصاب سهم ظني المرمى ؟

فاجابته زهرة مريم بصوت مختنق : — نعم ياأبتي اذا كنت تسمح بذلك

فهتفت كايمنس قائلة : — كيف تتركينا ؟

— ان دير سانت هيرمنجيلد قريب من جيرولستين فيمكنني ان أراكما كل يوم

فقال لها أبوها : — اذكري يا بنتي انك اذا دخلت الدير تقضين فيه كل حياتك وانك لا تزالين في الثامنة عشرة فاذا ندمت يوما ما ..

— لا أندم قط على هذا العزم لاني لا أجد الراحة والسلوان الا في الخلوة اللهم اذا ظللتما تحباني

— لا ريب ان عيشة الدير تشفي جراح نفسك ولا يمد ان أوافقك على عزمك هذا ولو ان بعدك عني ينغص كل أيام حياتي . فانا اعلم الناس بما تحملينه من آلام النفس

فهتفت كليمنس قائلة : — كيف يارودلف !! هل توافق على دخول ابنتك الدير ؟؟

— دعيني أيتها الحبيبة اشرح عن افكاري

ثم قال لابنته : — ولكن قبل ان تصممي الرأي على دخول الدير أرى ان تبحثي لعلك تجدين وسيلة أخرى تضمن لك الهناء في المستقبل واذ ذاك أبذل كل مرتخص وغال لابلاغك المراد

فبدت من كليمنس وزهرة مريم حركة تدل على الدهشة وعاد البرنس فقال وهو شاخص الى ابنته

— ماذا تقولين في ابن عمك البرنس هنري ؟

فاضطربت زهرة مريم لذلك السؤال واحمرت وجنتاها خجلا وظلت بضع ثوان مرتبكة لا تدري بماذا تجيب ثم ألقت

بنفسها بين ذراعي أبيها واستغرقت في البكاء

فسألها — هل تحبينه يابنيتي ؟

— انك لم تسألني عن ذلك قط يا والدي .

— نعم لأني لم أكن أعلم انك تحبينه

— آه لو تعلم كم قاسيت من الالم في اخفاء هذه الحقيقة عنك منذ شعرت بها . ولو انك سألتني لكنت بحت لك بكل شيء وكان الخجل يمنعني ان افاجئك بالخبر

— وهل تظنين ان هنري يعلم بحبك اياه ؟

فاجابته زهرة مريم بلهجة تنم عن الخجل :

— يالله ! الا أظنه عالم بذلك

— وهل تظنين انه يحبك مثلما تحبينه ؟

— لا يا ابتي . لا .. ولا اتمنى له ذلك لانه يكون سبباً لي تنغيص حياته

— ومن اي متى شعرت بميلك لابن عمك ؟

— منذ وقعت عيني على صورته

— التي رأيتها عند ابنة عمي رئيسة الدير ؟

— اي نعم وبعد ذلك رأيته لاول مرة هنا يوم دعيته

لحضور الحفلة وقدمته لي

- وما لبثتما ان تعارفتما حتى احب احدكما الآخر

- قد ملت اليه بالرغم مني لانه طالما اطنب في مدحك وطالما بالغت في وصف شمائله فهل الام اذا احببته ؟

- لا يا بنيتي فانه يستحق المحبة اذ قلما يوجد بين الشبان من يضارعه في الشهامة وحسن الطوية أو لست ترين مثلي انك تجدين اذا اقترنت به سعادة لا تعادلها السعادة التي ترجينها من الدير ؟

- ماذا تقول يا أبتي ؟

- اصغي الي يا مريم انت تعلمين انني احبك فوق كل شيء وتعلمين انني على شيء من الفطانة وان محبتك لهنري لم تخف علي اذ لم يمض على اقامته عندنا بضعة أيام حتى ايقنت انكما متحابان وربما كان يحبك اكثر مما تحبينه

- لا لا يا أبتي لا يمكن ان يحبني الى هذا الحد

- وانا اقول لك انه يحبك حباً لا يتصوره عقلك

- اواه ! رباه ! رباه !

- نعم يا بنيتي هذه هي الحقيقة فانني منذ رأيتكما لا تفترقان

طرفة عين ايقنت ان الحب متبادل بينكما فلم أتكدر لذلك بل سررت لان ابن عمك هنري كفوء لك وأتمنى ان يكون لك بلا غير اني لم اجسر على تشجيعه مثلما كنت افعل لو ارغب في زواجكما ذلك لانني ذكرت ماضيك وخفت ان يكون تشجيع الذي الى طلب يدك نوعاً من الغش فقضى عليّ شرف النفس ان الزم الحياد التام واترك للتقادير تدبير الامور. واعلمي الآن ان والد هنري البرنس بولص كتب لي كتاباً في هذا الموضوع طالباً يدك لابنه بعبارة تنم عن انه يعد قبولي نعمة لا تقدر ويقول لي ان ابنه يكاد يذيب قلبه حبك .

فغطت زهرة مريم وجهها بيدها وهتفت قائلة

— رباه رباه هل يمكن ان اكون سعيدة الى هذا الحد؟

— فقال لها رودلف نعم ابنتي ان هذه السعادة منوطة بارادتك فتى شئت تحصلين عليها

— هذا لا يكون ابداً ابداً ... هل نسيت؟

- ما نسيت شيئاً ولكن اعلمي انك اذا دخلت الدير تنغص بعدك عني كل ايام حياتي فاظل اذرف عليك الدموع حتى اموت فان كان لابد من بعدك عني فافضل ان تتزوجي الذي يحبك

وان تكوني معه سيدة

— انا اتزوجه يا أبي؟

— نعم ولكن على شروط ان لايحضر زفافك سوى مورف كشاهد لك والبارون جرون كشاهد لهنري ويكون الزفاف ليلا وفي صباح اليوم الثاني تذهبان الى سويسره او الى بلد آخر بعيد لايعرفكما فيه احد وتعيشان عيشة هنيئة اما السبب في ابعادك عني والسبب في طلبي الى هنري بترك القابه بعد خروجه من المانيا فهو املي بانك تنسين ماضيك لانك لا تعودين ترين بهرجة القصور ولا تسمعين اطناب اهل البلاط بما يجعلك تجدين بونا بعيدا بين حاضرك وماضيك فيتولاك الحزن

فهتفت كليمنس قائلة

— لقد صدق رودلف يابنيتي لانك متى انفردت بهنري لاتبقى لك السعادة وقتا لتفكري في ماضيك

وقال لها أبوها . — وبما انني لا أستطيع الصبر على فراقك ازورك كل عام انا و كليمنس

وقالت لها كليمنس — ومتى برأت جراح قلبك وانستك السعادة ذلك الماضي المشوم تعودين الينا ولا تبرحيننا

فاجابت زهرة مريم . وهل تنسيني السعادة الماضي

— نعم نعم يابنيتي انك متى رأيت الذي يحبك يبذل قصارى جهده في عمل كل مايرضيك ويسرك لايبقى لك سبيل لذكر الايام الغابرة

فقالت زهرة مريم . — ما أعظم هذه السعادة ؟ اتزوج هنرى واقيم معه في بلد لايعرفنا فيه احد حيث نعيش عيشة هنيئة ثم نعود ونعيش معكما انها لسعادة لم اكن احلم بها

فتهلل رودلف فرحا وتساقطت على خديه دموع السرور وقال لابنته

— نعم ونكون انا وامك سعيدين بسعادتك وساكتب حالا الى والد هنرى انى قبلت طلبه وايقنى ان افتراقنا بعد زواجك لايطول وان الواجبات التي تفرضها عليك الزوجية تثبت قدومك في سبيل نسيان الماضى وسوف تزدادين سعادة متى رزقك الله ولداً

فكان لهذه العبارة وقع شديد على قلب زهرة مريم افاقها من سكرة السرور فصرخت قائلة

— انا اكون اماً هذا لايكون ابداً لانى لاأستحق لقب الام

الطاهر واذا رزقت ولداً اموت خجلا من ولدي ان لم امت خجلا من زوجي حين اضطر الى الاقرار بالماضي»

فكان لهذا الانقلاب وقع على رودلف اشد من وقع الصاعقة فهتف قائلا

— يارباه ماذا تقول؟

فاردفت زهرة مريم . — انا اصبح اماً واكون محترمة بعد ان كنت فيما مضى مبتذلة وموضوع سخرية الجميع؟ انا ادنس اسم الام المقدس؟ لا لا ابداً

فقال لها أبوها : — ناشدتك الله يا ابنتي اصغي اليّ

فلم تفعل زهرة مريم بل انتصبت واقفة وقد زادها اصفرار وجهها هيبة وجلالا وقالت

— ولكننا نسينا يا أبي ان لا بد لنا من اطلاع هنري على حياتنا الماضية قبل اقتراننا

فاجابها رودلف : — ما نسيت ذلك قط . نعم لا بد له ان يقف على كل الحقيقة

- وهل تظن انني أحيي بعد ان أسقط من عينيه؟

— ولكنه سيعلم أيضاً انك وقعت في تلك الهوة مرغمة

وقالت لها كليمنس . — ومتى رأى انني أدعوك ابنتي لا يستحي ان يدعوك زوجته

— وأنا يا أماه أحب البرنس هنري حباً أكيداً لا يجيز لي ان أعطيه يدي التي أبتذلها اصوص الازقة في باريس

وبعد مضي بضعة أيام على تلك المحاورة المحزنة نشر في جريدة جيرولستين الرسمية الخبر الآتي

« قد احتفل بالامس بدخول البرنسيس اميلي دي جيرولستين الى دير سانت هرمنجيلد وكان ذلك بحضور سمو الدوق الاكبر أمير جيرولستين وكل حاشيته وكان قبول البرنسيس في الرهبنة على يد نيافة مطران شارل مكسيم وقد باركها نيافة المطران أنيبال أندره مونتانو البركة البابابوية وقد أدى صلاة الحفلة نيافة المطران بطرس داسفيلد » .

## الفصل الثالث

« الاعتراف »

خطاب من رودلف الى كليمنس

جيرولستين في ١٢ يناير سنة ١٨٤٢

« ان ما ذكرته لي عن تماثل والدك الى العافية جعلني اؤمل

بانك تاتين به الى هنا بعد أسبوع وانني قد تنبأت يوم علمت باقامته في روزنفيلد بين الاحراش بانه سيكون عرضة للبرد برغم كل التحوطات . وقد نبهته الى ذلك ولكنه لشدة شغفه في الصيد لم يكترث لتنبيهي

«فارجوك يا كليمنس بان تسرعي بالاياب حينما يستطيع والدك احتمال رج العربة واتركي تلك البلاد الموحشة وذلك المسكن المقفر لانني صرت أخشى عليك ان تقعي في المرض مثل أبيك بعد الذي قاسيته من المشقة في السفر وانشغال البال وكم آسف على اني لم أتمكن من مرافقتك . أرجوك أيضاً ان تعتني بصحتك ولا تحملي نفسك من التعب فوق طاقتها فانني أعلم عظيم محبتك لوالدك واعلم انك تتفانين في خدمته فكم أصبح تعساً اذا أصبت بمكروه لاسمح الله . ان مرض والدك كسلاح ذي حدين أورث أباك الضني واورثك الحزن من جهة ومن جهة أخرى أبعدك عني وأنا في ضيق شديد وفي حاجة الى معاونتك والاسترشاد برأيك والائتناس بلطفك

«واعلمي ان تثبيت ابنتنا في الرهبنة سيكون غداً الواقع في ١٣ يناير وهو يوم مشوم لانني في مثل هذا اليوم جردت

سيفي على والدي. اواه أيتها العزيزة كنت أظن ان الله غفر لي وعفا عني ولما أسعدني الحظ بزواجك ولقاء ابنتي انساني ان القصاص وقع اولا على ابنتي وان قصاصي سوف يكون يوما وقد بدأ ذلك القصاص منذ اظهرت لنا ابنتنا التعسة جراح قلبها وخجلها من الماضي وحبها المحزن لهنري ثم انا بذلنا جهد المستطاع لردها عن عزمها ولكن لم يجد ذلك نفعا فان دخولها الى الدير مسطور لها منذ الازل . وبماذا كان يمكننا ان نجيبها حين قالت لنا : « انني أحب البرنس هنري حباً اكيداً لا يجيز لي ان اعطيه يداً دنستها لصوص الازقة في باريس »

« وقد اضطرت تلك التعسة الى تضحية كل شيء في هذا العالم ولكنها كانت غير آسفة ونزلت من عرش الملك لتجثو على الارض عند هيكل الكنيسة حيث نكست رأسها وأن تقص شعرها الذهبي الذي لا ازال احتفظ به وهو عندي أثمن من كل كنوز الارض

« ان دموعي تبل الورق يا كليمنس وكلما ذكرت ذلك اليوم المشوم ابكي بكاء الثكلى

« وقد زرتها اليوم فوجدت وجهها اقل اصفرارا من العادة

وقالت لي انها لا تشكو المًا ولكنني اعتقد انها تخفي عني الحقيقة لكي لا تشغل بالي عليها وان حالتها الصحية تدعو الى القلق اواه انني كلما وقع نظري على ازارها الاسود وتأملت وجهها الناحب الشاحب ابكي دما واذكر كيف كانت موردة الخدين يوم زواجنا ولا اذكر انني رأيتها اجمل مما كانت في ذلك اليوم ولا اكثر انشراحا فكانها كانت تشاطرنا سرورنا . قلت لك ان غدا تثبت ابنتنا في الرهبنة ومنذ دخلت الدير صارت تتمثل بها الراهبات في الورع والتقوى والاحسان والمحافظة على القوانين وقد جذبت اليها القلوب في الدير كما جذبتها في غيره

«وقد تحققت من محادثتي معها اليوم ما كنت اتوقعه وذلك ان العزلة في الدير والانقطاع عن العالم والانهماك بقوانين الرهبنة كل ذلك لم ينسها الماضي ولكنها ليست نادمة على دخولها الدير وتقول ان ذلك أفضل ما يمكنها عمله وهي الآن اشد الراهبات محافظة على القوانين وتقضي نهارها في تأدية الاعمال المطلوبة منها والصلاة وخدمة المريضات الفقيرات اللواتي يعالجن في مستشفى الدير وهي مقيمة في غرفة صغيرة

باردة ليس فيها سوى سريرها وكرسي من خشب للجلوس وآخر للركوع ولا يزين الجدران سوى مسبحتها والصليب

«وقد كان لحديثها معي وقع على قلبي اشد من وقع السهام فاليك عبارة مما قالته لي

— « واعلم يا ابي انني برغم ارادتي وبرغم الاعمال الكثيرة المطلوبة مني اظل افكر في امرين الاول انني كنت فضل البقاء بقربك وقرب والدتي واعيش هنيئة مع الزوج الذى تختاره لي لو كنت اهلا لذلك والثاني العيشة السافلة التي قضيتها بين القتلة واللصوص فى باريس وفي كل يوم اتوسل الى الله ان يقصر اجلي فلا يستجيب دعائي لانني لا استحق ان أكون من أهل الفردوس »

«فكيف لا ينفطر قلبي حزنا عليها حين أسمع منها هذا الكلام وقد لاحت لى بارقة امل حين قالت لى العبارة التى ذكرتها لك وقلت لها

— « اذا كان يخامرك اقل ندم على دخولك الدير فلا يزال في الامكان خروجك منه لانك لم تتثبتي بعد وبما انك لم تجدي تعزية فى الدير وكانت آلام النفس محتمة عليك أينما كنت

فالافضل ان تكوني معنا لعلنا نجد كلمة تعزية تبرد جراح قلبك

فاجابتني « نعم انني لم أجد في الدير العزاء الذي كنت أنتظره ولكن لا يسعني الا الرضوخ والقناعة بهذه المعيشة لان الناس متى علموا حقيقة امري وعرفوا من أية هاوية اخرجتني يكفوا عن لومي متى رأوني جاثية في بيت الله راجية المغفرة ولكنهم يسلقوني بالسنة حداداذا رأوني في قصرك محاطة بالخدم والحشم ومتمتعة بكل اطايب العالم »

« فبماذا كان يمكنني ان اجيب على هذا الكلام المفحم؟ هكذا قدر فكان لم يعد يسعنا سوى الرضوخ . وقد تركتها وقلبي يذوب حزناً لاني قطعت الامل من ارجاعها عن عزمها ولولا الواجبات التي تربطني بوطني واهلي ولايتي لكنت ذهبت بك وابنتي وهنري ومورف الى اقصى بلاد المعمور حيث نعيش مجهولين سعيدين بعيدين عن الناس وبهذه الطريقة كنا نعاون زهرة مريم على السلوان . ولكن كيف اترك شعبي الذي يحبني ويعتمد عليّ . فليعش هذا الشعب رغداً وليظل جاهلا ما تكلفني سعادته

والآن استودعك الله ياعزيزتي كليمنس واساله ان يعيدك الي على جناح السرعة لانك موضوع تعزيتي في هذا العالم وكم من مرة تسألت ما كان يحل بي من الشقاء المحدق بي من كل ناحية لو لم تكوني الى جانبي وكلما فكرت فيك وفي زهرة مريم يتغلب علي البكاء لأنك انت بقيت لي ولكن هي من بقي لها ؟

« ابعث اليك هذا الكتاب مع رسول خاص وغداً ابعث اليك كتاباً آخر بعد حفلة التثبيت الا اذا طرأ تغيير لم يكن في الحسبان . بلغي والدك سلامي وقولي له اني اتمنى له الشفاء فاتني ان اذكر لك شيئا عن حالة هنري المسكين فاعلمي ان حالته تحسنت عن ذي قبل ولم يعد يخشى على حياته . والذي زادني سرورا هو ان اباه الذي كان مريضاً شفي وصار يمرضه وهي من عجائب الحنان الوالدي . وفي الختام ارجوك سرعة الاياب واسلمي للذي ملكت فؤاده » رودلف

من دير سانت هرمنجليد . الساعة الرابعة صباحاً

« لاتجزعي ياحبيبتي كليمنس لاتجزعي ولو ان الساعة التي كتبت فيها هذه الرسالة والمكان الذي ارسلت منه يدعيان

الى الخوف . فقد زال الخطر والحمد لله ولكن النوبة كانت شديدة جداً بعد ان كتبت اليك بالامس تذكرت اصفرار وجه ابنتي وذبولها وما صارت اليه من الضعف حدثتني نفسي بأمر مزعج مخيف ثم فكرت في انها ستقضي الليل بطوله تصلي في الكنيسة استعداداً لحفلة التثبيت فارسلت للحال مورف وداود الى الدير وبعثت الى الرئسة رسالة ارجوها فيما ان تسمح لهما بالاقامة فى البيت القريب من الدير حيث كان هنري مقيما وبهذه الطريقة اصبح للفتاة معينان قريبان منها واصبحت اقف على اخبارها فى كل ساعة اذا صعب عليها قضاء الليل جاثية في الكنيسة . ولا سيما اننا فى شهر يناير والبرد شديد. وكنت كتبت ايضاً لزهرة مريم ورجوتها ان لا تهمل صحتها وافهمتها ان في امكانها القيام بكل واجبات الرهبنة مع المحافظة على الصحة وقلت لها ان تسهر الليل في حجرتها بدلا من السهر في الكنيسة الواسعة حيث تكون عرضة لمجارى الهواء واليك جوابها على ذلك

« والدي العزيز

« اشكرك ايها الوالد الحنون على ما ابديته في كتابك من

النصائح فذلك دليل جديد على طيبة قلبك ورقة عواطفك وارجوك ان لاتدع المخاوف تتسلط عليك فانني فى حالة تمكنني من تأدية واجباتي . ان ابنتك لاتظهر خوفا ولاضعفا ولا بد لها من اتباع القانون حرفا حرفاً فاذا نتج عن ذلك بعض الآلام بدنية فاني احتملها بالصبر واعتبرها كفارة عن الماضي ولا شك انك تستصوب هذا الفكر لانك طالما تحملت الآلام لتجلب السعادة لسواك

«استودعك الله يا أبتي العزيز وارجوك ان تبارك ابنتك التي تقبل يدك الطاهرة »

المراهبة

اميلي

«فلما قرأت هذا الكتاب بكيت حزنا ولكنني اطمأننت منه وكان لابدّ لى من احياء تلك الليلة لاقف على اخبار زهرة مريم وعند منتصف الليل سمعت صوت مورف فارتعدت فرائصي جزعاً وكان قادما من الدير على جناح السرعة واخبرنى بان زهرة مريم لم يمكنها برغم شجاعتها وارادتها القيام بذلك الفرض الشديد الوطاة . فعند الساعة الثامنة ليلا ركعت عند هيكل الكنيسة وظلت تصلي حتى الساعة الحادية عشرة واذ

ذاك خانتها قواها لشدة التعب والبرد والاضطراب لانها ظلت تبكي زمنا طويلا فتلاشت قواها وأغمي عليها. وكانت راهبتان ساهرتين معها فلما رأتا ما اصابها حملتاها الى حجرتها واستدعى الطبيب داود وارسل مورف اليّ فاسرعت الى الدير نهب الارض نهبا فقابلتني الرئيسة وقالت لي ان الطبيب داود يخشى ان يكون لرؤيتي تأثير شديد على الفتاة وأن ما اصابها ليس سوى أغماء بسيط

«فظننت بادئ بدء ان الرئيسة تكتم عني امراً مخيفاً فارتعدت فرائصي وكدت افقد الصواب ولكن الرئيسة قالت لي «أؤكد لك يا مولاي ان البرنسيس اميلي ليست في خطر وقد سقاها الطبيب داود جرعة منبهة فعاودتها قواها»

«فصدقت كلام الرئيسة وبقيت انتظر خبر عن ابنتي وانا على احر من الجمر وبعد برهة حسبتها اطول من عام اقبل الطبيب واخبرني بان حالتها تحسنت كثيرا وطلبت ان تعود الى الكنيسة لتتم صلاتها ووعدت ان تجثو على وسادة عوضا عن ان تجثو على ارض الكنيسة الحجرية ولما اظهرت للطبيب سخطي وغضبي ولمته ولمت الرئيسة على السماح لزهرة مريم

بالعودة الى الكنيسة وقلت له اني لا اسمح بذلك مطلقا فاجابني بانه لا يمكننا استعمال العنف والعناد مع الفتاة بعد افاقتها عن الاغماء لانها في حالة اضطراب عصبي شديد ونخشى ان معاملتها بالشدة تسبب لها نوبة اغماء جديدة ولكن اردف بان الرئيسه ستعيد الفتاة الى حجرتها بعد ساعة لتنام بضع ساعات قبل حفلة التثبيت

«فقلت للطبيب هل هي الآن في الكنيسة

— نعم يا مولاي ولكنها ستبرحها بعد نصف ساعة

«فدخلت الكنيسة ووقفت عند الباب فوجدتها جاثية عند المذبح ويداها مضمومتان وعيناها شاخصتان الى العلا حيث كانت تصلي الى خالقها . فلما رأيتها على تلك الحال جثوت انا ايضا

«واذ ذاك دقت الساعة الثانية بعد منتصف الليل فدنت من زهرة مريم راهبتان كانتا جالستين قريباً منها وكلمتاها همساً فقامت للحال بعد أن رسمت على صدرها اشارة الصليب ومشت بقدم ثابتة ولكنها لما اقتربت من القنديل وامكنني ان ابصر وجهها وجدته اشد اصفراراً من الشمع فاردت ان ادنو منها ولكنني

خفت ان تتأثر اذا راتني وان انفعالها يحرمها لذة النعاس والراحة فارسلت الطبيب داود ليستعلم عن حالها فعاد واخبرني بان حالتها تحسنت وبانها تريد النوم طلبا للراحة

«ولا ازال حتى الآن مقيما في الدير لحضور حفلة التثبيت التي ستقام هذا الصباح وارى ان لا فائدة من ارسال كتابي هذا اليك قبل ان يتم وسأرجىء اتمامه الى الغد واقص عليك كلما يجري اليوم

«الى اللقاء ايتها الحبيبة ان نفسي حزينة حتى الموت فارثي لحالي» رودلف

## ﴿ الفصل الرابع ﴾

في ١٣ يناير

من رودلف الى كليمنس

«ان الثالث عشر من شهر يناير تاريخ مشئوم. لقد فقدناها يا حبيبتي الى الابد وقد قضي الامر واليك بيان ماجرى

«كنت بالامس اشكو من بعادك عني اما اليوم فاشكر الله الذي ابعدك عنا لكي لا ينفطر قلبك حزناً مثلما تفطر قلبي

«بينما كنت هذا الصباح مضطجعاً بثيابي والتعب آخذ

ـني كل ما خذ اثقل النعاس اجفاني وما كدت انام حتى ايقظتني اصوات الاجراس فقمت مذعوراً وخيل لي انها دقات نعي وما اصدق هذا التخيل . ان ابنتنا تعد الآن كميتة بالنسبة الينا فصار يلزمك منذ اليوم ياكليمنس ان تلبسي عليها ثوب الحداد وما الفرق بين ان تدفن ابنتنا في قبر او في حجرة من دير والذي يزيدني ألما على ألم وحزنا على حزن هو ماصارت اليه زهرة مريم من الضعف والهزال حتى أصبحت حياتها أوهن من خيط العنكبوت ولا يبعد ان تفيض روحها بعد حين فان يد الاقدار لاتزال شاهرة فوقها سيف النقمة ولكنك بعد الذي عرفته من كتابي السابق صرت تقري مني بان موتها صار الآن أفضل من حياتها

«ماتت . . . ما أغرب هذه الحروف الاربعة متى اجتمعت على هذه الصورة «ماتت» او ليس انقطاع ابنتنا عن العالم موت لها وهي لم تتجاوز ثمانية عشر ربيعاً وأنت أعلم مني بلطفها وجمالها وخفة روحها ورزانة عقلها وطيبة قلبها ودماثة أخلاقها . فهل الام اذا قلت انها ملاك طاهر ؟ . . ماتت ماتت

«أجل انني صرت أتمنى لها الموت كما تتمناه هي اذ ما الفائدة

من الحياة الشقية التي تقضيها في سجنها وأي عزاء لنا في حياتها ما زال ما بيننا وبينها هاوية عميقة ؟ ..

«أستغفر الله عما أقول ان محبة الوالد لولده تحدو به احيانا الى الكفر

«تمت حفلة التثبيت ظهر اليوم وكان الاحتفال مهيباً . وأصبحت كل الراهبات يتوددنا اليها ويوسعها عطفاً وحنانا وكلهن يقلن بانها خلقت لتكون راهبة ومع اعتقادهن ان في دخولها الدير سعادة لها ترينهن حزينات كئيبات

«وقد أبصرت بين الجمع المحتشد في الكنيسة لحضور الاحتفال ضابطين من حواسي وهما جنديان طاعنان في السن كانا منكسي الرأس والدموع تتساقط من أعينهما فكان يخيل للناظر اليهما انهما في جنازة لا في حفلة تثبيت راهبة

«وبعد تمام الحفلة ذهبوا بابنتنا الى قاعة الدير الكبرى فاستأذنت الرئيسة بملاقاة ابنتي في تلك القاعة ولما أقبلت علي كان الضعف أخذ منها كل مأخذ حتى انها لم تعد تستطيع المشي فاقبلت تتوكأ على ذراعي راهبتين فراعني اصفرار وجهها ونحول جسمها ولمحت على وجهها ابتسامة السرور يدنو منيته

«نعم يا كليمنس اننا بعد حين سنصيب برزيء فادح ننوء تحته ان نحن لم نتسلح بكل ما بقي لنا من الجلد والصبر فاعلمي ان كل ما في زهرة مريم ينبأ بنهاية مدنها ودنو أجلها واذا كان لا بد من هذه الكأس المرة فالا وفق لنا ان نكون على استعداد لشربها

«ولا يخفى عليك أيتها الحبيبة ان توقع المصاب أفتك بالنفس من المصاب نفسه . واعلمي اني لما تركتها بعد الحفلة لاتم هذا الكتاب كانت عاودتها بعض القوى ولكن نفسي الآن تحدثني بان حالتها أصعب مما تدل عليه الظواهر على اني أسأل الله ان يكذب ظنوني هذه وان يزيل عني التشاؤم من تلك الحفلة المحزنة

«وبعد دخول زهرة القاعة الكبرى دخلت الرئيسة وكل راهبات الدير ثم وقفت الرئيسة وقالت بصوت جهوري

— اننا بعد الاحتفال بتثبيت البرنسيس اميلي نحتفل الآن بتعيين رئيسة جديدة لهذا الدير فانني قد بلغت من الكبر عتيه ولم اعد أستطيع القيام بكل الواجبات التي تدعو اليها الرئاسة فلا بد من اناطة ذلك براهبة تقية نشيطة واني بعد

استئذن الرئيس الاعظم أترك لكم تمام الحرية في انتخاب الراهبة التي تجدنها جديرة بالرئاسة من بعدي

«ثم فتحت نائبة الرئيسة سجلاً وقرأت ما يأتي

— قد شرعت راهبات هذا الدير كلهن منذ أسبوع في انتخاب واحدة من بينهن تكون رئيسة عليهن بعد الرئيسة الحالية التي ألجأها كبر السن الى الاستقالة وبعد جمع الاصوات وجدن ان التي نالت الاغلبية واتفقت أغلب الآراء على انها اتقى وأنشط راهبة دخلت هذا الدير هي الراهبة اميلي دي جيرولستين ابنة الدوق الاكبر مولاي الامير رودلف دي جيرولستين

«وما كادت الراهبة تنتهي من قراءة نتيجة الانتخاب حتى دوت اركان القاعة باصوات الاستحسان وشخصت كل أبصار الراهبات الى ابنتي اما أنا فبرغم ما كان يتولاني من الكآبة والاضطراب لم اتمالك عن ابداء دهشتي لذلك الحادث الفجائي الذي لم يكن في الحسبان

«وقد زاد ذلك الامر زهرة مريم اضطرابا فازداد اصفرار وجهها واصطكت ركبتاها حتى كادت تقع عن كرسيها لو لم

تتداركها الراهبات القريبات منها . فعادت الرئيسة وقالت

— يابناتي العزيزات هل ترين كلكن ان الراهبة اميلي هي أفضلكن وأحقكن في الرئاسة وهل تظنن انها أزكى وأوسع ادراكاً منكن ؟ فلتجبني كل واحدة منكن على حدة

«فأجابت كل راهبة بدورها بما يأتي

— انني باختياري وحرية ضميري قد انتخبت الراهبة اميلي لتكون رئيسة علي

«فلما سمعت ابنتي ذلك انفعلت انفعالاً شديداً وجثت على ركبتيها وظلت كذلك حتى أجابت كل الراهبات بنفس الجواب واذ ذاك أقبلت الرئيسة نحوها وأمسكت بيدها لتسير بها الى كرسي الرئاسة وقالت لها.

— « انهضي يا ابنتي العزيزة واجلسي على كرسي الرئاسة الذي أصبح لك فان صفاتك وفضائلك هي التي اكسبتك هذا المقام وليس رفعة اصلك.»

«ثم انحنت الرئيسة عليها لتعاونها على النهوض فمشت زهرة مريم بضع خطوات ولما انتهت الى وسط القاعة وقفت وقالت بثبات جاش أدهشني

- أرجوك ياحضرة الرئيسة ان تسمحي لي بكلمتين اقولهما لاخواتي الراهبات

فأجابتها الرئيسة : — اصعدي اولا الى منبر الرئاسة يابنيتي العزيزة ومن هنالك يجب عليك ان تخاطبي الراهبات

— انني لااستحق هذا المركز ياحضرة الرئيسة

— ماذا تقولين يابنيتي؟

— نعم انا لست اهلا لهذا المركز

— ولكن كل الراهبات انتخبتك له

— أرجوك أن تسمحي لي بان أجثو هنا على ركبتي واعترف امام الله وامام الراهبات جميعهن بحقيقة امري فترين جميعكن انني لست اهلا لهذا المقام السامي الذي منحته

« فظنت الرئيسة ان التواضع والخجل هما الدافعان لابنتي الى قول ماقالت فأجابتها

— ان تواضعك هذا يزيدك رفعة في أعيننا.

« اما أنا فادركت ان زهرة مريم تريد الاعتراف بما كان من حياتها الماضية فارتعدت فرائصي وقلت لها مستعطفا

— بربك يابنيتي لاتفعلي

فنظرت اليّ نظرة كلها ذكاء وقد أدركت اني أشاركها في الخزي اذا أقرت بماضيها . ويعدني الناس كاذباً لأني طالما قلت ان ابنتي لم تبرح والدتها قط . ورأت انها ان سببت لي هذا الخزي تعد ناكرة الجميل فامتنعت عن الكلام ونكست رأسها الى الارض فعادت الرئيسة وقالت لها

— اعيد عليك ياابنتي ان تواضعك يحط من قدرك في عيني نفسك . واتفاق أصوات الراهبات على انتخابك دليل على انك اهل للرئاسة . واعلمي ان انقطاعك عن ملذات العالم وترك المركز السامي الذي كنت فيه يزيد في مقامك بين الراهبات ولا تظني انك انتخبت رئيسة اكراماً لشرف اسرتك كلا فان الراهبات لم ينتخبن البرنسيس اميلي وانما انتخبن الراهبة اميلي . ونحن لاننظر قط الى ماضي الراهبة قبل انخراطها في سلك الرهبنة بل نعتقد ان حياتها تبدأ منذ دخولها الدير . على اننا لو فرضنا ان ماضيك كان كله آثام وخطايا فان صلاتك وتقشفك وورعك وخدمتك للمرضى وكل ما اظهرته من الاخلاق الرضية تكفي لمحو كل تلك الآثام والخطايا

فاظهرت ابنتي الخضوع والسكينة ولكن هيئة وجهها

كانت تدل على الضعف الشديد وقد رأيتها مرتين ترتجف وتضع يدها على جبينها ولما رأتها الرئيسة على تلك الحال قالت لها

— اظن اني اقنعتك يا ابنتي وانك تأبين ان تكوني سبباً في كدر الراهبات اللواتي انتخبتك رئيسة عليهن لعظيم ثقتهن بك وشديد حبهن اياك

«فاجابتها بصوت ضعيف جداً أشغل بالي

— نعم يا حضرة الرئيسة لا أريد ان اكون سبباً في كدر اخواتي الراهبات فامتثل لقضاء الله . ولكن بما انني منهكة القوى واراني في حاجة الى الراحة فارجوك ان ترجئوا الاحتفال بانتخابي الى يوم آخر

— لك ما تريدين. ولكن قبل ذلك الاحتفال لابد لك الان من لبس خاتم الرئاسة والجلوس في المكان المعد لك حتى تقدم الراهبات احترامهن لك مثلما تقضي به قوانين هذا الدير

ثم ان الرئيسة نزعت الخاتم من اصبعها والبستها اياه ومشت بها نحو كرسي الرئاسة وكان ذلك المنظر على بساطته مؤثراً للغاية. ولما جلست على الكرسي مرت بها الراهبات وكانت

كل واحدة منهن تنحني لها وتقبل يدها. غير ان شدة الانفعال ذهبت بما كان باقيا لها من القوة فازداد اصفرار وجهها ووقعت مغمياً عليها. وقد يعجز قلمي عن شرح ما ألمّ بي من الخوف حين ابصرتها بلا حراك بين ايدي الراهبات. فتعاونا كلنا ونقلناها الى غرفة الرئيسة

«ولحسن الحظ كان الطبيب داود لا يزال في الدير فتداركها وسقاها جرعة منهضة للقوى وقال لي ان الاغماء لم ينشاء الا من التعب الشديد والسهر وقلة الاكل والاحتجاب عن اشعة الشمس. فلعله صادق فيما يقول

«والذي جعلني أثق بقول الطبيب هو انها لما افاقت من اغمائها لم تظهر عليها علامات تدل على ألم باطني أو مرض عضال بل على عكس ذلك وجدت جبينها مشرقا بهجة ولكني لم اسر لهذه البهجة واخشى ان يكون سببها شعور ابنتي بدنو اجلها

«ثم عادت الرئيسة والراهبات لاتمام الجلسة التي عقدتها وبقيت وحدي مع زهرة مريم وبعد ان شخصت اليّ برهة قالت لي

— اتغفر لي يا ابي ما سببته لك من الألم حين اردت ان اعترف

بذلك الماضي المشؤم ؟

— انك ماأخطأت ايتها العزيزة لاغفر لك

— كيف لم اخطيء، وقد اضطررتك الى استعطافي لكي لا اعترف بالماضي ولولا ذلك لكنت ذكرت من اية هاوية دنسة انتشلتني ولم افكر انني بذلك الاقرار ابوح بسر لم تكتمه الا شفقة عليّ فينظر الناس اليك نظرهم الى الكاذب .. ويلاه ! أتغفر لي ياأبتي ؟

«فلم استطع الجواب ولكني قبلت جبينها وبللته بدموعي فقبلت يدي مراراً وقالت لي

— الان طابت نفسي وشعرت باني احسن حالا . وبما انني اصبحت الان كميتة بالنسبة الى العالم صار يلزمني ان اوزع امتعتي على الاشخاص الذين احبهم . ولكن كل مافي حوزتي ملك لك فهل تسمح لي بتوزيعه؟

— هل ترتابين في ذلك ؟ ولكن ناشدتك الله دعي عنك هذه الافكار المقبضة . وارجأى مثل هذه الاعمال الى المستقبل الا تجدين وقتاً كافياً ؟

— نعم ياأبتي مازالت ايامي طويلة

« ولا ادري لماذا ارتعدت فرائصي حينما قالت لي هذه العبارة فتأملت وجهها مليا فلم ار عليه علامة تؤيد خوفي فقالت لي

- نعم مازالت ايامي طويلة ولكن لم اعد بعد اليوم اهتم بالامور الدنيوية فارجوك ان لا ترفض طلبي فقلت لها .

- مري فافعل كل ماتشائن

- اريد ان تبقي والدتي في غرفتها نول التطريز الجميل والقطعة التي كنت بدأت بتطريزها

- سافعل ذلك ياولدي واعلمي ان غرفتك مازالت على نفس الحالة التي كانت عليها يوم خليت القصر فان كل ماهو لك عزيز عندنا

- وخذ انت الكرسي الابنوس الذي طالما كنت اجلس عليه وافكر

- ساضعه الى جانب كرسي في مكتبي واظل انظر اليه كانك جالسة عليه

« وقد خانتني دموعي فلم استطع حبسها . وبعد سكوت وجيز عادت زهرة مريم فقالت

- واريد ان ابقي تذكارا لكل الذين شملوني باحسانهم ايام كنت في الشقاء فارجوك ان تهدي الى مدام جورج المكتبة

التي كنت استعملها قبل خروجي من القصر

«ثم ابتسمت واردفت وقد اخترت لمدام جورج هذه الهدية لانها هي اول من علمني الكتابة ايام كنت معها في مزرعة بوكيفال . اما قسيس بوكيفال الذي علمني بعض اصول الديانة فاهدي اليه الصليب المعلق في غرفتي

— سأفعل كل ذلك يابنيتي

— وأريد ان أهدي عقبة اللؤلؤ الى حبيبتي الضحوكة لتزين بها شعرها الاسود الجميل وبما انك تعرف أين مقر مرسيال والذئبة في بلاد الجزائر فارجوك ان تهدي الى تلك الشجاعة التي أنقذتني من الهلاك صليبي الذهبي

— سأتمم كل رغائبك يابنيتي .. ألم تنسي أحداً ؟

— لا أظن ياأبي

— نبهي ذاكرتك لعلك تذكرين أحداً آخر من الذين يحبونك .. الا يوجد شخص يشاطرني ويشاطر أمك الحزن على فراقك ؟

«فادركت مرادي وضغطت على يدي وتلون خداها الشاحبان فقالت لي كيف حاله الآن؟

ـ قد أصبح أحسن حالا ولم يعد يخشى على حياته

ـ وأبوه؟

ـ ان نجاة ابنه خففت عنه وطأة المرض .. فماذا تهدين الى هنري ؟ فان تذكار منك يكون له تعزية عظيمة

ـ اهدي اليه كرسي السجود الذي طالما جثوت عليه وبللته بدموعي طالبة من الله ان ينسيني هنري لأني لاأستحق محبته

ـ كم سيكون سعيداً حين يرى انك فكرت فيه

ـ اما الملجأ الذي شدته للبنات اليتامى والطريدات فاريد ياأبتي ان .. »

ولم يتم رودلف عبارته وأنهى رسالته بالجملة الآتية وهي تكاد ان لا تقرأ

« لم أعد استطيع الكتابة ياكليمنس وسأكلف مورف باتمام هذا المكتوب فقد تشتت أفكاري وأصبحت كالمجنون .. رباه هذا هو اليوم الثالث عشر من شهر ينابر ! ! !

وأتم مورف ذلك المكتوب بما يأتي

« سيدتي

« عملا بأمر سمو مولاي البرنس اتم هذا المكتوب واظن ان الكتابين السابقين اللذين ارسلهما لك سموه اعدا قلبك لوقع الخبر المشوم الذي كلفت باطلاعك عليه

« منذ ثلاث ساعات كان مولاي مشغولا بالكتابة لك وكنت منتظراً في غرفة مجاورة لمكتبه لاخذ منه المكتوب وابعث به اليك مع رسول وفي تلك الاثناء دخلت رئيسة الدير وهيئة الذعر والاضطراب بادية على وجهها وقالت لي بصوت حزين »

- اين مولاي البرنس ؟

«فاجبتها. - انه يكتب أخبار اليوم لمولاتي الدوقة

«فقالت لي. - يلزمك ياسير ولتر ان تخبر مولاي بفاجع مؤلم فانك أصدق صديق له ولعل الخبر اذا صدر منك يكون أخف وطأة على فؤاده

« ففهمت المراد ورأيت ان أصدع بأمر الرئيسة ولما علمت منها ان البرنسيس أميلي أصبحت في حالة النزع وانه يجب على مولاي الاسراع اليها لوداعها لم تبقَ لي وسيلة لتلطيف هول الخبر ولما دخلت على مولاي البرنس لحظ اصفرار وجهي

فقال لي

- انك آتٍ تخبرني بمصاب

- نعم يامولاي وهو مصاب لا يرد فتشجع

فصرخ قائلا - ان نفسي حدثتني به قبل وقوعه

«ثم انه ذهب مسرعاً الى الدير وتبعته فوجدنا انهم نقلوا البرنسيس اميلي من غرفة الرئيسة الى حجرتها وكانت احدى الراهبات ساهرة عليها وقد لحظت ان صوت البرنسيس أميلي يخفت شيئاً فشيئاً ونفسها يزداد ضعفاً فاسرعت واخبرت بذلك الرئيسة فاستدعت هذه الطبيب داود فحاول ان يسقي البرنسيس جرعة منعشة على أمل ان يعيد اليها بعض قواها ولكن ذلك لم يغنِ شيئاً وضعفت قوة النبض حتى لم يعد يشعر به فاقر اذ ذاك الطبيب بعجزه وقال مالي حيلة فيها فقد انقطع الرجاء وفي تلك اللحظة وصل مولاي وكانت البرنسيس أميلي أدت الفروض الدينية الاخيرة وقبل ان تلفظ آخر نسمة من حياتها لاح على وجهها شعاع من الشعور وكانت قابضة باحدى يديها المتصالبتين على صدرها بقايا شجرة الورد التي أتت بها من باريس

«فجثا على ركبتيه وقال وهو ينتحب .. ابنتي ابنتي !!!

«فسمعت صوته البرنسيس اميلي والتفتت اليه وفتحت عينيها وقالت له بصوت يكاد ان لا يسمع وهي تحاول ان تبتسم

— اغفر لي يا أبتي .. وليغفر لي هنري .. وأمي .. اغفروا لي

«وذلك آخر مافاهت به وبعد ان ظلت في الحشرجة ساعة من الزمن اسلمت روحها الى باريها

«ولما لفظت آخر نسمة لم يفه مولاي الامير بكلمة وكانت سكينته مخيفة فاطبق جفني ابنته وقبل جبينها مراراً واخذ من يدها بقايا شجرة الورد وخرج فتبعته فدخل البيت المجاور للدير واراني هذا المكتوب الذي بدأ به وكلفني ان اتمه لانه لم يعد يستطيع الكتابة لشدة ارتعاشه وقال لي

— اكتب لكايمنتش اني فقدت ابنتي فاطمت أمره واني الآن ارجوك الاسراع بالاياب حالما تتحسن صحة الكونت دوريني لانه لا يوجد على الارض من يعزيه سواك وقد عزم علي السهر على جثة ابنته حتى تدفن . ها قد قمت بالواجب عليّ يامولاتي وارجوك ان تقبلي احترام عبدك المطيع موروف

انتهت الروايه

# الفكاهات العصرية

مجلة روائية أدبية تاريخية

لصاحبها

عبد الله غرابه

السنة الاولى

العدد ٢٣

روايات يثوب الكهل منها	بتفكهة وتخلية لفكر

ويقرأها الفتى فيطيب نفساً	بما يلفيه من خَبَر وخُبر

خليل مطران

# رواية

# دهاء البوليس

تأليف

الكاتب الشهير والقصصي الاجتماعي

كزافيه دي مونتيبان

تعريب

الكاتب البليغ والطبيب البصري البارع

الدكتور ابراهيم شدودي



مطبعة العرب

# رواية دهاء البوليس

## الفصل الاول

## القتل الخفي

عند الساعة الواحدة بعد منتصف الليل عاد المسيو دي فيرجين حكمدار البوليس مع زوجته وابنته من الاوبرا الى منزله في دار المحافظة . وما كاد يطأ عتبة بيته حتى أقبل عليه سكرتيره الخاص وكانت هيئته تدل على اضطراب شديد فلما أبصره قال له

— ما وراءك يا جوليان ؟ ما الخبر ؟

— حدث حادث تقشعر له الابدان يا سيدي فقد قتل جول بونجان رئيس البوليس منذ خمس دقائق • والبوليس الذي اكتشف الجناية اسرع لاستدعاء الطبيب فاصدرت الاوامر بمنع خروج أي كان وأتيت لملاقاتك

— والقاتل ؟

— ان كتيبة البوليس التي عليها النوبة هذه الليلة تبحث الآن في كل زوايا المحافظة ولا بدّ ان تقبض على الجاني اذ لا يعقل انه تمكن من الفرار

وفي تلك الاونة سمعت أصوات الباحثين عن القاتل من كل جهة واذ ذاك أقبل الجندي بوسكى الذي اكتشف الحادثة وكان بصحبته الدكتور بوردون طبيب القسم فانضم اليهما المسيو دي فرجين وسكرتيره وصعد لمكتب بونجان

وكان المسيو دي فرجين يناهز الاربعين طويل القامة عالي الهمة يرتدي عادة ملابس ضباط الفرسان . وقد اشتهر بدهائه وحسن أسلوبه حتى انه برغم سقوط الوزارة واضطراب الاحوال السياسية ظل محافظاً على مركزه . على ان الحكومة ما أخطأت في ابقاء هذا الرجل في وظيفتهِ لان ادارة البوليس لم تعهد من قبله الى رجل يعادله في النشاط ودقة العمل. وافضل مزاياه انه كان يقدر كل رجل من الرجال الذين يرأسهم حق قدره ويستخدمه في الامور التي يراه أقدر عليها من سواه ولا يشغل رجاله الا وقت الحاجة اليهم لينال منهم أقصى ما يمكنهم عمله وما زال يحسن انتخاب رجاله حتى صار يضرب المثل بحسن ادارة بوليس باريس في عهده

وقد زادته شهرة معاونة مساعديه جول بونجان ولوس الذين أبهرا العالم بدهائهما ولم يكن يفتر عن اعماله طرفة عين وكان

يحب بونجان حباً شديداً ويركن اليه وقت الملمات ولذلك كان خبر مقتله كوقع الصاعقة عليه

اما جول بونجان فقضى عشر سنين رئيس البوليس باريس وكان النجاح يكلل اغلب اعماله ولم يكن يقتصر على الاعمال الكثيرة التي تقضي بها وظيفته بل كثيراً ماكان يشتغل بالامور السياسية واحوال خاصة كان ينتدب لها ولا يذكر اهل باريس انه فشل في واحدة منها

وكان نشيطاً ذكياً شجاعاً قليل الادعاء يحتقر بني الانسان لما وجدهم فيه من الميل الى اللؤم والغدر بعد الاختبار الطويل وكان له نظر صائب في الامور يبني عليه تصميمه وينفذ ذلك التصميم بسرعة عجيبة لا تبقي للمجرمين او لاخصامه وقتاً لمقاومته فكانت وفاته خسارة لا تعوض .

ولما دخل حكمدار البوليس ورفاقه غرفة بونجان التعس وجدوه ملقى على الارض وقد وضعوه على فراش مستعار من قاعة اسعاف المجاريح وكان الى جانبيه جنديان من فرقته جاثيين ومسندين ظهره الى صدرهما وكان الضابط لوش وكيله واضعاً اسفنجة مبلولة بماء بارد حول الجرح الذي كان لا يزال خنجر

القاتل منغرساً فيه اذ لم يجسر احد على نزعه قبل وصول الطبيب

فلما فحصه الطبيب بوردون قال

— انه لم يمت بعد ولكن حياته اصبحت او هن من خيط العنكبوت فقد ضعف قلبه ولم يعد يشعر بنبضه

فقال له الموسيو ديفرجين بلهجة تنم عن الحزن الشديد:

— هل انقطع الرجاء؟

فأجابه الطبيب وكان لا يزال يشبر الجرح: — لم يبق لنا اقل امل في حياته فان الخنجر قد اخترق رئته ماراً بين الضلع الرابع والخامس ولا شك انه احدث نزيفاً باطنا لا حيلة للطب فيه

— انه يموت اذن دون ان يتكلم ويذكر لنا اسم قاتله

— هذا المرجح يا جناب الحكمدار ولكنه في بعض احوال نادرة يتكلم المجروح وهو في حالة اشد من هذه فلا يمكنني الجزم في حكمي غير انني كلما ثبرت الجرح ازددت تثبتاً من رأيي وهو انه جرح مميت ولكن ليس من المحال ان اكون مخطئاً

في تشخيصي فان كان الخنجر لم يجرح عضواً من الاعضاء الرئيسية وان كان النزف الباطني لم يحصل فلا اضمن عودته الى الشعور فقط بل يصبح لي بعض الامل في شفائه

— اجاب الله تمنيك ايها الطبيب

وبعد ان قص الطبيب ثياب الجريح واعد كل ما يلزم لتضميد الجرح وربطه شرع في نزع الخنجر منه وهو عمل خطر ربما يكون القاضي على ما بقي من حياة الجريح ولكن لم يكن بد من ذلك لان ضربات القلب كانت تزداد ضعفاً حتى لم يعد النبض محسوساً

وامتلئت القاعة بالجنود على رغم وجود الحكمدار وفي كل آونة يدخل جندي ويخبر الضابط لوس بما جد من البحث عن القاتل وقد تأكدوا ان المجرم لم يخرج من دار المحافظة لانه منذ حصول تلك الحادثة المفجعة ما تخطى احد عتبة المحافظة

فلما رأى الطبيب ذلك الجمع الذي كان يضايقه في عمله ويفسد هواء القاعة مما يضر بالجريح نبه الحكمدار الى ذلك وللحال خرج كل من هنالك ولم يبق لخدمة الجريح سوى

الجنديين اللذين يسندانه والضابط لوس واذ ذاك أمسك الطبيب قبضة الخنجر بيده اليمنى وضغط على شفتي الجرح بيده الشمال وأخذ يسحب الخنجر بتؤدة وحذر ولكنه توقف بغتة واصفر وجهه وانقلبت سحنته ولم يخف ذلك على الحاضرين

وكان الحكمدار يراقب حركات الطبيب وسكناته فلما رأى على وجهه ذلك الانقلاب الفجائي قال له

-ما بك ؟

فاشار الطبيب الى الخنجر واجاب :- أنظر انني أخرجت منه عشرين سنتيمتراً ولم أصل بعد الى آخره والذي يزيد الطينة بلة هو ان نصل الخنجر متعرج فلا يرجى شفاء المطعون به والمرجح عندي ان هذا المسكين يموت بعد عشر دقائق

فقال له الموسيو دي فيرجين بصوت مضطرب .- ناشدتك الله ايها الطبيب ان تبذل مافي وسعك لاعادة الجريح الى صوابه ولو بضع ثوان ليذكر لنا اسم قاتله

- يلزمنا اذن ان نستفيد من النسمة الباقية من حياته

قال الطبيب ذلك وكف عن الحذر والتأني في اخراج الخنجر وجذبه بعنف وبعد اخراجه ضغط باصابعه على الجرح لايقاف النزف وبعد هنيهة تنهد الجريح وفتح عينيه لانه بخروج الخنجر من الجرح خرج الدم الذي كان منسكباً في الرئة ولكن مالبث الجرح ان ظهر على حافتيه دم مزبد فارتاح الطبيب لذلك المرض الجديد وقال للحكمدار

— اسرع في سؤاله لعله يستطيع الجواب

ثم أردف همسا . — وأظن ان روحه تفيض بعد خمس دقائق

فقال الحكمدار للجريح

— هل تستطيع ان تجاوبني يا بونجان ؟

فهزّ الجريح رأسه بعلامة للايجاب فقال له الحكمدار

— تشجع ياعزيزي بونجان فان حالتك لا تنذر بالخطر

فقال الطبيب للحكمدار بصوت خافت . — لا تضيع وقتك يا موسيو دي فيرجين فلا يبعد ان يموت الجريح حالا

اما بونجان فلما سمع عبارة التشجيع التي قالها له رئيسه اشار اشارات تدل على الريب في صدق ماقاله الحكمدار وكانت

عيناه محتقنتين واجفانه تنفتح وتنغلق ويده اليمين تختلج كانها تبحث عن شيء حوله وللحال خطر على بال الحكمدار خاطر كان اسرع من البرق فقال لمن حوله .- آتوني حالا بلوح من حجر ليكتب عليه الجريح جوابه لانه لا يستطيع الكلام

قلما سمع بونجان عبارة الحكمدار ابرقت اساريره فرحاً بكون الحكمدار ادرك حقيقة امره لانه كان يشعر بخطارة جرحه ولا يريد ان يموت قبل ان ينتقم من قاتله

وللحال اتى جندي بلوح من حجر وامسكه بين يديه وجثا امام الجريح ووضع القلم بين اصابعه وللحال سأل المسيو دي فيرجين الجريح قائلا

- هل تعرف قاتلك ؟

فهز بونجان رأسه علامة للايجاب ثم ادنى القلم من اللوح وقد اخذت قواه تتلاشى حتى شك الجميع في انه يمكنه الكتابة ولما رأه الطبيب على تلك الحال المنذرة بحلول الاجل اشممه سائلا كان في زجاجة صغيره فانتعشت روحه وامكنه ان يكتب حرفين واضحين وهما «د.ا» ثم اختلجت يده وتوقف عن الكتابة لحظة والابصار شاخصة اليه ثم انه اعتصم بكل مابقي

له من قوة الحياة والعقل والارادة وخط حرفا ثالثا لا يكاد يقراء لشدة ارتجاف يده وهو حرف « م » وبعد ذلك اسلم روحه دون ان يتم اسم النذل الذي اغتاله

وفي تلك اللحظة أقبل الجنود المكلفون بالبحث عن الجاني واخبروا الحكمدار بانهم لم يعثروا على احد ولكنهم قالوا له « ومع ذلك نحن واثقون كل الوثوق من ان الجاني لم يتمكن من الفرار »

وقد ايد صحة قولهم تقرير جنديين كانا يحرسان باب دار المحافظة فقد قالا انه حينما بلغهم الامر التلغرافي بان لا يتركا احداً يمر من ذلك الباب وقبل ان يعرفا السبب في ذلك الامر رأيا رجلا غريباً يريد الخروج من باب صغير في الجهة الشرقية ولما ناداياه ومنعاه عن الخروج عاد على عقبه وصعد الى الطابق العلوي ويظن بعض الجنود ان ذلك الشخص هو القاتل وانهم لم يقبضوا عليه لانه ربما اختبأ في منزل الحكمدار الذي لم يجسروا بعد على البحث فيه بغير استئذان ولم يتمكن ذانك الجنديان من معرفة أوصاف الرجل لانه كان بعيداً عنهما وكانت الجهة التي لمحاه فيها مظلمة ولكنهما اتفقا في الشهادة على انهما أبصراه مسرعاً في الصعود الى الطابق العلوي

فلما سمع الحكمدار تلك الشهادة اقتنع مثل بقية الجنود بان القاتل لم يتمكن من الهرب ثم انه أمر بنقل الجثة الى مكان آخر ولم يبق معه سوى الضابط لوس وكيل المقتول وبعض الرجال الذين بحثوا عن القاتل

وبما انه لم يخرج أحد من دار المحافظة بقيت الجناية مجهولة في باريس وكان من المحتم ارسال أحد للاعلان عن القبض على الجاني وعن الجريمة التي ارتكبها ذلك لان المسيو دي فيرجين كان يخشى من تنديد الجرائد وأخذ يفكر فيما يكون من مفعول خبر مقتل رئيس البوليس فى وسط دار المحافظة وهو محاط بكل جنوده اذا اضطر الى الاقرار بان القاتل تمكن من الهرب فناجى نفسه قائلا

- اذا كنت لا اتمكن هذه الليلة من القبض على قاتل بونجان اضطر الى تقديم استعفائي الى الوزير قبل ان يضطرني هو نفسه الى ذلك متى هاج الفكر العام عليّ اذ كان الفشل من نصيبي

ثم قال لوكيل الرئيس

- ثق يامسيو لوس بانني حالما تقبض على قاتل بونجان اعينك

في وظيفته وأرجو لك ان تكون أسعد حظا من رجالك في البحث عن الجاني وبعد ان تبحث في كل الاماكن ولا يبقى سوى منزلي أصعد معك للتفتيش فيه . وأرجوك ان تحافظ على اللوح الحجري الذي كتب عليه بونجان الثلاثة حروف « دام » لكي نسلمه غداً لقاضي التحقيق . واذا كانت هذه الحروف من اسم القاتل أو لقبه كما اظن تكون دلالة من المقتول على قاتله .. ولكن الا قلت لي كيف كان هذا الحادث القطيع فان اشتغال بالي انساني الاستعلام عن ذلك

- لست اعلم منك بحقيقة الامر ياسيدي . اني اقمت مع بونجان زمنا طويلا نتباحث في حادث مونترجول وهو الحادث الوحيد الذي فشلنا فيه . ومع ذلك لا تزال الجرائد تسلقنا لاجله بألسنة حداد

— وسوف يكون نصيبنا من الجرائد أشد هؤلاء اذا فلت قاتل بونجان من يديك

- نفسي تحدثني بانني لا انفشل في هذه الحادثة وانا سنجده مختبئاً في احدى زوايا منزلك اذ يستحيل عليه الهرب مازال الحراس يمنعون خروج اياً كان . . . واليك الآن بقية ما كنت

بدأت به جواباً على سؤالك . قلت اني قضيت زمناً أتباحث مع المرحوم بونجان وبعد ذلك ذهبت لاعطاء بعض التعليمات لعساكر الدورية وبينما كنت احدثهم سمعنا صوت رجة خافت كوقع جسم في مكتب بونجان وكان الجندي بوسكي قريباً من أحد بابي ذلك المكتب ففتحه للحال ولكن ما كاد يتخطى العتبة حتى رأى الباب الثاني المقابل للذي دخل منه يغلق بسرعة وانت تعلم ان هذا الباب يؤدي الى الممشى الموصل الى مكتبك . ودخلت انا والجنود مكتب المقتول على أثر بوسكي اما هذا فلم يلتفت الى بونجان الذي كان ملقياً على الارض ومضرجاً بدمه بل تركنا نهتم به واندفع كالصاعقة نحو الباب الذي رآه يغلق ساعة دخوله ولما حاول ان يفتحه لم يفلح لان القاتل اوصده بالمزلاج الحديدي الذي امرت بوضعه على صفحه الباب الخارجية لتمنع متى اردت كل اتصال بين مكتب بونجان ومنزلك . اما انا فبعثت على الفور نفراً من الجنود الى جناح الدار المقابل الذي لابد للجاني من المرور فيه ليتمكن من الفرار . ثم انني للحال اوعزت الى المسيو سيرفان سكرتيرك فنبه كل حراس الابواب الخارجية باشارة تلغرافية وامرتهم ان

لا يسمحوا لاحد بالخروج ايا كان . ولم يمض منذ وقوع الجناية حتى صدور الامر الى الحراس اكثر من دقيقتين وهي فترة من الزمن لا يمكن الجاني في خلالها قطع المسافة التي بين المكتب والابواب الخارجية . وما كدنا نرفع الجريح عن الارض ونلقيه على الفراش حتى اتيت مع الطبيب بوردون

— حسن ... ولكن مازال لدي أسئلة اخرى أطرحها عليك فيما بعد اذا افلت الجاني من يدنا . اما الآن فيلزمنا الاسراع في استئناف البحث لان الوقت ثمين . فخذ من الجنود العدد الذي تظنه كافياً وأسرعوا في التفتيش ومتى أنتهيتم الى منزلي استدعني لافتشه معكم

ثم ان الحكمدار ذهب الى زوجته وابنته اللتين بقيتا وحدهما مدة ساعة ليهدئ روعهما

ولما انفرد الضابط لوس اطلق لافكاره العنان وأخذ يناجي نفسه قائلا

— ها قد خلا المركز الذي ظللت أتمناه اكثر من عشر سنين ولم ينله بونجان وأحرم منه الا ظلماً وجوراً . وبعد ساعات معدودة تصبح تلك الفرقة التي اشتهرت بطاعة رجالها ونباهتهم

تحت امرتي .. وسوف آتي بعمونتهافعالا تدهش العالمين ...
نعم انا لا أنكر على بونجاز مهارته ودهائه ولكنه كان يعيبه انه لم يكترث بنصائح العاملين معه والسبب في ذلك تماديه في حب ذاته اذ كانت بغيته الانفراد في الرأى والاستئثار بالفضل في القبض على كبار المجرمين .. وكم من مرة سرت على عكس الخطة التي يرسمهالي فسلمت واياه من الفشل والخزي !! .. ولكن مالي ولذكر الماضي وقد ادركت امنيتي .. ورحمة الله على الراحل .. والآن يلزمني الاسراع في القبض على العصفور في قفصه ...

ان هذا القاتل المفضل الذي صيرني رئيس البوليس وهو لا يدري انه بمجرد الضغط على ذركهربائي تنقش في كل مركز الحراس على لوح هذه الجملة .. « يجب منع خروج الموجودين في دار المحافظة بدون استثناء حتى صدور امر جديد » فلو كان الجاني عالما بهذه الطريقة لما كان وقع وقعة الفار في الفخ فما هو ياترى السبب الذي دفعه الى ارتكاب هذه الجناية ؟

نعم ان اعداء رجال البوليس كثيرون . ولكن اغلبهم لا يريدون الاضرار بنا الى هذا الحد لعلمهم اننا نطاردهم قياما

بالواجب علينا بلا حقد ... والمرجح عندي ان قاتل بونجان لم يقدم على هذه الجناية الفظيعة الا انتقاماً لأمر جلل. فان رؤساء البوليس عالمون باسرار كثيرة ذات اهمية عظيمة بها مساس بشرف اناس من ذوي الحول والطول. وفي مثل هذه لاحوال يجدر برئيس البوليس العاقل ان يغض طرفه ويلجم لسانه وينسى والا يذهب ضحية شدة تمسكه بالواجبات في كل الاحوال ..... ولا اظنه بونجان باح بسر اوقفته عليه مهنته ولم يكن يعلم به سواه. ولكنه في مثل هذه الظروف كان يستفيد من مركزه ويبيع سكوته لصاحب السر بثمن عال واذا كان من ذوي الكلمة النافذة ينال منه مساعدة تمهد له سبيل الرقي الى الدرجات العليا في خدمة الحكومة وكانت آماله تصبو الى ان يصبح يوماً من الوزراء العظام ...ولعل سلوكه هذا كان السبب في ماأصابه من البلاء. فانه منذ اربع وعشرين ساعة قال لي ووجهه يطفح بشراً: «اعلم يالوس بان المركز الذي كنت اتمناه أصبح أقرب الي من حبل الوريد ولم يعد يسع الذين وعدوا الا البر بوعدهم. فالمصلحة متبادلة وهم يدفعون ثمن ما نالوه على يدي» ... فنا

هي المنفعة التي نالوها على يده سوى وعده بكتمان سرهم ؟ ولعله تمادى في الطمع وخرج عن حد المعقول في طلب ثمن سكوته حتى اضطر اصحاب السر الى ابادته . . فان صدق ظني يكون السر الذي قتل بونجان لاجله من الاهمية بمكان... ولكن اراني بدأت في بناء القصور والعلالي على الحادثة التي سأجد مفتاحها بعد حين

وبينما الضابط لوس يفكر كان يروح ويغدو في المكتب منتظراً عودة الجنديين الذين كلفا بنقل جثة بونجان الى مستشفى «شفخانة» البوليس اذ لم يكن في امكانه الشروع في التفتيش قبل عودتهما . . وإذ كان مطرقاً على الارض ابصر في أرض المكتب شيئاً لامعاً فالتقطه واذا به زر قميص من أصفى حجارة الماس لا تقل قيمته عن ستماية فرنك فاخذته الدهشة لعلمه ان بونجان وكل الذين دخلوا مكتبه بعد مقتله لا يمكن ان تكون ازرار اقمصتهم من الماس ماخلا حكمدار البوليس ولكنه عاد ففكر ان المسيو دي فرجين لما عاون الطبيب على تضميد جرح بونجان حل ازرار كمي قميصه ليرفعهما لكي لا يتلوثا بالدم ووضعهما على منضدة كانت هنالك

فابصر تلك الازرار فلم تكن من الماس بل من صدف منقوش عليه رسم تاج وتحته شارة اسرة دي فرجين .

— كيف وجد هذا الزر الثمين . فناجى نفسه قائلا

وبعد ان فكر قليلا حدثته نفسه بان صاحب الزر هو قاتل بونجان وعاد فقال لنفسه

— ولو فرضنا ان احد رجال البوليس وجد الزر مع أحد اللصوص وأعطاه لبونجان فلا يبقه هذا في جيبه لان كل ما يوجد مع اللصوص من النقود والجواهر والحلي يودع في خزانة الامانات بعد ان يقيد في الدفتر الخاص بذلك بحت توقيع الجندي الذي وجدها والضابط الذي استلمها لايداعها في الخزانة . فان كان هذا الزر من المسروقات فلابد ان يكون مقيداً في الدفتر.

ثم انه أسرع وبحث في ذلك الدفتر فلم يجده مقيداً فيه فازداد ميلا الى الظن بانه زر القاتل فعاد الى مناجاة نفسه

— ان وجود هذا الزر دليل على خطارة الحادث . ويؤيد الافكار التي طرأت عليَّ منذ حين . وكل القرائن التي ظهرت لي حتى الساعة تنبئني بان الباعث الى هذه الجناية

أمر لا يستهان به وأول شيء أخشاه هو ان القاتل يتمكن من الافلات من أيدينا . ومن يدري اذا لم يكن المسيو دي فرجين ؟ . . . ولكن لا ولماذا أمكن ذلك يكون ذلك أول حادث من هذا النوع حصل في العالم ... وعلى كل حال لا بد لي من كل الحذر والحرص

وفي تلك الآونة عاد الجنديان مع الطبيب بوردون لذي عاد ليكتب تقريره عن الحادثة فرجا الضابط لوس الطبيب ان يكتب تقريره في مكتب الحكمدار الذي سيظل مفتوحا طول الليل وبعد ان أغلق بابي مكتب المقتول شرع في البحث مع اعتقاده بان ستكون النتيجة الفشل

ولم يكن في تلك الساعة في دار المحافظة كلها سوى الحراس وبعض الموظفين الساكنين فيها وخدم الحكمدار وبعد ان قامت بين هؤلاء ضجة حين بلغهم خبر مقتل الرئيس اعادت السكينة فسادت وشمل السكوت كل مكان ولا سيما في المماشي المظلمة التي على جانبيها مكاتب فروع البوليس المختلفة

ولم يبق الضابط لوس زاوية أو مدخنة أو أي مكان مستتر مهما كان صغيرا الا فتش فيه بكل دقة ولكي لا يتمكن القاتل

من الاختباء في الاماكن التي فتشت أقام حارساً في كل مكان منها وعند كل تصالب ممشيين وعند أول كل سلم

وبدأ بالبحث والتفتيش في الاقبية وانتهى الى الغرف الصغيرة المبنية فوق السقف ولكن على غير جدوى ولم يبق سوى تفتيش منزل الحكمدار وكانت علامات الكدر بادية على وجوه الجنود ولم يكونوا يؤملون ماخلا واحدا منهم ان يجدوا شيئاً في منزل الحكمدار اذا كان من الصعب احتمال دخول القاتل ذلك المنزل المضاء الكثير الخدم والحشم حيث لا يمكنه ان يخطو خطوة واحدة من دون ان يرى

ولما علم الحكمدار بان الضابط ورجاله لم يجدوا الجاني برغم تفتيشهم المدقق بدى عليه الكدر

فلما رأى لوس ذلك قال في نفسه

— اذا كان للحكمدار يد في هذا الحادث فلا شك انه مبدع في لعب دوره

ولما شرعوا في تفتيش منزل الحكمدار رافقهم هذا ودخل معهم كل الغرف مع سابق علمه انهم لن يجدوا أحداً لانه قبل صعود الضابط لوس ورجاله جعل خدمه يفتشون كل

الاما كن في منزله ولكنه أراد ان لوس يبحث بنفسه ليدون ذلك في تقريره الرسمي ذلك لانه كان يخشى انتقاد الجرائد التي تنتظر خبراً مثل هذا لتبني عليه المقالات الطويلة المملوئة انتقاداً وسخرية وقد يجوز ان الجرائد المصورة تصور الجاني يأكل على مائدة في مطبخ الحكمدار بينما الجنود يبحثون عنه في الاقبية

ولم يبق سوى تفتيش القاعة الجالسة فيها عائلة المسيو دي فرجين وكان الكدر قد أخذ من الجميع كل مأخذ ولا سيما حكمدار البوليس فان ظواهره كانت تدل على انه يكاد يتميز غيظاً اما لوس فظل كاتماً ما يخالج ضميره ولم تبد على وجهه اشارة تنم عما يكنه

وقبل دخول القاعة الجالسة فيها عائلة الحكمدار قال لوس لهذا

— لا أرى موجباً لدخول هذه القاعة وازعاج سيدتي زوجتك وابنتك لاني لا أظن القاتل تجاسر على دخولها وهما فيها

فأجابه مسيو دي فرجين

— ان جناية القتل حصلت قبل عودتنا من الاوبرا

ولذلك أريد ان لا تدعوا زاوية من منزلي بلا تفتيش

فانحنى لوس علامة للطاعة ودخل القاعة هو ورجاله يتقدمهم الحكمدار

ولم تكن زوجة هذا وابنته وحدهما بل كان معهما شيخ قد تجاوز الستين حسن البزة تدل هيئته على انه من علية القوم وكان يتحدث مع المرأة وابنتها

فلما أبصر لوس ذلك الرجل أصابته رعشة على الرغم منه وخيل اليه انه رآه من ذي قبل وناجته نفسه بان له يداً في مقتل بونجان ولكن قبل ان ينبه ذاكرته ليذكر أين رأى ذلك الرجل أفسد الحكمدار بكلمة واحدة كل ما تصوره اذ قدم لوس ورجاله لذلك الشيخ وقال لهم

— أقدمكم الى حمي المسيو دي مارسي المستشار في محكمة النقض والابرام. وللحال زال من فكر لوس ما تصوره من اشتراك الشيخ في الجناية. غير انه لما سمع اسمه تحقق ظنه من انه رآه قبل تلك الليلة فاخذ يناجي نفسه قائلا

— دي مارسي ! دي مارسي ! ما أغرب هذا الاجتماع بعد افتراق ثلاثين سنة ! نعم هو دي مارسي بعينه ولكن هل

يرغب في معرفتي ؟ . . فاذا لم يكن له يد في ما أصاب رئيس البوليس .. فلا بد لي ان أعلم اذا كان . وان صدق ظني تكون العدالة الالهية هي التي ساقت اليّ ..

ولم يدع الشيخ وقتاً للوس لاتمام فكره اذانه بعد التعارف سأله عن الجناية قائلاً

— ان هذا الحادث المفجع قد احزن الجميع يا مسيو لوس وسوف يكون له وقع سيء على أهل باريس لما هم عليه من سرعة التأثير

فوجه لوس الى المسيو دي مارسي نظرة ذكرته بالماضي وأجابه

— لاشك ان هذا الخبر سيكون له وقع على اهل باريس أشد من وقع الصاعقة بعد فشلنا هذا الفاضح

فتظاهر حمي المسيو دي فيرجين بعدم فهم المراد من جواب لوس وعاد فقال بجاش ثابت

— كيف يمكنك ان تعلل امكان هرب القاتل من دار المحافظة برغم كل التحوطات التي اتخذتموها ؟

— اني لا اجد لذلك تعليلا يا حضرة المستشار لانه يستحيل

على القاتل ان يسبق في سيره التلغراف اما أنا فما زلت اعتقد انه لم يتمكن من الهرب والذي يؤيد هذا الفكر هو ان الجاني حاول الخروج من المحافظة فلم يفلح

فهتف الشيخ قائلاً بحدة لم تخف على لوس

— هل لديك برهان على ذلك؟

فقال لوس في نفسه من الغريب ان هذا الرجل لم يتذكر من أنا بعد على رغم الاشارات المنبهة التي ابديها له اذ لا يمكن ان يكون نسيني. ثم انه من جهة أخرى يظهر اهتماما شديداً بهرب القاتل فلا بد من الانتباه. وقد ثبت في ذهني ان الباعث الى قتل بونجان امر جلل

وقد مرت هذا الخاطر في مخيلة لوس مرور البرق ثم انه اجاب المسيو دي مارسي على سؤاله قائلا

— نعم يا سيدي المستشار ان لدينا البرهان المقنع وسوف تقدر أنت نفسك قيمته وذلك ان رجلين من الحراس شهد كل منهما وهو على معزل من الاخر بانه بعد صدور الامر بمنع الموجودين داخل دار المحافظة عن الخروج منها أبصر رجلا غريباً يحاول الخروج من الباب الشرقي ولكنه تراجع مسرعاً

حينما صده الحارس عن الخروج . . ولا ريب عندي في ان ذلك الرجل هو القاتل الذي نبحث عنه . .

وفضلا عن ذلك فان الاقدار دلتني على علامة هي من الاهمية بمكان عند رجال البوليس . وقبل ان يتم لوس عبارته حدث حادث سريع كوميض البرق في الظلام الدامس حادث لم يكن فى الحسبان خنق صوته

ما الذى جرى ؟

بينما كان لوس يجيب المسيو دي مارسي على سؤاله اخرج محفظة صغيرة من جيبه ليريه زر الماس الذي وجده في مكتب القتيل غير ان ذلك الزر وقع من المحفظة بدون ان يشعر لوس اذ لم يكن لوقعه على البساط صوت ولم ينتبه لذلك أحد غير ان ابنة الحكمدار أبصرت الزر فانحنت لتلتقطه وهي تقول للمسيو دي مارسي

— ها هو زر قميصك يا جدى الذي بحثنا عنه كثيراً منذ برهة ولم نجده

ثم امسكت الزر باصابعها البضة الشفافة فكاد يضيء بينها فلما سمع لوس ما قالته الفتاة ورأى زر الماس في يدها

أوشك حذره ان يخونه ولكنه في الحال فكر في أهميـة ذلك الاكتشاف الجديد ورأى ان المصلحة تقضي عليـه بالتجاهل والتكتم . ومنذ احترف مهنة البوليس لم يذكر انه وجد في مركز حرج مثل الذي أوجد فيه هذا الحادث . وعلى رغم ما عهد في هذا الرجل من ثبات الجأش والتغلب على عواطفه كاد يظهر على وجهه تأثير ذلك الحادث لو لم تتكلم زوجـة الحكمدار . فان كلامها ترك له مجالا يهدي فيه اضطرابه ويقدر وجود الزر قدره . فقالت زوجة الحكمدار بعد ان أخذت الزر من يد ابنتها وتأملته

— نعم هذا احد زري الماس اللذين اهديناهما الي أبي يوم عيده

ثم مدت يدها التي تحمل الزر نحو والدها وأردفت

— والبرهان على ما أقول بسيط وهو المقابلة بين هذا الزر وبين الذي في كم قميصك يا أبي

فلم تبد على وجه المستشار اقل علامة اضطراب بل انه أخذ الزر من يد ابنته وشبك به كم قميصه وقال بلهجة لا تدل على شيء من الاضطراب

— لاموجب الادلة والمقابلة . اذ لاشك ان هذا الزر هو نفس الذي فقدته هنا الليلة وقد سررت كثيراً بوجوده ثم أشار الى الضابط لوس والذين معه واردف

- وأرى ان لا نعيق حضرة الضابط ورجاله عن الاستمرار في بحثهم عن الجاني

وبعد ان قال ذلك وجه حديثه الى لوس وأردف

— الم تقل انك وجدت دليلا قويا يهديك الى معرفة الجاني ؟

فعند سماع هذا السوأل فكر لوس للحال في ما تقتضيه الحالة من العمل . فرأى ان اول ما يلزمه عمله باسرع ما يمكن هو الخروج من دار المحافظة والذهاب الى منزله حيث ينفرد ويطلق لافكاره مجراها

ومنذ حادث زر الماس الذي كان كالنور الهادي الى سر مقتل بونجان اضطربت أفكار لوس اضطرابا لم يعد يبصر معه شيئاً مما يحصل حوله في قاعة الحكمدار ولكنه بذل كل مابقي لديه من الارادة لاطالة تجلده وصبره لكي لا تظهر عليه أقل علامة اضطراب

اما الحكمدار وزوجته وابنته فقد أنساهم سرورهم بوجود زر المستشار الفاجعة المؤلمة التى حلت في دار المحافظة على قيد باع من منزلهم . ومن الغريب ان يفكر الحكمدار طرفة عين في غير ذلك الحادث الجلل ولا سيما بعد ان دلت الظواهر على ان القاتل تمكن من الفرار

وكان بين الجنود الذين شاركوا لوس في التفتيش رجل يدعى هرتلوب اصطفاه لوس منذ عين نائب الرئيس وجعله موضع اسراره . ولما وجدت ابنة الحكمدار زر لماس وقالت هذا زر جدي لم ير احد من كل الذين كانوا في القاعة ما بدا على وجه لوس من الاضطراب سوى هرتلوب فحدثته نفسه بان لهذا الحدث شأنا عظيما ولو انه لم ير أدنى علاقة بينه و بين مقتل رئيس البوليس وامل ان المستقبل يكشف له عن سر ذلك الحادث

اما لوس فلما عاوده كل صوابه وتمكن من كبح جماح نفسه أدرك انه يلزمه الجواب على سؤال المستشار جوابا صريحا فهو الذي أوجب ذلك السؤال بقوله انه وجد مايدله على الجاني . ولكن بماذا يجيب ؟ رأى لوس انه وقع في

مأزق لا يسهل الخروج منهُ . فلم يكن في امكانه الاقرار بانه وجد الزر في المكتب الذي قتل فيه بونجان لان هذا الاقرار يكون بمثابة القاء التهمة على المستشار حمى الحكمدار ولم يكن لديه برهان يؤيد تلك التهمة لانه لما وجد الزر في مكتب بونجان لم يكن معه أحد يؤيده بشهادته ولم يكن في مكانه القول بان ذلك الزر وقع من محفظته حين أخرجها في القاعة اذ ليس لديه أدلة تثبت ذلك . وكل الذين كانوا في القاعة يشهدون بان الفتاة وجدت الزر في نفس المكان الذي يقول جرهاانه فقده فيه . وبأي أسلوب يمكن لوس اقناع الجمهور بان رجلا مثل مستشار محكمة النقض والابرام يقدم على ارتكاب جريمة من أفظع الجرائم

ولو فرضنا جدلا ان لوس أمكنه اثبات وجود الزر في مكتب القتيل فهل تكفي هذه القرينة لاثبات التهمة على المستشار مع ماله من المنزلة الرفيعة في الهيئة الاجتماعية . ؟ ودفع هذه القرينة سهل جداً وها كه : ان حمي المسيو دي فيرجين فقد زراً من الماس في دار المحافظة فمن البديهي انه لا يمكن تحديد المكان الذي فقد فيه ذلك الزر . ولكنه لم يدر

بفقده الا في القاعة فقد يجوز ان يكون الزر سقط من كم القميص في احدى المماشي أو في السلم أو أي مكان آخر . وقد يجوز ان بونجان وجده وهو ذاهب الى مكتبه وانه قتل قبل ان يبحث عن صاحبه

ومن البديهي ان اثبات جريمة هائلة مثل التي نحن في صددها لا يكون بمثل تلك القرائن الواهنة السهلة الدحض . وأدرك لوس خطارة المركز الذي أصبح فيه برغم مايظنه من ان للمسيو مارسي يداً في مقتل بونجان وأدرك انه لايثبت في الميدان طرفة عين اذا ألقى التهمة على المستشار وليس لديه من الادلة لثبوت التهمة سوى وجود زر اتهم في مكتب القتيل ولو سلمنا جدلا ان في امكانه اثبات صحة هذا الدليل . ورأى ان لابد له من أدلة قوية وبراهين داحضة تؤيد دعواه ولا يمكن المستشار دحضها برغم مركزه المنيع وماله من الحول والطول ومن المعضدين بين رجال الحكومة فلا بدّ للضابط لوس من الزمن الكافي للحصول على تلك البراهين . ولكنه كان على يقين من الحصول عليها لان عقله لا يسلم بان زر المستشار ينتقل وحده من قاعة الحكمدار الى مكتب بونجان.

والذي زاده ارتياباً في براءة المسيومارسي هو انه علم من الحراس ان بونجان دخل دار المحافظة قبل المستشار بنصف ساعة وهذا الدليل ينفي الفرض بان بونجان وجد الزر في طريقه وهو آت الى مكتبه ولكن كل ذلك لا يكفي لاثبات التهمة وانما يتخذ كسبيل موصل الى البراهين الدامغة

وقد كان مركز المستشار والضابط لوس من أغرب المراكز اذ قد شعر كل منهما بانه أصبح عدواً لدوداً للآخر من دون ان يتبادلا كلمة تدل على بغضهما المتبادل وبدون ان يشعر بذلك أحد من الموجودين وقد تذكر كل منهما أموراً قديمة زادته بغضاً لخصمه. ولما أدرك المستشار ان لوس ميال الى توجيه التهمة اليه وانه يضمر غير ما يظهر طرح عليه ذلك السؤال ليرغمه على الجواب فيعلم منه ما هي تلك الادلة التي تهديه الى معرفة القاتل غير ان لوس صمم ان لا يفوه بكلمة مما في ضميره من أمر تلك الجناية وان يذكر المستشار بما كان بينهما من العلاقات القديمة

اما المسيو مارسي المستشار فلم يكن يخشى شيئاً من الحاضر ولكن كان يخشى ان خصمه العنيد يكشف الستار عما أتاه في

ماضيه . ولذلك أراد قبل كل شيء ان يعرف اذا كان لوس يتعمد مهاجمته فاستفاد مما ذكره خصمه عن الادلة التي أشار اليها وطرح عليه ذلك السؤال على مسمع من الحكمدار . وقد أظهر هذا للوس انه يجب عليه الجواب فرأى ان لابدّ له من الامتثال ولكنه صمم على ان يكون جوابه منطبقاً على مصلحته

فبعد ان نظر الى خصمه نظرة معناها « لن أقول شيئاً وان تعرف شيئاً » أجابه بصوت يدل على ثبات الجأش

— يخال لي ياحضرة المستشار انك جعلت لكلامي أهمية أكثر مما يستحق فأن ماذكرته لك لم يخرج عن حد التخمين وهذه هي طريقتنا نحن معشر البوليس فاننا اذا فشلنا في أول البحث عن جناية نعمد الى التخمين وما الفائدة من ان أطلعك على تخرصات وافتراضات قد لايصدق واحد منها

— انك لم تتكلم عن فرض أو تخمين ياموسيو لوس بل قلت أن لديك ادلة ذات أهمية واسمح لي ان أذكرك بأن الظروف التي قتل فيها بوتجان والمكان الذي حصلت فيه تلك الجناية وهرب القاتل لانني أعتقد انه تمكن من الفرار كل هذا يحتم عليك أن تبوح بكلما تعرفه عن هـذه الجناية ولا

شك انك تعرف أموراً هامة كما يثبت ذلك قولك ولا تنس أن سكوتك يدعو الى المظنة بأنك شريك الجاني

وقد أظهر مارسي في تصرفه هذا دهاء نادر المثال فانه اضطر لوس الى الاسهاب عما نوه عنه ومن ثم الى الاقرار بانه تسرع في ما قاله عن غير تروٍ مما يحط من منزلته في عين دي فرجين ويبعده عن وظيفة رئاسة البوليس التي يترقبها من زمن بعيد

فاذا ظلّ لوس مرؤوساً لا يعد مارسي يخشاه لان ادارة البحث عن الجاني تناط بغيره وقد شعر لوس بمضا السلاح الذي جرده عليه خصمه وبينما هو حيران لا يدري بماذا يجيب بدرت من المستشار تلك الهفوة التي أضاعت كلما كان له من الفوز على خصمه وهي انه نوه عن امكان اشتراك الضابط في الجناية . فما كاد يفوه بتلك التهمة حتى قال لوس في نفسه

— ها قد اصبح في قبضة يدي

وقبل أن يدع لخصمه وقتاً لاصلاح ما أفسده بقوله شمخ بأنفه واصفر لونه والتفت الى الموسيو دي فيرجين

وقال له بصوت مرتجف

— أنت تعلم ياحضرة الحكمدار انني أخدم مصلحة البوليس منذ ثلاثين سنة فابحث في سجل الشهادات وما قاله عني أسلافك في الرئاسة وما دونته أنت نفسك عني وبعد ذلك قل لحضرة المستشار اني في خلال ذلك الزمن الطويل لم أنل عقاباً ولا توبيخاً بل ان خداماتي أكسبتني اعلان اسمي مع المدح احدى عشر مرة وأنالتني سبع ميداليات ونيشان اللچيون دونور فاذا كنت بعد تلك السنين الطويلة التي قضيتها في الدفاع عن الهيئة الاجتماعية أتهم على مسمع منك بالاشتراك في الجريمة الفظيعة التي حصلت الليلة ولا يعاقب الذي يتهمني لا يسعني الا أن استقيل وأعتزل الخدمة وألزم بيتي منتظراً صدور أمر قاضي التحقيق بالمثول بين يديه

وما كاد ينتهي من عبارته حتى بكى بكاء الثكلى مما يدل على انه لا يشق له غبار في المكر والدهاء

ولما رأى هرتلوپ ما ألم برئيسه من الغم صار يحرق الارم لشدة الغيظ . أما الحكمدار فتأثر كثيراً لتلك الشكوى

الصادرة عن أقدم عامل في دار المحافظة ولذلك كان أول ما اهتم به ان يستعطف خاطر لوس ويهدي جاشه فقال له

— هدئ روعك أيها العزيز انك ولا شك اسأت فهم ما قاله حمي فانه ما قصد أن ينسب اليك الجناية وانما أراد ان يكون كلامه عاماً والمراد مما قاله ان كل موظف في هذه الدار لا يذكر كلما يعرفه عن حادثة هذه الليلة يكون موضوع الريب والظنون وثق يا عزيزي لوس بان حضرة المستشار لم يرم في ما قاله الى غير هذا المعنى اما أنا فلا اشك في امانتك واستقامتك وشرف مباديك

فأجابه لوس وهو يهز رأسه حزناً

— اشكرك يا حضرة الحكمدار على قولك هذا فانه كان لاهانتي كالبلسم للجرح وما قاله حضرة المستشار كان كسهم اخترق فؤادي فاسمح لي الآن يا مولاي بالانصراف مع رجالي وبما أن ابحاثي حتى الآن لم تجد نفعاً صار يلزمني ان اتخذ الوسائط الفعالة المؤدية الى معرفة الجاني

فناوله الحكمدار مظروفاً وأجابه

— انك تجد في هذا المظروف ما يزيدك سلطة ويكون

سبباً في نجاحك اذا أحسنت البحث

فقال لوس :- هل هذا أمر له علاقة بمركز الخدمة ؟

— لا يا أيها الصديق هو امر بتعيينك رئيساً للبوليس وقد وقعت عليه منذ برهة

فتهلل وجه لوس فرحاً وأخذته الدهشة فقال للحكمدار

— كيف ؟ هل تنازلت يا حضرة الحكمدار الى . . .

— نعم قد فعلت ذلك خلافاً لما كنت صممته وقد فكرت في ان هذا المركز الهام لا يمكن ان يبقى خالياً وأردت بعملي هذا ان اثبت لك عظيم ثقتي فيك اذ لم أرد ان أدعك تنتظر ذلك التعيين الذي تستحقه اكثر من سلفك بونجان وكان السبب في انتصاره عليك معونة أتته من مصدر عالٍ اقول لك ذلك والعهدة على الراوي لانني في ذلك العهد لم أكن في الوظيفة التي اشغلها الآن

فأجابه لوس :- وقد صدق الذي بلغك هذا الخبر فان رئيس محكمة النقض والابرام أراد أن يكافيء بونجان على معروف صنعه معه في حادث خطير لم يقف عليه سواهما والمسيو لوران رئيس البوليس الأسبق

وبينما لوس يتكلم كان يرمي المستشار بنظرات كلها معان غير ان هذا لم يتزعزع فقال لوس في نفسه «لعله لم يتذكر من أنا حتى الآن » ثم عاد فقال

-- وكان لذلك الحادث شأن عظيم في زمانه ومن لم يسمع بجناية طاحون أوزور وما زلت أذكر ان الذى كلف بتحقيق تلك الجناية قاض صغير السن من أهل القرى كان عين حديثاً في محكمة باريس . ولم أعد أذكر اسمه ولكن الذي أذكره جيداً هو انه أوشك ان يفقد مركزه وحياته بسبب تلك الجناية

ولما قال لوس هذه الجملة الاخيره أبصر على وجه المستشار انقباضا كان أسرع من البرق ثم عادت السكينة الى هيئته كانه لم يكن شيء . ومن البديهي انه اذا كان للمسيو مارسي يد في تلك الجناية فمصلحته تقضي بان لا يعلم أحد بذلك وان يدفن الحادث في زوايا النسيان

وقد أدرك لوس ذلك فلم يرَ موجباً لاعادة التجربة وازداد اعتقاداً أن المستشار ليس سوى ذلك القاضي الصغير الذي عرفه منذ ثلاثين سنه واشترك معه في تحقيق جناية طاحون أوزور وأوشكا أن يهلكا كلاهما بسببها

وكان لوس في ذلك العهد من صغار ضباط البوليس ولا تعد وظيفته شيئاً مذكوراً بالنسبة الى وظيفة مارسي قاضي التحقيق في محكمة انسين . ولكن على رغم ذلك البون بين الشابين تعاهدا على المودة والاخاء بعد ان كادت المنون تجمعهما في قبر واحد ولم ينقذا من بين مخالبها الا بفضل المسيو رولان رئيس البوليس الاسبق الذي كان اذ ذاك متقاعداً

ولكنهما من ذلك العهد افترقا ولم يلتقيا لانه ثاني يوم تلك الحادث عين لوس قوميسير بوليس لمدينة كاين فرحل اليها وظل مقيما فيها عشرين سنة. أما القاضي مارسي فلم ينل سوى سخط رؤسائه ونقل الى كليرمون حيث عين قاضياً بسيطاً واهمل لوس في كاين وأصبح نسياً منسيا أما مارسي فأعيد الى وظيفته في باريس بفضل معضدة الدوق دي جرسي شبين زوجته الذي كان في ذلك العهد رئيساً

وما كاد مارسي يستقر في باريس حتى فكر في رفيق صباه الضابط لوس الذي خاض معه غمرات الموت ورأى ان أفضل طريقة يسهل له بها سبيل الترقي هي ان يستجلب له معونة معضده الدوق دي جرسي غير انه لما كلم الدوق في

هذا الموضوع سخر منه ولم يجب ملتمسه ولما ألح في المسألة وأطنب في مدح الضابط لوس وردد ذكر خدماته السابقة ومشاركته اياه في الاخطار أجابه الدوق

— لا ألومك يامارسي على سذاجتك فقد أرسلوك الينا من القرى على خط مستقيم ولم تصلحك اريس بعد ولولا ذلك لكنت تعلم ان مساعدة الرئيس لها قيمة كالاوراق المالية . فاعلم ياعزيزي مارسي ان كل ماله قيمة في الهيئة الاجتماعية يكتسب اما بالاجتهاد او بالاستحقاق . اما «بالمحسوبية » فاذا طلبت من المحسوبية مالم تنله بالاستحقاق فلا بدّ لك من دفع قيمة الفرق . اما أنا فلا أساعد أحداً ولا أطمع بقيمة الفرق ولكني استثنيك أنت لانك زوج المرأة التي كنت لها عراباً ويشيع بعضهم اني والدها فلا أرى بداً من الاخذ بناصرك . ولكن سلطتك عليّ تنتهي عند هذا الحد فلا تسألني معونة أحد

فلما سمع مارسي ذلك الجواب لزم الصمت ومن ذلك العهد لم يعد يفكر في صديقه لوس . ولما رأى هذا هجر صديقه كف عن مراسلاته وحلت بينهما المقاطعة محل المودة والاخاء وظلا ثلاثين سنة مفترقين وكان أول اجتماعهما في منزل الحكمدار

دي فيرجين وكان لوس اذ ذاك في الثانية والخمسين ومارسي في سن الشيخوخة

ولو لم يكن بين ذينك الرجلين من أسباب الجفاء سوى التقاطع والنسيان لكانا تصالحا على رغم ما بين مركزيهما من البون ولما عادا ذكر الماضي لانهما لم يأتيا فيه أمراً يخجلان لذكره غير ان أوهام الشباب دفعتهما الى العبث بشرف اسرتين من اعظم الاسر واهاجت ساكنهما وهما لا يعلمان ... ولكن مارسي لم يكتف بالهجر والنسيان بل ان مطامعه دفعته الى الاشتراك في مؤامرات جنائية في ظروف سوف يقف القاري عليها فيما يلي ونتج عن ذلك ان أسرة لوس أصيبت بالقتل والفقر واليأس

وعلى رغم ما أبداه لوس من الدهاء في ذلك العهد لم يتمكن من اثبات الجناية على مارسي اذ لم يجد برهاناً يؤيدها ولذلك نفاها عنه غير ان السكوت الذي تعمده مارسي في بيت الحكمدار وأصر عليه ولد في لوس سوء الظن فحدثته نفسه بان صاحب زر الماس هو نفس الشقي الذي كان سبباً في فقر أهله واضاعة شرفهم . ثم ان حادثة زر الماس اثبتت سوء ظنه فلم يبق عنده

ريب في ان للمستشار يداً في مقتل بونجان

وقد يعجز القلم عن وصف ماألم بلوس من السرور حين نال وظيفة رئيس البوليس وحل محل بونجان المسكين لان هذه الوظيفة تمكنه من كشف الستار عن مقتل بونجان برغم مايبديه القاتلون من الوسائل لاخفاء جريمتهم وما لديهم من القوة والنفوذ . ثم انه خامره بعض الشك في نزاهة ارباب القضاء في باريس ولا سيما بعد ماراه من سلوك مارسي ولكن احترامه ارغمه على كتمان سوء ظنه

وكان للوس أخصام عديدون دائبون على الاضرار به كلما استطاعوا سبيلا وفي مقدمتهم الحكمدار دي فيرجين نفسه والغريب انه بينما كانوا كلهم مصممين على ان يحولوا دون وصوله الى رياسة البوليس متى خلت .عينه في نفس تلك الوظيفة أعدى عدو له وهو المسيو دي فرجين . وصار يخشاه بعد ذلك لانه أصبح مستقلا في أعمال وظيفته

ولم يكن يخفى على مارسي مايصبح فيه من الخطر اذا صار لوس رئيساً للبوليس ولكن تسرع الحكمدار في تعيينه لم يبق له وقتاً للمعارضة . ولكنه عقد النية على حمل الحكمدار

على نزع تلك الوظيفة من يد لوس وكان لوس أدرك سوء قصد خصمه فرأى من مصلحته الاسراع في الخروج من دار المحافظة ليسعى في درج خبر تعيينه رئيسا للبوليس في الجريدة الرسمية مما يثبته في وظيفته الجديدة

وهذا الحادث الغريب النادر المثال ونعني به افتراق صديقين على الود والولاء ثم اجتماعهما بعد ثلاثين سنة وهما عدوان كل منهما يتمنى الموت لرفيقه . هذا الحادث الغريب وما كان من تبادل هذه النظرات التي تذري بالسهام بين ذينك الخصمين يعد اول أسرار هذه الحكاية المدهشة .

ولما افترق الخصمان كان كل منهما عالماً بما يكنه له الآخر وبان الحرب بينهما قاب قوسين أو أدنى وكل منهما يعد نفسه بضرب خصمه الضربة الاولى .

وكان تعيين لوس رئيساً للبوليس حاسماً لما كان بينه وبين خصمه من الجدال اذ ان الحكمدار أمره بالاستعانة باحسن رجاله وان لا يألو جهداً حتى يجد قاتل بونجان . ولما أراد لوس الانصراف أومى اليه الحكمدار بان يتبعه الى مكتبه ولما خلا به قال له بصوت مضطرب

— ها انك قد أبلغت غاية أمانيك ياأوس ولكن اخشى ان ارتقاءك الى هذه الدرجة التي تمنيتها يكون اعلانا لسقوط منزلتي

— تسقط منزلتك ياحضرة الكمدار لانك اتيت أمراً عادلاً بقيت أنتظره خمس عشرة سنة؟

— انك لم تفهم المراد من كلامي ياأوس فدعني أسهب لك اني لاأخشى شيئاً من تعيينك رئيساً للبوليس ولو ان أبصار كثيرين تطمح اليها وان أعدائك الالداء الاقوياء كانوا حائلاً بينك وبينها ولا سيما الدوق دي جيرسي

— رئيس مجلس الشورى؟

— نعم هو نفسه قلت ولو أن هذا الرجل وغيره من ذوي الشأن بذلوا ما في وسعهم لكي لا تنال هذه الوظيفة ترى انهم لم يفلحوا لأن الوزير نفسه يعضدك فانه منذ ثمانية أيام بعد ذلك الحادث الذي أذاع اسمك في العالم كله ورفع منزلتك فوق رجال بوليس أوروبا قال لي الوزير: «أرى ان احسن طريقة نضمن بها تعيين لوش رئيساً للبوليس وان لا يزاحمه أحد على هذه الوظيفة هو ان نذكر تعيينه في نفس

الامر الذي تصدره عن استقالة بونجان » فترى ياعزيزي لوس انني لا اخشى شيئاً من تعيينك ولكنك تجهل ان مركزي العائلي حرج للغاية

— هذا لا يمكن ياحضرة الحكمدار

— ولكنها الحقيقة ياعزيزي لوس

— وما هو السبب في ذلك ؟

— شقيق زوجتي

— بولص مارمي الوكيل الاول للنائب؟

— هو بعينه فان أباه الذي رأيته الليلة يبذل كل مرتخص وغال ليوصله الى أسمى المراكز

— كم عمره ؟

— اثنتان وثلاثون سنة

— نعم ربما كان ذلك عمره تقريباً فانني لا ازال اذكر بأنه كان ابن ثماني عشر شهراً حينما جرني والده الى حادث طاحون أوزور المشوم الذي نتج عنه شقائي طول حياتي

— ماذا تقول هل هو ذلك القاضي الصغير الذي نوهت عنه منذ حين ؟

— نعم هو الذي اصبح حميك

— ولكنه لم يظهر أقل اشارة تدل على انه يعرفك

— صدقت يا حضرة الحكمدار فان بيني وبينه أمراً لم نبت فيه الرأي الاخير ولا سبيل الآن الى الاسهاب

— فادرك الحكمدار للحال ما في ذلك المسلك من الوعورة وقال

— صدقت . . . ما لنا ولهذا فلنهتم بأمري

فقال لوس : — لا شك ان الموسيو مارسي كثير المطامع والدليل على ذلك ان المركز السامي الذي يشغله ولده الآن وهو لم يتجاوز الثانية والثلاثين لا يرضيه

— وهو الواقع وقد توسل الى الدوق دي جرسي الذي لا يخيب له رجا بأن يعين ابنه وزيراً للحقانية بعد سنتين أو ثلاثة

— وما هي الصلة بين وصول شقيق زوجتك الى مركز الوزارة وبين الخوف على مركزنا أو بعبارة اخرى ما الذي نخشاه اذا اصبح ابن حميك وزيراً ؟

— هذا ما أريد ان أشرحه لك فاعلم ان ارتقاء بولص

الى مركزه الحالي كان له وقع سيء في النفوس لانه لم ينل وظيفته عن استحقاق وقد لغط الناس بذلك حتى صار يتعذر رفعه الى مركز اسمى في القضاء قبل انقضاء زمن ينسى الناس ما مضى ولذلك لا يمكن الدوق جرسي ان يطلب تعيينه وزيراً للحقانية قبل ان يشغل وظيفة النائب العمومي وذلك هو السبب في ارجاء الامر واليك ما صمموا على عمله لازالة تلك الصعوبة قالوا اذا كان لم يرو ولم يسمع ان وكيل نائب عمومي رقي الى وظيفة وزير فلا يقال مثل ذلك عمن يشغل وظيفة حكمدار البوليس

— فقال لوس قد فهمت المراد

— وقد اتفقوا فيما بينهم على ان استقيل من وظيفتي ويحل محلي بولص ويظل في هذا المركز حتى يعين في وزارة الحقانية واذ ذاك يتعطفون بارجاعي الى وظيفتي . وقبل ان يفاتحني رئيس مجلس الشورى بهذا الموضوع اراد ان يكون لوزير الداخلية يدٌ فيه ولكنه لم يفلح اذ اجابه الوزير «لا أسمح ابداً بان يخلي المسيو دي فيرجين وظيفته التي يقوم بها خير قيام كما يشهد بذلك الناس أجمعون فانه في خلال العشر سنين

التي قضاها في هذه الوظيفة أرانا المعجزات تخافه اللصوص وابتعدوا عن باريس وطهر الازقة والمنعطفات من النشالين والقتلة والفارين من السجون حتى عم الامن كل المدينة ليلاً ونهاراً وقد اختار للقيام بأعماله نفراً من الرجال النشيطين الذين لا يدعون مجرماً يفلت من بين ايديهم. هذه هي صفات الرجل الذي جئت تطلب اقالته من وظيفته اذ لا أجد وظيفة أخرى تعادل وظيفته لأعينه فيها فضلاً عن نفسه الكبيرة تأبى مثل هذه الترضية فلا يمكنني اذن اجابة طلبك ياعزيزي الدوق وأفضل ان استقيل على ان اضر بالموسيو دي فيرجيان »

فترى يا لوس ما نلته من معونة الوزير ولكن برغم ذلك لم ييأس الدوق دي جرمي من الوصول الى بغيته وجاء الي يرجوني ان استقيل بانياً طلبه على الاسباب التي ذكرتها لك ولما رفضت طلبه قال لي بصريح العبارة انه سيبذل كل مافي وسعه لاخراجي من وظيفتي وانه سوف يتغلب على عناد الوزير نفسه بالسعي في تعيينه في وظيفة أخرى واعلم يا عزيزي لوس انني لم أكن أخشاه بالامس ولكن تغيرت الحال

منذ اربع وعشرين ساعة

— وكيف ذلك يا حضرة الحكمدار ؟

— انك لا تدرك اذن النتائج التي تعود عليّ بسبب موت بونجان ؟

— لا شك ان اخصامك يغتنمون هذه الفرصة ولكنهم لايستطيعون ان يلوموك أقل لوم على مقتل بونجان

— نعم ولكنهم يلومونني على كوني لم أقبض على الجاني ولا سيما ان الجريمة حصلت في دار المحافظة بين الحراس والجنود

— اظن ان هذا السبب نفسه أي حصول الجريمة في دار المحافظة يبعد عنك اللوم فلا ينسبك أحد الى الاهمال او ضعف العزيمة

— ولكنك تعلم يالوش ان ذوي الاغراض يتمسكون بكل الاسباب التي يجدونها مهما كانت ضعيفة نعم انهم لايستطيعون ان يلوموك او يلوموا رجالك لان بونجان شهد مراراً على مسمع من كثيرين بانك من نوابغ رجال البوليس في عصرك ولكنهم يوقعون اللوم عليّ ويقولون انني لو لم أمنعك عن اتباع خطتك

في البحث عن الجاني واتخاذ طرق أخرى لما كان افلت القاتل من بين أيدينا ويخال لي انك لم تلحظ تلك الابتسامة الشيطانية التي بدت على وجـه حمي حينما نوه الى العواقب الوخيمة التي ستقع على عاتقي بسبب فرار القاتل.. فكيف استطيع صد هجمات الصحافة وهجمات عائلتي والدوق دي جرسي الذين سيحملون عليّ حملة واحدة والمرجح عنـدي انه حينما يهيج الرأي العام يصدر لي الامر من السلطة العليـا اما بالقبض على القاتل في ظرف أربعة وعشرين ساعة واما بالاستقالة فلا يسعني الآن يالوس الا أترك وظيفتي

ولما فاه موسـيو دي فيرجين بعبارته الاخيرة أخفض صوته وصار ينظر الى ما حوله بعين ملؤها الحذر كانه يخشى رقيباً يسمعه

وتندى جبينه بعرق بارد وبدت على وجهـه علامات الخوف الشديد فراع ذلك الضابط لوس فقال له

— ما بك يا حضرة الحكمدار؟

فما لبث الحـكمدار ان عاودته السكينة وزايله الخوف فأجاب

— لا يمكنني ان أقول لك شيئاً يالوس لان في الامر سراً اذا افشي كان من ورائه ضياع شرف اسر من اعرق اهل فرنسا وهلاك بعض افرادها . ففي ذات صباح أتت اليَّ الدوقة (م) وهي كالمأخوذة لشدة اضطرابها وانطرحت على قدميَّ وهتفت قائلة : انقذني ! انقذني يا موسيو دي فرجين اواجرع هذا السم امام عينيك ! »

وكان في يد تلك التعسة زجاجة من الحمض البروسيك يسهل عليها شربه قبل ان يتداركها أحد لانقاذها . فخرت في امري واخذتني الشفقة على تلك المرأة ولكي امنعها عن شرب السم وعدتها بالاخذ بناصرها وما زلت منذ ثلاثة شهور اناضل سراً قاضي التحقيق وضابطين من ضباط البوليس ونفسا من رجالك يالوس لاحول دون التحقيق الذي امرت به النيابة العمومية

— ماذا تقول ياسيدي ! هل هذا ممكن ؟

— نعم يا لوس وقد استصوب عملي . هذا قوم من ذوي الحول والطول ولديَّ ادلة تثبت ذلك ولكن لا بد لي من النجاح والخروج فائزاً من هذه المعركة والا افقد

شرفي ومركزي

— هكذا يحصل غالباً في مثل هذه الامور فاذا تورط فيها من لا تعنيه مدفوعاً بعامل المروءة ولم يخرج منها فائزاً ينسب اليه الاشتراك فيها

— وهذا ما اخشاه يالوس فترى انني على كل حال لا يلزمني اخلاء وظيفتي

— انك لن تخليها ابداً يا استاذي واسمح لي بان ادعوك كذا لاثبت لك اني احبك كما يحبك كل مرؤسيك

— اشكرك على هذا التمني يالوس وعلى عواطفك الرقيقة ولكن ان نحن لم نجد قاتل بونجان في ظرف ثماني واربعين ساعة يهيج عليّ الرأي العام ويطلب استقالتي وانت تعلم ان اقوى سلطة في دوائر الحكومة لا يمكنها الا الاذعان للرأى العام

— ليس ما قلته لك من باب التمني يا سيدي ولكن من باب التأكيد فانك لن تبرح وظيفتك قط

— ومن يأتي بهذه المعجزة ؟ اذ من المعجزات ان انتصر على اخصامي العديدين واظل محافظاً على مركزي

- انا ؟

فأخذت الدهشة دي فيرجين وقال :- انت يالوس؟

- نعم ياحضرة الحكمدار انا

- يسوءني ان اقول لك ياعزيزي لوس بأن تأكيدك هذا لايغني فتيلا لان انت لم تجد القاتل

فاراد لوس ان يهدىء بال الحكمدار فقال له

- لقد وجدت القاتل يا حضرة الحكمدار

فانتفض دي فيرجين على كرسيه لشدة الدهشة ونظر الى لوس نظرة تنم عن الشك والريبة فقال له لوس

- نعم انني عرفت لاول وهلة مصدر هذه الجناية وكان في امكاني القبض على الجاني ولكن عدت ففكرت بأنني لم افاجئه وهو متلبس بالجناية ولذلك ارى الاوفق ان لا نقبض عليه الا بعد الحصول على الادلة الدامغة والبراهين القوية التي لايمكنه دحضها

- بورك فيك يالوس فقل" من يضارعك في الهمة بين الرجال وقد صدقت ماقلته لي لانك ماكذبت قط ولكن اذا كنت وجدت الجاني كما تقول فلماذا قمت بكل تلك الابحاث

ولماذا لم تخبرني بالحقيقة قبل الآن؟

— أنت أعلم مني بضرورات المهنة ياسيدي الحكمدار فما عاقني عن اطلاعك على الحقيقة الا كوننا لم نتفرد دقيقة واحدة منذ حدوث الجناية ورأيت ان نجاح الخطة التي صممت على اتباعها موقوف على ان لا يعلم أحد بانني عرفت القاتل ولو لم أفعل ذلك لكان نجا ذلك الجاني من العقاب الذي يستحقه على انني لا يمكنني التأكيد بعدم نجاته فاذا أمكنه ان يجد من يشفع فيه فلا أدعه يفلت من العقاب الا تحت شروط لا يسع معضدوه الا قبولها

— انك تخيفني يالوس فقد فهمت من حديثك هذا ان قاتل بونجان ليس من فصيلة الاشرار الذين احترفوا القتل واللصوصية والذين لا يفتكون برجال البوليس الا انتقاما لما نالهم من العقاب

— صدقت ياسيدي وقد لاح لي ان بونجان ذهب ضحية مؤامرة ذات مصدر عال لم أدرك حتى الساعة غايتها

— وما هو اسم ذلك الرجل ؟

— لا أستطيع ان ابوح به

— لي !

— نعم لك بوجه خاص

— هذا ما كنت انتظره بعد الذي أبديته من الحذر في حديثك

— أرجوك ياحضرة الحكمدار ان لاتؤاخذني على عدم اجابة طلبك وافرض ان مرتكب هذه الجناية لم يقصدها الا الايقاع بك وانه من ذوي المقامات العالية الذين لا نستطيع نضالهم

— رباه ! ماذا حدث يالوس ؟ .. ماذا تقول ؟

— لقد قلت لك اكثر مما كان يلزمني ان اقول فهلا زلت مرتابا ؟

فتأثر المسيو دي فيرجين حتى فاضت دموعه واجاب

— لا يالوس لست مرتابا ونفسي تحدثني بان الدافع الى تلك الجناية احوال تقشعر لذكرها الابدان .. وقد صدقت في قولك ان الاوفق لي جهل الحقيقة والاعتماد عليك في الدفاع عني اذا صح انني الهدف الذي يرمي اليه القاتل

— لاتخف ياسيدي الحكمدار وكن على يقين من انى

مازلت على قيد الحياة لا تصاب في شخصك ولا في مركزك والآن ارجوك ان تسمح لي بالانصراف اذ لا بد لي من الشروع في العمل قبل انتشار الخبر

— لي معك كلمة واحدة يالوس وهي من الاهمية بمكان ولا بد لي من ايقافك عليها

— انا رهين أمرك ياسيدي

— هل تعلم ان شقيق زوجتي ليس من الذين يفاخرون بماضيهم ؟

— نعم واعلم انه اتى من الامور الفظيعة ما كان اكسبه السجن عوضاً عن المنصب الذي يشغله الآن لو لم يبذل والده الدوق كل مرتخص وغال لانقاذه

— صدقت وكان بونجان اعلم مني ومنك بحقيقة امر هذا الرجل ولما علم بمقاصد والده الدوق وعزمه على اتخاذ الطرق لاحراز منصبي شرع في كتابة تقرير سري عن بولص دي مارمي ليقدمه لذوي السلطة متى سنحت الظروف ليحوله دون بلوغ امنيته

— انها اذن كانت حرب عوان

— نعم واعلم أن بونجان حفظ ذلك التقرير في بيته خوفاً من ان يقف عليه أحد فيلزمك ان تجد وسيلة للحصول عليه من بيت المقتول قبل ان ينتشر خبر موته وان يختم على بيته وخزانات أوراقه كما يفعلون عادة حين يموت رؤساء البوليس اثناء تأدية وظيفتهم

— قبل مضي ساعة يكون التقرير في قبضة يدي

— واني أأتمنك عليه وأرجوك الاحتفاظ به

— وسوف أضيف اليه براهين أخرى اذا امكن

— حسن . . . ولولا هذه الظروف الخارقة العادة لكنت أأبى اتخاذ مثل هذه الوسائل للدفاع عن نفسي ولكنت تركت أخا زوجتي ومعضديه يهاجموني تلك المهاجمة الدالة على الجبن واللؤم ولكنني بينت لك السبب الذي لأجله لا استطيع اخلاء مركزي في الوقت الحاضر

فكم من بلاء وقتل ودمار يحصل اذا كنت لا أراقب ولا أتتبع التحقيق خطوة خطوة . . . ان مركزي حرج للغاية يا موسيو لوس

قال الحكمدار ذلك وأسند رأسه الى كلتي يديه وظل

برهة غارقاً في لجة من الافكار . وقام لوس يريد الانصراف خوفاً من ضياع الوقت الثمين الذي انقضى منه جانب عظيم واذ ذاك قرع الباب قرعاً خفيفاً فانتفض المسيو دي فيربين وتنبه وقال

— أرجوك ان تفتح الباب يالوس . هذا سيرفان كاتم أسراري فاني اعرف نقرته على الباب حينما يريد ان يبلغني أمراً هاماً فما عسى ان يكون الخبر القادم به يا ترى ؟

ولما دخل سيرفان كان أصفر الوجه وعلامات الاضطراب بادية عليه مما ادهش الحكمدار وأشغل باله فقال له

— ما بك ياسيرفان ؟ . . . ماذا جرى ؟

فأجابه سيرفان : — لا شك ياسيدي انها ليلة الجرائم فاعلم ان المسيو بيتي لردو وكيل الاشغال والمسيو ترنكار قتلا في نفس الساعة التي قتل فيها المسيو بونجان مطعونين بخنجر مثل الخنجر الذي وجدناه منفرزاً في رئة بونجان أما القتلة فلم يقف لهم على أثر . وقد عمل ضباط بوليس الحي الذي حصلت فيه الجناية المحضر وأتوا لمواجهتك وها هم ينتظرونك في مكتبي

فكان لذلك الخبر وقع على المسيو دي فيرجين من دونه وقع الصاعقة فاصبح كالمأخوذ والسبب في ذلك ان أحد القتيلين المسيو ترنكار هو حمي المسيو مارسي وجد زوجة الحكمدار

وبعد بضع ثوان عاود المسيو دي فيرجين ثبات جاشه وأول ما فكر فيه زوجته فقال لكاتم أسراره

— هل وقفت زوجتي على الخبر ؟

— لا يا سيدي لأن ضابطي البوليس لم يقابلا غيري .. ولكن ما زال لديَّ خبر آخر

وظهرت على وجه سيرفان علامات التردد فقال له الحكمدار بلهجة تدل على انه غير مبال بكل تلك الحوادث

— تكلم يا سيرفان ولا تتردد

فقال سيرفان : — منذ نصف ساعة بينما كان بولص دي مارسي شقيق سيدتي زوجتك عائداً الى بيته بعد خروجه من الميرليتون متبعاً ضفة السين اذ سمع صوتاً يناديه باسمه فالتفت فابصر شاباً حسن البذة جالسا في عربة عند النمرة ١٨ ( ولهذه النمرة شأن ) فظن المسيو بولص دى مارسي ان

الذي يناديه أحد اصدقائه فامر حوزيه بايقاف عربته ثم ترجل ودنا من عربة الشاب الذي ناداه وللحال انقض عليه أربعة رجال كانوا مستترين خلف العربة وبعد ان سدوا فه بكمامة وشدوا وثاقه ألقوه في عربة الشاب الذي ناداه فجرت به تنهب الارض . أما حوزي المسيو بولص دي مارسي فلم يجسر على الدفاع عن سيده لانهم تهددوه بالقتل ان هو حاول الدفاع عنه

ولا يخفى عليك ياجناب الحكمدار ان حوزى المسيو بولص بسكال « هكذا يدعي » من رجال البوليس الشديدي المكر والدهاء فلما وجد المكان مقفراً والاخصام عديدين متهددين لم يبدِ اقل حركة . ولكن ما كادت العربة التي ذهبت بسيده تبلغ الجسر الجديد حتى اقتفى أثرها عازما على الاستغاثة برجال الشرطة متى استطاع الى ذلك سبيلا

وبينما هو يتبع عربة أولئك الاشرار أبصر خمسة من رجال الشرطة قريبا من قصر اللوفر وللحال اعمل السوط بجواديه حتى تقدم العربة التي زج فيها سيده ووقف في سبيلها ونادى رجال الشرطة لاغاثته وأعقب نداه بصوت صفير

يفهمه رجال البوليس

فادركه الرجال على الفور وأوقفوا العربة وللحال سألهم رجل كان فيها بصوت من تعوّد الامر والنهي عن السبب في ايقاف العربة فذكر بسكال بوجيز العبارة ما حلّ بسيده وما كاد يتم حديثه حتى خرج الرجـل من داخل العربة وقال لرجال الشرطة

— اعلموا انني انا الدوق فرنان دالبوجار سفير البورتغال وفي امكاني منعكم عن التعرض لي بما انا حائز عليه من الامتيازات السياسية . ولكني اريد ان أثبت لهـذا الحوذي «وأشار الى بسكال» ان سيده ليس في عربتي كما يدعي ولعل الخمر التي اكثر من شربها سببت له الهذيان فخيل له اني اختطفت سيده

ولما أتم الرجـل عبارته خرج من العربة صوت ضحك كصوت الكروان . ثم ان السفير اخذ احد قنديلي عربته وأضاء به داخل عربته ودعا رجال الشرطة الى تفتيشها فلم يبصروا داخلها سوى غادة حسناء منكمشة في رداء من الفرو ودراري حليها تتلألأ كأنها شهب النجوم في الليلة الدهماء

ولما ابصرت رجال الشرطة حيتهم بمروحتها ألطف تحية فانحنوا لها اجلالا . ثم صعد السفير وجلس الى جانبها وانطلقت بهما العربة اسرع من الريح

وأغرب ما في هذه الحادثة ياحضرة الحكمدار ان الحوذي باسكال لا يزال يؤكد ان سيده زج في نفس تلك العربة وانه لا سبيل الى الغلط لانه لم يرَ عربة سواها في تلك الساعة ورجال الشرطة الخمسة يؤيدون قوله ويؤكدون انهم اقاموا عشر دقائق عند باب قصر اللوفر من حيث يرون عرض الطريق فلم يبصروا غير العربة التي اوقفها باسكال

هذا ياسيدي الحكمدار ملخص الخبر وقد ذكرته لحضرتك بالتفصيل لغرابة وقائعه

فتمتم دي فيرجين قائلا

— ما هذه الاسرار الغامضة !! أيقتل رجلان اخران ولا يقف احد على أثر الجاني !! . اما شقيق زوجتي ...

فقال له لوس

— وأرجوك ان تذكر ما في قتل هذين الرجلين من الغرابة فانهما مثل بونجان طعنا بخنجر

قال سيرفان : ـ نعم بنفس الخنجر

فقال له الحكمدار : ـ ماذا تعني بقولك هذا ؟ اني لم افهم مرادك .

ـ اعني ان وكيل الاشغال والمسيو ترنكار قتلا بخنجر يشبه الخنجر الذي طعن به بونجان كل المشابهة

فقال لوس وهو مطرق يفكر : ـ لقد ازداد الامر تعقيداً

فقال الحكمدار لسيرفان . ـ واين ذانك الخنجران ؟

ـ لقد وضعتهما على مكتبتك الى جانب الخنجر الذي طعن به بونجان ليسهل عليك المقابلة بينهما

فنهض الحكمدار ومشى وقال لسرفان ولوش : ـ اتبعاني ثم ولجوا باباً مؤدياً الى ممشى ممتد من داخل منزله الى مكتبه وما كاد الحكمدار يبصر الخناجر الثلاثة حتى أخذته الدهشة لما بينهما من المشابهة الكلية فلكل منها نصل متعرج عريض القاعدة دقيق السن وقبضة من قرن الجاموس الاسود وفي وسط النصل قناة قليلة الغور تمتد من القاعدة الى السن كاقنية خناجر بعض القبائل المتوحشة التي يضعون فيها السم وتنبهت افكار لوش حين ابصر تلك الاقنية لانه اقام

زمناً في بلاد الغوبان ورأى مع اهلها مثل تلك الخناجر ثم انه ابصر في قناة احد الخنجرين الجديدين مادة صمغية فاخذ منها قدر حبه السمسم ووضعه في فمه . وكان الحاضرون « ومن جملتهم ضابط البوليس » ينظرون اليه مدهوشين ولا يجسرون على منعه وبعد ان ذاق طعم تلك المادة لفظها من فمه وتمضمض بالماء ثم قال

— اعلموا ياسادتي ان هذه المادة تدعى الكورار وهي أقتل سم معروف حتى اليوم ولا يعرف له دواء ويستخرج من تحت انياب أفاعي افريقيا السامة ويمكن ابتلاعه بلاخوف لان المعدة تمثله كما تمثل الغذاء بالهضم ولكن ويل للذي يلوث هذا السم جرحه لانه لايلبث ان يفسد الدم ويعقب ذلك موت سريع وهذه المادة التي ترونها على صفحة هذا الخنجر ليست الا الكورار المضاف اليه شيء من صمغ النبات مما يعيق الموت قليلا اذ لابد للصمغ ان يذوب في الجرح حتى تمتص الاوعية الدموية مايخالطه من الكورار وهذا هو السبب في بقاء بونجان حياً مدة نصف ساعة تقريباً بعد ان طعن

فعجب الحاضرون لسماع مقال لوش وصار كل واحد

منهم يتساءل ماهي الصلة الغامضة بين الجنايات الثلاث التي ارتكبت في ساعة واحدة واستعمل فيها القاتلون سلاحاً واحداً اذ يتعذر على كل مدقق ان يجد أقل تمييز بين الخناجر الثلاثة وبينما هم يفكرون ولوس مستمر على فحص الخناجر صرخ على حين غفلة صرخة دوت لها أركان القاعة فظن الجميع انه جرح باحدى الخناجر فقال له المسيو دي فيرجين

— ماذا أصابك ياعزيزي لوس ؟

فادنى لوس الخناجر الثلاثة من الحكمدار وقال له اقرأ ماعلى أنصبتها

فابصر الحكمدار لفظة ( فانديتا ) منقوشة على كل نصل وهي لفظة كورسيكية معناها الانتقام فارتعدت فرائصه اذ أدرك ان اليد التي سلحت القتلة الثلاثة واحدة والغاية من ذلك العمل الفظيع الانتقام ولكن يد من هي؟ وماهي الاهانة العظيمة التي تستدعي مثل هذا الانتقام الفظيع؟ هنا تبتدي الاسرار الغامضة التي يعجز العقل عن حل رموزها . وكان من رأي لوس ان العاقل اذا بدت له أمور يصعب عليه حل رموزها لايلزمه اضاعة الوقت في النظر اليها من كل وجوهها

بل يلزمه الاسراع في العمل وقد بدأت علامات قلة الصبر على وجه لوس لان المصلحة كانت تقضي عليه بالانصراف حالا وبينما هو يروح ويغدو في مكتب الحكمدار على أحر من الجمر والحكمدار يشرح الضابطين عن مقتل بونجان لحظ ما كان باديا على لوس من القلق وأدرك السبب في ذلك وهو ان لوس يريد الاسراع الى بيت بونجان ليأخذ منه التقرير الذي كتبه عن بول دي مارسي قبل وفاته

ولذلك أسرع الحكمدار بقطع الحديث وأعلن الضابطين بارتقاء لوس الى رئاسة البوليس ثم قال له

— والآن لم يعد ينقصك شيء للشروع في العمل وهو عمل شاق اذ يجب عليك ان تجد القتلة الثلاثة وتعرف أين مقر بول دي مارسي

ثم وجه حديثه الى الضابطين الآخرين وقال لهما

— أما انتما فسأبقيكما هنا اذ لا يبعد ان نجد حوادث هامة هذه الليلة تضطرني الى الاستعانة بكما

وقبل ان يهم لوس بالانصراف وقف كالمتردد ولم يخف ذلك على الحكمدار فقال له

— هل لديك سؤال تطرحه عليّ ؟

— نعم يا سيدي وهو سؤال ربما تنسبني لأجله الى التداخل في ما لا يعنيني

فابتسم المسيو دي فيرجين وقال

— اطرح سؤالك اولا ثم ننظر بعد ذلك في تهجمك على ما لا يعنيك

ثم انه همس في اذن لوس قائلا

« أنت تعلم حق العلم اني لا أرفض لك طلباً ولا أخيب لك رجاء »

فاجاب لوس : — اذا كنت ترغب يا سيدي في تعيين ضابطاً للوظيفة التي كنت أشغلها فارجوك الاسراع في العمل لكي أجد لي معينا على الاعمال الصعبة التي يقتضيها البحث عن الجنايات الثلاث

— صدقت يا عزيزي لوس لقد فاتني التفكير في هذا الامر فمن هو الرجل الذي تختاره لهذه الوظيفة اذ يجب ان يكون مساعدك رجلا تثق به كل الوثوق كما تقتضي بذلك المصلحة العامة

— هل تتنازل إلى هذا الحد ؛

— ما عليك الا ان تذكر لي الرجل الذي تثق به فاعينه للحال

— أظن ياحضرة الحكمدار ان هرتلوب هو أفضل رجالنا وأحقهم بهذه الوظيفة . اذ لا يضارعه احد في معرفة زوايا باريس وخفاياها ولصوصها وقتلتها . نعم انه لا يستطيع اقتفاء أثر المجرمين اذا كانوا من علية القوم ولكن اذا اشترك أحد رجال هذه الطبقة الراقية في جريمة فلا يكون اشتراكه الا بالفكر اما تنفيذ العمل فلا يقوم به سوى الطبقة السفلى وهرتلوب أقدر على اقتفاء أثر الجاني اذا كان من هذه الطبقة

فكتب الحكمدار امراً للحال وأعطاه للوس وقال له

— هذا أمر بتعيين هرتلوب مساعداً لك فادرجه في الجريدة الرسمية مع أمر تعينك

فابرقت أسارير لوس واخذ الورق من يد الحكمدار وهرول مسرعا يريد الانصراف فاوقفه الحكمدار وقال له

— قد عزمت على الغاء الامر القاضي بعدم السماح لاحد بالخروج من دار المحافظة . فهل تستصوب هذا الرأي

— ارجوك يا سيدي ان لا تفعل ذلك حتى اعود وأظن اني اكون هنا قبل بزوغ الفجر

— ألا يمكنني استثناء حميي من اتباع هذا الامر

— انت اعلم مني ياسيدي بالقوانين وتدري انه اذا سمح لواحد بالخروج فكأنه سمح للجميع . وقبل بزوغ الفجر يعلم أهل باريس جميعهم بان بونجان قتل في مكتبه ويقولون ان الجاني تمكن من الفرار بسبب اهمالنا

— حسن لا يخرج احد من دار المحافظة قبل ان اراك .. هل تحتاج الى أمر بالخروج لك ولرجالك ؟

— لا موجب لذلك اذ لدي كما تعلم مفتاح الباب السري الذي نخرج وندخل منه حينما نشاء بدون ان نمر بالحراس

— مع السلامة اذن . اني اتمنى لك التوفيق

ولما خرج لوس مر بالقاعة التي فيها عساكره وأوصى الى أربعة ممن يعتمد عليهم ومن جملتهم هرتلوب بان يتبعوه وقبل ان يخرج من القاعة قرأ على الجنود الامر بتعيين هرتلوب في وظيفة نائب رئيس . فسر هذا بالخبر سروراً عظيما وطفق يشكر لوس ويدعو بطول بقاه فاجابه لوس

- ليس الآن وقت الشكر والمدح بل وقت العمل واعلم بأن أنظار الناس شاخصة الينا فيلزمنا ان نريهم اقتدارنا على الاعمال. الآن الساعة الثالثة بعد منتصف الليل والفجر يلوح عند الساعة السابعة فقبل بزوغ الشمس يجب ان يكون قاتلو بونجان و بيتي ليدور وترنكار في قبضة يدنا. اما المسيو بولص دي مارسي شقيق زوجة الحكمدار فاظن اننا نجده من دون ان نبحث عنه. اذ قد رسخ في ذهني ان اليد التي اتت كل هذه الاعمال الغامضة واحدة

— لقد رأيت في حياتي أمور تحار فيها العقول حتى لم اعد اعجب لشيء. فالليلة مثلا لما. جدت ابنة الحكمدار زر الماس في القاعة..

ولم يتم هرتلوب عبارته لان اوس لكمه بمرفقه لكمة مستترة الجمت لسانه ولكي لا يدع للرجال الثلاثة سبيلا للمظنة قال لوس

- اراك تضيع الوقت في الكلام الفارغ ياهرتلوب والساعات تمر بسرعة البرق

ثم التفت الى الرجال الثلاثة الذين كانوا يتبعونهما على

بعد خطوتين وقال لاحدهم ورتبته جاويش

- تقدم الى هنا يالوبان

فتقدم الرجل مسرعا وأجاب :

- هاء اناذا يا حضرة الرئيس

فقال له لوس : - ابعث أحد الرجلين اللذين معك الى الشارع الذي فيه بيت المسيو بيتي لردو والآخر الى الشارع الذي فيه المسيو ترنكار . واترك لهما الخيار في انتقاء الملابس التي يريدانها للتخفي وشدد عليهما الوصية باستراق كل مايسمعانه من الاخبار عن مقتل ذينك الرجلين . وقل لهما ان يبدأ بدخول الخمارات التي تفتح أبوابها بعد ساعة وان يراقبا كل رائح وغاد بكل تدقيق ولا يبعد انهما يقفان على شيء من الحقيقة اذا أحسنا القيام بالعمل . اذ يندران القتلة لايحومون حول بيت القتيل بعد ارتكاب الجناية ببضع ساعات ليسترقوا هم ايضاً ما يقال ويعلموا كيف يمكنهم اتقاء الشر..

اما انت فبعد ان تستعلم عما اذا كان المسيو بوليس دي مارسي عاد الى بيته اولا تعود الى الرجلين اللذين تحت

امرتك فتقضي برهة مع احدهما وبرهة مع الآخر وتراقبي كل الافراد اللذين ينبهانك اليهم ويكونون دائما على تمام الاستعداد للاستنجاد بقوة أخرى من رجالنا اذا دعت الحال الى القاء القبض على احد. هل فهمت كل ماقلته لك؟

- نعم ياحضرة الرئيس

- حسن .. خذ هذه عشرون فرنك انفقوها على الطعام وتقديم كأس من الخمر لمن تجدون في محادثته بعض الفائدة والآن اذهب ونفذ ما امرتك به وعند الساعة السابعة عد الي واطلعني على كل ما عملته . فتجدني انتظرك في مكتبي

فهرول الرجال الثلاثة مسرعين لتنفيذ الامر وبعد لحظة غابوا عن الابصار ولم يعد يسمع وقع اقدامهم واذ ذاك قال لوس لهرتلوب

- ماذ دهاك؟. هل اصبت بمس من الجنون حتى اوشكت ان تذكر حادث زر الماس على مسمع من الثلاثة رجال. أنسيت القاعدة التي يجب ان تظل منقوشة فى دماغ ضابط البوليس وهي : « ان مالافائدة منه مضر »

- أرجوك العفو ياسيدي . فان هذا لارتقاء الذي نلته

قلب كيان محي لاني لم أكن أتوقعه : ولكني أتوب الى الله واليك وان أسمح بعد للساني بالانطلاق بلا قيد

— هذا ما اؤمله منك » والآن خبرني ماذا أردت ان تقول منذ حين . اننا الآن وحدنا ويمكنك ان تتكلم ، ولا سيما اننا ذاهبون الى بيت بوبجان المسكين فلا نصل قبل نصف ساعة ولعلي اجد في حديثك مايسليني

قال لوس ذلك ونفسه تناجيه بما يلي

« أترى هر تلوب فهم شيئاً من المحاورة التي دارت بيني وبين المسيو دي مارسي في بيت الحكمدار ؟ ان كان ادرك شيئاً يزول ما يخامرني من الريب لانني برغم كل ما رأيته يصعب علي ان اصدق ان رفيق صباي دي مارسي الذي خضت معه غمار الموت في حادثة طاحون اوزور يقدم مخيراً على هلاك أخي

اما هر تلوب فحار في أمره ولم يدر بماذا يجيب رئيسه ، فقد دلته نباهته على ان في الامر سراً هاماً غير الذي تدل عليه الظواهر . وقد ادرك وحده ان ذر الماس سقط من محفظة لوس حينما وجدته ابنة الحكمدار . ولكن هذا كل ما أمكنه ادراكه بالقرائن . فلم يكن يستطيع الجواب الا لسرد الافكار

التي طرأت عليه بعد ذلك الحادث وذلك مما قاله فقال له لوس

— وما هي تلك الافكار التي طرأت عليك ؟

— لا أظنها من الافكار الثاقبة. ومع هذا فان كنت ترغب في سماعها فلا يسعني الا الامتثال لامرك

— نعم أرجوك ان تتكلم

— قد لاح لي ساعة أخرجت المحفظة من جيبك وأصابك ذلك الذهول ان زر الماس وقع من المحفظة وانه هو ذلك الدليل الذي نوهت عنه قائلاً بانه يهديك الى معرفة الجاني

— أتم حديثك وهل طرأ عليك أفكار غير هذه؟

— ولما رأيت اضطرابك عند ذلك الحادث وأنا أعلم انك لا تضطرب لشيء قليل قلت في نفسي لا يبعد ان يكون ذلك الزر الذي تعول عليه لاثبات التهمة على الجاني نظراً للمكان الذي وجدته فيه

— وما المراد من قولك هذا ؟

— المراد ان الامر التلغرافي بمنع خروج أي كان من دار المحافظة صدر قبل ان يتمكن القاتل من الفرار ثم انه حاول الخروج من بابين فرد على عقبه واضطر الى الاختباء وقد فتشنا

كل زوايا المحافظة فلم نقف له على أثر . ثم لما دخلنا بيت الحكمدار وجدنا هنالك المسيو دي مارسي يتحدث مع زوجة الحكمدار وابنته بكل سكينة وأنت تعلم انهما عادتا في تلك الساعة من الاوبرا. ثم اتضح انه صاحب زر الماس الذي وقع من محفظتك هو المسيو دي مارسي . فلا أخفي عنك اني وجدت في كل هذه القرائن مايدعو الى الريب وسوء الظن فقلت في نفسي: «ألا يكفي لثبوت التهمة على المسيو دي مارسي ان رئيس البوليس وجد زر قميصه الى جنب جثة المقتول ؟ »

فلما سمع لوس مقال هرتلوب ووجدانه ينطبق كل الانطباق على افكاره ازدادت منزلة الرجل رفعة في عينيه وهنأ نفسه بانتخابه معينا له فقال له

— لقد أصاب سهم ظنك المرمى أيها الصديق القديم. نعم اني وجدت زر المسيو دي مارسي في مكتب بونجان

— ان القاتل اذن في قبضة يدنا ؟

— لم نقبض عليه بعد لان المستشار لايعلم اني ألقيت الشبهة عليه . وهو من الذين لايدعون لاخصامهم بابا للفوز عليهم ولا شك انه أخفى كل مايؤيد التهمة عليه سواء كان

مرتكب الجناية أو مساعداً على ارتكابها وهذا ماسنعلمه الليلة بعد قضاء المهمة التي نحن ذاهبان لاجلها الى بيت بونجان المسكين . ونفسي تحدثني ياهرتلوب بان ابحاثنا ستقودنا الى حقائق أشد هولا من التي نتصورها . وان ما لاحظناه من القرائن هو من الاهمية بمكان اذا كانت افكارنا مصيبة. فترى اني أشاطرك افكارك . وتعلم ان اقدام رئيس محكمة النقض والابرام على قتل رئيس البوليس في وسط دار المحافظة ليس بالامر الكثير الحصول . اذ أني حتى الساعة اعتقد ان القاتل هو المسيو دي مارسي .غير ان نفسي تحدثني بان هنالك أموراً أخرى يقشعر بدني لمجرد التفكير فيها

— ولماذا تكتم عني افكارك ياحضرة الرئيس.. ألست واثقاً مني ؟

— حاشا لله ان اشك بامانتك ايها الصديق الحميم . ولا بدّ لي من اطلاعك على سر يجيش في صدري اذ يلزمك الوقوف على كل شيء لاني اخترتك لتكون ذراعي الايمن وموضع اسراري ومعيني على الاهوال التي سوف نراها وليست الجرائم الثلاث التي ارتكبت هذه الليلة سوى بدايتها. اما بونجان فقد

كفر عن ذنب غيره . ووكيل الاشغال وترنكار فقد ذهبا ضحية ثأر قديم والدليل على ذلك كلمة « انتقام » المنقوشة على الخناجر. وكم روح تزهق بعد تلك الارواح الثلاث ان لم يساعدني الله على انفاذها؟

— انت ياحضرة الرئيس ؟

— نعم انا ولكن هل اجسر على ذلك ؟ هل اقوى على ذلك ؟ هل لي حق في ذلك ؟ انك احيانا كثيرة لا تجد العدالة حيث يجب أن تكون . انك تنظر اليّ متعجباً كأني اصبت بمس من الجنون أليس كذلك ؟ فكن مطمئن البال ياهر تلوب اني ما زلت محافظا على كل صوابي وسوف يزايلك العجب حين اطلعك على كل ما اعرفه ولكن لا يمكنني ايقافك على السر في وسط الشوارع . فلا يبعد ان نهلك كلانا اذا سمع احد كلمة من ذلك السر الذي تقشعر له الابدان

ها قد وصلنا الى بيت بونجان وقد اتيت بمفاتيحه فلنصعد ومتى انتهينا من العمل الذي اتيت لاجله يمكننا أن نتحدث باطمئنان

ان بونجان التعس كان اعذب وعائشاً على معزل فلا

يأتي احد ويزعجنا عند ما اقص عليك السر

ثم أن لوس قرع باب بيت نمرته ٢٠ في شارع الوليز

ثم صرح باسمه للبواب الذي كان يعرفه ويعرف انه يزور بونجان في كل ساعة من الليل فسمح له ولرفيقه بالدخول

ولما صعدا الى بيت القتيل وأضاء لوس المصباح هتف هرتلوب قائلا

— انني أحس بقشعريرة حين افكر انني في هذا البيت الذي لن يراه بونجان أبداً

— سوف يأتي الى هنا مرة اخرى قبل ان يمضي الى بيته الاخير

قال لوس ذلك بصوت حزين ثم اختار من رزمة المفاتيح التي في يده مفتاحاً صغيراً كان يعرفه وتقدم نحو الخزانة التي كان يضع فيها بونجان أوراقه الخاصة وفتحها وما لبث ان وجد الشيء الذي يبحث عنه داخل محفظة مكتوب عليها الكلمات الآتية

« قضية بولص دي مارسي »

ومكتوب على احدى زوايا المحفظة كلمة « سري » ذلك

ما أتى للبحث عنه فأخذ تلك المحفظة من دون ان يمس الاوراق الاخرى التي بالخزانة وجاء الى صاحبه الذي راقب ماصنعه بدون استفهام أو اعتراض وقال له

— والآن يمكنني ياعزيزي هرتلوب ان أطلعك على الحوادث التي على ما اظن هيأت السبيل للجرائم الهائلة التي حصلت وسوف تحصل

وقبل كل شيء اذكر لك كيف انني عرفت بادئ بدء الموسيو مارسي حمي الموسيو دى فيرجين فاعلم ان هذا الرجل كان منذ ثلاثين سنة قاضياً بسيطا في مرسيليا ثم عين قاضي تحقيق في محكمة باريس بمساعي الدوق دى جرسي ولما جاء لاستلام وظيفته الجديدة وجد في عربته بقايا رسالة ممزقة عرف منها ان جناية فظيعة حصلت في طاحون اوزور فوق سان رمير وان جثث القتلى ألقيت في بحيرة اوزور فسائه حب مهنته الى باريس وطلب من حكمدار البوليس الذي كان رفيق صباه فيما مضى رجلا حازقاً من رجال الشرطة ليساعده على ابحاثه عن الجناية. فعينني الحكمدار في تلك المهمة وذهبت مع الموسيو دي مارسي الى دوفينه

ونتج عن ذلك اننا تداخلنا ونحن لا ندري في أمور عائلية لا شأن لنا فيها ولا حيلة لان بعض المتهمين بتلك الحادثة كانوا من أصحاب الوجاهة والكلمة النافذة مثل المسيو تورنيه رئيس محكمة النقض والابرام الذي توفي وقد قام في وجهنا الكل ولا سيما ثلاثة من القرويين أظهروا الابداع في محاربتنا ثم ناضلنا بعدهم بونجان نفسه الذي مات هذه الميتة الشنيعة حتى ان الرئيس بعث الينا من يتجسس اخبارنا وأمرهم بقتلنا اذ نحن كشفنا الستار عما اراد المسيو تورنيه ابقاءه مستوراً فاحتالوا علينا وسقونا شراباً مخدراً ثم حملونا ونحن لا ندري وسجنونا في قبو من قصر اوزور ولولا الموسيو جاك لوران الشهير لكنا هلكنا لا محالة

- رئيس البوليس الاسبق الذي عرفناه اول عهدنا في الخدمة ؟

- نعم هو نفسه وأظن ان باريس لن ترى بين رجال البوليس الذين ينشأون فيها من يضارعه . فجاء هذا الرجل الى طاحون اوزور متخفياً في زي عتال وما لبث ان قهر القرويين الثلاثة وبونجان ووجدنا حيث كنا مسجونين ثم

كتب للدوق دي جرسي فتفاوض هذا مع الموسيو تورنيه في الامر ثم اطلقوا سراحنا فخرجنا منكسي الرأس خجلا من ذلك الفشل الفاضح

ولكن بما اننا تحملنا معاً تبعة ذلك الفشل تعاهدنا على المحبة والاخاء ما زلنا على قيد الحياة

— أهذا الامر نوهت الليلة على مسمع من الموسيو دي فيرجين والمسيو دي مارسي ؟

— نعم أردت انبه ذاكرة المسيو دي مارسي لأعلم هل نسيني بعد الزمن الطويل الذي انقضى منذ افترقنا أو انه يتعمد التجاهل فتحققت انه متعمد وسوف نعلم بعد حين السبب الذي لأجله لم يشاء أو بالحرى لم يمكن الموسيو دي مارسي ان يظهر بأنه يعرفني

وبعد عودتنا من دوفينه بزمن وجيز عين الموسيو دي مارسي قاضي في كليرمون فيران وأرادوا بذلك عقابه عقاباً ظاهرياً لا حقيقياً والدليل على ذلك انهم اعادوه الى وظيفته الاولى في باريس اما أنا فبقيت نسياً منسياً في كاين خمس عشرة سنة اخدم في ادارة البوليس

فأخذ العجب هرتلوب عند سماع حكاية رئيسه فقال له

— أو لم تعلم حقيقة الجناية التي ساقتك انت ودي مارسي الى دوفينه ؟

— كلا لم اعرف منها شيئاً اما جاك لوران فقد وقف على كل الحقيقة لان ما من احد يخفي شيئاً عن ذلك الرجل ولكن المرجح عندي انه اقسم بالاحتفاظ بسر ذلك الحادث. والدليـل على ذلك انه لم يبح بكلمة عنه وقد وصلت الآن الى النقطة المؤثرة من حكايتي وسترى كيف ان الصغائر تولد الـكبائر

«فاعلم ان قبل سفري الى كاين ببضعة شهور كان يكثر المسيو مارسي من زيارتي ويؤكد لي بأنه لن ينساني قط وانه يظل يسعى حتى يعيدني الى باريس

«وفي صباح ذات يوم مشوم اتمنى ان يمحى من سجل حياتي زارني ذلك القاضي ووجد عندي أخي الصغير وكان اذ ذاك خارجاً من المدرسة التي أتم فيها علومه فكلمني دي مارسي عن مستقبل اخي وأشار عليَّ ان ادخله في خدمة جيه ترنكار الغني صاحب المصرف الشهير وقال لي

« ـ لا شك ان مستقبل اخيك يكون عظيما اذا ثابر على الاجتهاد وحسن السلوك. وأظهر لي تأسفه على كونه لم يحترف هذه المهنة لان ثروته العائلة كانت تساعده على بلوغ شأو بعيد

« ولا ادري لماذا لم اغتر بكل ما قاله لي صديقي وكنت اوشكت ان ارفض ماعرضه عليّ لصالح اخي برغم ما في ذلك من الفوائد الظاهرية . ويا ليتني عملت باشارة ذلك لاحساس ولو اني فعلت ذلك لكنت انقذت الكثيرين من الدمار والشقاء ولا شك يا هرتلوب ان نفس الانسان تحدثه بما يعود عليه من النفع وبالضرر كلما وجد في مركز يحتاج فيه الى اختيار امر من اثنين ويخطئ الانسان اذا هو لم يصغ الى ذلك الصوت الداخلي المنبه الذي اذا عملنا بما يرشدنا اليه نتخلص من شرور كثيرة

« وبالاختصار عين أخي شارل ليغفر « ليغفر هو اسمنا الحقيقي اما لقب لوش فهو من الالقاب العسكرية انتحلته يوم دخلت في خدمة البوليس » في خدمة ترينكار براتب عظيم لم نكن نحلم به ولما سافرت الى كاين كنت مطمئن البال عليه

لأن رؤسائه اكدوا لي بانه بعد زمن وجيز يبلغ أرقى وظيفة في المصرف

«وبعد ثمانية ايام من وصولي الى كاين وصلتني اخبار من باريس تنبئني بارتقاء اخي شارل الى وظيفة مدير مصرف ترنكار وشركائهم وانه تزوج أخت الصراف ارنست دي تيل

«فسررت بذلك الخبر لانني كنت أحب اخي حباً جماً ولا سيما انه كان اصغر مني باثنتي عشرة سنة واني ربيته لان والدي خسر كل ثروته قبل ان يتخطى اخي شارل سن الطفولية وكنت اذ ذاك في مدرسة الفنون الجميلة حيث نلت في السنة السالفة جائزة رومية الكبرى وكانت كل الدلائل تبشر بأني سأنال الجائزة ايضا في تلك السنة

«ولكنني اضطررت الى ترك مهنة التصوير لضيق ذات يدي فدخلت في خدمة البوليس وبالاقتصاد والتقتير امكنني ادخال شارل المدرسة التي هي الطريق المؤدي الى كل مهنة ومصلحة ثم طلبت أجازة لحضور عرس أخي فلم يجب طلبي وكان المسيو تورنيه لا يزال على قيد الحياة وقد خفف تحامله عليّ عن ذي قبل ولكنه كان عاجزاً عن مقاومة المسيو دي

مارسي وهكذا يكفر الضعيف عن القوي دائماً. بذا قضت الاقدار فلو انني نلت رغبتي لكنت تمكنت من اتقاء الحوادث التي حصلت بعد سنتين. وكان تونكار يضارب منذ عشر سنين على خرابات باريس مع صديقه الدوق دي جرسي رئيس مجلس الشورى وقد اشيع انهما جمعا ثروة طائلة يقدرونها بأربعين مليون فرنك وكان الدوق جرسي يعرف ما يكون من الامور قبل وقوعها نظراً لمركزه وينبه شريكه عن كل ما يقررونه في المجلس عن الاعمال التي ستتم في نهر السين

«وقبل ان تنزع الحكومة الملكية بشهر يشتري تونكار اغلب البيوت التي يلزم هدمها ولم يكن المصرف سوى واسطة لاخفاء تلك المضاربات. فلو انني أتيت الى فرنسا لما كان خفي عني ذلك الامر ولكن مجاري الاقدار لا يمكن تحويلها

«ولما كنت في كاين انتظر عودتي الى باريس حيناً فحيناً لم يكن يقلقني سوى أمر واحد وهو انني منذ سفري من فرنسا لم يصلني سوى كتاب واحد من المسيو دي مارسي فقلت في نفسي لعل ملاهي باريس الكثيرة أنسته اياي او انه شمخ بأنفه كبراً بعد ان عين مستشاراً في محكمة الاستئناف لظنه

ان تلك المنزلة أرفع بكثير من منزلة . وظف في البوليس ولذلك قطع علاقاته معي لكي لا نجتمع في باريس فلم أر بدا من مجافاته مثلما جافاني

«وفي ذات يوم جاء الى كابن نفر من المساجين وكلفني القومندان باستلامهم وأعطاني قائمة بأسمائهم وانصرف وبعد ذهابه راجعت قائمة المسجونين لأتحقق عن عددهم فكدت افقد صوابي حين وقع نظري على اسمين منهم كأنهما كتبا بأحرف من نار فوقعت القائمة من بين يدي وأغمي عليّ ولما عدت الى صوابي التقطت الورقة وأعدت عليها نظري على امل ان اكون مخطئاً في الاسم ولكن خاب أملي اذ انني وجدت في رأس القائمة الاسمين الآتيين «شارل ليغفر مدير محل ترنكار وشركاه واوجين دونيل صراف محل ترنكار وشركاه» وكان محكوم على كل منهما بالسجن عشرين سنة مع الاشغال الشاقة ثم بالسجن البسيط عشر سنين وقضا خمس سنين أخرى تحت المراقبة اما الجناية التي ارتكباها فهي التزوير والسرقة

«فتصور ياهرتلوب ما ألم بي من اليأس حين قرأت

تلك السطور التي لم تبق لي ريباً في المحكوم عليهما والجناية التي ارتكباها وأول ماخطر على بالي ان أخي الذي كنت اعتقده معدن الشرف والاستقامة لم يدفعه الى ذلك العمل الفظيع الا شقيق امرأته ثم فكرت في ان ابوينا الشائبين لا يستطيعان ان يحملا ذلك المصاب

تحيرت في امري وصرت اتساءل كيف يمكنني ان اعاملهما كمجرمين لا اعرفهما

وبينما أنا اضرب اخماساً بأسداس ابصرت نوتيا يروح ويغدو امام باب منزلي ويجيل نظره في الجنينة ولا يجسر على الدخول فأدركت انه يريد يكلمني وقلت لعله مرسل من قبل المسجونين فأومأت اليه بالدخول فدخل فذهبت به الى مكتبي حيث لا يسمع حديثنا احد وهنالك اخرج من تحت قبعته رسائل عديدة وأعطاها لي

فلما ابصرت تلك الرسائل كادت تقف ضربات قلبي لشدة خفقانه ولم ادرِ كيف يكون جوابي على تلك الرسائل وكأن النوتي ادرك ما كان يخامرني من الافكار فقال لي

— ان لديك وقتاً كافياً لقراءة هذه الكتب والجواب

عليها لانني حصلت على تصريح بزيارة أخ لي صاحب مزرعة هنا وسأقضي النهار عنده وحين أعود عند المساء الى السفينة امرّ بك

ولحسن الحظ أخر القومندان الى الغد انزال المسجونين من السفينة الى اليابسة لانه لم يجد لسكناهم اماكن خالية فأمكنني ان اقرأ الرسائل المرسلة اليّ من ابي وأمي وأخي شارل التعس والمحامي عنه ومن بعض اصدقاء عائلتنا

واستنتجت من قراءتها ان أخي ورفيقه مظلومين وبريئين من التهمة المنسوبة اليهما ولكن النائب العمومي الذي كان صديق المسيو دي جرسي حمل عليهما حملة شعواء وكانت الغاية انقاذ ترنكار من الافلاس المسبب عن التزوير وفي الوقت نفسه انقاذ رئيس مجلس الشورى الذي يسقط بسقوط صديقه

فانهما خسرا خسائر جسيمة في البورصة منذ عشر سنين لانهما عكفا على المضاربة بلا ترو ولا تبصر حتى ان ما كانا يربحانه أحيانا وما يخسرانه احياناً اخرى تبلغ قيمته ثمانية ملايين فرنك ولما أحسا بأن الهاوية تحفر تحت قدميهما

وأدركا انهما على وشك السقوط ظنا انهما يعوضان ماخسراه بتوسيع نطاق المضاربة ولكن ظل النحس ملازماً لهما حتى اضطرا الى اخذ الاموال المودعة عندهما . ولما ضاقت بهما الحيل رأيا ان لا بد لهما من اختيار أمر من أثنين إما الادعاء زوراً ان بعض عمال المحل سرقوا مبلغاً من المال عظيماً لاتقل قيمته عن خمسة ملايين فرنك في خلال عشر سنين وإما التسليم بسجن ترنكار وما ينتج عن ذلك من العار الفاضح لكل الاسر المرتبطة به ولا سيما اسرة رئيس مجلس الشورى

فاختارا الامر الاول ولسوء حظ أخي شارل وصديقه دونيل كانت وظيفتهما تساعدان على اتهامهما بالسرقة

وكلف الدوق أناساً من المزورين الاشرار بعمل دفاتر جديدة سراً من مقتضاها يجب ان يكون في صندوق المحل أربعة عشر مليوناً وسبعمائة واثنان وتسعون الفاً وستماية وخمسة عشر فرنكا وخمسة وثلاثون سنتيما . مع انه لم يكن يوجد في الصندوق سوى أربعة ملايين فرنك

ولكن لم يكن يعقل ان موظفين مشهود لهما بالاستقامة والسلوك الحسن يسرقان عشرة ملايين فرنك في ظرف ثمان

سنين . ولكي يثبتوا التهمة عليهما ادعوا انهما كانا يقامران ويضاربان

على ان هذه الحيلة لم تنطلي على ذوي الخبرة فان الخبير الذي عين من قبل بنك فرنسا لفحص الدفاتر اقر بان اختلاف الحبر والكتابة جعله يجزم بان تلك الدفاتر مزورة وظل على رأيه هذا غير مبال بعداوة ذوي الحول والطول

ولكن برغم ذلك كله تمكن الدوق بفضل الاصفر الرنان من استمالة القضاة اليه فحكموا على أخي ورفيقه ذلك الحكم الظالم ولكنهم عند ما نطقوا بالحكم أخذ الحاضرون يصخبون ويصفرون مظهرين استياءهم . وكان المسيو « ر » صاحب المصرف الشهير يتبع سير الدعوى منذ بدايتها ففي غد اليوم الذي صدر فيه الحكم كتب للمحكوم عليهما المكتوب الآتي الذي نشر في كل جرائد فرنسا

سيدي

«قد تتبعت دعواكما منذ بدايتها بالتدقيق الذي تستحقه فاستنتجت انكما بريئين . ولذلك جئت اخبركما بأنه حينما يمكنكما الهرب من كاين يجد كل منكما وظيفة صراف في محلاتنا

التجارية في لندرا وفينا. واني منذ اليوم ادفع بارتياح كل كمبيالة تسحبانها علي مهما كانت قيمتها لاني اعتبركما منذ تاريخ كتابي هذا موظفين في محلاتنا التجارية وانكما في اجازة غير محدودة تنقدان في خلالها راتبكما بأكمله »

فتصور ماكان مفعول هذا الكتاب الصادر من أعظم رجل مالي في ذلك العهد. وهل تدري من هو المستشار الذى تجرأ على رئاسة الجلسة وصادق على حكم القضاة الجائر؟

— والله لا أدرى

— هو المسيو دي مارسي

— هذا لا يمكن

— وأنا قلت مثلك هذا لا يمكن ومع ذلك فقد أمكن وكان لهذا الظالم اليد الطولى في البلا الذي أصاب أخي ورفيقه وهل تدري من هو رئيس اللجنة التي شكلت لتحقيق الدعوى؟ هو المسيو بيتي لورد ووكيل أشغال الدوق دى جرسي

— الذي قتل هذه الليلة؟

— نعم هو بعينه وقد كفر عن ذنبه

— ماذا تقول! كفر عن ذنبه؟

— كيف ألم تفهم ؟

— لا وحقك لم أفهم

أرجوك اذن ان تمعن النظر في الامور الآتية ثم فسرها اذا أمكنك.

فاعلم أولا ان بونجان الذي لم أذكره بعد التي القبض على أخي شارل ورفيقه دونيل بناء على شكوى ترنكار مع علمه بأنهما بريئا الساحة وكان في امكانه انقاذهما . وقد قتل بونجان الليلة مطعونا بسكين مكتوب على نصله كلمة « انتقام » . هذه اول دفعة من ثمن العجل

ثم ان ترنكار الذي كان أول سبب البلا قتل أيضاً هذه الليلة بخنجر مثل الذي طعن به بونجان ومنقوش عليه كلمة « انتقام » وهذه ثاني دفعة من ثمن العجل

والمسيو بيتي لوردو الذي عين رئيساً للجنة التحقيق بذل كل ما في وسعه ليحمل اعضاء اللجنة على الحكم على المتهمين زوراً . وهذا أيضاً قتل الليلة بنفس الخنجر المنقوش عليه نفس الكلمة «انتقام» وهذه ثالث دفعة من ثمن العجل

اما المسيو دي مارسي المستشار فقد رأس الجلسة التي

حكم فيها على اخي ورفيقه وتحامل عليهما تحاملا جعل الناس يلعنونه لانه كان يقتعد برأسهما. ولم يبقوا على حياته الا لكونهم خيروه بين الموت او قتل بونيجان فاختار الامر الثاني . ثم انهم قبضوا على ولده وأخفوه والارجح انه لن يراه طول حياته

واری کما قلت لك ان الانتقام لم ينته عند هذا الحد وان كل الذين كان لهم يد في تلك الدعوى سوف ينالون الجزاء الذي يستحقونه

ولكن من هو مدبر هذا الانتقام ومن هو المنفذ ؟ .. نفسي تحدثني يا هر تلوب بانا بعد البحث سنجد أخي شارل ورفيقه أرنست دونيل .. واذا صدق ظني كيف يلزمنا ان نتصرف معهما ونحن ادرى بما نالهما من الظلم . ولم يقتصر الاذى عليهما بل تعداهما فان والدي ماتا حزنا على أخي شارل حين حكم عليه بذلك الحكم الجائر

ولما فاه لوس بعبارته الاخيرة اختنق صوته وسالت دموعه مما دل هر تلوب على شدة تأثيره ثم عاد فقال

— مسكين شارل كم كنا نحبه .. ولو ان ذكر ذلك الماضي يؤلمني جدا يا هر تلوب أرى ان لا بد لي من ايقافك على كل تفاصيله

لكي تسعفني بفكرك الثاقب .

فاعلم انهم لما حكموا على أخي سلبوا زوجته فني كل ما جمعه ذلك المسكين بعرق جبينه ليسددوا به نفقات الدعوى وبعد رحيل اخي الى كاين اختفت زوجته ولم نعد ندري اين هي . والذي يزيد الطينة بلة انها ذهبت بابنتها شارلوت وهي بنت سبع سنين والمرجح عندي انهما ماتتا جوعاً لان فني اشرف نفساً من ان تسقط واشمخ انفاً من ان تتسول ولكنها شجاعة ولا تهاب الموت

فتأثر هرتلوب تأثراً شديداً عند سماع تلك الحكاية المحزنة حتى كادت تفيض دموعه وقال لرئيسه

- يا لها من أمور فظيعة تقشعر لها الابدان . ولكنكم لم تذكروا لي شيئاً عن أخيكم ورفيقه فماذا حل بهما

- على م تستعمل عبارت التفخيم في حديثك معي ولم تعد تكلمني بغير كلفة مثلما عودتني ؟ ان ارتقائي الى رئاسة البوليس لم يغير عواطفي يا عزيزي هرتلوب . وحقك لا أدري ماذا حل بأخي ورفيقه فبعد ان قرأت الكتب المرسلة الي مع النوتي وتحققت انهما بريئين رأيت ان مصلحتهما تقضي بأن

لا يعلم أحد في كاين بأن بيني وبينهما صلة او معرفة. فكتبت لاخي مكتوباً بعبارة مبهمة أعرف انه يفهمها و بعثت به اليه مع النوتي

وفي الغد تمارضت لاتخلص من استقبال المسجونين خوفا من أن يلحظ أحد اضطرابي حين تقع عيني على عين اخي وياليت لدينا وقتاً كافيالاشرح لك عن معيشتنافي كاين وانت تعلم ان المسيو دي فرجين ينتظرنافاكتفي بالكلام عن الامر الوحيد الذي يهمك وهو فرار شارل وشقيق زوجته من السجن

— كيف ! هل امكنهما الفرار ؟

نعم وكان ذلك بفضل المثري « ر » الذي كتب لهما ذلك الكتاب فقد آلى ذلك الرجل على نفسه ان لا يكف عن السعي حتي ينقذهما من سجن كاين . وكان له عميل في ذلك البلد يشتري له كثيرا من المعادن فكتب له يخبره بعزمه على انقاذ شارل ورفيقه من السجن وكلفه ان يبذل كل ما في وسعه الوصول الى هذه الغاية مهما كلفه ذلك من المال

ولما علم شارل ورفيقه بمساعدة ذلك الغني صارا ينالان

من الحراس كل ما يشتهيانه حتى ان مدير السجن نفسه صار يلبي كل طلباتهما ويفعل كل ما من شأنه ان يخفف عليهما وطأة السجن . ولم يمض على دخولهما السجن ستة شهور حتى نزعت السلاسل من أرجلهما وكلفوهما بحراسة الارض . ومن ذلك العهد أخذا يترقبان الفرص للهرب

وفي ذات ليلة اوعز اليهما بالذهاب الى مكان معلوم من الشاطىء عند اسفل جزيرة النجاة ففعلا فوجدا هناك زورقاً بخاريا ينتظرهما فركباه فذهب بهما الى سفينة تجارية أرسلت من نيويورك لاجلهما وصدر الامر لربانها بانزالهما حينما يشاآن واذا أبيا الذهاب الى اوروبا يعطيهما الربان تحويلا قيمته مائة الف فرنك يدفع عند الاطلاع في أي مصرف من مصارف العالم أجمع

وقد أخبرني تاجر كاين الذي سعى بخلاصهما انهما ذهبا الى استراليا ثم انقطعت عني اخبارهما . وكان ذلك منذ اثنتي عشرة سنة

اما انا فعدت الى باريس معتقداً انهما ماتا لانقطاع خبارهما عني اثنتي عشرة سنة ولا سيما ان شارل كان يحبني

حبا جماً ولا أتصور انه يكف عن مكاتبتي عمداً مهما كانت الاسباب

ولكن الثلاث جنايات التي حصلت الليلة واختطاف بولص مارسي جعلتني اعتقد انهما الفاعلان وانهما ظلا عشر سنين يستعدان لهذا الانتقام

وقد أدركت الآن السبب في سكوت شارل . وهو انه لما صمم على الانتقام من اعدائه مع شقيق زوجته لم يرد ان اكون معهما لكي لا أتحمل العقاب اذا انكشف امرهما ولا اكون مثلهما عرضة للهلاك في كل لحظة

هذا هو السر الذي كان ثقيلا على صدري وأردت اطلاعك عليه ايها الصديق . ولم أعد أشعر بقوله الآن لانه صار في امكاني ان أتحدث معك بشأنه

ولا يخفى عليك الآن المركز الحرج الذي أصبحت فيه الآن . فما العمل ؛ وكيف يمكنني التوفيق بين واجبات مهنتي ومحبتي لاخي . او بعبارة أخرى : هل يمكنني البقاء في وظيفة رئيس البوليس مع علمي ان مرتكبي الجناية هما أخي وشقيق زوجته وان واجبات مهنتي تقضي علي بالقاء القبض عليهما

وتسليمهما ليد العدالة

فاجابه هرتلوب

— الى أية عدالة تريد تسليمهما، ألم تقل لي منذ حين انه يوجد نوعان من العدالة احداهما العدلة التي تخدم مطامع الدوق دي جرسي وترنكار وغيرهما من أصحاب الكلمة النافذة الذي يعبثون بشرف الناس وارواحهم ويستبيحون اعراضهم وأموالهم حينما يريدون ستر نقائصهم واخفاء سرقاتهم

والعدالة الاخرى هي التي يستعين بها أصحاب النفوس الابية على نيل حقوقهم بأيديهم متى أبى رجال القضاء انصافهم لعلة من العلل

فاعلم يالوس اني ما حييت أظل الى جانب ذوي النفوس الابية . ولا أخفي عنك اني استعين بكل القوة التي أنالتني اياها وظيفتي الجديدة لحماية أخيك ورفيقه ولا ادع لك سبيلا للتداخل في هذا الامر وكلما رأيت رجالنا يقتفون أثرهما أبذل كل جهدي لاحول انجاههم الى جهة أخرى

فتأثر لوس عند سماع مقال رفيقه حتى ترقرق الدمع من

عينيه وأجابه

— أأصدق ما أسمع يا عزيزي هرتلوب ؟ هل تفعل ذلك ؟

— ولماذا لا أفعل ذلك يالوس؟ فان ما رأيناه من الفظائع يحدو بنا الى سبيل العدل . ان اباك وأمك ماتا لشدة الحزن واليأس وامرأة اخيك وابنتها هائمتان على وجهيهما بلا طعام ولا لباس ولا مأوى . ولذلك أترك نوع العدالة الاول الذي يستعين بها الد. ق دي جرسي وتر نكار على بلوغ ما ربهما وأتمسك بالعدالة الحقيقية التي بجانب عائلتك والذين ذهبوا ضحية المطامع اولئك الاشرار والنتيجة يا عزيزي لوس انه يلزمنا ان نكون مراقبين على رجالنا انفسهم ونحول دون وصولهم الى اخيك ورفيقه

— ولكننا سنجد اشد الصعوبات في هذه المقاومة فان الرأي العام سيهيج متى علم بحصول تلك الجنايات العديدة في ليلة واحدة وعلم ان رجال البوليس لم يقبضوا على احد من القتلة . ولا يبعد ان يعزل المسيو دي فرجين من وظيفته قبل انقضاء اربع وعشرين ساعة وقد ينتج عن ذلك نتائج وخيمة

# الفكاهات العصرية

مجلة روائية أدبية تاريخية

لصاحبها

عبد الله غرابه

| | |
|---|---|
| السنة الاولى | العدد ٣٤ |

روايات يثوب الكهل منها بتفكهة وتخلية لمفكر
ويقرأها الفتى فيطيب نفساً بما يلفيه من خَبَر وخُبْر

خليل مطران

# رواية

# دهاء البوليس

تأليف

الكاتب الشهير والقصصي الاجتماعي

كزافيه دي مونتيبان

تعريب

الكاتب البليغ والطبيب البصري البارع

الدكتور ابراهيم شدودي



مطبعة العرب

## تمهيد

تركنا القاريء في العدد السالف بينما كان لوس رئيس البوليس الجديد يتحدث مع وكيله هر تلوب ويخبره بما كان من امر اخيه ورفيقه وبانه يخشى ان يكون لهما يد في الجنايات الثلاث واختفاء بولص دي ماوسي

فسأله هر تلوب — كيف ذلك ؟

— هذا سر لم يمكن اطلاع الحكمدار عليه ولكني ادركت من تلميحاته ان بعض الاسباب جعلته في مركز شبيه بالمركز الذي نحن فيه فانه يبذل جهده في ابطال عمل تحقيق أمر باجرائه النائب العمومي نفسه منعا للعار الذي يلحق بأسرة من اشرف اسر فرنسا بسبب ذلك التحقيق

— واذا كان لذلك التحقيق علاقة بمسألتنا فيكون هذا الاتفاق من أغرب ماوجد على الارض

— ان نفسي تحدثني بارتباط مسألة الحكمدار بمسألتنا فان الامور الغامضة التي نراها منذ اربع وعشرين ساعة يعجز المنجمون عن حل رموزها

اما انا فلا يهمني سوى امرين

اولهما : انقاذ اخي ورفيقه من الهلاك اذ من البديهي انه يحكم عليهما بالاعدام اذا قبض عليهما

وثانيهما انقاذ حياة المسيو دي فرجين لانني فهمت من سياق حديثه ان حياته وموته يتوقفان على محافظته على مركزه

وانت تعلم يا هر تلوب انه سيكون للجنايات الثلاث وقع عظيم نظراً لاهمية الرجال الذين قتلوا

والذي يضاعف اهميتها هو ان نحن لم نبحث يبحث غيرنا وان نحن لم نجد مرتكبي الجناية يجدهم سوانا ومتى دخلت المسألة في دور التحقيق وهذا يتم قبل انقضاء يومنا بين القاضي غيرنا للبحث فلا نعود نقف على شيء من سير التحقيق

فاطرق هر تلوب وبعد ان فكر ملياً قال

— والذي يزيد الطينة بلة ان تشابه الخناجر الثلاثة والكلمة «انتقام» المنقوشة على نصل كل منها سيدل رجال النيابة كما دلتنا على ان مصدر الجنايات الثلاث واحد فيتولى تحقيقها قاض واحد لا يسهل تضليله . ولولا ذلك لكان عين لتحقيق كل جناية قاض على حدة مما يزيد الامر تعقيداً ويسهل عليهم تضليل القضاة حتى يستحيل عليهم الوصول الى الحقيقة

فقال لوس

— سل الله معي ان لا يمين القاضي جيلومي لتحقيق الجنايات لانه من ذوي الدهاء الذين لا يشق لهم غبار وقد كشف الغطاء عن الحقيقة في كثير من الامور الغامضة التي قصر فيها سواه من رجال القضاء

فقال هرتلوب

— يلزمني قبل كل شيء ان أجد أخاك ورفيقه وأجعلهما يخرجان من فرنسا بأسرع ما يمكن. لكي لا يحكم عليهما بالاعدام اذا وقعا في يد الحكومة وكيف لا يحكم عليهما بالموت وهي تعتقد انهما لصان مسجونان فرا من السجن ليقتلا الذين أقاموا عليهما الدعوى والقضاة الذين حكموا عليهما بالسجن

ومتى اطمأن بالنا عليهما نسعى في تضليل القضاة حتى لا يلقوا الشبهة عليهما

وفيما هرتلوب يتكلم كان لوس يقلب صفحات التقرير الذي كتبه المرحوم بونجان ضد بولص دي مارسي وما كاد هرتلوب يتم عبارته حتى بدر من لوس هتاف ينم عن الدهشة وقال

— لم يبق سبيل للريب.. فهو بعينه

فقال له هرتلوب

— عمن تتكلم ؟

فاجابه لوس : اصغ

ثم قرأ مايلي

« صورة كتاب مرسل مني لوالد ولص مارسي »

« انك عالم بخطارة المسألة وتعلم ان ابنك متهم بالسرقة والتزوير وانه سيحكم عليه بالسجن وترى اني أجازف لاجلك ولا أخشى من التصريح بان في امكان الدوق دي جربي ان يعين في وظيفة مستشار في المحكمة وآخر موعد أضربه لك منتصف هذه الليلة وانتظرك في مكتبي في دار المحافظة . ان المصلحة متبادلة فتأخذ وتعطي »

الامضا

بونجان

— ما المراد من هذه الرسالة ؟

— لاتقاطعني . وانتظر النهاية

قال لوس ذلك وعاد الى القراءة

« جواب المسيو دي مارسي

« سيدي

« لاأرى بدآ من اجابة طلبك لانك وضعت السكين

على عنقي

«عند منتصف هذه الليلة أكون في مكتبك في دار المحافظة فارجوك ان تبعد رجالك لكي لا يعلم أحد بهذا الاتفاق المخجل الذي تضطرني اليه.

« وترى اني أنا أيضاً لا أخاف من التصريح في جوابي ولكنني أرجوك ان لا تعود الى التهويل عليّ بقولك « وتكون المصلحة متبادلة » فلو اني أرغب في اطالة حبل العناد لما كنت أبالي بالفضيحة »

الامضا

دي مارسي

ولما انتهى لوس من القراءة قال لرفيقه

— هل فهمت الآن ؟ ان هذين الخطابين قد كشفا الستار عما كان خفياً . وصار يسهل علينا الآن ادراك ماحصل واليك بيانه

ان بولص مارسي يعد من كبار المبذرين فان ماينفقه في العام من جيب والده لا ينقص عن المائة الف فرنك والظاهر ان أحد الدائنين تهدده بالشكوى . وتصور كيف يكون موقف وكيل النائب العمومي امام القضاء . فاضطر الى اتخاذ

طرق التزوير فاشتكاه صاحب الشأن الى بونجان مثلما يفعل الذين لايعرفون كيف يسلكون لكسب دعواهم

اما بونجان فسر كثيراً بتلك الفرصة وأخذ الكمبيالة المزورة من حاملها ووعده بقبض قيمتها . ثم انه استدعى والد بولص مارسي واوقفه على حقيقة الامر فاراد هذا ان يبذل كل مافي وسعه لانقاذ ولده من الورطة التي وقع فيها . فدفع قيمة الكمبيالة لبونجان

اما هذا فبعد أخذ القيمة ليدفعها الي الدائن أفهم والد بولص انه لايسلمه الكمبيالة المزورة الا اذا سعي بتعيينه مستشارا واستصدر أمراً صريحاً بذلك

والذي يؤيد ذلك ان بونجان رحمه الله قال لي صباح الامس ووجهه مشرق بشراً

« قد قضي الامر ونلت المرام وعما قريب أنقل الى وظيفتي الجديدة »

والمرجح ان دي مارسي سأل الدوق دي جرسي السعي في اجابة ملتمس بونجان فلم يجب سؤاله اما لكونه يكره بونجان واما لانه عجز عن رفعه من وظيفة رئيس بوليس الى

وظيفة مستشار في الحقانية مرة واحدة برغم ماله من النفوذ

وكانت النتيجة ان والد بواص دي مارسي ذهب الى مكتب بونجان في الميعاد المضروب وليس في جيبه الامر بتعيين بونجان مستشاراً وكأني أرى امام عيني ما حصل وها كه

طفق المسيو دي مارسي يتوسل الى بونجان ان يعيد اليه الكمبيالة المزورة فلم يجب بونجان سؤاله. فازداد الرجل تزلفاً واستعطافاً حتى كاد يجثو على ركبتيه ويقبل قدمي بونجان

ولما لم يجد تذلله نفعاً عمد الى التهديد فقال لبونجان

— اذا بقيت مصراً على عنادك واطلعت رجال القضاء على الكمبيالة المزورة وسجن ولدي فلا تنس ان المكتوب الذي أرسلته لي طالبا لانفاق لا يزال في قبضتي وان في امكاني ايقافك حالا اذا أطلعت الحكمدار على حقيقة الامر

وكأني اسمع بونجان يجيبه

— اذهب الى حيث تشاء فاني لا أمنعك

وكان جوابه هذا القاضي بقتله . فان المسيو دي مارسي فقد الرشد لشدة اليأس فطعنه تلك الطعنة النجلاء . قتل دي مارسي لينقذ شرفه من العار . ثم سرق الكمبيالة من جيب المقتول

فمد من اللصوص لاجل ابنه

وبينما لوش يتكلم كان هرتلوب ينظر اليه وعلامات الدهشة بادية على وجهه فلما أتم حديثه قال له

— لو انك درست فن المحاماة لكنت من أبرع المحامين. فان كلامك هذا أفصح وأبلغ من كل ماسمعته من مرافعات المحامين في المحاكم

— اشكرك على هذا المدح أيها الصديق الحميم. ارأيت الآن كيف ان قاتل بونجان اصبح في قبضة يدنا بفضل هذين الكتابين ودليل زر الماس. فهي ادلة دامغة لا يمكن دحضها ولكن بقي امر واحد لم افهمه وهو المشابهة التامة بين الخنجر الذي طعن به بونجان والخنجرين اللذين طعن بهما القتيلان الاخران في نفس الليلة

— لله من باب الاتفاق الغريب

— كلا .. لا يمكن ان تحصل مثل هذه المشابهة بالاتفاق فتكون القبضة واحدة في الثلاثة خناجر والنصل واحداً وكلمة «انتقام» المحفورة عليهما واحدة ولاسيما تلك القناة التي وجدت فيها الكورار ذلك السم الزعاف الذي لا يوجد الا في البلاد

الواقعة عند خط الاستواء فالناظر الى الخناجر الثلاثة والى كيفية حدوث الجنايات الثلاث يحكم للفوز على ان هنالك عصابة مستترة أتت هذه الفعال وغايتها الانتقام . والذين قتلوا جعلوني افكر في اخي شارل وفي ارنست دونيل

ولكن لذي يصعب عليّ فهمه هو دخول المسيو مارسي في تلك العصابة فان الخنجر الذي طعن به ليس من صنع فرنسا ولعلنا بعد البحث والتدقيق نجد انه لم يدفع دي مارسي الى قتل بونجان سوى شارل ورفيقه دونيل ولكن حتى الآن لا يسعنا الا الاقرار بعجزنا عن معرفة الحقيقة

— ولكن مهما يكن من الامر فاننا كشفنا النطاء عن اشد النقط غموضاً وتحققنا ان المسيو دي مارسي هو قاتل بونجان . ومتى وجدنا في ضيق شديد واحتجنا الى المعونة من مصدر عالٍ لو اردنا مثلا الافراج عن أخيك اذا ألقي القبض عليه برغم ما نبذله للزود عنه فيمكننا ان نتسامح بذينك الكتابين وان نتهدد بهما المسيو دي مارسي ونقول له مثلما قال له بونجان : « ان المصلحة متبادلة فتأخذ وتعطي »

— لا يا عزيزي هرتلوب . لا يلزمنا الاعتماد الا على

المراقبة الشديدة التي سنقوم بها . أتظل الاوهام تتسلط عليك وأنت في هذا السن ؟ فما هي منزلة رجال البوليس ؟ انهم ليسوا سوى آلات بسيطة فقد يجبروننا على تسليم المستندات التي بين أيدينا الى قاضي التحقيق ثم يحرقونها في نفس الليلة ويسخرون بنا مستهزئين

— أتظن انه يجسر على هذا العمل ؟

— لا شك اننا ان عرضنا عليه الافراج عن اخي مقابل ارجاع الكتابين اليه لا يلبث ان يواجه النائب العمومي وهو زوج ابنته الصغرى ثم يواجه المسيو دي فيرجين الحكمدار زوج ابنته الكبرى وبعد ذلك يظهر ما ذكرته لك حرفاً حرفا

— ولماذا لم يسلك هذا المسلك مع بونجان ؟

— لأن مسألة بونجان تختلف اختلافاً كلياً عن مسألتنا ففي مسألة بونجان كان ابن مارسي واقعاً في الحفرة وكان لا بد له من انقاذه . ولم يكن في امكان النائب العمومي ولا الحكمدار ابادة الكمبيالة المزورة لانه فضلا عما يبديه بونجان من الاعتراض اذا قبض عليه يوجد الدائن الذي اسلم الكمبياله لبونجان ولم يقبض قيمتها فكيف يمكن اسكاته ؟ اذا كانت

القضية محصورة بين موظفي الحكومة يمكن ملاشاتها ولا يمكن ذلك اذا تداخل فيها واحد من عامة الناس

فمن رأيي ياهرتلوب ان نظل ساهرين على أخي ورفيقه متيقظين أذ ليس لهما سوانا لانقاذهما من حبل المشنقة

— قد خطر لي خاطر يالوس

— وما هو ؟

— ماذا تقول لرئيسنا عند عودته

— المسيو دي فيرجين ؟

— نعم . ماذا تقول له . وليس في امكانك ان تذكر له شيئاً مما تعلمه ؟

— صدقت ان ما نعلمه يجب ان لا يعلم به أحد سوانا . ولكنني أقسمت للمسيو دي فيرجين بأن ابذل قصارى الجهد لأحول دون خروجه من وظيفته ولا بد لي من القيام بوعدي

— هل هو مهدد لاسباب أخرى غير التي نحن في صددها ؟

— أو ما كفاه الورطة التي وقع فيها ؟ فأنت تعرف صولة الجرائد وتعرف كيف يهيج أهل باريس حين يقرأون خبر

الجنايات الثلاث التي حصلت ولا سيما حين يعلمون ان رئيس البوليس قتل في وسط دار المحافظة وان بولص مارسي اختطف من عربته في وسط الشارع وان رجال البوليس لم يقفوا على أثر المجرمين . وزد على ذلك كله المقالات الرنانة التي تدرجها الجرائد الكبرى عن الامن في باريس كقولها

: « اننا طالما نبهنا الحكومة بعبارة خالية عن كل تحامل الى سوء ادارة مصلحة البوليس وها ان الحوادث أتتنا ببراهين جديدة دامغة تؤيد صحة كلامنا . »

الى غير ذلك من عبارات التهكم والتهديد التي تخترق العظم. ومتى قرأ اهل باريس مثل هذه المقالات يصيحون كلهم صيحة واحدة فلا يستطيع حكمدار البوليس الثبات في مركزه ساعة واحدة وان نحن لم ننشر في الجرائد عند الساعة الثامنة صباحا هذه الجملة

. « اصبح المجرمون في القيود »

يضطر وزير الداخلية لحفظ مركزه ان يعزل المسيو دي فيرجين من وظيفته ويقول له

: « — ان ما اصنعه معك أيها الصديق العزيز لا ينطبق

على العقل ولا العدل ولكنني افعل ذلك لارضاء الرأي العام»

ولا يلبث الحكمدار الجديد ان يستلم وظيفته حتى يصدر اوامره المشددة لرئيس البوليس بالبحث ليلاً ونهاراً لكي يقال عنه : « بورك في هذا الحكمدار النشيط هكذا يجب ان يكون مدير مصلحة البوليس في باريس »

فينتج عن استبدال الحكمدار بغيره تهدئة الخواطر ولو كان الحكمدار الجديد اعجز من القديم عن وجود المجرمين

— ان مركز الموسيو دي فيرجين مهدد بالخطر اذن ؟

— نعم أن نحن لم نأخذ بناصره

— وماذا تريد أن تفعل ؟

— لا أعلم ولكنني وعدته بالاجتماع به عند الساعة السابعة ونصف صباحاً لكي يبقى لي زمن للتفكر ولا اخفي عنك أن الله لم يفتح علي بفكر جديد ولكن الم تقل لي بان قد خطر لك خاطر ؟

— قلت أن لدي الواسطة للوصول الى طريقة..

— وما هي الواسطة ؟

— اذا ذهبنا الى الرجل الذي قضى خمس وعشرين سنة كانه وزير البوليس في فرنسا ولم يفته شيء من كل الجنايات التي حصلت في فرنسا بوجه العموم وفي باريس بنوع خاص واعني به رئيسنا السابق جاك لوران. قلت اذا ذهبنا الى هذا الرجل واستشرناه الا نجد بعض الفائدة من ذلك؟

— فهتف لوس قائلا

— نعم صدقت اننا لا نجد سواه لانقاذنا من المركز الحرج الذي اصبحنا فيه ولا ادري كيف لم افكر في ذلك قبل الآن فقد اضعنا هنا زمنا ثمينا

— لا تأسف على الزمن الذي قضيناه مما فانك اطلعتني فيه على كل شيء ولم أعد اظهر في مظهر الغبي حين اقف امام جاك لوران. ثم ولو نه لا يزال محافظاً على عادته في النهوض باكراً منذ استقالته من وظيفته فما كان يمكننا أن نذهب اليه في منتصف الليل.

— كم الساعة الآن؟

— الساعة الرابعة صباحاً

— ما زال لدينا اذن ثلاث ساعات ونصف وهو وقت

كاف لاستدراك الامر اذا امكن ذلك فلنذهب اذن حالا الى شارع بيك

وبعد زمن وجيز كان الرجلان ذاهبين الى حي مونمرتر

وكان الموسيو جاك لوران بعد تقاعده سكنا بيتا صغيراً في ذلك الحي ولم يكن عنده سوى خادمة عجوز وكان يبلغ اذ ذاك من العمر تسعين سنة قضاها في الجد والاجتهاد حتى بلغت شهرته الخافقين

وما زال الكثيرون يذكرون ما اتاه من الفعال العجيبة ولو انه جمع مفكراته ودونها لكانت التاريخ السري للنصف الاول من هذا الجيل

ففي ذات يوم بلغ سفارة النمسا في باريس خبر من حكومتها أن اربعة رجال من الاشرار قد تآمروا على قتل الامبراطور فرنسوا والتجأوا الى عاصمة فرنسا فاطلعت السفارة البوليس على ذلك الخبر وبعد ثلاثة ايام كتب جاك لوران الى السفارة الرسالة الآتية

« أن الاربعة رجال الذين ذكرتم اوصافهم لم يبرحوا فينا اط وما زالوا مختبئين في قبو البيت الثالث من جهة الشمال

في شارع جوزف تراس وهم عازمون على اطلاق الرصاص على الامبراطور حينما يذهب الى الكنيسة لحضور الاحتفال بعيد الامبراطورة ماري تيريز»

وبعد التحقيق وجدوا أن كلما قاله الموسيو جاك لوران صحيحاً وقبض على الاربعة رجال بينما كانوا يعدون الالة الجهنمية التي عزموا على اطلاقها على الملك وحاشيته من القبو الذي كانوا مختبئين فيه

— ومن النوادر التي تحكى عنه أن احد موظفي بنك انكلترا سرق من البنك الكليشه الذي تطبع عليه الاوراق المالية التي قيمة الواحدة منها ماية ليرة انكليزية وسرق معه الاختام المتنوعة التي تضاف اليه ولم يبقها معه سوى من يوم السبت الى صباح الاثنين ولكنه تمكن في هذا الزمن الوجيز من طبع عدة اوراق مالية لم يتحققوا من انها مذورة الا بعد مضي عدة سنين

وبما ان أعضاء مجلس البنك قرروا الغاء ذلك الكليشي فصار البنك يحجز على كل الاوراق المالية المسحوبة عنه فاتضح ان الاوراق التي عادت الى البنك ازدادت أربعة أضعاف عما

كانت حين وزعت فعجب موظفو البنك لذلك غاية العجب واعتراهم الذهول حين تحققوا انه يستحيل على اي واحد منهم ان يميز بين الاوراق الصحيحة والاوراق المزورة

فوقعت الشبهة على أحد كبار الموظفين ولكنهم بعد التحري لم يثبتوا التهمة عليه ولما عجز بوليس لوندرا عن القبض على الجاني . خابر البنك بوليس باريس وكلف مديره بالبحث عن الجاني اذ ظن بعضهم ان المزورين هربوا لفرنسا

فذهب جاك لوران الى لوندرا متخفيا واتفق مع أعضاء مجلس ادارة البنك على الطرق التي يلزم اتخاذها . وكان بعض اولئك الاعضاء أشاروا بابقاء الامر مكتوما فلما جاء جاك لوران أشار بعكس ذلك وأعلن في كل الجرائد عن نمرة الورقة المالية المزورة وبعد ان جعل الصحف كلها تكتب المقالات الطويلة عن هذه الحادثة كف بغتة ولزم السكون كانه لم يعد يهتم بالامر

وقبل ذلك ببضعة أيام قدم الى لوندرا رجل اسرائيلي مرتد ملابس أهل الشرق وفتح حانوتا في زقاق من اقبح أزقة

لندرا وكتب فوق باب حانوته ما يأتي

« ابدال كل أنواع العملة وشراء السبائك الذهبية والفضية وكل أنواع العاديات والآثار القديمة »

وكان لذلك الحانوت مكان مستتر عند آخره متصل ( بكرار ) له باب متين . وكان في ذلك المكان المستتر خمسة رجال من ضمنهم واحد من بوليس لندرا

كل ذلك دبره جاك لوران

وفي اليوم الاول جاء رجل يعرض على صاحب الحانوت أدوات مطبخية من الحديد الملبس بالمينا يريد بيعها فاشتراها اليهودي وأدخل البائع الى مؤخر الحانوت لينقده الثمن وللحال أشار اشارة خفية الى الرجال الخمسة فاطبقوا عليه وزجوه في ( الكرار )

وفي خلال ذلك كان جاك لوران مشغولا بتطهير لوندرا من اللصوص والقتلة . وفي الايام التالية قبضوا في الحانوت على أناس آخرين

وقبل انقضاء أسبوع على افتتاح ذلك الحانوت اقبل رجل غريب تدل ظواهره على انه دوق كبير ونزل من عربته

ودخل الحانوت يريد ان يشتري حذاء يبت من صنع المشرق ثمنه شلنان

فلما أبصره جاك لوران ناجى نفسه قائلا

— لقد وقعت في الفخ يا حضرة الدوق . لاشك انك ستنقدني ورقة مالية

صدق ظن لوران فان الرجل أخرج من جيبه محفظة مكتظة بالاوراق المالية واخرج منها ورقة قيمتها ١٠ ليرا انكليزية ليدفع منها شلنين ثمن الحذاء

غير انه لما أبصر عيني جاك لوران تكاد ان تختطفانه ارتعدت فرائصه فاراد ان يركن الى الفرار «اذ كان هو المزور» ولكنه لما حاول ان يفتح الباب لم يفلح لانه متى أغلق لا يفتح الا بطريقة سرية

فهجم على جاك لوران شاهراً خنجراً فلاقاه هذا بجنان ثابت وقلب أشد من الحديد وباقل من لمح البصر صرعه وأخذ منه الخنجر وزجه في الكرار مع خمسة عشر آخرين كانوا كالعصافير في القفص

أما البوليس الانكليزي الذي كان في مؤخر الحانوت كما

تقدم فكانت وظيفته اقناع الذين يقبض عليهم بأن ذلك أمر الحكومة

ففي اقل من ثمانية أيام قبض رئيس بوليس باريس على خمسة عشر من اكبر لصوص لندرا وقتلتها ظلوا سنين طويلة يعيشون فساداً ويهزأون برجال البوليس الانكليزي واتضح ان صاحبنا الذي دخل الحانوت بهيئة دوق كبير كان من موظفي البنك المكلفين بمراقبة طبع الاوراق المالية

فنفح بنك لوندرا لوران مكافأة قدرها ماية الف فرنك ففرقها كلها على رجاله ولم يبق لنفسه سنتيما واحداً

وكان من مذهب جاك لوران ان البوليس لا يلزمه التكتم في ابحاثه وان كثرة لغط الجرائد في المسألة التي يحوم حولها تعود عليه بالفائدة في أغلب الاحيان . فان في مسألة بنك لندرا الذي ذكرتها لك الآن كانت فائدة الاعلان في الجرائد ان كل الناس أحجموا عن قبض الاوراق المالية التي أعلنت الجرائد عن نمرتها فاضطر المزور لتصريف الاوراق المزورة ان يبحث عن حانوت بعيد عن ضوضاء السوق مثل الحانوت الذي أنشأه جاك لوران لتلك الغاية فوقع

في الفخ

وكانت لجاك لوران مزايا كثيرة تميزه من غيره من رجال البوليس وهي السبب في نجاحه الباهر وامتداد شهرته في العالم أجمع

وأول تلك المزايا انه كان شديد العضل الى الدرجة القصوى حتى انه كان يقاوم وحده اربعة او خمسة رجال من اللصوص الاقوياء البارعين في فن الضرب والطعن ولا يخفى أهمية هذه المزية لمن كان معرضاً للاشرار والقتلة في كل ساعة مثل رئيس البوليس

ثانيا انه اكثر من درس الاخلاق البشرية وصار أعلم الناس بعواطف بني الانسان. وهذه المزية كانت تسهل عليه الوصول الى الغاية المقصودة عن اقرب الطرق وبابسط الوسائط مما جعل اخصامه يقولون

— . « هذه هي المزية البسيطة التي امتاز بها لوران على غيره »

نعم هي مزية بسيطة ولكنها مثل بيضة كولومبس اي انها سهلة ولكن لا يفكر فيها الانسان والذي كان يفقا حصرما

في أعين أخصامه وأعدائه انه كان ينجح في أعماله دائما

تلك كانت صفات الرجل الذي صمم لوس وهرتلوب على زيارته والاسترشاد بعلمه لعلهما يخرجان من المأزق الذي أصبحا فيه

وكان بيت لوران منقولا عند آخر شارع ليبيك فلما وصلاه قرع لوس الباب وبعد ان سألته الخادمة العجوز عن اسمه والغرض القادم لاجله وعلمت من هو فتحت له الباب واذ ذاك نهض الشيخ لوران من فراشه واقبل وهو يقول لزائريه

— ادخلا . ادخلا . ما الذي ساقكما باكراً الى الناسك لوران في صومعته ؟

فهمس لوس في أذن رفيقه قائلا

— أسمعت ؟ يقول اننا أتيناه باكراً . تأكد انه سينشلنا من الورطة التي نحن فيها . ولكني أعرف طبعه فاياك ان تظهر اننا قادمون اليه لغرض . بل تظاهر اننا قادمون لزيارته فقط ولا نكلمه في الامر الا اذا طرح علينا السؤال

— سأتبع نصيحتك حرفا حرفا

ثم فتح الباب فدخلا فقابلهما جاك لوران منتصب القامة كالرمح على رغم التسعين سنة المكدسة على ظهره طلق المحيا ومد لهم كلتي يديه ليصافحهما مرحباً بهما

## القسم الثاني

## مؤامرة غامضة

## الانتقام

وأحيى الدون فرنان دابوجار سفير البورتغال تلك الليلة في منزله فكانت ليلة أنس دعا اليها عشرة من أشرف رجال باريس منهم الدوق دمبمار كونتي . والشقيقين تريغنوك اللذين خاض احدهما حرب الترانت في سانكيا . وهما من اشهر الصيادين والمقامرين والمدمنين . وهو يرلافولوتروا ربان سفينة والدون الفاريس دي كاسترو وهو من اشراف البورتغال وتعد ثروته بمئات الملايين وهو صديق حميم للسفير وأخيه امانويل دي كاسترو ابرع ضارب بالسيف بين شبان باريس بلاجدال وبولص دي مارسي وكيل النائب العمومي واندره دي لاسولز ذلك السائح الذي جاب مجاهل افريقيا المحرقة وصعد الى أعلى قمة من جبال حملايا التي يكسوها الثلج صيفاً وشتاء

وتلك كانت اول مرة حضر فيها بولص مارسي ليلة من الليلات الاسبوعية التي كان يحييها سفير البورتغال في باريس

لان هذا الرجل لم يكن يدعو سوى احد عشر من اصدقائه ويكون هو الثاني عشر ولم يكن يدعو الى تلك الحفلات من اصدقائه الا الذين يثبتون بالبرهان والدليل على ان اجدادهم خاضوا مما مع الحروب الصليبية

وقد حاول كثيرون من الشبان الاغنياء الذين جمع آباوهم الثروة بالاتجار بالشكولاته المسهلة ومقاولات الهدم وما شاكل ذلك ان يدخلوا جمعية السفير وبذلوا كل الوسائط الممكنة ولكنهم لم يفلحوا

فاصبحت والحالة هذه دعوة سفير البورتغال لاحد الناس كشهادة تثبت شرف أصله

ولم يصمم الدون دلبوجار على دعوة بول دي مارسي الا بعد مفاوضة أصدقائه الذين يترددون عليه والسبب في ذلك ان أشراف البورتغال لا يكتفون بشرف الوالد بل يهتمون ان تكون أم الشريف شريفة وكانت أم بول دي مارسي من عائلة ترنكار وهذه العائلة فضلا عن انها ليست شريفة قد تلطخ اسمها بالمارين أرباب الاموال منذ حصول ذلك الحادث الذي أتينا على ذكره

غير ان امانويل دي كسترو الذي كان راغباً في انخراط بولص دي مارسي في سلك تلك الجماعة عرض الامر على الذين كانوا يجتمعون وطلب منهم ان يبدوا رأيهم في قبول دي مارسي أو رفضه فقبل بولص في تلك الجمعية بستة اصوات من عشرة وكان اولئك العشرة الاعضاء الحقيقين ولا يأتي عليهم في الاجتماع الاسبوعي سوى اثنين فيصبحوا الكل اثني عشر

ولم يدر بول دي مارسي الطريقة التي قبل فيها بين تلك الجماعة وسر بدعوة السفير الشريف لانه كان حاقداً على أبيه الذي تزوج بفتاة من عائلة ترنكار مما حط من كرامة أسرة دي مارسي العريقة في الحسب والنسب وطالما وعد نفسه بالاقتران بفتاة من الاسر الاصيلة في المجد متى نال الوظيفة التي يرقبها بذاهب الصبر وهي وزير الحقانية وقد وعده بها الدوق دي جرسي

وقبل حصول هذا الحادث الذي نحن في صدده بست سنين كان بول دي مارسي في يوم أحد يتنزه بعد الغداء في غابة من غابات باريس ولما خيم الظلام وتلألأت المصابيح في

الحوانيت وعلت أصوات الغناء والضحك بين المتنزهين من كل الطبقات تاقت نفس بولص الى الانخراط بين اولئك الناس لعله يقف على سبب بهجتهم وانشراحهم

فنزل من عربته وأمر الحوزي بالعودة الى البيت وقال له انه سيعود ماشياً أو يكتري عربة ثم اتجه الى أحد المطاعم كانت تتلألأ الاضواء فيه كأنها شموس وتجري الشمبانيا من الزجاجات الى الكؤوس ومن هذه الى المعدة ثم الى الرؤوس وكان على موائد المطعم ست عائلات من آباء وامهات وشبان وصبيات وأطفال وكانوا كلهم يأكلون بشهية يسيل لها اللعاب وكانوا على وشك الانتهاء من الازدراد يلتهمون الفاكهة واصبحوا يشربون خمراً أحلى من المعتاد وكان الرجال يغنون والنساء يضحكن ويتمايلن على كراسيهن كالافاعي اما الاطفال الذين لا يرون مثل ذلك العيد الا فيما ندر كانوا ينهشون بقايا دجاجة جادوا بها عليهم ويزدردون ما تصل اليه أيديهم من الحلوى

فوقف بول دي مارسي وأخذ يجيل نظره في كل ناحية لعله يجد مكاناً خالياً يجلس فيه فلم يجد ولما هم بالانصراف سمع صوتاً غليظاً يقول

— انضموا الى بعضكم يا اولاد وافسحوا مكانا ليجلس هذا الرجل

فالتفت بول دي مارسي الى الذي أصدر ذلك الامر وبش في وجهه وأحنى له الرأس شكراً ثم جلس في المكان الذي أخلاه له الاولاد ثم سأل خادم المطعم ان يأتيه بشيء من الشاي .

ولما رأى صاحب المطعم بول دي مارسي أدرك من تأنقه في ثيابه بانه من اصحاب الوجاهة فجاء يخدمه هو بنفسه وكانت زوجته وكل مساعديه ينظرون الى دي مارسي نظر الوضيع الى الرفيع

وكان بول دي مارسي في ذلك العهد من اجمل شبان باريس طويل القامة رشيق القد شديد العضل حسن الصحة وكان وارثاً عن امه جمالا يندر وجوده في وجوه الرجال فلم تكن تراه امرأة الا جرى امامها وكان بول دي مارسي عالم بما ناله من مزايا الجمال ولكنه لم يكن يتيه عجباً لذلك لانه كان ذا عقل صحيح بعيدا عن الكبرياء والعجرفة مع انه لم يكن حسن التربية ولا من ذوي المبادىء

ولما جلس على المائدة خفت الضوضاء وانقطع الآكلون عن الضحك والمزاح والغناء احتراما له ولكنهم لما رأوه يلاطف الاولاد ويشتري لهم الالاعيب من الباعة الذين يمرون من هنالك اجمع الكل على مدحه والثناء عليه ولما رأوه يعطي أحد الباعة قطعة من الذهب قيمتها عشرون فرنك ولا يريد ان يأخذ الباقي له ضجوا كلهم ضجيج الاستحسان وشربوا نخبه

وصاروا يتحدثون همساويبدي كل واحد منهم فكره في بول مارسي فمنهم من قال انه كاتب وكيل أشغال وقال آخر انه موظف في مخزن اللوفر

فلم يتمالك بول دي مارسي عن الابتسام باطنا كلما بلغ اذنه ذلك الهمس والتخمين ولم يشأ ان يحول اولئك الناس عن رأيهم فيه

واتفق ان فتاة جميلة كانت جالسة امامه وهي تبلغ من العمر السادسة عشرة وقد جلبت اليها انظاره منذ دخل المطعم وكان شعرها المجعد يحيط بوجهها احاطة الليل بالبدر ولها أنف أقنى ومنخران متحركان وفم كزهرة الرمان يبسم عن

اسنان كاللؤلؤ المنظوم وعينان سوداوان تخترقان حبات القلوب وحاجبان كقوسين واهدب تقلع عين الاحباب وخدان ناعمان كانهما من دمقس

ولأول نظرة أدرك بولص مارسي مقام تلك الفتاة بين ربات الجمال ولكنها كانت بين القوم المحاطين بها كالوردة بين الاشوك . ولما رأت الفتاة ان مارسي ينظر اليها احمرت وجنتاها خجلا وزادها ذلك اللون القاني جمالا وعاد القوم الى الضحك والغناء مما سهل على مارسي امعان النظر في جمال الفتاة بدون أن يلتفت اليه أحد

وفي تلك الاثناء نادت الفتاة امرأة بدينة كانت من جملة الضاحكات والمغنيات وقالت لها

— لا تغفلي عن أخويك ياشارلوت فانهما اكثرا من الاكل وأخشى ان يمرضا

فاجابتها الفتاة

انهما لا يسمعان ما أقوله لهما ويشربان الخمر بلا ماء مقلدين خالهما الجندي المقيم في معسكر نوازي

فكان لجوابها وقع أضحك الجميع فشرب الكثيرون نخب

الولدين اللذين يريدان التشبه بخالهما الجندي. وملأ الولدان قدحيهما ليشربا مع الشاربين وتقدما نحو مارسي ليلمسا كأسيهما بكأسه

فاستقبلهما مارسي بوجه باش ثم ان الجماعة قدموا له كاس خمر فقبلها على شرط ان يقبلوا منه مثلها ولما اظهروا الرضى أمر صاحب المطعم بفتح أربع زجاجات شمبانيا وبدل كاسات النبيذ الاحمر بكاسات تليق بسلطانة الخمور

وما كان الا كلمح البصر حتى ضمحت الزجاجات الاربع فاردفها مارسي بأربع أخرى ثم بأربع ثم باربع حتى اشتعلت الادمغة وتوردت الخدود وتمايلت القدود وذبلت الاجفان وأبرقت العينان

فأدنى مارسي كرسيه من كرسي الفتاة وكان كلما رأى كأسها فارغاً ملأه . ولما لعبت الخمر بالرؤوس بدأت الاغاني الوطنية الحماسية

فاغتنم بولص دي مارسي تلك الفرصة وطفق يتحدث مع شرلوت ويزرع في قلبها الخلي بذور الغرام

ماذا قال لها ؟ ...

لم يكن من الصعب عليه تكدير صفاء افكار تلك العذراء فمن من الفتيات اللواتي بلغن السادسة عشرة لا تريد ان يقول لها الشاب : « أحبك » .

قال لها دي مارسي كذباً انه رآها مراراً عديدة ولكنه لم يجد سبيلا الى الكلام معها ليبثها غرامه . أما الليلة فانه عزم على مفاتحتها بغرامه ليعلم ماذا يكون من أمره معها . ثم قال لها انه حسن المقصد وانه ليس من الاغنياء الذين تبعدهم عنها هوة عميقة . وادعى انه ليس سوى كاتب عند احد وكلاء الاشغال وان ما يربحه يقوم بنفقاته وأكثر . ومن كلمة الى أخرى قال لها بصريح العبارة ان لفظة من فمها تصيره إما سعيداً أو شقيا

وكان مائلا اليها وكل ما فيه جاذب يأخذ بمجامع قلوب ربات الجمال . شباب وجمال وبشاشة وجه . وطلاقة لسان . فكان كالافعى ينفث السم في نفس تلك الفتاة الطاهرة الذيل

وفي تلك الاثناء كان أقارب الفتاة يضحكون ويغنون غير ملتفتين الى الحبائل التي يحيكها دي مارسي لا بنتهم وتم ما كان مسطوراً في عالم الغيب فاجابت الفتاة داعي الغرام

وأقسمت لمارسي ان تحفظ عهده

ولعلّ بولص دي مارسي لم يكن في عمله هذا مسيئاً الى الدرجة التي يتصورها القارئ لأول وهلة . لانه حين ابصر جمال الفتاة أحبها حباً اكيداً لم يكن يعرفه من ذي قبل ففتح صدره لها وكان ذلك السبب الاكبر في وقوعها ..

وبالاختصار ظل دي مارسي يحبك الحبائل لمحبوبته وهي لا تحسن الدفاع عن نفسها حتى أصبحت خليلته بعد ثلاثة شهور وفي ذات مساء شعرت بانتقالها من حال الى حال فتولاها الرعب ولما اعلمت خليلها بخوفها من ان أهلها يلحظوا ما طرأ على احشائها أشار عليها بترك بيت ابيها ففعلت

وظل بوص يؤكد لخليلته ان وظيفته كاتب في محل وكيل اشغال . ولما خرجت من بيت أبيها استعان بالمال الذي يأخذه من والده وأسكنها بيتاً جميلا بالقرب من قرية بالنرو عند خط سكة حديد سو وأمل ان لا يعلم احد بمقر حبيبته في ذلك المكان المقفر

ورزقت شارلوت اربعة اولاد ذكر وثلاث أناث وكان حب خليلها لها يزداد يوما عن يوم وهو أمر نادر في

شبان الطبقة التي نشأ فيها . وكان يقيم عندها كلما استطاع الى ذلك سبيلا ويبالغ في الاهتمام بأمرها وعمل كل ما يأول الى راحتها وانشراحها.

وكانت شرلوت في ذلك المنزل المنعزل عائشة رغداً بغير تظاهر ولا ضوضاء فكان في خدمتها طاهية وخادمة ومرضعة للاولاد ولم تعجب لما كان ينفقه دي مارسي في سبيل راحتها لانه أفهمها بأنه يربح في محل وكيل الاشغال مالا كثيراً ولا بدّ لنا من التنبية بأنه غير اسمه ودعا نفسه بواص سيغوان وكانت شارلوت تصدق كل ما يقوله لها.

ولم تهتم بأمر مستقبلها فانها حين طلبت من دي مارسي ان يتزوجها أجابها بأنه لا يتأخر عن اجابة سؤلها بعد وفاة امه لانها لا توافق على ذلك القران وتريد أن يتزوج فتاة غنية من بيت مجد أصيل . فمتى ماتت يزول المانع

ولم يكن يكدر صفاء عيش شارلوت سوى ذكر بيت أبيها... وطالما كانت تنكس رأسها الى الارض وتناجي نفسها قائلة.

— ماعسى ان يكون حل بأبي وأمي واخوتي؟... قد انقضت خمس سنين منذ تركتهم ..

ويعقب تلك الذكرى غم شديد فتبكي شرلوت فيرشف ولص دموعها بقبلاته ويقول لها

— متى تزوجنا ايتها الحبيبة يصفح والداك عنك ونصبح جميعنا سعداء

ولسان حال شارلوت يقول

اعلل النفس بالآمال وارقبها * ما اضيق العيش لولا فسحة الامل

وفي صباح اليوم الذي دعي فيه دي مارسي الى مناولة العشا في بيت دلبوجار السفير كانت شارلوت قلقة مضطربة الافكار ولما تركها خليلها اصبحت على احر من الجمر وحدثتها نفسها بحلول مصيبة . والسبب في ذلك انها أبصرت مساء اليوم الفائت قوما يحومون حول البيت فارتعدت فرائصها لذلك . والذي زادها رعباً هو ان دي مارسي أخبرها بانه لا يعود اليها في المساء المقبل وادعى انه مسافر مع امه فتوسلت اليه ان يؤجل سفره ولم تخف عنه هواجسها فقابل ما قالته له بالضحك ليزيل هواجسها

ولكنه كان يتكلف ذلك الضحك لانه شعر هو نفسه بانقباض في ذلك اليوم لم يعرف له سببا . وحدثته نفسه بانه مصابا عظيما يتهدده ولا يمكنه اتقاء شره .

وفي مساء ذلك اليوم حين دخل بيت السفير كانت لا تزال تلك الافكار السوداء تشغل مخيلته.

غير انه ما لبث ان اجتمع باولئك المدعوين المبتهجين وشرب نبيذ بورجونيا حتى اضمحلت تلك الافكار السوداء وعاوده زهوه

ولكن ما ظهر عليه من القلق ساعة دخوله بيت السفير لم يخف على صديقه ايمانويل دي كاسترو. فبعد مناولة الطعام لما قام المدعوون الى قاعة التدخين اخذ ايمانويل بذراع دي مارسي ومشى به الى زاوية من القاعة وقال له بلهجة تنم عن الاهتمام

— ما كان بك الليلة حين دخلت علينا يابولص؟ فقد لاح لي انك كئيب مشتت الافكار

فأجابه دي مارسي

— ما بي شيء ياعزيزي ايمانويل. وانما يشغل بالي بعض امور عائلية ليست بذات أهمية ولا تستحق ان تشغل بالك لأجلها.

فاجاب ايمانويل وهو ينظر اليه يريد ان يخترق صدره

ويقرأها في سويداء قلبه

— يسرني اني قد اخطأ ظني ... اذ كنت اتصور ان سبب كدرك اهم مما ذكرته . ولا تنس يا بولص اني رهين اشارتك اذا كنت في حاجة الى شيء

— اشكرك على اهتمامك بي ايها الصديق . وسأظل اذكر لك هذا الجميل ماحييت وكلما تقادم عهد مودتنا ازددت بك تعلقاً ولك حبا

فتمتم ايمانويل قائلا

— سوف نرى

قال ذلك وصوب نحو دي مارسي عينيه السوداوين كأنهما سهمان ونظر اليه نظرة حادة قد تكون علامة لبغض قديم مثلما يمكن ان تكون دلالة على المحبة الاكيدة

وفي تلك الاونة سمع صوت الدوق دلبوجار ينادي ضيوفه فانضموا كلهم اليه . ومدّ الخدم موائد ( البكرا ) وصار كل واحد يدعو رفيقه للجلوس

وكان لعب القمار شديداً في بيت السفير حتى صار يضرب بذلك المثل في باريس . ويقال انه في ذات ليلة لعب دامبار

كونتي مع سفير تركيا « برتيته » ايكارتيه واحدة لا اخت لها وكان الرهان مليون فرنك على خمسة ( بنوط ) فقط . غير ان المتفرجين طلبوا من المتراهنين ان يجعلا عدد البنوط احدى عشر لكي يطول سرورهم باطالة ( البرتيته ) فرضيا بذلك وأخرج كل منهما من جيبه تحويلا قيمته مليون فرنك وشرعا في اللعب

وبعد قليل اصبح للسفير التركي عشرة ( بنوط ) وللدمبار ثمانية . ولكن كان الدور على هذا في اعطاء « الايكار » فقلب الروا فخسر التركي البرتيته ولكنه في الغد عوض الخسارة وربح خمسمائة الف فرنك

ويقال ان رجلا يدعى دي سوليز اخذته الغيرة من سمع ماقيل عن تمادي سفير تركيا في اللعب فعرض عليه ان يلعبا برتيته ايكاريه على خمسة ( بنوط ) وان يكون الرهان الحياة اي ان المغلوب يلزمه ان ينتحر باطلاق الرصاص على دماغه .

فرضي السفير التركي بالشرط ووضع كل من هذين المجنونين مسدسه الى جانبه وبدأ في اللعب بكل ثبات جاش ولو لم يتداخل الحاضرون ويمنعوهما عن ذلك العمل الفظيع

لكان احدهما قتل لامحالة

واني اكتفي بهذين الشاهدين لتكون على بينة مما كان يحصل في بيت الدوق دي البوجار

وكان دي مارسي من لاعبي القمار الذين يشار اليهم بالبنان وكان في تلك الليلة تارة « ببنط » في لعبة البكرا « ده تبلو » وتارة يفتح بنكا فيربح تارة ويخسر أخرى ولكن السعد خدمه أخيراً وعند الساعة الثالثة صباحا ربح مئتي الف فرنك من الدوق دمبار كونتي

وفي تلك الساعة بدأ اللاعبون يتضجرون لانهم بدأوا يلعبون من الساعة العاشرة. اما دي مارسي فلسوء طالعه أراد الاستمرار على اللعب وطلب من الدوق دي دمبار كونتي ان يلعب معه الايكارتيه فاجاب هذا طلبه بغير تحمس لانه أرق والطف لاعبي القمار. هذا فضلا عن انه من أشرف أسر فرنسا، له ثروة طائلة لاتتزعزع لو ظل يلعب القمار ويخسر ليلا ونهارا. وكنت تراه على الدوام طلق المحيا لا يرفض طلب أي لعيب قمار يطمع في ربح مائة الف فرنك منه. وكان المشاع عنه ان ايراده السنوي يربو على اثنى عشر مليون فرنك.

ولكن المرجح ان هذا التقدير أقل من الحقيقة

وكانت غاية دي مارسي ان يربح من هذا الدوق ثمانمائة الف فرنك اخرى ليكون مجموع ربحه في تلك الليلة خمسمائة الف فرنك وان يخص بهذا المبلغ خليلته وأولادها الاربعة حتى اذا أراد يوما ما ان يتزوج غيرها تجد من المال ما تقوم بنفقتها ونفقة أولادها

على انه لم يفكر قط في هجر خليلته وأولاده . وعقد النية على ان لا ينقطع عنهم ولو تزوج ولكنه خاف ان النفقات الباهظة التي لا بد منها اذا تزوج لا تبقي له ما تقوم بنفقات خليلته واولادها وقدرها خمسة وعشرون الف فرنك سنويا .

وكان يأبي ان يقلل من بحبوحة العيش التي تعودوها

وظن في تلك الليلة ان قد حانت الفرصة التي يربح فيها من المال ما يجعله في مأمن من المستقبل وازدادت آماله حين اسعده حسن الطالع وربح المئتي الف فرنك الاولى

وكان امانويل دي كاسترو يراقبه فلما رآى انه يطلب من الدوق ان يلاعبه بالايكارتيه ابرقت اساريره فرحا . وتبادل هو والدوق اشارة خفية لم يلاحظها دي مارسي ولم يفهم معناها

سواهما وباشارة من صاحب المنزل اتى الخدم بمنضدة لعب يضرب بها المثل في الشرق لان عليها لعب السفير التركي برتيتة الا يكارتيه على عمره

واستعد اللاعبان ووضع كل منهما رزمة ورق الى جانبه.

وقال الدوق لخصمه

— اية لعبة تريد ان تلعب . وعلى كم يكون الرهان ؟

فاجابه دي مارسي

— كم خسرت الليلة ياحضرة الدوق ؟

— خسرت ثلثماية الف فرنك ربحت انت منها مئتين على اني لا اهتم لهذه الخسارة على الاطلاق واذا كنت ترغب في اللعب معك ثلاثة ادوار ايكارتة كل دور «برتيته» سبعة بنوط على ماية الف فرنك فان ربحت الثلاثة تربح ثلثماية الف فرنك.

— رضيت

وكاد يطفح قلب دى مارسي سروراً لان مبلغ الثلثماية الف فرنك هو الذي يطمع في ربحه . وأخذ الدوق الورق ووضعه على المنضدة بينه وبين دى مارسي وقال

— لنرى من يعطي

ثم انه قلب ورقه فكانت « دام البيك او "بستوني »

فابتسم دي مارسي وقال

— ارى ان السعد يخدمك

ثم قلب ورقته فكانت « روا الديناري او الكارو »

فابتسم الدوق وقال

— ارى ان السعد سئم من خدمتي حالاً وأنتقل الى خدمتك . والذى جعل لفظة سعد مؤنثة « بالفرنساوي » لم يفعل ذلك عبثاً لان السعد لا يثبت على مودة احد مثل النساء . . أنت اذن توزع الورق ايها العزيز

فاخذ دى مارسي الورق وهو يبتسم ابتسامة اطمئنان لان في جيبه مئتي الف فرنك ربحها فما الذي يخشاه ؟ . ولو فرضنا انه خسر هذا المبلغ كله وخسر فوقه مايه الف فرنك من جيبه فهل تعد هذه الخسارة شيئاً بالنسبة الى نصف مليون الفرنك الذي يطمع بربحه . وغاية ما تكلفه الخسارة اذا عانده السعد هو استعطاف والده ليدفع عنه المبلغ الذي يخسره وهو يعلم ان والده لا يرفض سداد دين القمار

بدأت ( البرتيته ) بهدو وسكينة كأنما اللاعبين من اهل القرى الذين لا يرفعون قيمة «الفيشه» عن عشر سنتيمات. غير ان دي مارسي ادرك بعد حين ان سعده ولى الادبار وهجره حسن الحظ الذي لا زمه في لعبة البكرا . وبعد ثلاثة ( ضروب ) خسر البرتيته الاولى فتكدر باطنا ولكنه لم يفقد الامل وربح البرتيته الثانية وأخذ الدوق يوزع الورق

ولما بدأت ( البرتيته ) الثالثة احس دى مارسي بقشعريرة تتنزه على سطح جلده ولو امكنه الاستغناء من بعد ذلك الدور لفعل وربح المئتي الف فرنك لانه مبلغ لا يستهان به ولكنه لم ير بداً من الاستمرار

ولما فتح ورقه وجد خمساً منها رديئة فقال بصوت ينم عن الاضطراب

— اطلب ورقاً

فاجابه الدوق بصوت رزين

— العب ياعزيزي — الروا

فاظلمت الدنيا في عيني دى مارسي ولم يربح بنطا واحدا ثم اتاه الدور في توزيع الورق فأخذ ورقاً جيداً مثل الذي

اخذه الدوق المرة الاولى أي الروا والفاليه

وسارت البرتيته سيراً حثيثاً حتى اصبح لكل من اللاعبين ستة ( بنوط ) وأتى دور التوزيع لبولص فتنفس الصعداء .

ثم قلب السبعة البستوني . وبعد ذلك نظر الى ورقه ولما ابصره كاد ان يغمى عليه اذ وجد في يده خمس اوراق ديناري من الدام . فاذا لم يوافق الدوق على طلب ورق يخسر البرتيته لا محالة

اما الدوق فكان متردداً بين ان يطلب ورقاً أو لا ولكنه لما رأى شفة دي مارسي ترتجف لشدة الاضطراب قال له بهدو تام

— العب

ثم رمى سبعة ( السباتي )

فكاد دي مارسي يختنق لشدة الغيظ لان الضربة التي اصابته قاتلة اذ لم يكن في ورقه ما يقطع به ومتى لعب ورقة واحدة يعرف خصمه كل ورقه. وفي تلك اللحظة ادرك كيف يدفع الانسان احيانا الى ارتكاب الجنايات . ولو كان في

امكانه ان يثب على خصمه ويخنقه لفعل . اما الدوق فكان مبتسما ثابت الجاش كأنه القضاء المبرم

وبعد اعمال الفكرة عمل دي مارسي كل ما يمكنه عمله وهو انه رمى الدام الديناري وهي اقوى اوراقه لكي يوهم خصمه بأن ليس في يده سواها ويجعله يرمي ورقة ديناري صغيرة اذا كان معه ولكنه كان كالمتدارج في بلاد المقعدين وظل الدوق يبتسم ورمى ورقة ثانيه وهو يقول

— ثمانية سباتي !!

فرمى دي مارسي السبعة الديناري

فرمى الدوق الورقه الثالثة وقال

— تسعة سباتي

وللحال رمى دي مارسي ورقه وسلّم بأنه خسر البرتيته

اما الدوق فلم تبد منه اقل اشارة تدل على سرور أو اكتراث ولكنه قال لخصمه بلهجة تنم عن سكينة تامة

— كيت او دوبل

فنادجي دي مارسي نفسه قائلا

: « قم يابولص واذهب !! . ويمكنك دفع المبلغ الذي

خسرته غداً قبل الظهر ولا يضن ابوك عليك بالمائة الف فرنك »

ولكن لعيب القمار لا يسمع صوت ضميره . فلم يقم دي سارسي واستأنف اللعب وبعد ساعتين اصبح مدينا للدوق دى داميار كونتي بمبلغ مليون ومئتي الف فرنك والضامن شرفه فقال له الدوق بصوت تشتم منه رائحة التهكم

— كيت اودوبل

فنهض بولص المسكين واقفا وأجابه

— لا . كفى . وقبل الظهر ادفع لك المبلغ ياحضرة الدوق ثم ذهب يترنح في مشيته كالسكران . وتبادل ايمانويل دي كاسترو والدوق نظرة كلها معان وقال ايمانويل

— هذه اول دفعة من ثمن العجل

اما بولص التعس فخرج من البيت في حالة يرثى لها ومشي كأنه ذاهب الى المشنقة وما كاد يبتعد عن الباب بضع خطوات حتى نزع قبعته عن رأسه ليبرد نسيم الصباح العليل دماغه المشتعل وبينما هو يسير منكس الرأس الى الارض احس بيد امسكت ذراعه بلطف وتؤدة فالتفت فرأى ايمانويل

دي كاسترو فقال له هذا وهو يبتسم ابتسام الصديق المؤنب

— لا يجوز ان تترك اصدقائك على هذه الصفة اذا كنت متألماً يا عزيزي بولص

فلاحت لبولص بارقة امل وأجاب

— صدقت انني متألم

ذلك انه تذكر ما قاله له ايمانويل في اول السهرة من انه رهين اشارته

— والصديق الحميم لا يركن الى صديقه الا متى كان متألماً فارجوك ان تهدي روعك فاني عالم بحقيقة امرك. انك تأبي ان تطلب من أبيك دفعة واحدة المبلغ الجسيم الذي خسرته. فان كان ظني مصيبا ارجوك ان تذهب الى بيتك وبعد ان تستحم ثم لتر تاح وعند الساعة العاشرة من هذا الصباح انتظرك في بيتي واسلمك المبلغ واترك لك الحرية في ارجاعه متى شئت

فضغط بولص على يد ايمانويل وهو لا يصدق ما يسمع لشدة سروره وقال له

— لقد انقذت حياتي ايها الصديق الحميم. فاشكرك من صميم الفؤاد وأؤمل اني بعد بضعة شهور ادفع لك المبلغ كله.

فقال له ايمانويل بصوته العذب الرنان

— قد تم اذن الاتفاق بيننا على ان تأتي غداً الى بيتي فانقدك المبلغ ؟

قال ذلك وعاد الى بيت السفير . اما دي مارسي فكاد يفقد صوابه لشدة ما تولاه من الفرح . وركب اول عربة صادفته وذهب الى بيته

وعند الساعة العاشرة تماما دخل بيت دي كاسترو فاستقبله البواب بوجه حزين وقال له

— لقد اصابت المسيو ايمانويل مصيبة وذلك انه بينما كان يجرب مسدسا هذا الصباح اصاب الرصاص يده اليمنى فجرح جرحا بالغاً . ولحسن الحظ وجدنا طبيباً قريبا من هنا فضمد جرحه والله يعلم ما كان حل به لولم نجد الطبيب لان النزف كان غزيراً . وهو الآن في فراشه وقد اوصاني بعدم السماح لاحد بدخول بيته الآن

وبينما البواب يتحدث مع بولص اقبل خادم اسود طويل القامة عريض الكتفين كانه جبار من الجبابرة واشار الى بولص اشارة معناها « ان سيدي ينتظرك » ولم ينطق بكلمة لانه اخرس

فتنفس بولص ملئ صدره وتبع العبد

وكان ايمانويل دي كاستر و مضطجعا على سريره وذراعه اليمنى ملفوفة باربطة ورأسه ملقى على وساده فلما دخل عليه دي مارسي مد له يده الشمال وقال

— لا تتكدر لما اصابني ايها العزيز فهو جرح بسيط وقد اكد لي الطبيب انه سيشفى في القريب العاجل وانه لا يبقي اثراً ولكنني ما نجوت من الهلاك لا باعجوبة فان شظية من المسدس اطارت قبعتي عن رأسي ولو انها انحنت قيراطاً واحداً في سيرها لكانت كسرت جمجمتي

وكان وجه بولص اصفر كالزعفران فلما سمع ما قاله ايمانويل اجاب

— الحمد لله . . كنت اظن ان الجرح ابلغ مما هو

واردف ايمانويل

— كم انا سعيد بمجيئك . فاني كدت افقد الصبر في فراشي والآن اسمح لي ان انزع من رأسك ما يشغله من الهم والكدر . اني بسبب الجرح لا استطيع الكتابة ولكنك تكتب عني . فارجوك ان تعطيني دفتر الشيكات . ها هو على هذه المنضدة

فاتاه دي مارشي بالدفتر ووجهه يتهلل فرحاً وقال له

— هاهو أيها العزيز

— ابقه معك واجلس الى هذه المنضدة الاخرى تجد عليها
كل ما يلزم للكتابة

ففعل بولص كلما أمر به ولما جلس وامسك القلم بيده
قال له ايمانويل:

— أشكرك على امتثالك للأمر بلا تردد كأنك جندي
في ساحة القتال ... كم المبلغ الذي تطلبه ؟

— مليون فرنك لان لديّ مئتي الف

— لا. هذا لا يكفيك ... فكن حر الضمير ولا تخفِ عني
شيئاً. فقد لاح لي من طريقة لعبك انك في حاجة الى النقود

— تأكد انني...

— انك قليل الثقة بي

— نعم كنت محتاجاً الى خمسمائة ألف فرنك لامر ثانوي
يمكنني الاستغناء عنه

— واذا أردت انا ان لا تحرم نفسك من ذلك الامر؟
فارجوك ان تكتب ما أمليه عليك

« مليون وخمسماية الف فرنك تدفع لامر الخواجه دي مارسي . »

— هل كتبت ؟

— والله لا أجسر

— أرجوك ان تكون مطيعاً

— الامر امرك

وكتب بولص ما أملاه عليه ايمانويل فقال له هذا

— حسن ... ناولني الان الشيك لارى اذا كان في امكاني كتابة امضائي باليد الشمال ...

وبعد ان حاول ان يكتب باليد الشمال قال

— لايمكنني . ولم أكن أتصور ان الكتابة باليد الشمال صعبة الى هذا الحد ... فأرجوك ان تمضي عني هذا الشيك

— كيف أمضيه عنك ؟ ... هذا يعد تزويراً

— ماذا تقول ؟ ... كيف يعد هذا العمل تزويراً وانت تفعله برضاي وامام عيني " اكتب اسمي ياعزيزي ولا تخف فقد درست الشريعة وأعرف ما أنا فاعل

— الايمكن اخوك ان ينوب عنك في امضاء هذا الشيك ؟

— لا . . . لاني اريد ان يبقى سر هذا الامر محصوراً بيني وبينك وأن لا يعلم به ثالث واني لا أدري ماسبب تخوفك. ولا سيما انك ستختم الشيك بختمي مثلما أفعل كلما طلبت من البنك مبلغاً جسيما . ولكي أزيدك اطمئناناً نذكر في شهادة تكتبها لي بعد الغداء انك أمضيت الشيك بناء على طلبي قلت بعد الغدا لاني امر كثيراً ان قبلت دعوتي وان انت لم تفعل لا أذوق طعاماً لشدة ما أنا به من الضجر

فاقتنع دي مارسي فاره ايمانويل امضاءه في دفتر كان في مكتبته فاخذ يقلد ذلك الامضا حتى انتهى من كتابته ثم ختم تحته بختم ايمانويل . و دق هذا الجرس فجاء الخادم الاسود فقال له

— جهز العربة واذهب بالمسيو دي مارسي الى صرافي اوزبيو ميراندا ثم اذهب به الى حيث يشاء ثم عد به الى هنا للغداء

فقال له دي مارسي

— ان عربتي تنتظرني عند الباب

ارجوك ان ترجعها الى بيتك واعلم بانك طوع امري هنا حتى المساء . ولا بأس اذا تضايقت قليلا اكراما لاهم

حبيب لك

— هل تتصور ان صحبتك تضايقني ؟

— اذهب اذن وعد مسرعا فاني برغم جرحي اشعر بجوع شديد

فذهب دي مارسي وعاد بعد الظهر بنصف ساعة ووجهه مشرق فرحا وشكر صديقه شكراً جزيلا على حسن صنيعه وعلى طريقة انجاز ذلك الصنيع فاجابه ايمانويل دي كاسترو

— اني وايم الحق اتكدر اذا عدت الى ذكر هذه المسأله والأن هيا بنا الى المائدة فقد صاحت عصافير بطني

وان كنت تريد ان تعرف مقدار ما بي من الجوع فاجرح يدك بمسدس وبعد الانتها من مناولة الطعام ذكر دي مارسي ايمانويل بكتابة الشهادة فاجابه هذا

— انا لم نفكر في اننا اذا كتبنا الشهادة نقع في نفس المحذور

— كيف ذلك ؟

— انك تضطر الى امضاء الشهادة عني

— صدقت

— يجدر بنا اذن ان ننتظر شفائي واظن انه لا يبطئ

— اتمنى لك الشفاء العاجل. ولكن بما ان الانسان معرض للموت في كل لحظة فاسمح لي ان اكتب لك وصلا بالمبلغ

— لك ما تريد ايها الصديق

— اما بشأن الشهادة التي يطمأن لها كلانا يمكننا استدعا أحد وكلاء الاشغال فتقر امام شاهدين من رجاله باني وضعت امضاك على الشيك بناء على طلبك. وبهذه الطريقة لانحتاج الى اعادة كتابة امضاك

— الم اقل لك اني اريد ابقاء سر هذه المسألة محصوراً بيننا فكيف تطلب مني ان يقف عليه احد وكلا الاشغال؟ فكن مطمئن البال وبعد شفائي افعل كل ما تريد

فلم يردي مارسي بداً من الامتثال ولسان حاله يقول

— ما اطيب قلب صديقي هذا وما اكرمه

— ولما خيم الظلام ذهب الى باليزو وقلبه طافحا فرحا وحبوراً ويتمنى لو ان له جناحين ليطير ويقع بين ايدي شارلوت المحبوبة واولاده الاعزاء

ولكنه لو رأى ما حصل في بيت كاسترو بعد انصرافه لاستحال سروره الى جزع ورعب.

ما كاد يخرج بولص من بيت كاسترو حتى نهض هذا من سريره ونزع عن يده وذراعه الاربطة التي موه بها علي عقل بولص اذا لم يكن في يده جرح بل كان ماقاله كذب واحتيال

وبينما هو يلبس ثيابه دخل عليه اخوه وقال له

— خبرني ناشدتك الله كيف تم الامر هل خامره شك في سلوكك معه

— كلا ما شك في شيء وقد اصبح هو وابوه في قبضتنا

فابرق في عينيه وميض الحقد وتمم قائلا

— ان الانتقام غالي الثمن ولكنه حلو المذاق

وفي غد ذلك اليوم دعي بونجان رئيس البوليس الى مصرف اوزيبيو ميراندا وشركائه في شاوع كستيجيليون للنظر في امر خطير .

فاسرع بونجان الى ذلك المصرف فاخبره المدير بان بولص دي مارسي زور شيكا قيمته مليون وخمسمائة الف فرنك وقبض قيمته وطلب منه ان يبذل جهده في السعي سرا لاسترجاع ذلك المال والا يضطر اصحاب المصرف الى رفع شكواهم الى النائب العمومي

فتلقى بونجان ذلك الخبر بسرور وتعهد لمدير المصرف ببذل كل جهده للوصول الى الغاية. ثم انه ذهب من فوره الى والد بولص دي مارسي المستشار في محكمة النقض والابرام واخبره بالجناية التي ارتكبها ابنه وبين له العواقب الوخيمة التي تقع على رأسه ان هو تمنع عن دفع المليون وخمسماية الف الفرنك لاصحاب المصرف المحافظين على الشيك المزور. ذلك لان المسيو ايمانويل دي كاسترو ابى الاعتراف بذلك الشيك لان امضاءه مزوراً

وكان دوزيبو وشركاؤه قبل اشاعة الخبر كلفوا أحد اهل الخبرة بالنظر في الشيك المزور فكان تقرير الخبير بعد الفحص ان امضاء المسيو ايمانويل دي كاسترو مزور. وبنى على ذلك وقوع بعض المسأولية على صراف البنك الذي صرف المال دون ان يمعن النظر في الامضاء. وعلى اصحاب المصرف انفسهم لتهاملهم في ادارة مصرفهم

فلما سمع دي مارسي الكبير ذلك الخبر ظن بادئ بدء انه من الاشاعات الكاذبة ولكنه لما رأى لهجة الجد التي يكلمه بها بونجان ورأى بعينه الشيك المزور لم يبق عنده ريب في

صدق مقال بونجان وطلب منه مهلة شهر لسداد المبلغ . ولكن برغم استعطافه لم ينل مهلة سوى ثماني وأربعين ساعة

ثم انه استدعى ولده من المحكمة فاتاه مسرعا فقال له بصوت يفتت الاكباد

— ماذا فعلت أيها التعس ماذا فعلت ؟

— صرح في المقال ناشدتك الله يا أبي ان هيئتك تخيفني

— الم تقض بالامس شيكا قيمته مليون وخمسماية الف فرنك من مصرف اوزيبو ميراندا البرتوغالي ؟

— هل وقفت على الخبر ؟

— أجبني !!

— نعم يا أبي هو دين قمار . . وقد اعمت بصري ساعة القدر فاندفعت رغم انفي

— اتندفع الى تزوير شيك ايها الشقي ؟

— تزوير !! ماذا تقول ؟ قد اسلفني المبلغ ايمانويل دى كاسترو واعطاني به شيكا قبضته من مصرف اوزيبيو ميراندا

— اتقسم بذلك ؟

— انا يا أبتي لست افضل من شبان هذا العصر الذين

يبذلون كل شيء في سبيل التنعم غير اني مازورت ولا كذبت قط

—لقد ازحت عبئاً ثقيلاً عن صدري ياولدي . وكان الأجدر بي ان اشك في صدق مقال بونجان الذي بالغ في ايراد الخبر طمعاً في ....

—وما دخل بونجان في هذا الامر يا ابتي ؟

— لانه جاء هنا وقال لي ان اصحاب المصرف الذي اخذت منه المال عازمون على الشكوى للنائب العمومي ان انا لم انقدهم المبلغ في ظرف ثماني واربعين ساعة

فاصفر وجه بولص عند سماع ذلك الخبر على انه لم يدرك كل الحقيقة الساحقة وقال

— لماذا يشكوني للنائب العمومي . هذا لا يكون ... فانني لست مزوراً

— كان يجب عليَّ ان اقول ما تقوله ... نعم هذا لا يكون اذ ليس بين رجال دي مارسي مزور

قال الشيخ ذلك وضحك ضحكا عصبيا ثم اردف

— اراد ذلك اللئيم ان يهزأ بنا ... تباً لرؤسا البوليس اذا كانوا على هذه الصفات . ولكني سأواجه المسيو دي فيرجين

الحكمدار واطلعه على الخبر . . . فاخبرني ياولدي بحقيقة ماجرى

— الامر بسيط يا أبتي ...

ثم توقف عن اتمام حديثه ووضع يده على جبينه كأنه في يفكر ماحصل وادرك شيئاً من الحقيقة او بالحري اوجس خيفة من ان يكون ماطراء على فكره هي الحقيقة لانه ابى ان يصدق فكره وبعد سكوت وجيز عاد فقال

— لا لا . لا اصدق ان ايمانويل يأتي مثل هذا العمل الفظيع مع مايظهره لي من الاخاء فقال له ابوه

ماذا تعني بقولك هذا ياولدي ؟ بحقك خبرني بالحقيقة ولا تتركني على احر من الجمر تكلم. فثاب بولص الى السكون وقص على ابيه كل ماجري له منذ ذهابه الى بيت السفير البوجار حتى ذهابه الى ايمانويل دي كاسترو وكيف انه اسلفه المليون وخمسماية الف فرنك والطريقة التي وقع فيها الى الشك مقلداً امضا صديقه دي كاسترو والسبب في ذلك ماأصاب هذا من الجراح في يده وكيف انه دفع المال الى الدوق دى دميار كونتي ثم عودته الى بيت صديقه كاسترو وبقائه معه حتي الساعة

الرابعه مساء

وبينما كان بولص يتكلم كانت السكينة تعود الي والده شيئاً فشيئا وقد ادرك من سياق الحديث ان لابد له من الاعتصام بكل مالديه من ثبات الجاش والحزم والعزم لمقاومة الضربة الشديدة المصوبة نحو ابنه .

ولما اتم بولص حكايته قال له والده بلا تردد

– اخشى ان تكون ضحية مؤامرة

– ويلاه ياأبي لقد خطر لي هذا الخاطر ولكنه فكر بعيد عن المعقول . لانه اذا سلمنا جدلا بان صديقي ايمانويل تعمد الاضرار بي الى هذا الحد فيلزمنا التسليم في الوقت ذاته بأنى أسأت اليه اساءة عظيمة وأنه فعل مافعل لينتقم والله يعلم انى ماأسأت الى هذا الشاب منذ عرفته ولا فكرت في ان اسيء اليه . بل بعكس ذلك كنا على الدوام صديقين يضرب المثل بصدق اخائنا.

وان كان ايمانويل تعمد هذا العمل الفظيع حقيقة فيكون من الذين يفعلون الشر حباً به واني اجل كاسترو عن مثل هذه الصفات

— وانا ايضاً لا اجد سبباً يدفع هولا البورتغاليين الى الاضرار بك . ولكنه لا بد لي من اطلاعك على امر ذى بال ...

ثم اطرق الوالد مفكراً وبعد سكوت لم يطل عاد فقال

— نعم ان الامر الذي اريد ايقافك عليه خطير للغاية حتى اني حين افكر فيه تضطرب كل مفاصلي ٠ وان صح ظني لا يبقى عندي ريب في انهم يسعون في هلاكك.

فارتعدت فرائص بولص واصفر وجهه وقال

— وما هو ذلك الامر الخطير ياأبتي ؟ لقد اشغلت بالي

— هو ذهاب صديقك ايمانويل دي كاسترو الى الاوبرا الليلة البارحة

— لقد كذب الذي قال انه ذهب الى الاوبرا ليلة البارحة لانه كان مجروحا وملازما لفراشه

— ماأتاني بهذه الحقيقة مخبر ولكني انا رأيت كاسترو في الاوبرا فلا يمكنني ان اكذب عيني

— هل رأيت ذراعه مربوطة ؟

— كلا

لعلك مخطئ ياأبتي ولا يبعدان تكون ابصرت الفاريز اخاه فظننته هو لما بينهمامن المشابهة

— قد يجوز ذلك . ولكن لدينا طريقة تمكننا من معرفة الحقيقة وهي الذهاب الى بيت دي كاسترو

— كانت نفسي تحدثني بان اعرض عليك نفس هذه الطريقة . وهاهي عربتي تنتظر عند الباب

ثم ركبا العربة ولماوصلا الى بيت دي كاسترووسألا عن الرجل قيـل لهما بانه سافر هو واخوه وانهما سيقضيان عدة اشهر في ذلك السفر /

فاخذ العجب من بولص وابيه كل مأخـذ فقال بولص للخادم الذي أخبرهما بسفر صديقه

— كيف امكن المسيو ايمانويل السفر وذراعه مجروحة جرحا بليغاء

— انك مخطيء فيما تقول ياسيدي. فان مولاي ايمانويل سافر صحيح الجسم ولم يجرح قط

فلما سمع بولص ذلك الجواب اضطربت افكاره واصبح كالمأخوذ فنكس رأسـه الى الارض وقال كانه يناجي

نفسه

— انه لم يجرح .. اني اذن ..

فقال له والده

— انك اذن كنت هدفا لمؤامرة اجلاف متشردين فعلوا مافعلوا وفروا هاربين مخافة ان يسالوا عماجنت ايديهم اذا وقع الانسان في شر مثل هؤلاء الاجلاف فلا بد له من الدفع. تعال يا بني غداً ندفع المطلوب منا

وفي تلك الاونة قال الرجل الذي استقبلهما

— هل يسمح لي مولاي الكونت ان اتحدث معه بضع دقائق على انفراد؟

— لعلك خادم هؤلاء..

— أنا لست خادمهم

— من انت اذن؟

قال دي مارسي ذلك وامعن النظر في مخاطبه فادرك انه من علية القوم ولما رآه الرجل يتأمله قال له

— انا السكرتير الاول في السفارة البرتغالية يا سيدي

ثم اشار الى قاعة مجاورة للتي كانوا فيها وقال له

— أتريد ان نختلي في هذه القاعة ؟

— لك ماتريد

ودخل السكرتير القاعة التي اشار اليها وتبعه الكونت دي مارسي

وظلا مختليين بضع دقائق ثم خرج الكونت اصفر الوجه مخفيا تحت ردائه شيئا لم يره ابنه فقال له هذا وسم الغيظ يكاد يقطر من انفه — مابك يا ابي ؟

فاجابه والده بصوت متهدج ينم عن الانفعال الشديد

— ما بي شيء يا ولدي غير انني تأكدت ان اولئك القوم لايحجمون عن أي عمل مهما كان. وبتا . . . . . فلا تهتم بامر بعد الآن فاني سأجد المال الذى يضع حداً لمطامعهم

فحار بولص في أمره وقال لابيه

— لست مديونا بسوى مليون فرنك للدوق دنبمار يا أبتي ومازال لدي خمسمائة الف فرنك ابقيتها لامر آخر فيمكنني ان أدفعها اليك

— حسن يا ولدي لقد هان الامر اذن وصار يمكنني دفع الباقي بسهولة . والآن بقي علي ان أسألك امراً واحداوهو انني أريد الذهاب الى اماكن عديدة منفردا

- هل تريد ان اترك لك عربتي ؟

فهز الوالد رأسه علامة للايجاب فنال له ولده

— متى نلتقي يا أبتي ؟

— غدا صباحا وأومل ان أبشرك حين ذاك بانك نجوت من براثن اولئك الوحوش الكاسرة

ثم ركب الكونت دي مارسى عربة ابنه ومضى مسرعا الى بيته وهو على احر من الجمر يريد ان يعرف ماهو الشيء الذي اعطاه اياه سكرتير السفارة

وما كاد يصل الى بيته حتى اخرج ما كان مخبئا تحت ردائه ولما وقعت عينه عليه القاه من بين يده مذعورا وهتف هتاف المأخوذ

— ويلاه انهم يريدون الانتقام ...

وظل بضع دقائق مطرقا يفكر ثم عاد فقال بصوت خافت

ـ لا بل قد أتت ساعة العدل

اما الشيء الذي اخذه دي مارسي من سكرتير السفارة فلم يكن سوى بطاقة زيارة عريضة مثل التي كانوا يستعملونها ذلك العهد ومكتوب عليها اسمان وتحتهما العبارة الآتيه

« تذكر »

شارل ليغفر

ارنست دوتيل

« تذكر »

جزيرة السلام « كاين »

وعاد الكونت دي مارسي الى مناجاة نفسه قائلا

— لم اكن في حاجة الى هذه البطاقة لا تذكر .. فان تلك الذكرى لاتبارحني طرفة عين وهي الجريمة الوحيدة التي ارتكبتها في حياتي وقد ارتكبتها مضطرا لانقاذ شرف اسرتي. نعم لقد اكلت الحصرم فيما مضى واليوم يدرس ابني. انا ارتكبت الجناية وعلى رأس ولدي تقع صواعق الانتقام .. ولكنني سأدافع عنه ما استطعت الى ذلك سبيلا لانه بريء ... وقبل

كل شيء . لا بد ان ترنكار ينقدني على الفور مليون الفرنك التي تلزمني نعم يجب على ترنكار ان يدفع هذا المال لانني لاجله ارتكبت الجناية وسببت الحكم على ذينك الرجلين الذين كانا في خدمته . . فليشمر الآن عن ساعد الجد ويساعدني على انقاذ ولدي والا ..

وهز الشيخ رأسه علامة التهديد والوعيد ثم التقط البطاقة التي رماها ووضعها في محفظته

وعند الساعة الرابعة من ذلك اليوم دفع الكونت دي مارسي الى بنك اوزيبيو ميرندا مبلغ مليون وخمسمائة الف فرنك واخذ وصلا بذلك المال وكتابا من مدير المصرف الى بونجان رئيس البوليس فحواه ان يسلم الى والد بولص دي مارسي المستشار في محكمة النقض والابرام الشك الذي اودعه معه كامانة

وذهب دي مارسي من فوره الى دار المحافظة ودخل مكتب بونجان فقابله هذا بالترحاب ولما طلب منه دي مارسي الشيك اجابه

— يسوءني ان لا استطيع اعطائك الشيك حالا لانني

خبئته في بيتي مخافة ان يراه احد هنا ولا استطيع الآن الذهاب الى بيتي لآتيك به لان لدي اشغالا هامة جداً لا يمكن تأجيلها ولكنك اذا عدت الي عند الساعة الحادية عشرة ليلا تجدني هنا والشيك معي

فاقنع الكونت دي مارسي ذلك الاعتذار ولم يرد ان يظهر شيئا مما يخامره من الشك في بونجان بعد الذى رآه من سلوكه حتى يحصل على الشك وبعد ذلك يطلب من صهره حكمدار البوليس عزل بونجان من وظيفته

اما بونجان فلم يعين الساعة الحادية عشرة ليلا لمقابلة دي مارسي الا ليتمكن من الكلام معه على انفراد لان في تلك الساعة لا يبقى احد من موظفي المحافظة

وعند الساعة الحادية عشرة تماما عاد دي مارسي الى المحافظة وقرع باب مكتب بونجان المؤدى الى الممشى الموصل الى مكتب الحكمدار وبهذه الطريقة لم يمر بالقاعة الصغيرة المجاورة لمكتب بونجان والتي يقيم فيها نفر من رجال الشرطة

ولما دخل على بونجان قابله هذا بوجه باش وأجلسه على كرسي الى جانبه وكان اذ ذاك يقلب بين يديه خنجراً جميلا

ولما جلس دي مارسي قال له

- انني مولع بالاسلحة وعندي منها مجموعة كاملة ولم يكن ينقصني سوى هذا النوع من الخناجر التي في نصلها قناة يوضع فيها السم المعروف بالكورار ولحسن حظي اهداني اليوم أحد أصدقائي هذا الخنجر

وما شاء بونجان ان يقول الحقيقة وهي انه أخذ ذلك الخنجر من بيت دي كاسترو حيث ذهب اليه بعد ظهر ذلك اليوم. وان أمانويل دي كاسترو واخاه طلبا منه ان يبذل كل جهده لابقاء الشيك معه مدة ثماني وأربعين ساعة ليتمكنا من اتمام عملهما في ذلك الزمن

اما بونجان فكان يبني العلالي والقصور على تلك الفرصة الثمينة ويؤمل ان ينال معونة دي مارسي ليصل الى الوظيفة التي تمناها وهي ان يكون مستشاراً في الحقانية وذلك مقابل تسليم الشيك الذي تحت يده ولكي لا يضيع الوقت تكلم في الموضوع بلا ديباجة ولا مقدمة فقال

- يسوءني يا حضرة المستشار ان وظيفتي تضطرني الى اطلاعك على خبر مكدر جداً

فاحدق دي مارسي بصره في بونجان وقد أخذته الدهشة وأجابه

- انني لم افهم مرادك ياسيدي فارجوك التصريح

- انت تعلم الجناية الفظيعة التي ارتكبها ابنك . والآن أزيدك علماً بان وظيفتي تقضي علي قبل كل شيء بان اقدم للنيابة الشيك المزور والشكوى المقامة على ابنك من مصرف الخواجات اوزبيبوبير اندا وشركائه

- ماذا تقول ؟ . . . . هل لهجتك هذه لهجة جد اومزاح؟

قال دي مارسي هذه العبارة بكل تأني وهو ينظر الى مخاطبه نظرة احتقار

فاخذ بونجان يقلب اوراقا كانت امامه كانه غير مبال بوجود دي مارسي امامه ثم اجاب

— لا بل هي لهجة جد ياحضرة الكونت يمكنك الانصراف متى شئت

وبعد سكوت وجيز قال دي مارسي

— يظهر لي انك رجل غريب الاطوار خرب الذمة .

- ياموسيو !!

- لا بل انت سافل نص وقدكان في امكاني طردك من المحافظة منذ ساعة

- اذا كنت تتصور انك قادر على طردي بواسطة صهرك لتنقذ ابنك فافعل ما تريد ايها الفاضل وانت لست رجلا سافلا ولا لصا كما تدعوني ولكنك والد رجل مذورافمل ماتريد وسوف نري من منا يهزء بالاخر ولا سيما حين تشيع الجرائد المعارضة ان حكمدار البوليس عزل رئيس البوليس من وظيفته لان شقيق زوجته زور شيكا قيمته مليون وخمسماية الف فرنك وان رئيس البوليس لم يتساهل في الشكوى المقدمة اليه من الصرف الذي دفع قيمة ذلك الشك . هذا هو ذنب رئيس البوليس الذي اراد باعماله ان يثبت اعتقاده وهو ان الامير والحقير متساويان امام القضاء وان القوي اذا ارتكب جناية ينال عقابه مثل الجاني الضعيف

فماذا تقول اذ ذاك ياحضرة المستشار ولا سيما حين تذكر الجرائد كلها ماهي الحقوق البشرية وتذكر القابضين على ذمام الاحكام في فرنسا بان الحكومة الفرنساوية تستطيع

اذا قضت الضرورة ان تعزل حكمدار البوليس وتعين مكانه رئيس البوليس اذا كانت تلك رغبة الرأي العام

فيمكنك اذن ياحضرة الكونت ان تسرع الى الاوبرا حيث تجد الموسيو دي فيرجين لكي لاتضيع الوقت في انتظار ايابه ليطرد اللص الواقف امامك

فلما سمع دي مارسي مقال بونجان كاد يتميز لشدة الغيظ وناجى نفسه قائلا وهو يحرق الارم

— لاشك اننا اصبحنا في قبضة هذا اللعين

ثم خطر له خاطر سريع فقام وقال لبونجان

— حسن. افعل ماتريد وقم بالواجبات المفروضة عليك

قال ذلك واتجه نحو الباب ولما حاول الخروج قال بونجان

— قف مكانك

فاجابه دي مارسي وشرر الغيظ يتطاير من عينيه

— ماذا تريد مني بعد ؟

— ما احد طباعك ... انك لاتبقى لمخاطبك وقتاً يتنفس فيه ... عد ... عد فني امكاننا ان نتفق

فقال له دي مارسي بلهجة كلها احتقار

- ماهو الثمن الذى تطمع فيه ؟

فاحمر وجه بونجان واجابه

- عفوك ياحضرة الكونت ماهذه اللهجة انت تعلم انني لاأطلب منك مالا كما يفعل اسافل الناس

- وهل يمكن ان تعطى شيئاً آخر يابونجان

- نعم لاني غني

- وهذا دليل على انك قبضت كثيراً من غيري ... فبماذا تطمع اذن ؟

- اطمع بوظيفة مستشار فى الحقانية

- هذا كل ماتطمع به ؟

- نعم ان مطامعي لها حد محدود

فتقدم دي مارسي نحو رئيس البوليس وقد خطر له خاطر اسرع من لمح البصر واجاب

- هب اني رضيت بهذه المساومة فانت تعلم ان عريضة تعيينك مستشاراً ليست في جيبي وان لا بد لى من الزمن لرجا اصدقائي ان يتوسطوا لك فلا يمكننا الاتفاق اذن لانى مضطر الى الاستيلاء على الشيك الذى كتبه ابني حالا واخاف

ان انا صبرت حتى الغد تزداد مطامعك واري انك تتعمد تعزيبي كأن في ذلك سرورك فاعلم ان صبري له حد مثل كل شيء

انني سأذهب غداً مع دي جرمي الى رئيس الجمهورية وانطرح على قدميه واقول له بالحقيقة لعلي انال ماتبتغيه وانقذ ولدي فارجوك اذن اما ان تعيد الشيك حالا واعدك بانني ابذل جهد المستطاع لانيلك ماتتمنى فدعني امضي الى سبيلي

فادرك بونجان فائدة الطريقة التي وجدها دي مارسي ومازال المصرف قد استرجع المال الذي دفعه وقد يجوز ان يجروا التحقيق ويعلموا مالم يذكره بولص دي مارسي لابيه ان عبد امانويل كسترو رافقه الى المصرف الذي نقده المال مما يضعف من قوة الشكوى هذا فضلا عن ان الامضا بسيط لم يحاول فيه بولص مارسي ان يقلد خط امانويل كسترو ويعجب القضاة كيف ان بنك ميرندا يدفع قيمة الشيك ولا يلاحظ ذلك الامضا الغريب وكل ذلك يحدو الى تبرئة بولص من التهمة فاراد بونجان ان يستفيد من الفرصة قبل فواتها ولما وعده دي مارسي بمساعدته على الوصول الى غايته قال له

— ومن قال لك اني لا اعيد اليك الشيك الليلة

- اتفعل ذلك

- نعم افعل ذلك اذ اوعدتني وعداً صغيرا

- انني انسي كل شيء يامسيو بونجان ان انت ازلت الضرر الذى سببته لي ,لا اكتفي بالوعد لمكافئتك

- ان الوعد الذي اريده وعد كتابي فانني لست من الاغبياء ولا ادعك تلعب بى كما يلعب الصبيان بالاكر ثم تقول لي يوما

« ماذا تريد يابونجان ? انى لا أعرفك »

فكاد دي مارسى يختنق لشدة الغيظ وناجى نفسه قائلا

- تباً له من وحش لاشفقة في قلبه ولا رحمة . ان هذا الجسم الحيوانى مجرد من كل صفات الانسانيه ثم انه وضع اصابعه المتوترة على صدره وكاد يمزق جلده باظافره واضطربت افكاره واسودت الدنيا في عينيه حتي اوشك ان يفقد الصواب وهاجت فيه طباع الوحوش الضواري الكامنة في كل انسان حتي كادت تتملكه

- فكن على حذر يابونجان ؛ واعلم ان مروض الوحوش الكاسرة لايجسر احياناً على الدنو من الاسود التي ربَّاها

ذلك حين يرى لهيب الغيظ يندلع من أعينها ويرى شعر عفرتهـا متوتراً واجفانها تنفتح وتنغلق تباعاً كانما تذكر أيام الفلوات والصحارى وتحدثها نفسها بالانتقام من الذى اسرها واغتصب حريتها

-- ن على حذر يابونجان ! ! . ان لهيب الغيظ يندلع من عيني دي مارسي وقد أصابته قشعريرة ينتفض لها كل جسمه

ولكن بونجان لم يكن يبصر شيئاً من ذلك كله .

وظل دى مارمي يقترب من رئيس البوليس بهدوء مخيف وقال له

-- وما هو الوعد الذى تريد ان يكون كتابة ؟

-- انه وعد بسيط جداً وهو ان تتعهد بتعيني أو بالسعي في تعيني مستشاراً في خلال الخمسة عشر يوم التي تلي هذا التعهد وذلك مكافأة لي على ابقاء أمر الشك المزور مكتوماً وعدم طلب محاكمة ابنك

- أهذا كل ماتريد؟

فأجابه بونجان بلهجة المتهكم

-- نعم اني أكتفي بهذا القليل. وان أنت لم تبر بوعدك

أعود أنا الى النغم القديم

فقال له دي مارسي بصوت خافت وسكينة توقف شعر الرأس

— لك ماتريد . . . اكتب ماتشاء وأنا أوقع عليه

— يعجبني منك هذا الاذعان . . . ولا شيء افضل في عيني من الاتفاق والوئام

قال بونجان ذلك وأخذ ورقة « تمغه » لانه كان مستعد لكل شيء وطفق يكتب التعهد الذي ذكر نصه شفاهياً

اما دي مارسي فظل يقترب من بونجان حتى أوشك ان يلمسه كانه يريد ان يقرأ مايكتب من خلف ظهره

وكان وجهه اصفر كوجوه الاموات ويده تدنو شيئاً فشيئاً من الخنجر الذي كان على حافة المنضدة . . .

ثم أمسك الخنجر باليد اليمنى ورفعه بسرعة . وفي تلك اللحظة قال بونجان

— ها هو التعهد

وقرأ بصوت مرتفع مايلي

«أنا الموقع على هذا المستشار في محكمة النقض والابرام

أتعهد مقابل ايقاف الاجراآت القانونية ضد ابني ...

واذ ذاك قال دي مارسي بصوت مختنق

— مت اذن أيها النذل اللئيم

وقبل ان يتم عبارته اغمد الخنجر في ظهر بونجان حتى آخره .

أصابت الطعنة أسفل الكتف فاخترقت الرئة ووقع بونجان على الارض فاقد الصواب دون ان يفوه بصوت.

اما القاتل فأخذ الشيك المزور والتعهد الذى كتبه لبونجان وأسرع الى الباب المقابل لباب الغرفة التي يقيم فيها الحراس وفتحه بأسرع من لمح البصر وانسل في دهليز هناك طويل ولكنه للحال سمع وقع اقدام في غرفة المقتول فخاف ان يراه احد اذا ظل يجرى في ذلك الدهليز طلباً للفرار فتولاه اليأس ووقف حيران جاحظ العينين لايدري مايفعل ...

وقبل ان يفتح الباب الذى خرج منه بثانيتين ابصر مزلاجا على صفحة الباب الخارجية كان امر الحكمدار بوضعه في ذلك الباب ليمنع الحراس من المرور في الممشى المؤدى الى منزله الخاص وكان هو نفسه فتحه حين دخل قاعة بونجان

قبل ذلك الحارس ببضع ساعات

وكأن روحاً جديدة دبت في القاتل حين أبصر ذلك المزلاج فأغلقه بأسرع من البرق وللحال رأى الباب يهتز وسمع صوتاً من الداخل يقول

— لقد اوصد الباب بالمزلاج ... اخرج حالاً وقابله من جهة السلم الكبير

اما دي مارسي فاتجه نحو منزل صهره غير مسرع الخطى اذ كان لديه وقت كاف . وهب انهم رأوه هنالك فمن يجسر على اتهامه . غير ان مسيره كان من الجهة المقابلة للجهة القادم منها رجال الحرس المسرعين وراء القاتل

ولما وصل الى باب منزل صهره قرع الجرس بثبات جأش عجب له هو نفسه ففتحت له احدى الخادمات . ولما ابصرته هتفت هتاف الفرح لان دي مارسي كان محبوباً من كل اهل بيت صهره وقالت

— مرحباً بك يا والد سيدتي .. تفضل ... لكنك لا تجد احداً فقد ذهبوا جميعهم الى الاوبرا

— أعرف ذلك يا فتاة ... وسأنتظر هنا عودة ابنتي فقد

دنت ساعة الخروج من الاوبرا

دخل دى مارسي القاعة وأغلق خلفه الباب وأخذ يفحص يديه وثيابه فلم ير عليها نقط دم لان الخنجر الذى بقي منغرزاً في الجرح حال دون النزف . فسكن جاشه وعاوده الاطمئنان وقال في نفسه

- لقد نجوت

ثم استلقى على مقعد وكان منهك القوى وتمتم قائلاً

- اصبحت قاتلا . . اصبحت قاتلا !!!

واذ ذاك سمع اصوات في القاعة المجاورة فاعتصم بما بقي له من العزيمة وثبات الجأش

وكانت تلك أصوات زوجة الحكمدار وابنتها وقد عادتا من الاوبرا

وفي نفس الساعة التي اختطف فيها بواص دى مارسي على شاطي النهر كما عرفنا ذلك من تقرير جوزيه وشهادة احد رجال الشرطة الذى كان هنالك في نفس تلك الساعة جاء رجلان في عربة الى بالبزو وطلبا ان يتكلما مع مدام شارلوت سيجون عن امر هام له علاقة بزوجها. دعوها مدام

سيجون لان أهل تلك القرية كانوا معتقدين ان شارلوت زوجة بولص دي مارسي فأبى الخدم بادئ بدء ان يوقظوا سيدتهم غير أن هذه سمعت الحديث فقامت للحال وارتدت ثوباً ونزلت وكانت ظواهر الرجلين القادمين تدل على انهما من علية القوم فلم تشك شارلوت في أنهما مرسلان من قبل بولص

ولشدة اضطرابها لم تلحظ ان أحد الرجلين ينظر اليها بعين تنم عن الاضطراب

وما كادا يدخلان قاعة الاستقبال حتى قال اكبرهما سناً لشارلوت قبل ان تسألهما عن سبب زيارتهما في تلك الساعة

— اعلمي ياسيدتي اننا مرسلان من قبل زوجك لنأخذك اليه فقد ذهب صباح اليوم الى لوندره مرسلا من قبل رئيسه ونحن نعمل كلنا في مكتب واحد والامر الذي ذهب الى لوندره لاجله هو النظر في تركة تتعلق بأحد عملائنا وقد كان سفره بغتة فلم يتمكن من اخبارك به قبل رحيله وما كاد يصل الى المكتب هذا الصباح حتى تلقاه الرئيس بالامر ثم ركب عربة ذهبت به الى محطة الشمال فركب قطار كاليه ونحن

مكلفان بمساعدته في المهمة الخطيرة التي سافر لاجلها ولكننا لم نكن في حاجة الى السفر الى لوندره جميعنا في آن واحد وفرد منا يكفي لتقديم المستندات للقاضي بناء على الشرطة الانكليزية

وكان زوجك عازماً على الكتابة لك من لوندره التي وصلها الليلة ولكن المرجح عندنا انه فكر فيما يتولاه من الضجر لبعدك عنه الى زمن غير محدد فكتب لنا الليلة عند الساعة العاشرة التلغراف الآتي

« لوندره » الساعة السابعة وخمسة وثلاثون دقيقة مساء

« ارجو صديقي مرفيت وروبير »

— ها نحن ياسيدتي.

« ان يستصحبا معهما مدام سيجون الدعوى خطيرة ومرتبكة سأضطر الى البقاء اكثر مما كنت اظن

الامضاء بولص سيجون

عاد احد الرجلين فقال لشرلوت

— وبما انك ستضطرين اذا ذهبت بصحبتنا الى ركوب اول قطار يترك باريز صباح الغد رأينا ان نأتي اليك الليلة

ليبقى لك زمن للاستعداد للسفر فلا تؤاخذينا على مجيئنا في هذه الساعة

قال الرجل ذلك بلهجة طبيعية وثبات جاش لم يبق لشرلوت مجالاً للشك والذي زادها ثقة هو ان بول دي مارسي كان احياناً كثيرة يتغيب عن بيته طلباً للملاهي ويدعي انه سافر في خدمة المحل التجاري الموظف فيه

ولذلك سرت شارلوت بالخبر الذي اتاها به ذلك الرجلين فبعد ان شكرتهما طلبت منهما ان يبيتا في منزلها تلك الليلة ووعدتهما بأنها ستكون على تمام الاستعداد في صباح الغد

وكان في بيت بولص دي مارسي غرف عديدة للضيوف فأعدت لهما شارلوت واحدة منها غير ان اصغر هذين الزائرين الذي دعا نفسه سيرفت قبل ان يدخل تلك الغرفة طلب ان يرى أولاد صديقه فسرت شارلوت لهذا الطلب كما تسر كل الامهات حين يطلب أحد رؤية اولادهن وذهبت بالرجلين الى القاعة الراقد فيها أولادها الاربعة

فظل سيرفت واقفاً زمناً طويلاً بلا حراك عند اسرة الاطفال يمعن النظر في وجوههم الملائكية ثم تساقطت دموعه

وانحنى عليهم يقبلهم فتأثرت شارلوت وقالت له

— أرى انك تحب الصغار ... أتراك فقدت احداً من بنيك؟

— أواه! نعم ياسيدتي اني احب الاولاد حباً جماً والذي زادني شغفاً بهم هو اني فقدت طفلة جميلة لو انها عاشت لكانت الآن من عمرك وكان اسمها شارلوت مثلك

— هل فقدتها من زمن بعيد؟

— نعم ياسيدتي فقدتها من عهد بعيد

— وا اسفاه!! لا شك ان فقدها كان صعباً عليك والوالد اذا فقد ولده يتألم كأنه فقد قطعة من فؤاده

وانما اولادنا بيننا * اكبادنا تمشي على الارض
لو هبت الريح على بعضهم * لامتنعت عن عيني الغمض

— ولكن ابنتي لم تمت ياسيدتي وانما اختطفت مني وهي في أول صباها ولم اعد اراها بعد ذلك

فتأثرت شارلوت حتى كادت تذرف دموعها وقالت بصوت حزين زادها حسناً

— لا شك ان ألمك على فراقها كان شديداً

فاجابها سيرفت وهو شاخص اليها والدموع تتساقط على خديه

— انك طيبة القلب ياسيدتي رقيقة الشعور فاسمحي لي ان اسألك سؤالا ارجو ان لا يكون ثقيلا على مسمعك ولعل شيبي وكبر سني يشفعان بي فتعدي سؤالي كسؤال جد لهؤلاء الاطفال وتصفحي عني أن كان ثمت ذنب في ذلك السؤال .

— تكلم ياسيدي فاني لن ارفض لك طلبا

— انك تشبهين الفتاة التي فقدتها مشابهة عظيمة وأعد نفسي سعيداً لو مكنني ان اقبلك القبلة الابوية التي احفظها لها منذ خمس عشره سنة

فلما سمعت شارلوت مقال الرجل احمر وجهها خجلا وحارت في امرها مترددة ولكنها لما امعنت النظ في سيرفيت ورأت شيب شعره وأبصرت دموعه المتساقطة على لحيته البيضاء وفكرت في السبب الذي دفعه الى طلب قبلتها قدمت له جبينها الوضاح دون أن تفوه بكلمة

فقبلها الشيخ قبلة صيرتها حرارة انفاسه محرقة ثم تغلبت

عليه عواطفه القلبية فطوق شارلوت بذراعيه وضمها الى صدره وقال لها بصوت خنقه البكاء

- لهفي عليك يابنيتي.. ياعزيزتي شارلوت انك لا تعلمين كم قاسى ابوك من الحزن على فراقك

فلم تغضب شارلوت لما بدا من الشيخ لظنها ان حديثه لغيرها بل تأثرت حتى سالت دموعها وفكرت هي ايضاً في ابيها وأمها اللذين تركتهما ولم تعد تراهما واستخرطت في البكاء فقال لها الشيخ بصوت حزين

- اصفحي عني ياسيدتي واغفري ما سببته لك من الكدر واعلمي انك ازحت بعض الكربة عن فؤادي فقد خيل لي وأنا اقبلك وأضمك الى صدري اني قبل وأضم ابنتي

- اني مسرورة لسرورك ياسيدي وقبلتك هذه الابوية لم تكدرني لانى علمت السبب الذي دفعك اليها

وفي تلك اللحظة تحرك احد الاطفال في سريره كأنه افاق من نومه. ولعل نور الشمعة ازعجه فكان ذلك داعياً الى خروج الزائرين من غرفة النوم واذ ذاك قال سيرفت لشرلوت

- لي كلمة اقولها لك وهي الاخيرة. نسيت ان اذكر لك

ان زوجك ترك لك الخيار في اخذ أولادك معك لعلمه انك لا تستطيعين الصبر على فراقهم زمنا طويلا وهو ايضاً يسر كثيراً بوجودهم بالقرب منه فتنهدت شارلوت وقالت

- ما ارق عواطفك . اشكرك يا سيدي على تنبيهي الى ذلك الامر قبل فوات الوقت لأتمكن من الاستعداد

- وأرى ان تستصحبي معك الخادمات ايضا ليساعدنك على خدمة الاولاد فارجوك ان تنبهين الى ذلك ليكن على تمام الاستعداد ساعة الرحيل

ثم ان سيرفت ورفيقه سلما على شرلوت ودخلا غرفة النوم التي اعدت لهما.

وعند الساعة السادسة مساء كان الكل في قطار باليزو ولما وصلوا الى باريس ركبوا عربة اومنيبوس اوصلتهم الى محطة سكة حديد الشمال

وكان سيرفت كتب لاحدى شركات البواخر مان تحجز لهم حجرة خاصة في باخرة مقلعة الى بلاد الانكليز لتكون الأم وأولادها بمعزل عن بقية المسافرين ولو ان المسافة بين كاليه ودوفر لا تزيد عن ساعة ونصف. ولما ركبت شارلوت الباخرة

كان قلبها يطفح سروراً لاعتقادها انها بعد حين ستعانق نولص الذى لا يشغل قلبها غير حبه

ولم يخامر تلك التعسة اقل شك في صدق ذينك الغريبين مما يدل على انها ليست على جانب عظيم من الفطنة

## القسم الثالث

## المسجونون

ولما دخل لوس وهرتلوب مكتب جاك لوران في بيته كما سبق تقدمهما هذا ولما جلس الى مكتبته اخذ مكتوباً طويلا عريضا كان ملقياً عليها وطواه وأعاده الى غلافه ثم خبأه في محفظة تقفل بمفتاح ووضعها في احد ادراج المكتبة ثم نظر الى زائريه وقال لهما وهو يبتسم

- اظنكما تريدان معرفة مافي هذه الرسالة التي طويتها ؟

فاجابه لوس

- كلا ياسيدي . لا نريد التداخل في اشغالك ....

- فقال له لوران

- ان مثل هذه الكلفة لا تجوز بيننا ياعزيزي لوس . وانت تعلم مثلي ميل الانسان الغريزي الى معرفة كل شيء فلا

يمكنك اقناعي بانك لا تريد ان معرفة ما في المكتوب . واظن انه لا يوجد على الارض انسان يقع نظره على مكتوب أو رسالة تلغرافية ولا يجول في خاطره الفكر الآتي اضطراراً او اختياراً « اتمنى ان اعرف ما في هذا المكتوب الذي ارى صاحبه يبالغ في الاحتفاظ به » هذا اول ما يطرأ على افكار الناس أجمعين مهما كانت طباعهم ودرجة تهذيبهم . ثم تتنوع افكار الناس في هذا الموضوع وتختلف باختلاف عقولهم وآدابهم ومركزهم في العالم.

وبرهاناً على ذلك أذكر لكما ما طرأ على افكاركما حين رأيتما هذا المكتوب لعلمي بدرجة ذكائكما وبأميالكما وبما بينكما من اختلاف الآراء التي تميز أحدكما عن الآخر ولكنني أنتظر ان تجيباني بصراحة وكان لويس وهرتلوب ينى أحر من الجمر ويخشيان ضياع الوقت قبل الخوض في الموضوع الذي أتيا لاجله ولكنهما لعلمهما بطباع جاك لوران وأخلاقه ادركا انهما لا يتوصلان الى غايتهما الا اذا انصاعا لارادته وأصغيا الى كل ما يقوله لهما فاجاباه

— الامر امرك يا سيدي

فقال جاك لوران

— أما أنت يالوس فبعد ان طرأ عليك فكر الميل الى معرفة ما في المكتوب الذي رأيتني أطويه سألت نفسك قائلا « لماذا عساه طوى المكتوب في حضرتنا . أتراه خاف الى تقع أبصارنا على بضعة أسطر منه ؟ »

— ورأيت ان عملي هذا أي عدم تاجيل اخفاء المكتوب لبعد ذهابكما جارح لاحساساتكما مع انه كان ملقيا على المكتبة منذ جاء البريد . ولم أكن في حاجة الى اخفائه قبل مجيئكما .

— أجبني بصراحة ناشدتك الله . ألم يصب سهم ظني المرمى ؟

— انك والله يا سيدى لعالم بذات الصدور فاين منك المنجمون والراسخون في العلم

ثم التفت جاك لوران الى هرتلوب وقال له

— اما أنت يا هرتلوب فقد كنت مساعدي أكثر من ثلاثين سنة وقد تمكنت في خلال ذلك الزمن الطويل معرفة طباعي فلما رأيت المكتوب الذي طويته أمام عينيك لم يثر فيك ثائر

الفضول لشدة ميلك الى النظام والطاعة العسكرية فقلت في نفسك

« ان جاك لوران قد تغيرت أطواره منذ تقاعد عن العمل والدليل على ذلك انه يترك مكاتيب مفتوحة على مكتبته يمكن قراءة ما فيها كل من يقع نظره عليها »

— واستنتجت من ذلك بلا ترو ان هذا المكتوب لا قيمة له وخالفت لوس في الرأى

فاجبني انت أيضاً بصراحة هل أصاب سهم ظني المرمى ؟

— فتبادل لوس وهرتلوب نظرة تنم عما أصابهما من الدهشة وأجاب هرتلوب

— أجل يا مولاي لقد اصبت كبد الحقيقة

— وأجاب لوس

انك تقرأ أفكارنا كأنما تقرأ كتابا مفتوحا أمام عينيك

وقال هرتلوب

— ولا يسعنا الا الاقرار بان الصدالم يغشى ذكائك

برغم انقطاعك عن العمل . فعاد جاك لوران وقال

— ولا يبعد على ظني انكما تحسبان كلامي هذا عديم الفائدة لانكما تريدان الكلام معي في موضوع آخر ولكن فاتكما ان درس مثل هذه الامور الصغيرة في الظاهر هو الذى يقوي تصورات رجال البوليس فيمتازون عن غيرهم : فافرضا ان في هذا المكتوب الذى طويته أمامكما العبارة الآتية

« أخبرك بأن في هذه الليلة بين الساعة الحادية عشرة ونصف الليل يطعن بونجان رئيس البوليس بخنجر في مكتبه في دار المحافظة »

فلما سمع هرتلوب ورفيقه تلك العبارة أخذتهما الدهشة واصفر وجههما ووقف شعر رأسهما ونهضا واقفين كالمأخوذين

فقال لهما جاك لوران بلهجة تنم عن العجب

— ما بالكما لعلكما اقسمتما ان لا تصغيان الى ما أقول بغير اضطراب . فدعاني أتم حديثي

— وافرضا ان القاتل لم يعرف ولكن اسمه مذكور في هذا المكتوب

وان احد كما قرأه ساعة دخولكما . ولكن لا ادرى من منكما الذى قرأه وانا افرض انك انت يالوس الذى قرأته لما أعهده فيك من الفضول

- والآن لا ارى موجباً لاطالة تشوقكما الى معرفة الحقيقة فاعلما أن هذا الكتاب لم ينبئني بمقتل بونجان هذه الليلة فقط بل بمقتل ترنكاز وكيل الاشغال المدعو بيتي لوردفما هى الحقيقة؟ ان من مصلحتي معرفة ذلك

فاجابه لوس

- ان الذي كتب لك تنبأ بالحقيقة وقد حصل كل ماذكره لك تماماوقد أتينا لنطلعك على الخبر ونزيدك علما بان وكيل النائب العمومي اختطف في نفس الساعة عند شاطىء النهر ولم يعرف احد من هم لذين اختطفوه

فاجابه لوران

- ومن قال لك انني لم أقف على هذا الخبر أيضاً

- من أمكنه ان ينبئك بتلك الامور قبل وقوعها؟

- أناس يعلمون بالامور قبل حدوثها وسوف تعلمانه من هم

فقال له لوس

- ان هؤلاء الناس يشبهون الذين كان لهم يد في حدوث تلك الجنايات

- ان ذكائك يكاد يتوقد يا عزيزي لوس ولا عجب اذا فاخرت بانك كنت لي تلميذاً ولكنك عرفت شيئاً وغابت عنك أشياء وجهلت ماجاء في الفقرة الاخيرة من هذا المكتوب فأرجوك ان تصغ

قال جاك لوران ذلك ثم اخرج المكتوب من المحفظة وقرأ ما يلي بصوت عال

« واعلم ان هذه الحوادث الاربع التى حصلت قد قضى بها العدل فأرجوك يا عزيزي جاك لوران ان تبذل قصارى جهدك لرفع المسأولية عن عاتق المسيودى فيرجين حكمدار البوليس ولوس الذي سيرقى الى وظيفة رئيس البوليس لأنهما مهما سعيا لا يجدان الجانين ... »

فقال لوس

-- يخال لي يا سيدى ان مخبرك هذا قد تمادى في ما قال لك .

فأجابه لوران

- انك يالوس اسأت الظن في دقة عمل هذا المخبر بقدر ما احسن هو بك الظن فاسمع ما بقي من المكتوب

«انهما لا يجدان الجانين بطريقة رسمية»

- أعني انكما لو عرفتماهم لا تستطيعان القبض عليهم لعلة من العلل. وأرجوك يالوس ان تصغ الي العبارة الآتية فهي نهاية المكتوب

«ان المسيو دي فيرجين لا يستطيع الآن ترك المحافظة فقد جاءه نبأ سري من الملك نفسه مفاده ان يحول دون تنفيذ حكم الاعدام على الدوق فرجي كواسلان الذي قبضت عليه الحكومة منذ ست أسابيع لاتهامه بجريمة القتل. فابذل كل ما في وسعك ليس فقط للاخذ بيد الحكمدار واخراجه من المأزق الذي أصبح فيه بل لانقاذ الدوق كما تقدم لاننا لا ننسى أبداً جايل خداماته لنا فيما مضى. ولا تضن في سبيل انقاذه بالمال بل أنفق عن سعة فان المال قاضي الحاجات ومذلل كل الصعاب. واذكر على الدوام اننا ميالون الى الانتقام والاقرار بالجميل»

- فهل أدركتما الآن كيف اني أفدتكما بالقاء هذا الدرس عن طباع الانسان . وانتما تعلمان مثلي ان قوة البوليس في دماغه لا في يديه ورجليه . وقد قبضت على مجرمين وأنا جالس في مكتبي أكثر مما قبض عليه كل رجال البوليس الذين يتجولون في أزقة باريس نهاراً وليلا

هل أدركتما اننا لم نضع الوقت ؟ وكنت عالما بالسبب الذي لاجله أتيتم وقد عرفتم الآن جوابي فلم يبق علينا سوى العمل ؟

وبالاختصار اعلم يا عزيزي لوس ان أخاك وارنست دوتيل اللذين فرا من سجن غويان منذ سنين عديدة عادا لينتقما من اللئام الذين حكموا عليهما ظلما وعدوانا وكانوا سبباً في موت الكثيرين من أهلهما فقراً وحزناً مثلما ماتت أخت دوتيل زوجة أخيك

- وابنة أخي شارلوت ؟

- ان هذه لم تمت وقد عثرت عليها بعد طول البحث وأظنها الآن بين ذراعي أبيها

- فليباركك الرب يا جاك لوران

- أشكرك . واعلم اني ماخيبت قط رجاء . وانا من الذين يعتقدون بعدل الله . وطالما همني أمر أخيك شارل وشقيق زوجته . ولو كنت باقياً في خدمة البوليس لما أمكن أحد الحكم عليهما . ولكن بونجان سلك مسلك الانذال وأرى ان لابد لي من الشرح عن مقتلة

فاعلم انه لما رأى الخبير الذي عين لفحص دفاتر بنك ترنكار ان تلك الدفاتر مزورة طلب من بونجان سراً ان يدخل بنفسه بنك ترنكار وبيته الخاص وكل مكان يظن ان البحث فيه يؤدي الى معرفة الحقيقة . فعوضاً عن ان ذلك النذل يفعل ما أشار به الخبير ذهب تواً الى قصر الدوق جرسي في شوازي وكان هذا غائباً فخاف الخدم سطوة رئيس البوليس ولم يعارضوه في تفتيش القصر فوجد هنالك الدفاتر القديمة التي استبدلوها بالدفاتر الجديدة المزورة وهي التي تثبت براءة المتهمين ظلماً . وجد بونجان تلك الدفاتر في برميل قديم ولما أدرك أهمية ذلك الاكتشاف طلب من أصحاب المصرف مائة الف فرنك مقابل ابقائه أمر الدفاتر القديمة سراً خفياً

أفلم يستحق ما ناله من العقاب بعد هذا العمل ؟

فاجابه لوس وقد اصفر وجهه خجلاً

- انني كنت أجهل هذه الحقيقة ، وأرى ان ميتته لم تكفر عن ذنبه الفظيع

- أتعرف من هو قاتله ؟

- نعم قتله دي مارسي لينقذ ولده . واظن ان ليس لأبي يداً في مقتله

- لا بل كان له يد وأنا كنت يده

- أيمكن هذا !!

- نعم كنت أعلم ان بونجان يستسهل كل صعب في سبيل الوصول الي وظيفة مستشار في الحكومة وان المسيو دي مارسي لا يتردد في ارتكاب جريمة القتل في سبيل الدفاع عن ولده . فادركت انه سينتج عن اصطدام هاتين القوتين حادث هائل . وبناء على ذلك دعى بولص دي مارسي الى بيت الكونت دلبوجار صديق أخيك الحميم ياعزيزي لوس

- ماهذا المزاح ياسيدي لوران !أيجوز ان يكون سفير دولة البورتوغال صديقاً حميماً لمتهم بالسرقة وهارب من السجن

- انى لا امزح قط فيما اقول ياعزيزي لوس . وسوف

يطلعك شارل اخوك على امور اعجب من التي عرفتها .
فاعلم ان الدوق دي دميار كوسي البارع في فن « تطبيق »
ورق اللعب لاغتيال خصمه ربح من بولص دي مارسي مبلغاً
طائلا . فأخذ هذا شيكا بالمبلغ من صديقه ايمانويل دي كاسترو
وقبضه من بنك اوزيبيو ميراندا الذى انشاء لهذه الغاية
ودفعه الى الدوق دميار.

ثم اتضح بعد ذلك ان الشيك مزور في الظاهر وصحيح
في الحقيقة اعني ان ايمانويل اسلف المبلغ لبولص حقيقة ولكنه
ادعى بانه جرح في يده اليمني ولم يستطع الكتابة وطلب
من بولص ان يزيل الشيك باسمه، بما ان المبلغ محول لاسم
بولص عد ذلك العمل تزويراً

واذ ذاك سعيت في الشكوى الى بونجان فاغتنم هذا
الفرصة لنيل مطامعه واثقل الطلب على ولد بولص ودفعه
الى قتله غيلة فكان دي مارسي آلة للقصاص وهو لايدرى
وانت تعلم مابقي وما كنت اؤمل ذلك النجاح الباهر ولكن
اعيد عليك بان درس اخلاق الانسان يسهل على رجال البوليس
حل اصعب المشاكل .

وقد قلت لك انى كنت مهتما شديد الاهتمام بأمر اخيك وشقيق زوجته . وبعد صدور الحكم عليهما صرت ابذل كل مافي وسعي للاخذ بناصرهما وكنت الواسطة بين صاحب المصرف الغنى ( ر ) وبين الدوق دي فرجي جوازلان لانقاذهما من السجن واتفقت مع بعض اصحاب السفن الاميرية فاجرونا سفينة اخذتهما ساعة فرا من سجن كاين وذهبت بهما الى نيويورك

وبقيت اخبارهما ولما عادا الى فرنسا للمباشرة في الانتقام الذي كرسا له مابقي من حياتهما . كنت انا المرشد لهما والمعين وبذلت كل مافي وسعي لينتقما احسن انتقام دون ان يصابا باذى

فاعدنا النظر في اوراق دعواهما تحت رئاسة الكونت دالبوجار واتخذت انا مركز المحامى عن التهمة وحكمنا بالاعدام على بونجان وترنكار وبيني لوردو واشرت بان يقتل الثلاثة في ليلة واحدة ولما تمت كل المعدات لذلك ...

— المعدات ...

— نعم كان يجب ان لايصاب احد منا بضرر ...

فاشترينا بيتي ترنكار ووكيل الاشغال واعددنا فيهما مايلزم اثناء غياب الرجلين في حمامات البحر . فجعلنا في سقف غرف النوم فتحة يدخل منها المكلف بتنفيذ الحكم وبقينا ننتظر لنحدد اليوم

اما دي مارسي الصغير فسيكفر عن ذنبه قبل مضي ثماني واربعين ساعة

فهتف لوس قائلا

ــ لاشك ان ما فعلته مدهش ياسيدي فكأننا نسمع حكاية من الف ليلة وليلة ولو لم نكن نعرفك من أمد بعيد ونعلم انك صادق لكننا شككنا في صحة مانسمع

فهز جاك لوران كتفيه واجابه

ــ ان ما اتيته لا يفعله سوي الذين يميلون من طبعهم الى احتراف مهنة البوليس لشدة شغفهم بها . وارى الآن مما قصصتماه عليّ من الاخبار اننا نجحنا نجاحاً باهراً في كل مافعلناه . ولم يبق علينا سوى أمر واحد اخذت على عهدتي انجازه وحتى الساعة لم اقف بعد على خبر عنه

وما كاد جاك لوران يتم عبارته حتي سمع قرعاً خفيفاً

على باب القاعة . فقام للحال وفتح فدخل رجل طويل القامة لابساً قبعة من جوخ تحجب عينيه ورداء واسعاً يكتنفه فقال له جاك لوران

- حمداً لله يامولاي الدوق .. ها قد نجوت

فاجابه القادم

- قد تم كل شيء طبق المرام ، فوضعنا الجثة التي أرسلت من المستوصف مع أحد الحراس في كيس فراش سمحوا لي بأخذه من الفندق . ولما دخل حاملو الجثة جعلوا الحاجب يكتب ثلاثة اسماء لكي يخرج من السجن ثلاثة رجال ثم خلعت ثيابي والبسناها للجثة وشنقناها في حديد نافذة السجن ولما خرج الذين اتوا بالجثة خرجت معهم . وها انذا بين يديك

- اعلم يامولاي الدوق ان لابد لك من السفر الى انكلترا اليوم مع هذين الرجلين

فدهش لوس عند سماع مقال لوران وقال له

- نحن؟

- نعم أنتما والا لا يمكن الدوق ركوب الباخرة فان خبر

فراره من السجن لا يلبث ان ينتشر غداً ان كان لم ينتشر بعد وتصدر الاوامر بتشديد المراقبة في كل المواني البحرية وعلى كل الحدود ولكن اذا كان بصحبته رئيس البوليس ووكيله فلا خوف عليه

— ولكن أي سبب نختلق للسفر الى انكلترا؟

— هذا أمر بسيط للغاية تذهبون مرسلين من قبل المسيو دي فيرجين حكمدار البوليس لاقتفاء أثر الذين اختطفوا المسيو دي مارسي

— لا يمكن ان نحصل على ذلك مع اضطرارنا الى البحث عن مرتكبي الجنايات الثلاث التي حصلت الليلة

— لا أرى موجباً للاهتمام بهذا الامر وقد استدركت كل شيء.. يوجد في قاعة حديقتي ثلاثة رجال طوع اشارتي استعين بهم في مثل هذه الحالات الحرجة.

وهم على تمام الاستعداد للتظاهر بانهم من المجرمين القتلة. فأرى ان تأخذاهم معكما والسلاسل في أعناقهم وأيديهم وتدخلان بهم دار المحافظة من السلم السري وبينما يمضي لوس الى الحكمدار بقاتلي ترنكار ووكيل الاشغال بيتي لردو. ينادي

هرتلوب كل الحراس فيأتون بقاتل بونجان في صندوق من خشب تنيمانه فيه حين تدخلان

ويدعي الثلاثة رجال انهم من عصابة تدعى « عصابة المسجونين المنتقمين » بغيتها للانتقام من رجال البوليس الذين قبضوا على افرادها وعلى القضاة الذين حكموا عليهم

وتظل الحكومة أشهراً تبحث عن بقية أعضاء تلك الجمعية وفي ذات يوم حين يخف هياج الرأي العام نخرجهم من السجن

فهل تظنان بعد هذا ان الحكمدار لا يسمح لكما باقتفاء أثر الذين اختطفوا دى مارسي ؟

— انه لا يسمح بذلك بلا شك

— كل شيء يتم اذن طبق المرام . واذكرا في الامر الذي تأخذانه من الحكمدار ان أحدكما رئيس البوليس والآخر وكيله . وبهذه الطريقة تركبان الباخرة مع الدوق بلا معارضة

فقال له لوس

— ان الطبيعة استخصتك بقوة استنباط غريبة ياسيدي فأنت في الثمانين من عمرك أنشط منا جميعاً وأشد دهاء

– انكما تعرفان السر في نجاحي فما عليكما الا الفعل بموجبه . وارجوكم الآن ان لاتضيعوا الوقت اذ يلزمكم ان تركبوا الليلة الباخرة المقلعة من الكاليه الى دوفر . واتبعوني لاسلمكم المسجونين وهم لايطلبون سوى أمر واحد وذلك ان نسمح لهم بالتدخين وان يعطى لهم على يد السجان خمسة فرنكات كل يوم ليأكلوا من « الكنتين » . وهذا دليل على انهم ليسوا من ذوي المطامع العظيمة

وقد وعدوا بانهم يسلكون سلوكا حسناً لكي لايحرمون من ذلك الامتياز . وفاتني ان اخبركم بان رجالي الثلاثة قادرون على تعقيد المسائل في اجوبتهم وقت التحقيق حتى لايستطيع احد ان يفهم شيئاً مما يقولون . وبعد خروجهم من السجن يخرجون من فرنسا ويقضون بقية حياتهم في البلاد الاجنبية ولا يعودون الى فرنسا الا بعد عشر سنين وقد تعهدت لهم بالقيام بكل نفقاتهم خارج فرنسا وذلك اني عينت لكل منهم ثمانية عشر الف فرنك سنويا

فقال له هرتلوب الذي لم يحلم قط بمثل هذا المبلغ وقضى حياته في خدمة البوليس ولم يتمكن من اقتصاد فرنك

واحد

— انك تلعب بالذهب ياسيدى؟

وكأن جاك لوران ادرك مادار في خلد هرتلوب فأجابه

— سوف تلعب أنت ايضاً بالذهب في دورك. فاذا كان الذين يقلدون اللصوص والقتلة ينقدون مثل هذه الاجور فماذا ينقد الذين مثلك يخدمون خدمات جليلة نافعة؟

قال لوران ذلك وفتح باب يؤدي الى ممشى وقال لثلاثة رجال كانوا هنالك

— لم يبق ثمت موجب لاحتجابكم فقد عرفت جريمكم وها ان الحراس أتوا للقبض عليكم فلا تبدوا أقل مقاومة

فخرج الرجال الثلاثة من مخبائهم ولم يبدوا اقل معارضة حين كبلوهم بالسلاسل الحديد. وساروا مع لوس وهرتلوب الى دار المحافظة وبعد ساعتين عاد لوس ورفيقه ومعهما أمر بالسفر الي بلاد الانكليز مذكور فيه رئيس البوليس ووكيله وفي ذلك خلاص الدوق فرجي كوازلان

ولما علم الحكمدار بأن لوس وهرتلوب وجدا القتلة لم يعارض في اصدار الامر بسفرهما الى انكلترا وقال لهما

- لقد أنقذتماني يا صاحبي فاشكركما وأوكد لكما اني لا أنسى حسن صنيعكما ماحييت

وارسل اعلاناً لكل الجرائد بحدوث الجرائم الثلاث وبالقبض على الجانين . فأصدرت كثير من الصحف ملحقات ذكرت فيها الخبر وافاضت في مدح رجال البوليس واجمع اهل باريس على اختلاف نحلهم على ان حكمدار البوليس ورجالهم ممن يفاخر بهم

وكان ذلك ابرع عمل اتاه جاك لوران في حياته

ولم يعلم احد بنجاة الدوق واشيع انه وجد مشنوقاً في سجنه فلم يعد احد يذكره

وعند الساعة الرابعة جاء لوس وهرتلوب ليذهبا بصحبة الدوق. وقد غير هذا ملابسه لكي لا يعرفه احد. واتفقوا على ان يتناولوا العشاء في مطعم قريب من محطة سكة حديد الشمال ثم يركبون قطار الساعة السادسة الذي يصل الى كاليه قبل قيام الباخرة التي تنقلهم الى بلاد الانكليز

وأعطى جاك لوران لوس مظروفا مختوما وأمره بان لا يفتحه الا في لندره في شارين كروتر اوتيل حيث أمره ان ينزل . وكان داخل ذلك المظروف أوامر وعد لوس بتنفيذها

وما كاد لوس وهرتلوب والدوق يصلون الى اخر شارع ابيك حتى ناجى جاك لوران نفسه قائلا وهو يبتسم ابتساما غريبا .

— ان كل شيء في باريس يسير على المرام فلنذهب الى لندرا ونرى هل الامور سائرة على قدم النجاح أيضا

ثم انه دخل قاعة «التواليت» ووضع على منضدة من رخام زجاجات الطلا والدهان المختلفة الاجناس التي يستعملها لتغيير زيه كلما دعت الحالة الى ذلك وبعد ساعة أصبح ذلك الشيخ الهرم الذي جاوز الثمانين يحاكي ابن خمسين سنة حتى لم يعد أحد يعرفه

وخرج من بيته وفي يده حقيبة صغيرة من جلد . وقد صبغ شعر رأسه ولحيته الشائب بصباغ اشقر ذهبي جميل وصبغ جلده بدهان قاتم اللون وحلق لحيتـه من الوسط ولم يبق منها سوى سالفتين كسوالف الانكليز فصار يشبه اللوردية

العظام أو كبار القواد العائدين من الهند لقضاء الاجازة في بلاد الانكليز

وركب نفس الباخرة التي ركبها لوس وهرتلوب والدوق ودخل الغرفة التي كانوا فيها وصار يكلمهم بلغة فرنساوية عقيمة مقلداً الانكليز فلم يعرفه منهم أحد

ولما وصل معهم الى فندق شارن كروس استاجر غرفة نمرتها ٧٥ كان طلب من صاحب الفندق اعدادها له تلغرافياً قبل سفره من فرنسا

وما كاد يستقر في حجرته حتى قرع بابها فقال بصوته الطبيعي

— ادخل

ففتح الباب ودخل لوس ورفيقاه

— ولما أبصروا جاك لوران عرفوا انه هو رفيق السفر الذي كلمهم بتلك اللغة السقيمة وبدت على وجوههم علامات الدهشة وقال له لوس

— أرجوك المعذرة ياسيدي على دخولنا عليك فاظن اننا أخطأنا الحجرة التي نريد دخولها

اما المكتوب الذي بعث به لوران الى لوس فهذا نحواه.

« ان الاوامر التي يجب عليك اتباعها تعطى لك من صديق نازل في نفس الفندق ونمرة حجرته ٧٥ »

فلم يعجب لوس لذلك المكتوب لما يعهده في طباع جاك لوران من الشذوذ وبعد تلاوته ذهب تواً الى الحجرة نمرة ٧٥

وعندما أظهر أسفه لجاك لوران حين دخل غرفته وهو لا يزال يعتقد انه من قواد جيش الانكليز العائدين من الهند أجابه لوران وهو يضحك

— انك ما أخطأت في دخولك هذه الحجرة ياعزيزي لوس. ولا عجب في انك لم تعرفني لاني صغرت نفسي عشرين اوثلاثين سنة على الاقل عما كنت بالامس لكي لا تعرفني فبدا الذهول على وجوه اصحابنا الثلاثة حين رأوا ذلك الابداع في تغيير الزي

وهز لوس رأسه وقال

— ان الحكومة الفرنساوية لن تجد من يضارعك في الحذق

والدهاء يا أستاذي واني لاعجب كيف انها أحالتك على المعاش منذ عشرين سنة

— هذا درس ياعزيزي لوس يلزمك ان تستفيد منه . اني أثناء الخدمة أصبحت أقوى من الحكمدار ومن وزير الداخلية نفسه وصرت أتسلط على أفكاره برغم أنفه فاضطر أخيراً الى الالحاح عليّ بالاستقالة من وظيفتي . فأدركت اني كنت عبئاً ثقيلا على عاتقه ولم أر بداً من الاستقالة

اري اني أكثر من الحديث الفارغ والوقت ثمين . ولا بدّ لنا من القيام بالعمل الساعة الحادية عشرة وميعاد الندا الساعة ١٢ فلا تسألوني عن شيء لاني لا أجيب بل اذهبوا والبسوا ثياب السهرات اي أجمل ماعندكم من الملابس السوداء وربطات الرقبة البيضاء وعودوا الى هنا تجدوني لابساً نفس الملابس

فأجابه لوس

— انا ننتقل من امر مدهش الى أمر أدهش ومن سر غامض الى أغمض منه . ولا يسعنا الا الطاعة العمياء

وعند الساعة السادسة ونصف ركب الاربعة عربة

ذهبت بهم الى بيت يشبه قصور الامراء فوجدوا عند الباب خمسة عشر غلاما من الحشم ينتظرونهم وما كادت تقف عربتهم حتى استقبلهم كهل وصافح جاك لوران مصافحة وداد قديم وقال له

— قد حضر الجميع الآن

فاجابه لوران

— خبرني كيف تم الامر ؟

— لا يمكننا استدراك شيء قبل وقوعه واننا حتى الساعة لم نجمع بين الشاب والمرأة

— سيكون لاجتماعهما شأن عظيم

— فلنصعد حالا

— اسمح لي ان اقدمك لاصدقائي

ثم التفت الى لوس وهرتلوب والدوق وقال لهم

— اقدم لكم حضرة الكونت فرنان دلبوجار سفير البورتوغال في باريس

ثم قال للسفير

— سر بنا الآن ياحضرة الكونت

ومشى الاربعة خلف السفير فادخلهم قاعة فسيحة في الطبقة السفلى فيها من فاخر الرياش ما يأخذ بالابصار ويضرم في قلب الفقير النار

واذ ذاك التفت جاك لوران الى رفاقه وقال لهم همساً

— اياكم ان تفوهوا بكلمة مهما سمعتم أو رأيتم . هذا قانون المحل . وكان في وسط القاعة منضدة جميلة الصنع من طرز لويس الخامس عشر ومن حولها الكونت دلبوجار والفاريس وايمانويل دي كاسترو ودمبار والاخوان ترمينيك وربان سفينة فيلاتردا وكان الى جانبهم مأمور الحي

فهتف دلبوجار قائلا بصوت الآمر

— ادخلوا المرشحين

فانفتح بابان متقابلان من القاعة وسمع صوتان في آن واحد وهما

— شارلوت !!

— بولص !!

وتقدمت المرأة وهي ترتجف كورق الشجر في أبان العاصفة وكان الرجل الذي دخل من الباب المقابل بولص دي مارسي

بعينه فلما أبصر شارلوت أخذته الدهشة فقال لها

— أأنت هنا ياشرلوت؟ ماهذه الامور الغريبة!!

ثم لاحت منه التفاتة فابصر مامور الحي فعرفه فهتف قائلا

— ماذا أرى؟ المأمور هنا؟

ثم تقدم اليه وقال له

— اشكو اليك ياسيدي كل هؤلاء المجتمعين هنا فانهم اختطفوني وسجنوني منذ الامس

فقطع المأمور حديثه وقال له

- بأسم الشريعة أحتم عليك السكوت. فابدأ بالترتيب وسوف اسمع شكواك بعد حين ولكن قبل ذلك يلزمني ان انبئك بانك متهم باغراء فتاة قاصرة والمدعي هو الكونت الفارنيز دي كاسترو ودعواه انك استهويت ابنته الآنسة شرلوت دي كاسترو وهي دون سن الرشد ثم وجدها أهلها

فكاد دي مارسي يفقد صوابه عند سماع كلام المأمور ولم يعد يدري أفي يقظة هو أم في منام فقال له

- ماذا تقول؟ ارجوك ان تضع حداً لهذا المزاح

فاسرعت اليه شرلوت وقالت له

— ليس ما تسمع من احابيل عين الجد فاقرأ هذه الاوراق تعلم اني ابنة الكونت سرفيت الفانيز دي كاسترو . فهل تنكرني وتنكر اولادك حين عرفت الآن اني من عائلة شريفة؟

فهاجت عواطف دي مارسي فضم شارلوت الى صدره وبكى فقال له المأمور

— ليس لديك سوى سبيل واحد للتكفير عن الذنب الذي ارتكبته وذلك ان تتزوج هذه المرأة

فقالت له شرلوت والدموع تنحدر على خديها

— لا شك انه يرضى بهذا التكفير

ثم امسكت يد والدها ووضعتها في يد بولص دي مارسي فتردد الرجلان لحظة ثم تعانقا وأنساهما فرح الحاضر كدر الماضي . وبعد ربع ساعة اصبحت شرلوت دي كاسترو الكونتس دي مارسي ..

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

وبعد حفلة الزفاف دنا الفارنيز دي كاسترو من لوس وأمسك ذراعه بغير كلفة وقال له

— تعالَ يا اخي ان لي معك حديثاً طويلا

فكاد ان يغمى على لوس لشدة الدهشة والذهول وهتف قائلا

— شارل !!

فاجابه الفاريتز

— صه يا اخي !! لقد بدل شارل بالكونت دي كاسترو البورتوغالي الشريف صاحب الاملاك الواسعة ومناجم الذهب

واذ ذاك تعانق الاخوان وبكيا لشدة الفرح فامتزجت دموعهما وقصّ شارل على أخيه لوس حكايته منذ فراره من سجنه حتى تلك الساعة وكيف انه اغتنى في اميركا ثم انه عاد الى باريس ودبر تلك المكايد الغريبة للانتقام من أعدائه وكيف انه ألف تلك العصابة مستعينا بالسفير البورتغالي وجاك لوران حتى نال من اخصامه مأربه

أما اتباع جاك لوران الذين سجنوا بصفتهم المتهمين بارتكاب الجرائم الثلاث التي حدثت في ليلة واحدة كما سبق فبعد ان نسي أهل باريس تلك الحوادث سعى جاك لوران في اخراجهم من السجن سراً بدون ان يعلم بذلك احد وأوصلهم الى بلاد

بعيدة حيث عاشوا بأمان واطمئنان

وبرّ جاك لوران بوعده لهرتلوب فكافأه مكافئة مالية عظيمة جعلته يلعب بالذهب كما كان يتمنى

وعاد بولص دي مارسي وزوجته وأولادهما الى باريس وعاشوا بهناء الى ان أتاهم هازم الملذات ومفرق الجماعات

﴿انتهت رواية دهاء ابوليس﴾

## رواية

## ﴿جريمة بجال﴾

عاد المسيو فلوك من ديوان الخارجية الى بيته عند الساعة السادسة وربع مساء فقابلته زوجته بوجه باش وقبلته وقالت له

— كيف رأسك ؟

فهز كتفه وأجابها

— لم يفارقني الصداع منذ الصباح

— ماذا تقول ؟ ان هيئتك تدل على انك متكدر مشغول البال .

وبينما مدام فلوك تتأمل زوجها من رأسه الى اخمص قدميه ابصرت أثر دم متجمد على يده فاشغل ذلك بالها وقالت له وهي تشير الى يده

— ماذا اصابك ؟

— لا شيء بينما كنت اقلب بعض الاوراق جرحني الدبوس المشبوكة به

— « ياقلبي عليك »

وكان ذلك في فصل الشتاء والنار مضطرمة في موقدة قاعة الطعام والمصباح ساطع الضوء ثم عادت مدام فلوك فقالت

— هل لديك اخبار جديدة عن المكتب ؟

— لا

هذا مجمل ما كان يدور من الحديث كل مساء بين المسيو فلوك وزوجته ثم يأخذ كل منهما جريدة يقراها ساعة العشاء وهكذا فعلا الليلة ايضاً. وبينما كانا جالسين الى جنب الموقدة والمسيو فلوك غائص في لجة من الافكار صرخت زوجته صرخة اطارت صوابه وقالت له

— تيودور ! تيودور !

— مابكِ ؟

— اقرأ ما هو مكتوب في الجريدة في اخبار آخر ساعة

فاخذ تيودور الصحيفة وقرأ ما يأتي

« جناية غامضة في شارع بيجال »

« وجدوا هذا المساء في البيت نمرة ١٩٨ من شارع

« بيجال جثة امرأة مخنوقة. وهي راقصة مشهورة في خمارات

« حي مونتمارتر وتدعى لينا دوبلويه . ولم يعرف القاتل حتى
« الساعة ولا السبب في تلك الجريمة ويظهر من تحقيق
« البوليس الابتدائي ان لهذه الجناية شأنا عظيما »

ولما انتهى فلوك من قراءة هذا الخبر قالت له زوجته وهي تحملق بعينيها الجاحظتين

— ماذا تقول في هذا الخبر ؟

— لا ارى فيه شيئا خارقا للعادة

— هذا ظنك ؟

— نعم والمرجح عندي ان الدافع الى هذه الجناية عامل من اثنين إما الغيرة أو المال

— انا لا ارى رأيك ياتيودور واظن انه سيكون من وراء هذه الجريمة الغامضة امور ذات شأن عظيم

— انك ياكاميل تكثرين من هذه التصورات الغريبة منذ بدأت تقرأين اقاصيص روسينياك وأمثاله المملوءة اخباراً عجيبة غريبة . والذي زاد الطينة بلة انك تريدين كشف الستار عن كلما تجدينه في الاقاصيص من المعميات والاسرار .

— هل أُلام على بحثي عن الحقيقة وقد شاع وزاع وملأ الاسماع ان رجال البوليس يعجزون عن معرفة القتلة والقبض عليهم . وأرى من الواجب على كل انسان عاقل نبيه وذي حيل ودهاء ان يمد يد المعونة لرجال الشرطة

— لعلك اذن تريدين البحث عن مرتكب جريمة شارع بجال ؟

— نعم اريد ذلك

— انك مجنونة ياكاميل

— لا بل انا سليمة العقل ياتيودور

— انك تضيعين وقتك بلا جدوى

— سوف نرى

— واذكري انك اذا اشتغلت بالبحث عن مرتكبي الجرائم والقتلة لاأجد من يرتق جواربي وتحترق (الطبخة) على النار

— صالح العموم اهم من صالح الافراد

فهز المسيو ملوك كتفيه علامة للازدراء ولم يجب وعادت زوجته الى قرأة الجريدة

وعند الساعة السابعة جلس الرجل وزوجته لمناولة الطعام ولم يفه احدهما بكلمة . وكانت عادتهما ان يلعبا بعد العشاء طابق ( برتيته ) كوتشينا او دومينو فلم يلعبا تلك الليلة وشكا المسيو فلوك من صداعه وادعت زوجته انها مضطربة الافكار وذهب كل منهما الى فراشه قبل ساعة النوم المعتادة ولم تنم كاميل طول ليلها وظلت افكارها مشغولة بالخبر الذي قرأته قبل العشاء وصار يخيل اليها انها ترى جثة الراقصة مطروحة على الارض ووجهها بنفسجي اللون من الاختناق وفي عنقها آثار الاصابع الوحشية التي خنقتها

وفي صباح الغد لما افاق زوجها من نومه الحت عليه بالخروج باكراً لتختلي الى نفسها وتطلق العنان لافكارها

وكان الجو ممطرا في ذلك الصباح فاراد المسيو فلوك ان يرتدي ملابس سميكة تقيه البلل فاضاع زمنا طويلا في انتقاها من بين ملابسه فقالت له زوجته وقد عيل صبرها

— اسرع ياتيودور !! اسرع في لبس ثيابك واذهب وارجوك ان تقول للبواب بان يأتيني بالخطابات والجرائد التي اخذها من موزع البريد هذا الصباح

فأطاع الرجل أمر زوجته وبعد حين صعد البواب يحمل المكاتيب والجرائد التي كانت كاميل تنتظرها بذاهب الصبر ولما فتحت الجريدة وقع بصرها على العنوان الآتي مكتوب باحرف غليظة

« جريمة شارع بيجال »

فطفقت تقرأ بتلهف كأنها تريد التهام الجريدة بعينيها حتى انها نسيت فنجان الشكولاته الذي بدأت بشربه قبل صعود البواب

وقد زادت الجريدة على الخبر المقتضب الذي ذكرته بالامس بعض التفاصيل . فقرأت كاميل أولا تاريخ حياة الراقصة المقتولة فلم تستنتج منه شيئاً بادى بدء ، ولكنها ما لبثت ان ارتعدت فرائصها حين قرأت ما يأتي

« وفي الليلة السابقة لليوم الذي وجدوا فيه الجثة رأى احد
« خدم البيت رجلا نازلا على السلم مسرعا ورافعاً رداءه
« فوق وجهه لكي لا يعرفه من يراه . ويقول الخادم ان ذلك
« الرجل يناهز الخمسين ذو شعر وخطه الشيب وشاربين كثيفين
« ووجنتين حمراوين » كيف رأى الخادم كل ذلك والرجل ساتر

وجهه بردائه ؟ الله أعلم — المعرب — » وهو قصير القامة
« بدين عريض الكتفين . ولم تكن ظواهره تدل على انه من
« القتلة بل من أرباب التجارة او موظفي الحكومة . وذلك
ما حول اليه افكار الخادم بنوع خاص . ومن المحتمل ان يكون
« ذلك الرجل هو القاتل وقد أثبت المكلفون بتحقيق هذه
« الجريمة ان المخنوقة دافعت عن حياتها وقاومت قاتلها
« ومن المحتمل ان يكون على جسم القاتل أثر تلك
« المقاومة »

فلما انتهت مدام فلوك من تلاوة ذلك الخبر أصابها ارتعاش هزها من قمة رأسها الى أخمص قدميها وناجت نفسها قائلة

— لقد ادركت منذ وقفت على هذا الخبر انها جناية غير عادية . ولا بد لي للوصول الى استنتاج مفيد من تشغيل عقلي لعلي أجد فيما ذكر في هذه الجريدة طرفاً من الحبل الموصل الى الحقيقة فأتمسك به وأظل أسير حتى أصل الى معرفة الجاني هذه هي خطة أستاذي الكبير روسينيك

ثم جلست على كرسي كبير واسندت رأسها الى يديها

وظلت بلا حراك نصف ساعة فلم يفتح الله عليها بشيء ثم بدرت منها التفاتة فوقعت عيناها على البنطلون والردنجوت اللذين كان يلبسهما زوجها بالامس

وقد تركهما على كرسي حين استبدلهما بثوبه السميك فدفعها حب الاستطلاع الى مناجاة نفسها فقالت

— لماذا استبدل اليوم تيودور ثوبه بآخر؟ نعم ان الجو ممطر ولكنه لا يبدل ثيابه كلما امطرت السماء

ثم عادت الى التفكير برهة وذكرت ان تيودور لبس قبل الامس ردنجوته الاسود لانه كان مدعواً لوليمة عند بعض أصدقائه. ثم لبسه في الغد على غير انتباه ولكنه اليوم لما رأى الجو ممطراً اضطر الى استبداله برداء آخر

وليس في ذلك أمر غريب غير انه طرأ على مدام فلوك ريب جديد موجب للقلق فقالت في نفسها

« هل ذهب تيودور حقيقة الى الوليمة التي ذكرها؟ وان كان لم يذهب اليها فما الذى فعله؟ ولماذا عاد عند منتصف الليل؟ ولماذا شكا من الصداع في اليوم التالي؟»

لم تستطع ان تجيب على واحدة من هذه الاسئلة وقد

أنساها هذا الفكر جريمة شارع بيجال وطفقت تروح وتغدو في غرفتها ثم قالت في نفسها

— فلنعد الى التفكير ان هيئة تيودور كانت غريبة بالامس فلو ان ذلك الانقلاب ناتج عن سبب هام لكان ذكره لي ولكنه لم يفعل فهو اذن يكتم عني أمراً

ولم تهتم مدام فلوك صباح ذلك اليوم بمراقبة خادمتها مثل عادتها وظلت مشتتة الافكار حتى عاد تيودور للغدا وأول شيء قاله لزوجته هو

— هل عرفت من هو مرتكب جريمة شارع بيجال ؟

— أراك تهتم لهذا الامر الآن

— نعم يهمني ذلك كثيراً وأريد ان اعرف هل تجدين القاتل قبل البوليس

— لا أظن انني أتوصل الى ذلك

— لماذا؟ هل عدلت عن البحث!!

— نعم

— حسناً فعلت

— ربما ولكن لدي أمراً آخر ابحث فيه وهو يهمني أكثر

من جريمة القتل

— وما هو ذلك الامر؟

— سوف تعرفه بعد حين

— فكف تيودور عن السؤال منعاً لنزاع ربما يحصل بينه وبين زوجته

— اما كاميل فلزمت الصمت حتى عاد زوجها الى مكتبه وما كاد يغلق خلفه الباب حتى لاح لزوجته ضياء من الهدى ارتعدت له فرائصها ذلك ان نفسها حدثتها بان تيودور هو قاتل اينا دوبلويه

— اما القرائن التي بنت عليها ذلك الاستنتاج فهي:

أولاً ان أوصاف الرجل الواقعة عليه الشبهة تماثل أوصاف تيودور ولا سيما شعره الذي وخطه الشيب وشارباه الكثيفان وحمرة وجهه وعرض كتفيه وظواهره الدالة على انه من موظفي الحكومة

ثانياً ان زوجها غاب في المساء الذي حصلت فيه جريمة القتل وادعى انه كان مدعواً الى وليمة في المدينة

ثالثاً ماكان ظاهراً على وجهه من علامات التعب

والارتباك في غد ذلك اليوم مما يدل على قلق الضمير

رابعاً انها رأت على يده خدشاً مستطيلا وأثر دم متجمد

ربما كان نتيجة دفاع المقتولة عن نفسها

كل تلك القرائن كانت توقع الشبهة على تيودور وقد بدت على وجه كاميل علامات تدل على الاقتناع بان ماخامرها من الظنون هي الحقيقة بعينها وكانما شغفها بحب الاستكشاف والاستطلاع وتفانيها في حب الوقوف علي الحقيقة ورفع الستار عن ذلك السر الغامض كل ذلك انساها الامر الفظيع الذي ينتج عن تلك الحقيقة وهو انها اصبحت زوجة مجرم قاتل

-فماذا يكون مصيرها؟... وما هو الواجب عليها عمله ؟

حين فكرت في ذلك اكفهر وجهها اكدرا لاعتقادها انه لايجوز لها السكوت عن الحقيقة التي اكتشفتها وان ذمتها تحتم عليها ان تذكر لرجال البوليس اسم القاتل فقالت فى نفسها

— نعم لا استطيع السكوت عن ذلك بذا يقضي على الواجب

وظلت طول ذلك النهار مترددة تتراوح بين الشك واليقين واخيرا صممت على ان تستطلع بواطن تيودور لعله يقر لها بالذي فعله وكانت في كل اونة تقف كالمأخوذة وتضع

يديها على رأسها وتقول

— رباه ! ايمكن ان يكون تيودور وحشاً ضاريا تدفعه الشراسة الى هذا الحد ... وهل يمكن ان ظواهره الدالة على حسن الاخلاق تستر نفساً سافلة وقلباً اقسى من الجلمود

وفي تلك الاونة دقت الساعة الثالثة م . أ وبعد حين أقبل المسيو فلوك ومد ذراعيه الى زوجته ليعانقها فدفعته عنها بعنف وتراجعت الى الوراء وقالت له

— لقد عرفت كل شيء

فاصفر وجه تيودور وجمد في مكانه كالمصعوق وتمتم قائلا

— هل عرفت ؟ . . . دعيني اذن اشرح لك ...

— كلا .

— ناشدتك الله دعيني اشرح لك الحقيقة واعلمي ان كثيرين من أصحاب الوجاهة يأتون مثل ذلك العمل

— ماذا تقول ؟

— نعم انني ساعتئذٍ كنت سكران وكسرت كاساً في المطعم فجرحت يدى .

فاستشاطت مدام فلوك غضباً وقالت

— لاأريد الكلام عن المطعم وانما أريد ان تعلم انني عرفت القاتل الذي ارتكب جريمة شارع بيجال

فاجاب تيوودور بسكينة

- وأنا أيضاً عرفته وهو يدعي دوران . خذي هاهي جريدة المساء واقرأي تعلمي انهم ألقوا القبض عليه

فاكفهر وجه كاميل وقالت

— كيف وجدوا القاتل ؟ . الست ؟ ..

— الست ماذا ؟

ولم تجسر على ان تقول : « الست أنت القاتل » مثلما فكرت وكاد الغيظ يخنقها لما أصابها من الفشل ولاستهزاء زوجها بها فضربته بأربع كلمات وهي

— تباً لك من ابله .

وظل تيودور طول حياته يجهل السبب الذي لاجله وصفته زوجته بالبله

تمت

بسم الله الحي

## ( لسان اديل )

جلس المسيو ارمان وزوجته اديل الى المائدة للغدا . ودارت بينهما المحاورة الآتية

ارمان : — ألم تكتفي بالثلاث قبعات التي اشتريتها منذ شهرين حتى ابتعت بالامس قبعة جديدة ؟

اديل : — ألا تعلم ياعزيزي ارمان ان ازياء قبعات النساء تتغير من شهر لآخر . فالثلاث قبعات التي اشتريتها منذ شهرين والتي تظنها أصبحت قديمة في عرف ربات الازياء فرأيت ان ابتاع قبعة من الزي الجديد

ارمان : — وهل كل قبعات الزي الجديد غالية الثمن مثل التي اشتريتها؟ فاني دفعت اليوم ثمنها مايه فرنك

اديل — نعم توجد قبعات أخرى أرخص من التي اشتريتها ولكنها لا تليق بزوجة قاض في محكمة الاستئناف مثلي

ارمان — بناء على ذلك يجب ان يكون ثمن قبعة زوجة رئيس المحكمة مئتي فرنك وثمن قبعة زوجة النائب العمومي ثلثماية فرنك وقبعة زوجة رئيس محكمة النقض والابرام أربعماية

فرنك وقبعة زوجة وزير الحقانية خمسماية فرنك وقبعة زوجة رئيس الجمهورية خمسماية الف فرنك . وقبعة زوجة الملاك جبرائيل و . . و . .

اديل — هو ! هو ! بس . بس دعنا على الارض ولا تصعد بنا الى السماء وان كنت أسفا على المائة فرنك التي دفعتها ثمن قبعتي الجديدة ففي الامكان ارجاعها

أرمان - ماخامرني مثل هذا الفكر . وانما يسوؤني ان تبتاعي بعض الملابس دون ان تأخذي رأيي

أديل — انك لم تأخذ رأيي حين سحبت بائنتي ( دوطتي ) من بنك الكريدي ليونه وضاربت بها في البورصة وخسرتها

— ارمان — دعينا يا أديل من تلك الذكرى المؤلمة :. هل تريدين قليلا من السلطة ؟

اديل — لا . كل وحدك فقد اشبعني توبيخك . لا بل فلقني . .

ارمان - اين تعلمت هذه الالفاظ السافلة ؟ . . هل تريدين قطعة روستو ؟

اديل — ليست الفاظي سافلة .... أكل الروستو وحدك

ارمان — حاضر

وطفق يأكل الروستو وهو يبتسم . فازداد غضب اديل واستخرطت في البكاء وغطت وجهها بفوطتها وقالت بين شهيق وزفير

— اظن انني تهذبت في مدارس ارقى من التي تهذبت فيها انت ( ياسي ارمان )

ارمان — لاشك في ذلك .. ما الذ هذه العجة ؟

اديل — ماذا تريد بقولك .. «لاشك في ذلك هل تقصد التهكم ؟

ارمان — لا . وحياتك يا اديل لا .. ناوليني صحنك لاعطيك جناحا من هذه الدجاجة فانها لذيذة جداً

اديل — «دجاجة ايه يا شيخ وهباب ايه ... كتر خيرك» لقد ملأ كلامك معدتي فلم يبقَ فيها فراغ للأكل

ارمان — أنتِ السبب في ماسمعته من قوارص الكلام فلو لم تفوهي بتلك الالفاظ السافلة مثل « فلقتني ومزقتني »

وما شاكل ذلك التي تعلمتها في القرى لما اسمعتك التوبيخ الذي أجرى دموعك وقلب كيانك ومعدتك وسد شهيتك

اديل — لست استحي من اني بنت القرى وان آبائي واجدادي من الحراث ولكن لاتنس أنت انك ولدت أيضاً في قرية بوث وهي أحقر من التي ولدت انا فيها

ارمان — اديل!!

اديل — اديل إيه وهباب ايه!! اسكت بقا ياشيخ بلا أكل هوا

ارمان — وهذه ايضاً عبارة سافلة ياعزيزتي اديل

فعادت اديل الى البكاء ومسح المدامع بالفوطة. فدنا منها ارمان وأراد ان يأخذ يدها وقال

- هدي أخلاقك ياعزيزتي اديل ولا تدعي (العصبي) يتولاك... اديل! اديل ... حبيبتي اديل!!

اديل — اوعا كدا! سيبني!

وبعد سكوت وجيز استحال بكاء اديل الى غضب شديد فمسحت دموعها بعنف شديد وقالت

- يظن الرجل الابله انه يعيد زوجته الى حبه اذا قال

لها « هدي أخلاقك ولا تدعي العصبي يتولاك » بعد أن يدمي فؤادها بكلامه الجارح .. لقد اخطأ ظنك يامسيو ارمان . واني اشكر الله على ان لديّ شهادة المدرسة العليا التي تخرجت فيها وفي امكاني احتراف مهنة للتعليم في القرى التي تحتقرها وأفاخر أنا بها

ارمان « بلهجة تنم عن قلة الصبر » ـ ألا تجعلين لغضبك هذا حداً يقف عنده ؟

اديل ـ لا . لا . هذه عيشة لا تطاق !.. كيف تجسر على القول بأني سافلة وان ألفاظي سافلة ؟... لو ان امي سمعت ما قلته لي !..

وعادت اديل الى البكاء ، ومسحت دموعها بالفوطة « مسكينة الفوطة »

ارمان ـ ليس من الصواب ياعزيزتي اديل ان تبالغي في الحزن والكدر الى هذا الحد لسبب بسيط

اديل ـ ماذا تقول ؟ أتظن ان السبب الذى كدرني بسيط ؟ فاعلم اذن انني منذ هذه اللحظة ساَمتنع عن هذا الكلام قطعيا فلا تخدش بعد الساعة اذناك بالفاظي السافلة واقسم لك برأس

عمي بانك لن تسمع صوتي قط

ارمان ( بصوت منخفض ) حلفت برأس عمها لانه غني وتريد ان ترثه

ثم قال لها بصوت مرتفع

— كفى يا أديل . كفي يا عزيزتي !! وان كنت تظنين اني اسأت اليك فارجوك المغفرة عودي الى زهوك ياحبيبتي ( ماعليهش النوبه ماعليهش ) وتعالى قبلي حبيب قلبك ارمان

فلم تجبه اديل بكلمة وظلت مكانها بلاحراك وساد السكوت ولم يكن يسمع سوى وقع اقدام الخادمة في ذهابها وايابها وتنهدات الست اديل وصوت اضراس ارمان الذى عاد الى الفتك بالفاكهة بعد ان تورمت معدته من الرستو والدجاج والعجة

وبعد سكوت طويل قال ارمان لزوجته بصوت لطيف

— اصغى الي يا أديل سامر الان بحزن النوفوتيه فهل تريدين ان اقول للمدير بان يبعث احد مستخدميه فيأخذ ثوبك الذى تريدين اصلاحه ؟

اديل : — ...

(خرجت الخادمة جوليا)

ارمان — هذه اخر ليلة تقضيها جوليا عندنا . اليس كذلك ؟ وغداً تأتينا الخادمة الجديدة

الا تتكدرين مثلي ياعزيزتي اديل ان ترى كل يوم وجه خادمة جديدة ؟

اديل . — . . .

( دخلت الخادمة )

ارمان — ولا تنسي ياعزيزتي اديل ان اليوم الخميس وهو اليوم الذى تستقبل فيه مدام اوران ذائريها وانتما يونون لها بزيارة . فهل تريدين ان تزورها بعد الظهر

اديل . — . . .

( خرجت الخادمة جوليا وهى تضحك سراً )

وقام ارمان بعد ان ازدرد اربعة أخماس الفاكهة التي كانت على المائدة والتفت الى زوجته وقال

أؤمل ياعزيزتي ان يزول كدرك بعد حين . الساعة الان أثنين ونصف وقد حان ان أعود الى المحكمة ولكن يمكنني ان

اقضي معك نصف ساعة اخرى فهل تريدين ان نلعب دومنو

اديل — . . فكف أرمان عن الكلام ولبس

( كبوته ) وأخذ عصاه ولبس قبعته وكفوفه وحاول ان يقبل

اديل فلم يفلح

— اديل . . .

فكف أرمان عن الكلام ولبس ( كبوته ) واخذ عصاه

ولبس قبعته وكفوفه وحاول ان يقبل اديل فلم يفلح لان هذه

غطت وجهها بالفوطة ( مسكينة الفوطة )

ولما عاد ارمان الى بيته مساء ذلك اليوم كلم اديل فلم

تجبه فتركها وجلس على المائدة يأكل ويقرأ الجريدة وجلست

اديل امامه تأكل وتقرأ رواية

اما جوليا الخادمة فلعلها ان تلك اخر ليلة تقضيها في البيت

( استعملت حريتها ) وصارت تضحك كلما دخلت قاعة الاكل

وابصرت المسيو ارمان والست اديل كانهما صنمان متحركان مما

هاج غضب المسيو ارمان فزجرها واسمعها كلاما جارحا

وفي الغد اتت اوجستين الخادمة الجديدة فلم تكلمها الست

اديل كلمة واحدة في حضرة زوجها وتركت له الاهتمام بتدريب

الخادمة الجديدة

اما ارمان فلكي يخفي عن الخادمة انقطاع الملاقات بينه وبين زوجته صار يقرأ اخبار الجريدة بصوت مرتفع كلما دخلت عليه اوجستين

غير ان اديل لم تكترث لما ابداه زوجها وظلت تقرأ في الرواية

(دخلت الخامة اوجستين)

ارمان قرأ في الجريدة الخبر الآتي

(قد داست اليوم عربة الاومنيبوس احد عابري الطريق فانكسرت ساقه فافلت البوليس سائق العربة وامسك باذيال الرجل الذي كسرت ساقه يريد ان يكتب ضده محضر مخالفه لانه اذنب في وقوعه تحت العربة)

ارمان ـ هذا اغرب ماقرأته في حياتى ! . . . لم يعد يجسر احد ان يمشي في شوارع المدينة

اديل — . . .

واذ ذاك دخلت اوجستين ولما رأت هيئة سيدها وسيدتها لم تمالك من الابتسام

اما ارمان فلما رأى ثبات زوجته على عنادها قال في نفسه

— لم اكن اظن ان اديل عنيده الى هذا الحد . . . وقد ضجرت من هذه الحالة فلا بد ان اضع لها حد ولدي طريقة مضمونة النجاح

ولما انتهى من مناولة الطعام وشرب القهوة قام وتظاهر بالانهماك ونزل الى جنينة البيت وأخذ معولا كان هناك ودخل القبو واغلق عليه الباب

وكانت اديل تراقب كل حركاته فلما رأته عاد من الجنينة وبيده المعول ودخل القبو واغلق عليه الباب اضطربت افكارها وأرادت ان تعرف ماذا يفعل فتبعته وصارت تنظر من ثقب الباب فرأت زوجها يحفر حفرة في ارض القبو كانه يريد ان يدفن فيها شيئا فقالت في نفسها

— ماذا تراه يفعل ؟

وظلت تنظر من ثقب الباب فرأت ارمان يطمر الحفرة التي حفرها ويدوس التراب برجليه

— ثم خرج من القبو وعاد الى البيت واخذ قدوما وكماشة ومنشارا وصعد الى صطح البيت

وكانت زوجته تراقب كل ذلك فتبعته الى السطح ووقفت تنظر اليه من بعيد فرأته يحفر حفرة في السطح ولما وصل الى الخشب كسره بالقدوم ثم نشر لوحا بالمنشار وصار يقتلع ما فيه من المسامير بالكماشة ثم اعاد كل شي الى مكانه

فلما رأت اديل ذلك العمل تولاها الخوف وقالت في نفسها

— ويلاه ويلاه ! لقد جن ارمان ... ما العمل يا ربي ؟

ثم نزل ارمان ودخل قاعة ( التواليت ) وطفق يزيح المرآة ثم يعيدها الى مكانها ويفتح الادراج وينظر فيها ثم يغلقها ويفتح خزانات الثياب ويبحث فيها ثم يغلقها ثم دخل المطبخ وصار يرفع القدور وينظر ما تحتها وفتح عداد الغاز ثم أغلقه ثم دخل غرفة النوم وصار يبحث تحت الاسرة وتحت كل فراش

وكانت اديل تتبعه وقد ازداد خوفها وارتعدت فرائصها فدنت منه وهي ترتجف وقالت له بصوت مختنق

- ارمان . أرمان . ماذا تفعل ؟

فاجابها ارمان بكل هدو وسكينة

كنت أبحث عن لسانك ها قد وجدته والحمد لله

تمت

## الميت يلعب الايكارتيه

كان القائد جاكوار رجلا غريب الاطوار طويل القامة قوي العضل سريع الحركة يناهز الستين

وبرغم تقدم سنه كان لا يزال منتصب القامة نشيطاً كأنه ابن عشرين سنة ولعل ميله الى المزاح والمجون وعدم الاهتمام لكل الامور كان السبب في محافظته على قوة الشباب

كان هذا القائد محبوبا في الجيش من رفاقه الضباط ومن الجنود الذين تحت امرته وكان نبيها متضلعا من الفنون العسكرية وله في الجيش مستقبل باهر ولكنه لشغفه بالاسفار ترك الخدمة العسكرية وطفق يجوب الارض شرقا وغربا. والذي ساعده على ذلك ثروة طائلة ورثها من أبيه

كان جاكوار يشعر بدافع شديد الى السياحة في البلاد القاصية التي لم تلمسها يد المدنية مثل مجاهل افريقيا وأودية بلاد التيبيت في الصين وقسم أميريكا الجنوبية الواقع عند خط الاستواء وظل سنين عديدة يخوض البحار ويطوي القفار ولم يعد يره احد في باريس الا في ما ندر حين كان يعود من أفريقيا ليذهب الى اميريكا فيمر بباريس ويقيم فيها بضعة ايام لقضاء حاجاته

ثم يرحل عنها

وكثيراً ما كان يقص الحكايات الغريبة مما شاهده في أسفاره على أصدقائه الذين يسعدهم الحظ بالاجتماع معه اثناء المدة القصيرة التي يقضيها في باريس وكانت أقاصيصه مدهشة في الغالب ولا سيما انها وقعية لا مبالغة فيها

ولما عاد هذا الرجل الى فرنسا بعد بضعة شهور دعوه للعشاء وكان اذ ذاك عائداً من مجاهل بلاد المكسيك الشمالية التي لا تزال بعيدة من العمران والمدنية. بعد رأس الرجاء الصالح من الاسكندرية. وتلك البلاد القاصية مشهورة بجبالها الشامخة الوعرة المسالك ومستنقعاتها الواسعة وأحراشها الكثيفة التي لا تخترقها أشعة الشمس حيث يكثر لصوص الهنود ذوي البشرة الحمراء. وقطاع الطرق. وحيث لا يوجد مأوى للمسافر اذا جن عليه الليل سوى فنادق صغيرة قديمة العهد تشبه الخانات في بلاد الشرق

ولما انتهيا من مناولة الطعام جلسا لشرب القهوة والتدخين ولما تعطرت القاعة بدخان سيجاراتهم رجوا القائد جاكوار ان يقص عليهم حكاية عن بعض ما صادفه من الامور الغريبة

في اسفاره فابتسم الرجل وبعد تردد قليل قال ـ أقص عليكم ايها السادة حكاية غريبة ادعوها حكاية (الميت يلعب الايكارتيه)

ـ بينما كنت مسافراً منذ بضع سنين من بلاد الصين الى اميريكا على باخرة جرمانية تعرفت بشاباً مكسيكياً جميل الطلعة حسن البذة لطيف المعشر وكنت اقضي معه الساعات الطويلة على ظهر الباخرة نتجاذب اطراف الحديث ومما قاله لي ذلك الفتى انه ابن احد اغنياء بلاد المكسيك وان لأبيه مزارع واحراش واسعة وان مصدر ثروتهم زراعة البن والتبغ وقد بالغ في وصف جمال بلاده وما فيها من المناظر الطبيعية التي تأخذ بالابصار حتى انني تشوقت الى زيارة تلك البلاد

ولما افترقنا في مدينة سان فرنسيسكو تفقدت الاوراق المالية التي كانت في محفظتي فلم اجدها فادركت للحال ان ذلك الشاب سرقها مني. غير ان ذلك العمل الخبيث لم يمنعني عن زيارة بلاده لشدة تشوقي الى رؤية مجاهلها بعد الذي سمعته من وصفها فبعد ان قطعت اميريكا الشمالية وزرت شطوط الولايات المتحدة الغربية وصلت الى بلاد المكسيك من جهة الشمال وقد صادفت في تلك السفرة اموراً غريبة

لا يسعني الكلام عنها لضيق المقام اما النادرة الغريبة التي اقصها عليكم فقد شاهدتها في بلاد ذلك الشاب الذي سرقني وهي نادرة تستحق التذكر ولست انسى طول حياتي اليوم الذي شاهدتها فيه لما تولاني من الرعب

كنت ذات مساء مسافراً من قرية الى اخرى في تلك المجاهل النائية المقفرة حيث لا تقع العين على عابر سبيل وكنت مستصحباً معي اربعة رجال من أهل تلك البلاد للائتناس بهم في الطريق والاستعانة بهم على ما ربما يطرأ من الكوارث في السفر

ولما جنّ الليل ضللنا الطريق ولم نعد ندري كيف نتجه بين تلك الوديان والادغال فتوقفت من السير وقلت لرجالي

- ألا نجد في هذا المكان بيتاً أو فندقاً نأوي اليه الليلة؟

فأجابني أحدهم

- اذكر ياسيدي انني مررت بهذا المكان منذ أعوام وانه يوجد فندق قريب من هنا فاذا أردت سرنا بك اليه

فاجبته بتلهف

- كيف لا أريد وهل نستطيع قضاء الليل تحت القبة الزرقاء في هذا المكان المقفر؟

فاجابني الرجل

- أرجوك اذن ان تتبعني يا سيدي واعلم ان الغرف في الفندق الذاهبون اليه قليلة ولكن صاحب الفندق يستقبلك على الرحب والسعة ويجد لك مكانا للمبيت

وسار الرجل أمامنا فتبعناه وكانت ليلة باردة حالكة الظلام حتى لم نكن نرى طريقنا وما كدنا نسير حتى أمطرتنا السماء مطراً غزيراً بللنا حتى العظم فصرنا نتعثر بأذيالنا ولما انتهينا الى الفندق وجدته بناء قديماً متداعياً ذا نوافذ صغيرة قام فيها الورق مقام الزجاج فقلت في نفسي

والله ما هذا فندق ولكنه مأوى لصوص قتلة

فوقفت متردداً امام الباب ولكنني عدت فتفكرت ان ليس لنا مأوى سواه وان لا بد لي من دخوله فدخلنا فاستقبلنا صاحب الفندق وهو رجل بدين أسمر البشرة ملبد الشعر غائر العينين كثيف الحاجبين وكان ماسكا بيده شمعة يستضيء

بها فلما أبصرني انحنى مسلماً علي فاخبره دليلنا باننا قادمون للمبيت في فندقه تلك الليلة فاجابه صاحب الفندق

- مرحباً بكم سأعد لكم الاصطبل

فحملقت بعيني عند سماع ذلك وقلت

- ماذا تقول ! الاصطبل.

- نعم الاصطبل فهل تظن ان فندقي هذا قصر من قصور الملوك؟ ان اصطبلي يليق بكم وفيه الآن اثنى عشر رجلاً من المتشردين وصيادي الخنازير البرية نائمين بامان واطمئنان فيمكنكم ان تندسوا فيما بينهم ولا بأس اذا ضاق بكم الاصطبل والتصق بعضكم ببعض فان حرارة أجسادكم تقيكم زمهرير البرد

فاعلموا أيها السادة اني في أسفاري العديدة اضطررت أحياناً كثيرة الى النوم في العرأ مفترشاً الحصبا وملتحفاً السماء ولم أكن أبالي بشيء ولا تخامرني المخاوف ولكنني لما رأيت تلك الليلة اني اندس بين اثنى عشر رجلاً من المتشردين وصيادي الخنازير وأشم روائحهم الكريهة وأعرض نفسي لخناجرهم اذا كانوا من القتلة. تولتني الهواجس وتملكني الخوف فقلت لصاحب الفندق

- ان رجالي ينامون في الاصطبل اذا كان لا بد من ذلك اما أنا فاريد منك غرفة أقضي فيها هذه الليلة ولا يشاركني فيها أحد أفلا يوجد عندك غرفة خالية ؟

- كلا

- واذا دفعت لك أجرتها ما تشاء ؟

فلما سمع الرجل مانلته أطرأ مفكراً ثم أجاب

- ربما يمكنني ان أجد لك غرفة ولكنها ليست معدة فلا بد لك من الانتظار ربع ساعة ريثما أعدها

- ها أنا أنتظر

- والاجرة ريالان عنك وعن رجالك

- رضيت بذلك

- ولا بد من دفع الاجرة مقدما

فنقدت الرجل الريالين على الفور فوضعهما في كيسه ومضى . وذهب رجالي الاربعة الى نعيم الاصطبل حيث يستنشقون الروائح العطرية المنبعثة من فتحات أجسام صيادي الخنازير . وبقيت أنا وحدي

وطال انتظاري فصرت أروح وأغدو في القاعة التي

استقبلنا فيها صاحب الفندق وهي أقرب الى خمارة منها الى قاعة استقبال وسمعت فوق رأسي وقع اقدام وأصوات مختلفة ومسبات وشتائم فقلت في نفسي لاشك انهم يعدون الغرفة التي سأبيت فيها الليلة ثم مالبثت ان طرأت عليّ هواجس غريبة وحدثتني نفسي بانني سألقى في تلك الغرفة أمراً مخيفاً ولعل وجودي في ذلك المكان المقفر في تلك الليلة الدهماء المطرة وبين جدران ذلك الفندق القديم ولد فيّ هاتيك المخاوف .

غير انني اعتصمت بما بقي لي من الصبر والشجاعة ولاسيما حين جاء صاحب الفندق وسار بي فتبعته وكان في يده شمعة ضئيلة النور فكنت لا ارى أين اضع قدمي ثم صعد الرجل سلماً من خشب فتبعته على قدمي ويدي وأوشكت ثلاث مرات ان اقع على عنقي وبعد جهد جهيد وصلت الى باب الغرفة فوقف صاحب الفندق وقال لي بعد احناء رأسه

ـ هذا هو الصالون الذي اعددناه لك

فدخلت وتبعني الرجل وألصق الشمعة التي كانت في يده بحافة منضدة قديمة كانت هناك وقبل ان ينصرف قال لي

— هل انت جبان ومن اهل الوساوس ؟

فتذرعت بكل شجاعتي وأجبته

ـ كلا ! ولكن علامَ هذا السؤال ؟

ـ لأني اريد ان اخبرك بأن احد المسافرين مات في هذا السرير الليلة البارحة

ـ وهل مات موتاً طبيعياً ؟

ـ بلا شك فانه قد تشاجر مع احد رفاقه فاطلق عليه خصمه ثلاث رصاصات فمات في هذه الغرفة ولذلك كانت غير معدة لمبيتك فيها ساعة قدومك

قال ذلك ثم انحنى وأردف

أتمنى لك ياسيدي ليلة سعيدة ونوما هنيئاً لا تكدره الاحلام المزعجة

ثم انصرف صاحب الفندق وبقيت افكر هل ستكون ليلتي سعيدة مثل ما تمناها لي وكنت خائر القوى لشدة ما أصابني من وصب السفر فنزعت قبعتي وردائي وحزامي وقبل ان اضجع في فراشي أجلت نظري في تلك الغرفة فلم أجد فيها سوى سرير قديم وكرسي مصاب بالشلل ومنضدة مصابة

بالعرج تلك كانت مفروشات غرفتي الفاخرة وأبصرت على الباب ورقة ملصوقة ومكتوب عليها قوانين الفنـدق فقرأتها وما زلت اذكر بعض بنود منها وهي

البند الاول : « اذا اخترق ماء المطر سقف الغرفة وبلل السرير يجد المسافر شمسية في زواية الغرفة الى جانب النافذة»

البند الثاني : « ان ادارة الفندق ترجو حضرات المسافرين ان لا يسرقوا الملايات يوم رحيلهم »

البند الثالث : « وترجو الادارة حضرات المسافرين الذين تعودوا النوم باحذيتهم ان ينزعوا عنها الغبار قبـل ان يدوسوا في الفراش»

البند الرابع . « المرجو من حضرات المسافرين ان لا ينزعجوا اذا سمعوا طلقات نارية في خمارة الفندق التي تحت غرفهم »

فلما قرأت ذلك الاعلان الغريب لم أتمالك عن الضحك على رغم ماكان بي من الهواجس ثم انني وضعت مسدسي تحت وسادتي واستلقيت على الفراش

ومن عادتي ان يكون معي في أسفاري كتاب أقرأ

فيه كل ليلة قبل النوم فاضجعت وفتحت كتابي وطفقت أقرأ على ضوء الشمعة الذي ألصقتها برجل الكرسي

وما كدت أقرأ عشر دقائق حتى وقعت الشمعة على الارض ولكنها لم تنطفي فانحنيت لالتقطها خوفاً من الحريق ولما أدنيت رأسي من الارض بدرت مني التفاتات الى أسفل السرير فوجدت هنالك جسماً ملفوفاً بملائة بيضاء كانه جسم انسان فانتفضت مذعوراً ونهضت وجثوت على ركبتي عند أسفل السرير لافحص ما في تلك الملائة ومددت يدي لاجس ما أرى

فوقعت يدي على ما يشبه الذراع وما يشبه الساق فأيقنت بان هنالك رجلاً كامناً يريد الفتك بي وانا نائم فاخذت مسدسي وهممت ان أنادي الرجل الكامن هناك لاعرف من هو؟ وما هي غايته ولكنني للحال فكرت في ما قاله لي صاحب الفندق ان رجلاً مات في غرفتي الليلة البارحة فقلت في نفسي لاشك انني لما سألت صاحب الفندق ان يجد لي غرفة كانت لا تزال جثة الميت ملقاة على هذا السرير ولذلك أبى صاحب الفندق تلبية طلبي لاول وهلة ولكنه لما رأى الحاحي وسمع انني انقده الاجرة التي

يطلبها أعد لي هذه الغرفة بعد ان وضع جثة المقتول تحت السرير على أمل ان لا أراها

وهكذا اوشكت ان انام ومن تحتي تلك الجثة وبمجرد هذا الفكر اطار نعاسي فلبست الحال حزائي وأخذت الكرسي وجلست في زاوية من الغرفة مقابلة السرير من حيث ارى الجثة الملفوفة بالملاءة وكنت قد الصقت الشمعة بارض الغرفة حين التقطتها فبقيت هنالك تنعكس اشعتها على الملاءة البيضاء الملفوفة بها الجثة فلم اجسر على رفعها من الارض والصاقها بالمنضدة لشدة ماتولاني من الرعب

وصرت افكر كيف اقضي تلك الليلة بلا نوم ولا حركة وهو عذاب لايخفى على احد . على ان كل ماذكرته لا يعد شيئاً بالنسبة الى مادهاني فيما بعد

فبينما كنت شاخصاً الى الجثة رأيتها تحرك فظننت بادىء بدء ان الوهم اراني غير الحقيقة ولكنني بقيت اراقب الجثة وانا ثابت في مكاني لا استطيع الحراك لشدة الخوف . وبعد حين تحركت الجثة مرة اخرى فاستعنت بالبقية الباقية من ثبات جاشي وهتفت قائلا

— كن على حذر يا راقدا تحت السرير فاني مطلق عليك رصاص مسدسي

فاجابني بلغة هي مزيج من الانكليزية والاسبانية قائلا

— بربك يامولاي لا تطلق بل اعني للخروج من تحت هذا السرير فاني اكاد اختنق

فقمت الحال ومددت يدي واخرجت من تحت السرير ذلك الطرد الابيض ثم فككت الملائة فخرج من تحتها رجل صحيح الجسم ولما رآني موجها نحوه مسدسي تمتم قائلا

— لا تقتلني ياسيدي فاني ما اردت بك شرا

— ماذا كنت تعمل تحت السرير ؟

— دعني اقص عليك حقيقة الامر فاعلم يامولاي ان من عادة اصحاب الفنادق في هذه البلاد اذا مات احد المسافرين في الفندق يلفون جثته بملائة ويضعونها تحت السرير والذين يبيتون في الفنادق من أهل هذه البلاد لا يحجمون من النوم في سرير تحته جثة ولكنني كنت جثة متحركة فهدي روعك ولا تخف شرا وعد الى سريرك ونم واعود انا الى التماوت لاني اخذت غرشين اجرة على ذلك

ثم ان القائد جاكوار كف عن الحديث برهة اشعل في خلالها سيجارة ثم عاد فقال ..

— واوكد لكم ياسادتي بانني خفت تلك الليلة خوفاً شديداً وابيت العودت الى ذلك السرير وبعد محادثة ذلك الرجل المقلد جثث الاموات وجدت انه لي جانب من الذكاء وخفة الروح فرأيت ان اقضي معه مابقى من الليل في لعب الورق « الايكارتيه »

وفي صباح الغد لما جاء صاحب الفندق لينظر في ما احتاج اليه قلت له وانا ابتسم

— اظن انني اول من لعب برتيته ايكارتيه مع جثة ميت

تمت

## أميرة اللصوص

العدد الافتتاحي للسنة الثانية لمجلتنا الفكاهات العصرية

هي رواية غريبة الحوادث ألفها أشهر كتاب هذا العصر «بول زيكونزاك» الروائي العصري الذي طبقت شهرته الآفاق. وقد عهدنا تعريبها لحضرة الدكتور ابراهيم افندي شدودي الطبيب البصري صاحب القلم الرشيق لما ألفيناه من تهافت القراء على تلاوة الروايات الثلاث التي عربها وهي «الفتاة المظلومة» «ومكنونات باريس» «ودهاء البوليس»

وسيجد القراء في الرواية القادمة «أميرة اللصوص» ما يدهشهم من غريب الحوادث واقدام لصوص باريس على جرائم وأعمال يعجز عن وصفها القلم ومن تحايل بوليس ودهائه في اكتشاف جرائمهم مما يندر ان يوجد في رواية أخرى من الروايات الحديثة العهد. وانا نرجو من أصحاب الأقلام والأذواق السليمة ان ينتقدوا ما نعربه من الروايات بكتب خصوصية يرسلونها الينا فيقومون ما اعوج من أعمالنا بآرائهم الصائبة فيكونوا لنا مساعدين على خدمة الأدب والله الهادي الى سواء السبيل

عبد الله غزاله

(١) هذا الديوان طبع بالتزام صاحب هذه المجلة واليه يرجع في جميع ما يختص به من المعاملات